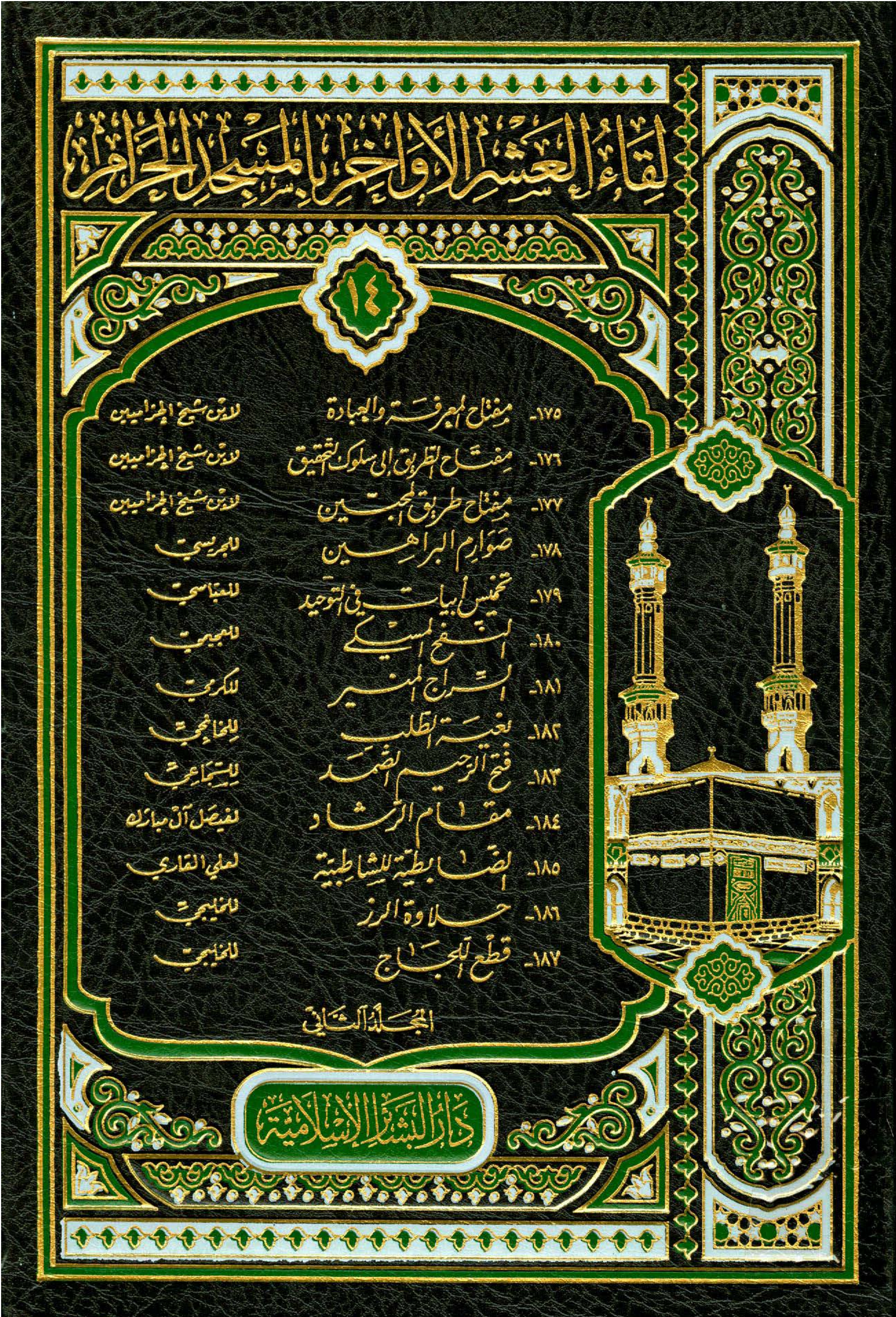

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام
١٤
١٧٥- مفتاح المعرفة والعبارة
لابن شيخ الحزامين
١٧٦- مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق
لابن شيخ الحزامين
١٧٧- مفتاح طريق المحبين
لابن شيخ الحزامين
١٧٨- صوارم البراهين
للجريسي
١٧٩- تخميس أبيات في التوحيد
للعباسي
١٨٠- النفح المسكي
للعجيمي
١٨١- السراج المنير
للكرمي
١٨٢- بغية الطلب
للمحاسني
١٨٣- فتح الرحيم الصمد
للسجاعي
١٨٤- مقام الرشاد
لفيصل آل مبارك
١٨٥- الضابطية للشاطبية
لعلي القاري
١٨٦- حلاوة الرز
للخليجي
١٨٧- قطع اللجاج
للخليجي
المجلد الثاني
دار البشائر الإسلامية

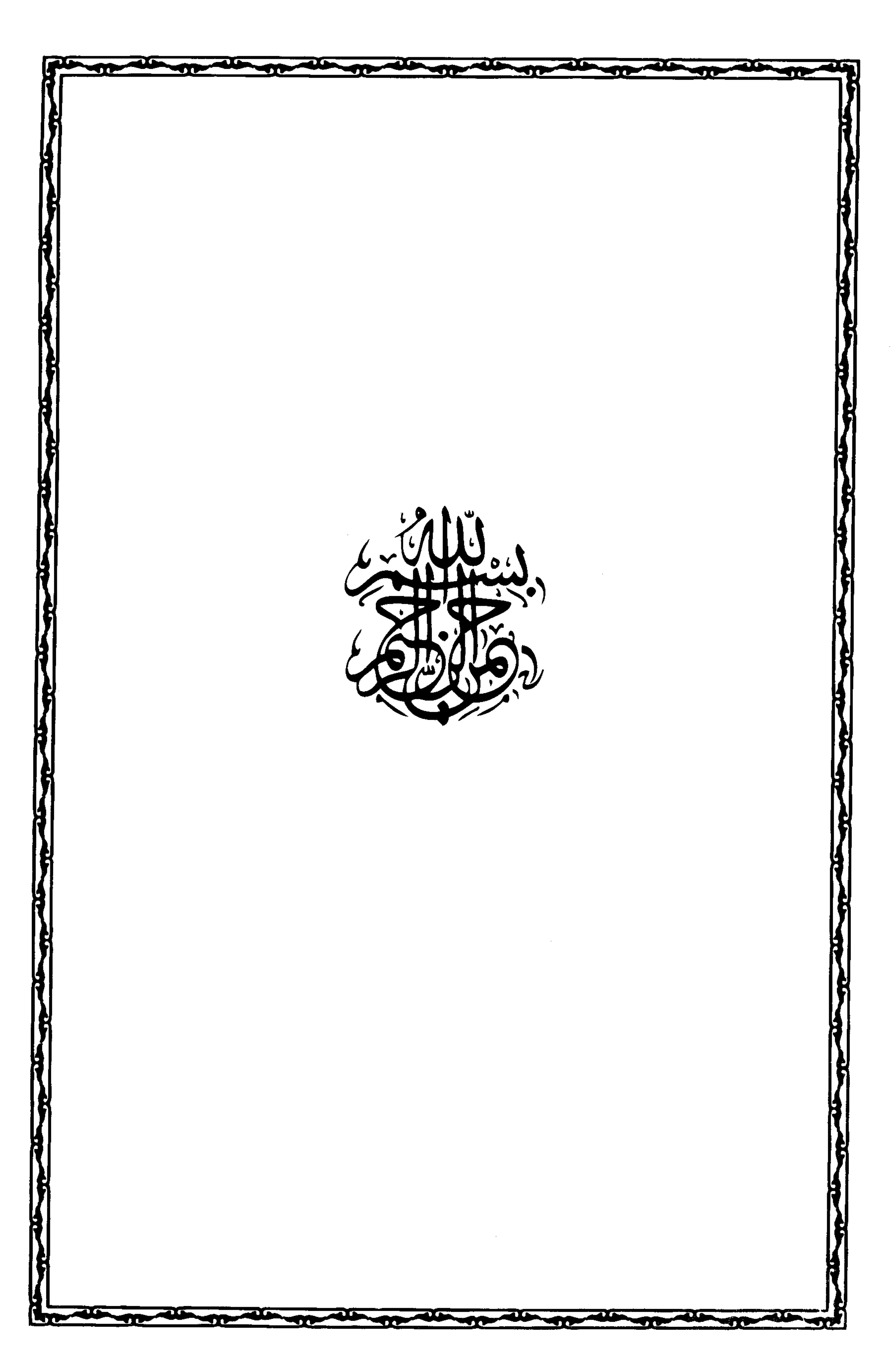
لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام

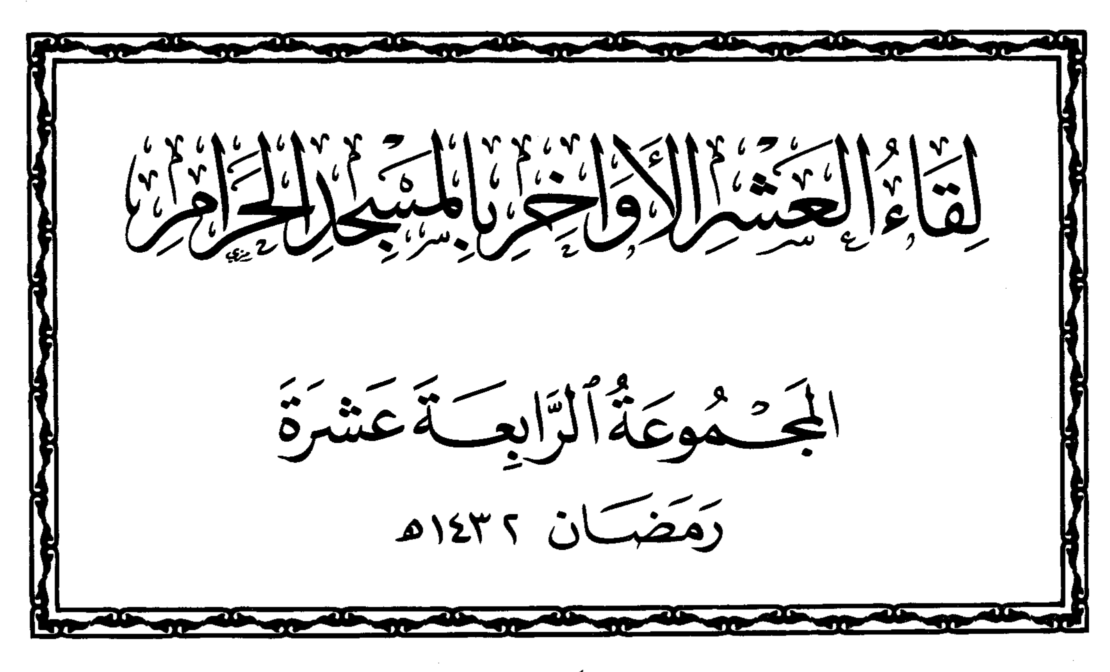
المجموعة الرابعة عشرة

رمضان ١٤٣٢هـ

المجلد الثاني

دار البشائر الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

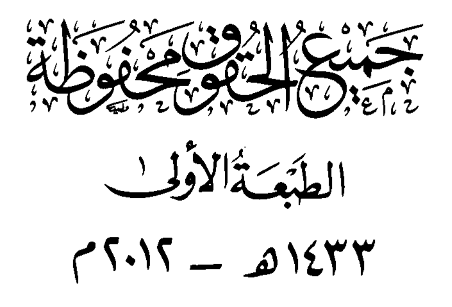


لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام

المجموعة الرابعة عشرة

رمضان ١٤٣٢هـ

المجلد الثاني



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٧٠٢٨٥٧/٠٠٩٦١١ فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧)

مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطلب والإرادة

ويليه

مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق

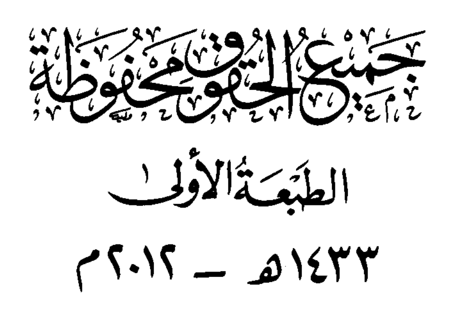
ويليه

مفتاح طريق المحبين وباب الأنس لرب العالمين

تأليف
الإمام الزاهد الناسك والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم
دار البشائر الإسلامية



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى

سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سُورة النِّساء: الآية ١.

(٣) سُورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.

أمَّا بعدُ:

(فإنَّ العبد إذا فتح الله بصيرته في فُنون العُلوم؛ وأمدَّه بصفاء العقل ونوافذ الفُهوم، وارتضع من العُلوم الشَّرعيَّة أكمل الرَّضاع؛ وصار له من كُسوتها أحسن القناع، ونفذ فكره في تفاصيل الأمر والنَّهي، وعرف طريق ردِّ الحوادث إلى الأُصول: فحقيقٌ به أن يكتسي ملابس أعمالها، ويذوق رائق أشربتها وحقائق أحوالها، فكمال العبد مُتوقِّفٌ على ذلك؛ لأنَّ كمال العبد إنَّما يتمُّ بكمال عُبوديَّته لله عزَّ وجلَّ)[1].

وهذه مفاتيح العَالِم النَّاصحِ؛ ونصائح المُعلِّم الصَّالح: عماد الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيِّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين؛ رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت كُلَّ شيءٍ وكُتبت لعباده المُؤمنين، وأرفقه بالذين أنعم عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين.

ولمَّا يسَّر الله تعالى لي بمنِّهِ وإفضالِهِ؛ وسهَّل بكرمِهِ وجُوده ونوالِهِ: الوُقوفَ على هذه الرَّسائل اللَّطيفة؛ المُشتملة على هذه المفاتيح المُنيفة: وجدتُّها قد جمعت أُصول الاعتقاد وقواعد التَّعليم؛ وأركان التَّأديب ومبادئ السُّلوك وأُسس التَّقويم.

فألفيتُها بعد نَضْرَةِ النَّظرِ إليها؛ وحسبتُها بعد الاطِّلاع عليها: رسائل ماتعة؛ ومفاتيح نافعة، فعمدت إلى العناية بها تحقيقاً؛ واجتهدت بالرِّعاية لها تعليقاً، ليعظم بها بمشيئة الله تعالى بعد الطَّبع: الأجر والمثوبة والفائدة والنَّفع.

---

(١) مدخل أهل الفقه واللِّسان إلى ميدان المحبَّة والعرفان لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٤٦ ـ ٤٧).

وقد رأيتُ أن أُقدِّم بين يدي هذه الرَّسائل الفريدة: التَّعريف بالمُؤَلِّف والمُؤَلَّف بمُقتضب المقالة المُفيدة.

واللهَ سُبحانه وتعالى؛ المسؤول فضله العظيم؛ والمأمول نفعه العميم: أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مُدنياً لمُؤلِّفه ومُحقِّقه وقارئه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة لهم لا عليهم؛ وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وإليه الملجأ والاستناد، وعليه التَّوكل والاعتماد، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليه، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليه.

إنَّه سُبحانه خير مسؤولٍ؛ وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حرره بكلمه؛ وزبره بقلمه:
أفقر الورى إلى غنى ربِّه العليِّ:
وليد بن محمد بن عبد الله العلي
غفر الله له ولوالديه ولزوجه ولذريَّته
ولسائر المُسلمين

جامعة الكويت
كُليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة
قسم العقيدة والدَّعوة
يوم الجُمعة ١ ذو الحجَّة ١٤٣٢هـ
الموافق ٢٨ أُكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١١م

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلِّفِ(١)

اسمه ونسبه:

هو: الشَّيخ العالم الإمام؛ الزّاهد العابد الهُمام، العارف النَّاسك؛ القُدوة السَّالك: عماد الدِّين؛ أبو العبَّاس؛ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن مسعود بن عُمر الحزَّاميُّ؛ الواسطيُّ؛ البغداديُّ؛ ثُمَّ الدِّمشقيُّ، الذي عُرف بأنَّه: ابن شيخ الحزَّاميِّين.

---

(١) انظر التَّعريف به في المصادر الآتية ـ مُرتَّبةٌ وفق التَّسلسل الزَّمنيِّ لمُؤلِّفيها ـ: المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩ ـ ٢٠)، العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩٠)، الإعلام بوفيَّات الأعلام للذَّهبيِّ (ص٢٩٩)، تذكرة الحُفَّاظ له (٤/ ١٤٩٥)، ذيل العبر له (٤/ ٢٩)، ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام له (ص١٠٩)، مُعجم الشُّيوخ له (١/ ٢٩ ـ ٣٠): ترجمة (٥)، المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم له (ص٢٢٤)، أعيان العصر وأعوان النَّصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤): ترجمة (٦٦)، الوافي بالوفيَّات له (٦/ ٢٢١): ترجمة (٢٦٨٩)، مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠)، الذَّيل على طبقات الحنابلة لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، القاموس المُحيط للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة (حزم)، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين الدِّمشقيِّ (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٧)، الرَّد الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر له (ص١٢٩ ـ ١٣١): ترجمة (٣٢)، الدُّرر الكامنة في أعيان =

والحزَّاميُّون: نسبة إلى الحزَّامين ـ بفتح الحاء والزَّاي وتشديدها ـ[1]، محلَّةٌ في شرقيِّ واسطٍ[2]، وهي واسعةٌ كبيرةٌ.

= المائة الثَّامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١): ترجمة (٢٤٠)، المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي (١/ ٢١٠ ـ ٢١١): ترجمة (١٠٧)، الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي له (١/ ٣٥): ترجمة (١٠٦)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مُفلح (١/ ٧٣): ترجمة (٥)، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥): ترجمة (١١٩٣)، الدُّر المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد له (٢/ ٤٦١)، القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة لابن طُولون (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب لابن العماد (٦/ ٢٤ ـ ٢٥)، تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٣): مادَّة حزم، هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين للبغداديِّ (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب لابن ضُويَّان (ص٢٩٣ ـ ٢٩٤)، الأعلام للزِّركليِّ (١/ ٨٦ ـ ٨٧)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٧ ـ ٩٤٩)، عُلماء الحنابلة لبكر أبو زيد (ص٢٢٦): ترجمة (١٧٨٨)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للأُستاذ الدُّكتور عبد الله الطُّريقيِّ (٣/ ٣١١ ـ ٣١٥).

(١) انظر في ضبطها: الأنساب للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، المُشتبه للذَّهبيِّ (ص٢٢٤)، القاموس المُحيط للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة (حزم).

(٢) واسطٌ: اسمٌ يقع على عدَّة مواضع، وأعظمها وأشهرها: مدينة واسطٍ التي عمَّرها الحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيُّ سنة ثلاثٍ وثمانين، وهي المُشار إليها، وسُمِّيت بذلك: لتوسُّطها بين البصرة والكُوفة، كما في: مُعجم ما استعجم للبكريِّ (٤/ ١٣٦٣)، مُعجم البُلدان للحمويِّ (٤/ ٣٤٧)، الرَّوض المعطار في خبر الأقطار للحميريِّ (ص٥٩٩).

كما يُطلق الحزَّامون: على الذين يحزمون الكاغد[1] [2]، أو يحزمون الأمتعة ويشدُّونها[3]، والله أعلم.

ولادته ونشأته:

وُلِد ابن شيخ الحزَّاميِّين رحمه الله تعالى في حادي عشر ـ أو ثاني عشر ـ شهر ذي الحجَّة الحرام سنة سبعٍ وخمسين وستُّمائةٍ بشرقيِّ واسطٍ.

وكان والده الشَّيخُ أبو إسحاق شيخَ الطَّائفة الأحمديَّة[4]، وقد نشأ ابن شيخ الحزَّاميِّين بينهم.

---

(١) الكاغد: هُو القرطاس ـ فارسيٌّ مُعرَّبٌ ـ، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ (٩/ ١١٠): مادَّة (كغد).

(٢) انظر: الأنساب للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، اللُّباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١/ ٣٦٢)، تاج العروس للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٥): مادَّة (حزم).

(٣) انظر: مُعجم البُلدان للحمويِّ (٢/ ٢٥٢).

(٤) الطَّائفة الأحمديَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي العبَّاس أحمد بن عليِّ بن رفاعة الحُسينيِّ؛ المولود في قرية حسن ـ من أعمال واسط ـ بالعراق في أوَّل مُحرَّمٍ سنة خمسمائةٍ، والمُتوفَّى في قرية أمُّ عُبيدة ـ بين واسطٍ والبصرة ـ في يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الأُولى سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائةٍ، وتُسمَّى باسم الرِّفاعيَّة؛ وهو الاسم الذي غلب عليها: نسبة إلى أحد أجداد الشَّيخ أحمد، كما تُسمَّى باسم البطائحيَّة: نسبة إلى مسقط رأس الشَّيخ أحمد ببطائح واسط بالعراق، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

وكان رحمه الله تعالى (يرتزق من النَّسخ؛ وخطُّه حسنٌ جدًّا)[1]، (ولا يكاد يقبل من أحدٍ شيئاً إلا في النَّادر)[2]، وكان مع ذلك (لا يكتب إلا مقدار ما يدفع به الضَّرورة)[3].

قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى: (وكتب المنسوب[4] حتَّى أخمل[5] الحدائق، وأتى في طرسه[6] بكُلِّ سطرٍ على العقد فائق)[7].

مُعتقده ومسلكه:

قد أُلهم رحمه الله تعالى (من صغره طلب الحقِّ ومحبَّته؛ والنُّفور عن البدع وأهلها)[8]، فاجتمع بطوائف عدَّةٍ؛ (ولم يسكن قلبه

---

(١) الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١).
(٢) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).
(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).
(٤) خطٌّ منسوبٌ: ذُو قاعدةٍ، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ (٤/ ٢٦٤): مادَّة (نسب).
(٥) قال ابن السِّكِّيت: (قال أبوصاعدٍ: الخميلة: الشَّجر المُجتمع الذي لا ترى فيه الشَّيء إذا وقع في وسطه)، كما في تهذيب اللُّغة للأزهريِّ (٧/ ٤٢٩): مادَّة (خمل).
(٦) قال اللَّيث: (الطِّرْس: الكتاب الممحو الذي يُستطاع أن تُعاد عليه الكتابة، وفعلك به: التَّطريس)، كما في تهذيب اللُّغة للأزهريِّ (١٢/ ٣٢٩): مادَّة (طرس).
(٧) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).
(٨) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

إلى شيءٍ)[1] منها، فاجتمع بفُقهاء واسطٍ؛ وبغداد؛ ومكَّة؛ والقاهرة، ثُمَّ رحل إلى الإسكندريَّة؛ فاجتمع هُناك بالطَّائفة الشَّاذليَّة[2]، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة والسُّلوك، فأخذ عنهم؛ واقتفى طريقتهم وهديهم.

وكان رحمه الله تعالى في هذه الحِقبة الزَّمنيَّة من عُمره: مُضطرباً ببعض الأُصول ومُتحيِّراً في شيءٍ من مسائل الاعتقاد؛ حتَّى أراه الله تعالى الحقَّ ورزقه اتِّباعه وهداه إلى سبيل الرَّشاد، كما أشار رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله: (كُنت بُرهة من الدَّهر مُتحيِّراً في ثلاث مسائل: مسألة الصِّفات؛ ومسألة الفوقيَّة؛ ومسألة الحرف والصَّوت في القُرآن المجيد، وكُنت مُتحيِّراً في الأقوال المُختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصِّفات وتحريفها؟ أو إمرارها؟ أو الوُقوف فيها؟ أو إثباتها بلا تأويلٍ ولا تعطيلٍ؛ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ؟)[3].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال: حتَّى لطف الله بي،

---

(١) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٢) الطَّائفة الشَّاذليَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي الحسن عليِّ بن عبد الله الهُذليِّ الشَّاذليِّ ــ نسبة إلى شاذلة في المغرب ــ؛ المُتوفَّى أوائل شهر ذي القعدة سنة ستٍّ وخمسين وستُّمائةٍ، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

(٣) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٦ ــ ١٧).

وكشف لهذا الضَّعيف عن وجه الحقِّ: كشفاً اطمأنَّ إليه خاطره، وسكن به سِرُّه، وتبرهن الحقُّ في نُوره)[١].

وكان تخلِّيه رحمه الله تعالى عن هذه المذاهب والأقوال بعد قُدومه دمشق؛ والتقائه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى وصُحبته له، حيث دلَّه على مُطالعة السِّيرة النَّبويَّة، فأقبل عليها؛ وعلى مُطالعة كُتب الحديث والسُّنَّة والآثار، حتَّى صار (داعية إلى السُّنَّة ومُتابعة الآثار)[٢]؛ (مُحبًّا لأهل الحديث؛ مُعظِّماً لهم)[٣]، (ومذهبه مذهب السَّلف الصَّالح في الصِّفات؛ يُمرُّها كما جاءت)[٤].

وكان حسن العهد بشيخ الإسلام ابن تيميَّة مُثنياً عليه، ومُضيفاً كُلَّ صفةٍ حسنةٍ ومنقبة مُستحسنةٍ إليه، فمن ذلك قوله: (شيخنا السَّيِّد الإمام؛ الأُمَّة الهُمام، مُحيي السُّنَّة وقاطع البدعة، ناصر الحديث، ومُفتي الفرق، الفائق عن الحقائق؛ ومُوصلها بالأُصول الشَّرعيَّة للطَّالب الذَّائق، الجامع بين الظَّاهر والباطن؛ فهُو يقضي بالحقِّ ظاهراً وقلبه في العُلى قاطنٌ، أُنموذج الخُلفاء الرَّاشدين؛ والأئمَّة المهديِّين، الذين غابت عن القُلوب سِيَرُهُم؛ ونَسِيَت الأُمَّة حذوهم وسُبُلَهُم، فذكَّرهم بها الشَّيخ، فكان في دارس نهجهم سالكاً، ولموات حذوهم مُحيياً؛ ولأعنَّة قواعدهم مالكاً، الشَّيخ الإمام: تقيُّ الدِّين؛ أبو العبَّاس؛

---

(١) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٣٢).

(٢) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).

(٤) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته)[١].

وقد انتفع بهديه و(تسلَّك به جماعةٌ، وأَلِفَ الضَّراعة من الرَّضاعة)[٢]، ثُمَّ شرع في الرَّدِّ على أرباب المذاهب العقليَّة الذَّميمة، واجتهد في التَّحذير من أصحاب الأقوال السَّقيمة، فبيَّن عوارهم؛ وكشف أستارهم.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (جالسته مراراً وانتفعت به، وكان مُنقبضاً عن النَّاس؛ حافظاً لوقته[٣]، تسلَّك به جماعةٌ، وكان ذا ورعٍ وإخلاصٍ، ومُنابذةٍ للاتِّحاديَّة وذوي العُقول)[٤].

مذهبه الفقهيُّ:

أقبل رحمه الله تعالى على التَّفقُّه في الدِّين؛ وبرز فيه، وصارت (له مُشاركةٌ في العُلوم)[٥]، وزاحم في شتَّى (الفضائل، وصحب الكبار)[٦].

وقد (تفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ)[٧] رحمه الله تعالى، (ونظر في

---

(١) التَّذكرة والاعتبار لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٩ ـ ٢٠).
(٢) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).
(٣) سقطت كلمة (لوقته) من الوافي بالوفيَّات، واستدركتها من الدُّرر الكامنة.
(٤) حكاه الصَّفديُّ في الوافي بالوفيَّات (٦/ ٢٢١).
(٥) ذيل العبر للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).
(٦) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٧) الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١).

الرَّوضة والرَّافعيِّ[1])[2]، كما أشار إلى ذلك بقوله: (لأنِّي على مذهب الشَّافعيِّ رحمه الله تعالى، عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه)[3].

ثُمَّ تحوَّل و(انتقل إلى مذهب الإمام أحمد)[4] رحمه الله تعالى[5]، فقرأ على شيخ المذهب مجد الدِّين إسماعيل بن مُحمَّد الحرَّانيِّ رحمه الله تعالى كتاب (الكافي) للمُوفَّق ابن قدامة رحمه الله تعالى، (واختصره في مُجلَّدٍ)[6].

ثناء العُلماء عليه:

كان رحمه الله تعالى قد كُسي بثناء عُلماء عصره وفُقهاء مصره عليه، فجادت ألسنة صدقهم بالثَّناء والدُّعاء وجاءت مدائحهم تسعى إليه، فمن ذلك:

١ ـ كان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

---

(١) أي: تفقَّه في مذهب الشَّافعيِّ على كتاب (الفتح العزيز في شرح الوجيز) للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن مُحمَّد الرَّافعيِّ القزوينيِّ (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ)، وعلى مُختصره (روضة الطَّالبين وعُمدة المُفتين) للإمام أبي زكريَّا يحيى بن شرف النَّوويِّ الدِّمشقيِّ (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ).

(٢) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٣) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٨).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٥) انظر: العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل لبكر أبو زيد (ص٤٥)، المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل له (١/ ٥٦٩).

(٦) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

يُعظِّمه ويُجلِّه، ويقول: (هُو جُنيد[1] وقته. وكتب إليه كتاباً من مصر؛ أوَّله: إلى شيخنا الإمام العارف القُدوة السَّالك)[2].

٢ ـ قال الحافظ البرزاليُّ رحمه الله تعالى (٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ): (رجلٌ صالحٌ عارفٌ، صاحب نُسكٍ وعبادةٍ؛ وانقطاعٍ وعُزوفٍ عن الدُّنيا، وله كلامٌ متينٌ في التَّصوُّف الصَّحيح، وهُو داعيةٌ إلى طريق الله تعالى)[3].

٣ ـ قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى (٧٠٥ ـ ٧٤٤هـ): (كان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشَّأن، مُنقطعاً إلى الله، مُتوفِّراً على العبادة والسُّلوك)[4].

٤ ـ قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): (شيخنا القُدوة العارف)[5]. ويقول: (كان من سادة السَّالكين)[6].

---

(١) هُو أبو القاسم الجُنيد بن مُحمَّد الخرَّاز القواريريُّ النَّهاونديُّ ثُمَّ البغداديُّ، المُتوفَّى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين.
قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٣/ ٣٢٨)]: (قال سيِّد الطَّائفة وشيخهم الجُنيد بن مُحمَّد رحمه الله: الطُّرق كُلُّها مسدودةٌ على الخلق؛ إلا على من اقتفى آثار الرَّسول ﷺ. وقال: من لم يحفظ القُرآن ويكتب الحديث: لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمنا مُقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة. وقال: مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بأُصول الكتاب والسُّنَّة).

(٢) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٣) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٤) العُقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

(٥) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٦) ذيل العبر للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).

٥ ـ قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): (لقي المشايخ وتعبَّد، وترك الرِّئاسة وتزَّهد، وقطع العوالق وتجرَّد)[١].

٦ ـ قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ): (كان له مُشاركةٌ جيِّدةٌ في العُلوم، وعبارةٌ حسنةٌ قويَّةٌ، وفهمٌ جيِّدٌ، وخطٌّ حسنٌ في غاية الحُسن. وكان معمور الأوقات في الأوراد والعبادات، والتَّصنيف والمُطالعة، والذِّكر والفكر، مصروف العناية إلى المُراقبة والمحبَّة، والأُنس بالله، وقطع الشَّواغل والعوائق عنه، حثيث السَّير إلى وادي الفناء بالله، والبقاء به، كثير اللَّهج بالأذواق والتَّجلِّيات والأنوار القلبيَّة، منزوياً عن النَّاس، لا يجتمع إلا بمن يُحبُّه ويحصل له باجتماعه به منفعةٌ دينيَّةٌ)[٢].

٧ ـ قال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ): (كان زاهداً عابداً، داعية إلى الله)[٣].

مُولَّفاته:

كان رحمه الله تعالى صاحب (عبارةٍ عذبةٍ)[٤]؛ سبك بُحسن أدبها ما (يُتحلَّى بقلائده، وتتجلَّى محاسنه في فرائده)[٥].

---

(١) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

(٢) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٣) الرَّدُّ الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠).

(٤) ذيل العبر للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).

(٥) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

ولمَّا كان (قلمه أبسط من عبارته)[1]: اعتنى بالتَّصنيف، حيث (صنَّف في السُّلوك والمحبَّة)[2] مُصنَّفاتٍ و(تواليف نافعة)[3]، وغالب هذه المُصنَّفات في الحثِّ على (اقتفاء السُّنَّة؛ وطريق التَّصوُّف على السُّنَّة؛ والرَّدِّ على طوائف من المُبتدعة كالاتِّحاديَّة وغيرهم)[4]، وكلامه (في التَّصوُّف عجيبٌ)[5].

قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى: (ألَّف تآليف كثيرة في الطَّريقة النَّبويَّة؛ والسُّلوك الأثريِّ؛ والفقر المُحمَّديِّ، وهي من أنفع كُتب الصُّوفيَّة للمُريدين، انتفع بها خلقٌ من مُتصوِّفة أهل الحديث ومُتعبِّديها)[6].

ومن هذه المُؤلَّفات:

١ ـ **البُلغة**: اختصر فيه كتاب الكافي لابن قُدامة المقدسيِّ رحمه الله تعالى، وقد ذكره: ابن رجبٍ، وابن ناصر الدِّين، والعُليميُّ، وابن طُولون، وحاجي خليفة، والبغداديُّ، وابن العماد، وابن ضُويَّان، وكحَّالة، والبُرَديُّ، وأبوزيد، والطُّريقيُّ[7].

---

(١) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل (٢/ ٣٦٠).
(٢) الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).
(٣) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٤) الرَّدُّ الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩).
(٥) توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦).
(٦) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).
(٧) انظر: الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩)، الرَّد الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩)، المنهج الأحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، الدُّر المُنضَّد له (١/ ٤٦١)، القلائد =

٢ ـ **البُلغة والإقناع في حلِّ شُبهة مسألة السَّماع**: (ألَّفه بدمشق سنة ثلاثٍ وسبعمائة)[١]، وقد ذكره: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَدِيُّ؛ وأبو زيد؛ والطُّريقيُّ[٢].

٣ ـ **التَّذكرة والاعتبار؛ والانتصار للأبرار**: رسالةٌ كتبها وبعثها إلى أصحاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، (وأوصاهم فيها بمُلازمة الشَّيخ؛ والحثِّ على اتِّباع طريقته، وأثنى فيها على الشَّيخ ثناءً عظيماً)[٣]، وقد ذكره: ابن ناصر الدِّين؛ والطُّريقيُّ[٤]، وهُو مطبوعٌ[٥].

= الجوهريَّة لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، شذرات الذَّهب لابن العماد (٦/ ٢٤)، كشف الظُّنون لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١)، هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، المدخل المُفصَّل لبكر أبو زيد (٢/ ٧٣٩؛ ٩٨٦)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٢).

(١) كشف الظُّنون لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١).

(٢) انظر: هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، المدخل المُفصَّل لبكر أبو زيد (٢/ ٨٨٥؛ ٩٨٦؛ ١٠٥٢)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٣).

(٣) العُقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

(٤) انظر: الرَّد الوافر لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠ ـ ١٣١)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٥) اعتنت بطباعته دار العاصمة؛ بتحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ.

٤ ـ **السُّلوك والسَّير إلى الله تعالى**، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[١]، وهُو مخطوطٌ[٢].

٥ ـ **شرح منازل السَّائرين**: شرح فيه (أكثر منازل السَّائرين)[٣] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن مُحمَّد الأنصاريِّ الهرويِّ رحمه الله تعالى؛ (ولم يُتمَّه)[٤]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ وابن قيِّم الجوزيَّة[٥]؛ والصَّفديُّ؛ وابن رجبٍ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والعُليميُّ؛ وحاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وابن ضُويَّان؛ والزِّركِليُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[٦].

---

(١) انظر: مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) تُوجد منه نُسخةٌ خطيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (٤٧٠٩)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وهي مخرومة الأوَّل والآخر، كما في: فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)، (٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٥) انفرد تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى عمَّن سواه من المُترجمين بخصِّيصةٍ، حيث ضمَّن مواطن من هذا الشَّرح في [شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل: (١/ ٨٩ ـ ٩١)] فقال: (والذي يليق به [أي: يليق بكلام صاحب المنازل]: ما ذكره شيخنا أبو العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ رحمه الله في شرحه، فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام، فقال) ثُمَّ ساق قوله في ثلاث صفحاتٍ.

(٦) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، شفاء العليل لابن قيِّم الجوزيَّة (١/ ٨٩ ـ ٩١)، الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١)، الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠)، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، =

٦ ـ **مُختصر دلائل النُّبوَّة**، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والزِّركِليُّ؛ والطُّريقيُّ[1].

٧ ـ **مُختصر سيرة ابن إسحاق**: حيث (أقبل على سيرة ابن إسحاق ـ تهذيب ابن هشامٍ ـ؛ فلخَّصها واختصرها)[2]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن تغري بردي؛ وابن مُفلحٍ؛ والعُليميُّ؛ وابن طُولون؛ وابن العماد؛ وابن ضُويَّان؛ وسزكين؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[3].

= الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١)، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، المنهج الأحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، الدُّر المُنضَّد له (١/ ٤٦١)، كشف الظُّنون لحاجي خليفة (٢/ ١٨٢٨)، هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، الأعلام للزِّركليِّ (١/ ٨٧)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣)، الوافي بالوفيَّات له (٦/ ٢٢١)، الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ (١/ ٩١)، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، الأعلام للزِّركليِّ (١/ ٨٧)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٢) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، الوافي بالوفيَّات له (٦/ ٢٢١)، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥)، الرَّد الوافر له (ص١٢٩)، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، المقصد الأرشد لابن مُفلح (١/ ٧٣)، المنهج الأحمد للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، الدُّر المُنضَّد له (١/ ٤٦١)، القلائد الجوهريَّة لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، شذرات الذَّهب لابن العماد (٦/ ٢٤)، رفع النِّقاب =

٨ ـ **مدخل أهل الفقه واللِّسان؛ إلى ميدان المحبَّة والعرفان**، وقد ذكره: حاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[(١)]، وهُو مطبوعٌ[(٢)].

٩ ـ **مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق**، وهي إحدى الرَّسائل الثَّلاث المُودعة في الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي لها بمشيئة الله تعالى: مزيد تعريفٍ وبيانٍ.

١٠ ـ **مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة**، وهي إحدى الرَّسائل الثَّلاث المُودعة في الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي لها بمشيئة الله تعالى: مزيد تعريفٍ وبيانٍ.

١١ ـ **مفتاح طريق الأولياء؛ وأهل الزُّهد من العُلماء**، وقد ذكره: الزِّرِكليُّ[(٣)]، وهُو مطبوعٌ[(٤)].

= لابن ضُويَّان (ص٢٩٣)، تاريخ التُّراث العربيِّ لسزكين (١/ ١/ ١١٠)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: كشف الظُّنون لحاجي خليفة (٢/ ١٦٤٣)، هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، إيضاح المكنون له (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٣) انظر: الأعلام للزِّرِكليِّ (١/ ٨٧).

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميِّ.

١٢ ـ **مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين**، وهي إحدى الرَّسائل الثَّلاث المُودعة في الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي لها بمشيئة الله تعالى: مزيد تعريفٍ وبيانٍ.

١٣ ـ **نصيحةٌ في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**، وهُو مطبوعٌ(١).

١٤ ـ **نصيحةٌ لبعض إخوانه**، وقد ذكره: الطُّريقيُّ(٢)، وهُو مخطوطٌ(٣).

نظمه:

كان رحمه الله تعالى إلى جانب ما جمع الله تعالى له من الذِّكر الرَّفيع: قد اشتهر عنه بأنَّه صاحب (نظمٍ حسنٍ)(٤) وشعرٍ رائقٍ وقرضٍ بديعٍ.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (أنشدنا لنفسه رحمه الله تعالى:

مَا زَالَ يَعْشَقُهَا طَوْراً ويُلْهِيهَا ... حَتَّى أَنَاخَ بِرَبْعِ الحُبِّ حَادِيهَا

يَشْكُو إلَيْهِ كَلالَ السَّيْرِ مِنْ نَصَبٍ ... وَعْدَ الوِصَالِ يُمَنِّيهَا فَيُحْيِيهَا

هَبَّ النَّسِيمُ فَأَهْدَى طِيبَ نَشْرِهِمُ ... فَهَيَّجَ الوَجْدَ مِنْ أَقْصَى دَوَاعِيهَا

---

(١) اعتنى بطباعته المكتب الإسلاميُّ؛ بتحقيق: زُهير الشَّاويش.

(٢) انظر: مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٣) تُوجد منه نُسخةٌ خطيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (١٥٣٢)، وتقع في (١٢٧) ورقة، كما في: فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)، (٣/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

إنْ رُمْتَ سَيْراً فَصفِّ القَلْبَ مِنْ دَنَسٍ مَعَ الجَوَارِحِ كَيْ تَنْفِي مَسَاوِيهَا
وَجَانِبِ النَّهْيَ حَسْبَ الجَهْدِ مُمْتَثِلاً نُجْحَ الأَوَامِرِ كَيْ يَنْفَكَّ عَانِيهَا
واقْصِدْ إِلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ تَفْهَمُهَا فَهْمَ الخُصُوصِ فَتَعْلُو فِي مَبَانِيهَا
وَدَاوِمِ الذِّكْرَ بَعْدَ العَقْدِ مِنْ سُنَنٍ عَقْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ لِلأَمْرَاضِ يَشْفِيهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلا الصَّبَابَةَ إلا مَنْ يُعَانِيهَا)[١].

وقال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى: (ومن إنشادات الحزَّاميِّ هذا في مراتب المحبَّة:

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ الدَّيَاجِي سَارِياً رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا مَا البَدْرُ أَرْشَدَ ضَوْؤُهُ تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإِصْبَاحَا
حَتَّى إِذَا انْجَابَ الظَّلامُ بِأَسْرِهِ وَرَأَى الصَّبَاحَ بِأُفْقِهِ قَدْ لاحَا
تَرَكَ المَسَارِجَ وَالكَوَاكِبَ كُلَّهَا وَالبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا)[٢]

وفاته:

كان رحمه الله تعالى قد أدركته المنيَّة عن (أربعٍ وخمسين سنة)[٣]، (وعينه من الانقطاع عن الدُّنيا وَسِنَة، ولم يزل على حاله إلى أن التقمته الأرض، وأودعته في بطنها إلى يوم العرض)[٤].

---

(١) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٢) توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، وقد ذكرها ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: ص٧٨] دون نسبتها لقائلها، وفيه ذكر (اللَّيالِي)؛ بدل: (الدَّياجِي).
(٣) مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠).
(٤) أعيان العصر للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

وكانت وفاته بعد عصر السَّبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة بالمارستان[1] الصَّغير بدمشق، عن ثلاثةٍ وخمسين عاماً؛ وأربعة أشهرٍ؛ وأربعة أو خمسة أيَّامٍ[2].

وصُلِّي عليه بالجامع الأُمويِّ (ضُحى يوم الأحد، ودُفن بسفح قاسيون؛ قبالة زاوية السُّيوفيِّ، وتقدَّم في الصَّلاة عليه: أبو الوليد المالكيُّ)[3] رحمه الله تعالى.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (ولا أعلم خلَّف بدمشق في طريقته مثله)[4].

رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت العالمين، وأعلى سُبحانه درجته ورفع منزلته في المهديِّين، وأخلفه بُحسن كرمه في عقبه في الغابرين.

❑❑❑

---

(١) دار المرضى ـ وهُو مُعرَّبٌ ـ، وأصله: بيمارستان، وبيمار: المريض، وأستان: المأوى، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ (١٦/ ٥٠٠): مادَّة مرس.

(٢) هذا عُمره تحديداً، وما ذُكر أعلاه تغليباً، وقد وهم الصَّفديُّ بقوله: (عاش بضعاً وسبعين سنة)، كما في: أعيان العصر (١/ ١٥٤)، الوافي بالوفيَّات (٦/ ٢٢١).

(٣) المُقتفى للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩).

(٤) الذَّيل لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

تَعرِيفٌ بِالمُؤَلَّفِ

رسائل المُؤلَّف:

اشتمل المُؤلَّف المليح؛ على ثلاثة مفاتيح، **أوَّلها**: مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة.

وثانيها: مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق.

وثالثها: مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين.

نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف:

هذه الرَّسائل الثَّلاث قد ثبتت نسبتها لمُؤلِّفها رحمه الله تعالى وصحَّت من وجهيْن:

الوجه الأوَّل: عبارة المُؤلِّف العذبة وأُسلوبه الحسن، إذ قد كُسيت كلمات الرَّسائل بعبارةٍ وأُسلوبٍ يظهر فيها التَّشابه الكبير والتَّقارب الواضح بينها وبين غيرها من رسائل المُؤلِّف المطبوعة، وهذا الوجه من الأوجه المُعتبرة في إثبات نسبة رسالةٍ مَّا لمُؤلِّفها، إذ أنَّ عبارات المُؤلِّفين في رسائلهم؛ وأساليبهم في كُتبهم: تتشابه إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أنَّها تُلقي في الرُّوع غلبة الظَّنِّ، وعليه فإنَّه يُمكن للقارئ أن يُطابق

بين العبارتيْن؛ ويُقارن بين الأُسلوبيْن: ليطمئنَّ إلى صحَّة نسبة هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها.

الوجه الثَّاني: تصريح بعض المُترجمين بنسبة بعض هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها، وممَّن صرَّح بذلك: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ(١).

موضوع المُؤلَّف:

ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في رسالته الأُولى: (مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة): أنَّ المُوجب لتعليق هذه الكلمات: هُو ما أودع الله تعالى في قلبه من المودَّة والرَّحمة والشَّفقة لإخوانه، لا سيَّما في تلك الأزمنة في رأس السَّبعمائة من الهجرة النَّبويَّة؛ والزَّمان الذي عزَّ فيه الأدلاء النَّاصحون؛ وكثرت فيه الأكاذيب والمدَّعون، حيث وجد الطَّالبين في زمانه: قد قطعتهم الإرادات؛ وجحفت بهم الانحرافات، فاستخار الله تعالى في تعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ تكون للطَّالب الصَّادق أُنموذجاً يستدلُّ بها على ما وراءها من حقائق المطالب العالية، وتُرشده إلى سبيل الصَّادقين من أُمَّة هذا النَّبيِّ الكريم ﷺ.

---

(١) حيث صرَّحوا بنسبة: (مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين) لمُؤلِّفها، انظر: هديَّة العارفين للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، إيضاح المكنون له (٢/ ٥٢٥)، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة (١/ ٨٩)، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ، وثمانية فُصولٍ وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي: الأوَّل: في المبادئ، والثَّاني: في الأُمور التي يعتني بها صاحب هذا الحال، والثَّالث: في بيان المطلوب حقيقة هُو في الكتاب والسُّنَّة؛ دُون غيرهما من الأشياء والطُّرق، والرَّابع: في أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين لا يستقيم أمرهم إلا بها؛ ولا ينفذون إلى دينهم إلا بمعرفتها وتحقيقها، والخامس: في كيفيَّة التَّرقِّي إلى علم صفة الرُّبوبيَّة بعد إحكام صفة الإلهيَّة، والسَّادس: في بيان الكشف عن صفة المعيَّة الخاصَّة، والسَّابع: في بيان الكشف عن حال الجمع، والثَّامن: في لواحق بها يكمل الكتاب.

وذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في رسالته الثَّانية: (مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق): أنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ عناية يسلك به فيها إلى طريق المُقرَّبين؛ ومقاعد المحبوبين: ألهمه التَّوبة النَّصوح، فيعرف ربَّه سُبحانه من فوق عرشه وفوق سبع سماواته؛ بائناً من خلقه مُستوياً على العرش ـ الاستواء اللائق به ـ، فإذا عرف الطَّالب ربَّه سُبحانه وتعالى بأنَّه فوق العرش؛ وفوق السَّماوات؛ وفوق الأشياء كُلِّها ـ فوقيَّة تليق بجلاله ـ: صارت عظمته لقَلبه قِبلة، فتكون العظمة الإلهيَّة قِبلة قَلبه؛ كما تكون الكعبة الشَّريفة قِبلة بدنه.

ثُمَّ ذكر سبعة فُصُولٍ؛ ومُجملها فيما يأتي: الأوَّل: في إلزام النَّفس بالمُحاسبة في الحركات والسَّكنات؛ ومُراعاة الجوارح السَّبع: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل. والثَّاني: في مُراعاة أحكام الصَّلوات الخمس، والثَّالث: في الأدب في تلاوة القُرآن الكريم، والرَّابع: في تعلُّم رُبع العبادات وغيره ممَّا يفتقر دين المُتعلِّم إليه، والخامس: عبادة الله تعالى بالنُّصح له وإتقان الأعمال،

والسَّادس: استعمال الطَّريق الوسط بين الإفراط والتَّفريط، والسَّابع: مُعاملة الله عزَّ وجلَّ بالاجتهاد والإخلاص.

وذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في رسالته الثَّالثة: (مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين): أنَّ الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً: أقام فيه شاهداً من ذكر الآخرة، يُريه فناء الدُّنيا وبقاء الآخرة ودوامها، فيزهد في الفاني ويرغب في الباقي، فيبدأ بالسَّير والسُّلوك في طريق الآخرة، وأوَّل السَّير فيها: تصحيح التَّوبة، والتَّوبة لا تصحُّ إلا بالمُحاسبة ورعاية الجوارح، وهذا أحد شطري الدِّين، ويبقى الشَّطر الآخر وهُو القيام بالأوامر، فيُحقِّق الشَّطر الأوَّل وهُو ترك المناهي من قالَبه وقلبه.

ثُمَّ ذكر عشرة فُصُولٍ؛ ومُجملها فيما يأتي: الأوَّل: تنقية القلب من الخبائث والرَّذائل، والثَّاني: القيام بالأوامر، ولا يتمُّ القيام بها حتَّى ينصح لله تعالى فيها، والثَّالث: مرتبة السُّلوك في الطَّلب والإرادة والشَّوق إلى الوُصول والقُرب، والرَّابع: في الأمر الذي يبلغ السَّالك به إلى المطلوب بمعونة الله، والخامس: سياسة النَّفس على قانون العدل، والسَّادس: أن يعلم العبد أنَّ صلاح القُلوب وقُربها من الله إنَّما يكون بشُعورها بقُربه سُبحانه منها، فإذا شعرت القُلوب بقرب الله منها؛ وبأنَّ الله يعلم سرَّها وخفيَّ هواجسها ودبيب خطراتها: استقامت القُلوب وصلحت وقربت من ربِّها، والسَّابع: أن يغيب قلب العبد في معاني كلام الرَّبِّ تعالى؛ وتلتذَّ الرُّوح بالمعاني كما تلتذُّ بالنَّسيم البارد في الهواجر الحارَّة، والثَّامن: أنَّ من فُتح له في التِّلاوة: فقد صار القُرآن ربيع قلبه وشفاء صدره وجلاء حُزنه وطريقه إلى الله تعالى، والتَّاسع: أنَّ أذواق المُقرَّبين؛ ومشارب العارفين والمُحبِّين: لا يذوقها

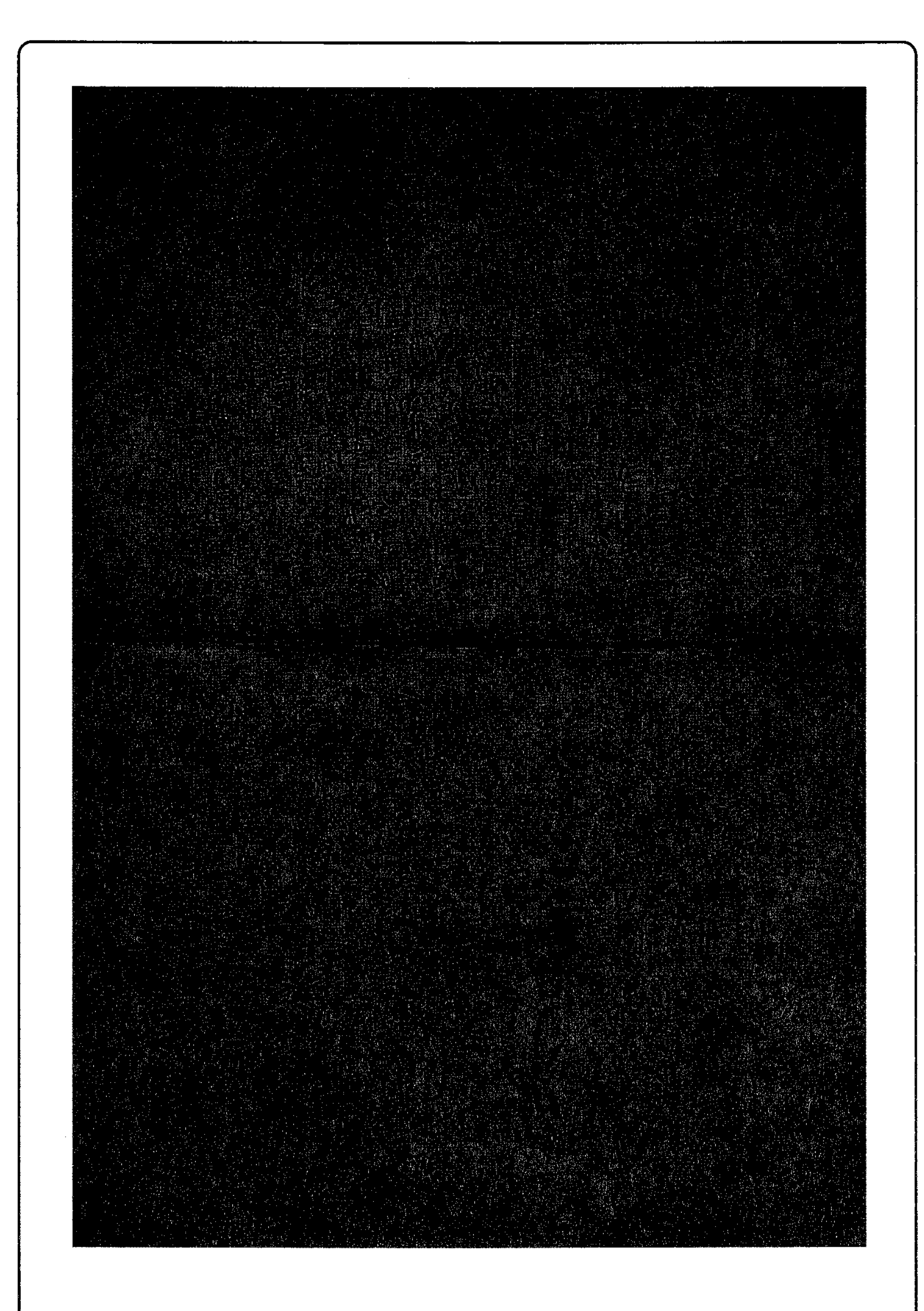
في كلام ربِّ العالمين من يَبِس مزاجهُ بالإفراط، والعاشر: أنَّ من سلك هذا القانون وهذه الطَّريقة: كان حاله كمن عمَّر الدُّنيا بقيامه في مصالحه، وعمَّر الآخرة بقيامه بمأمورات ربِّه، وعمَّر مكارم الأخلاق بحُسن تأتِّيه مع أهله وإخوانه بما يُرضي ربَّه، وعمَّر منازل القُرب ومواطن الأُنس بدُخوله في طريقٍ قريبةٍ سهلةٍ إلى ربِّه.

مصدر المُؤلَّف:

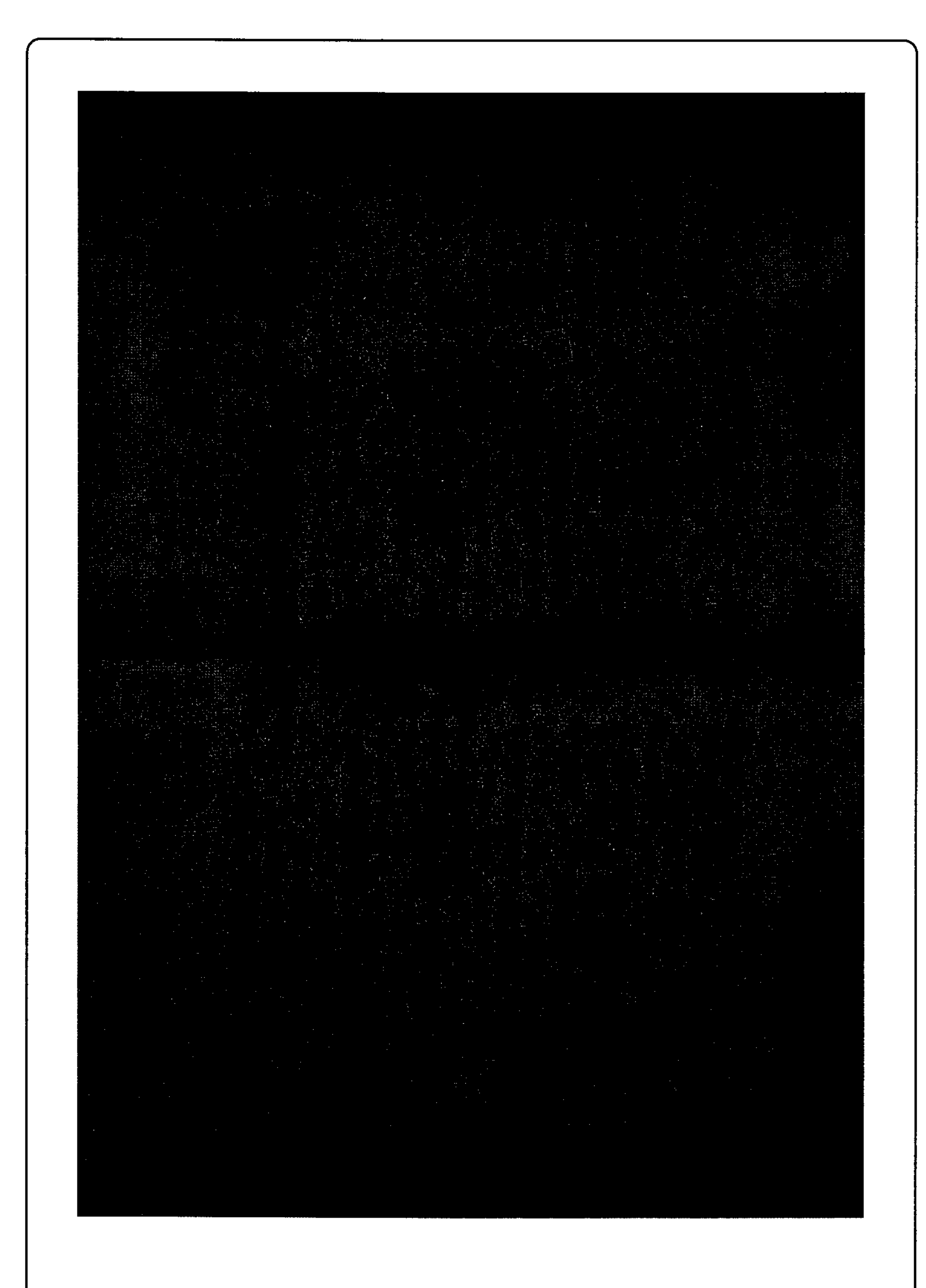
تتلخَّص المعلومات المُتعلِّقة بمصدر المُؤلَّف في كونه قد استخرجت رسائله الثَّلاث من مجموعٍ مُودعٍ في (مكتبة حاجي سليم آغا) في إسطنبول، وهي إحدى مكتبات الإدارة العامَّة للمكتبات؛ التَّابعة لوزارة الثَّقافة التُّركيَّة، ورقم هذا المجموع: (٤٠٤)[١]، وقد رُقِمَ هذا المجموع بخطٍّ مشرقيٍّ مُعتاد، وتقع هذه الرَّسائل الثَّلاث في عشرين ورقة، ومُسطَّرتها (٢٣) سطراً، وعدد كلماتها المُودعة في أسطرها تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) كلمة، وإليك صُور أوائل وأواخر هذه الرَّسائل الثَّلاث:



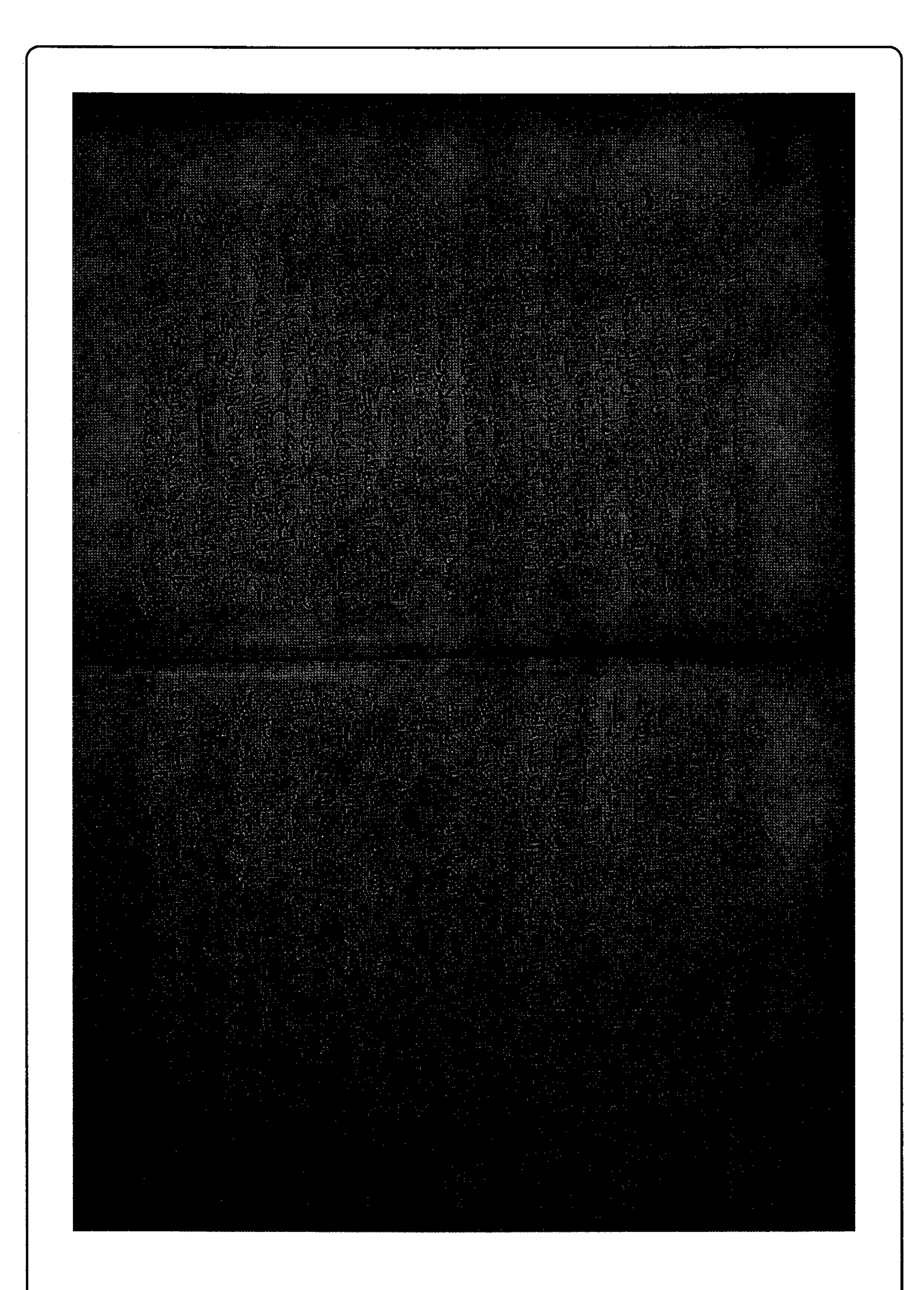
(١) أكرمني بصورةٍ من نُسخ الرَّسائل الخطيَّة: من له بالعلم بالغ عنايةٍ؛ وبأهله سابغ رعايةٍ: الشَّيخ الجليل؛ والأخ النَّبيل: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميُّ؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.



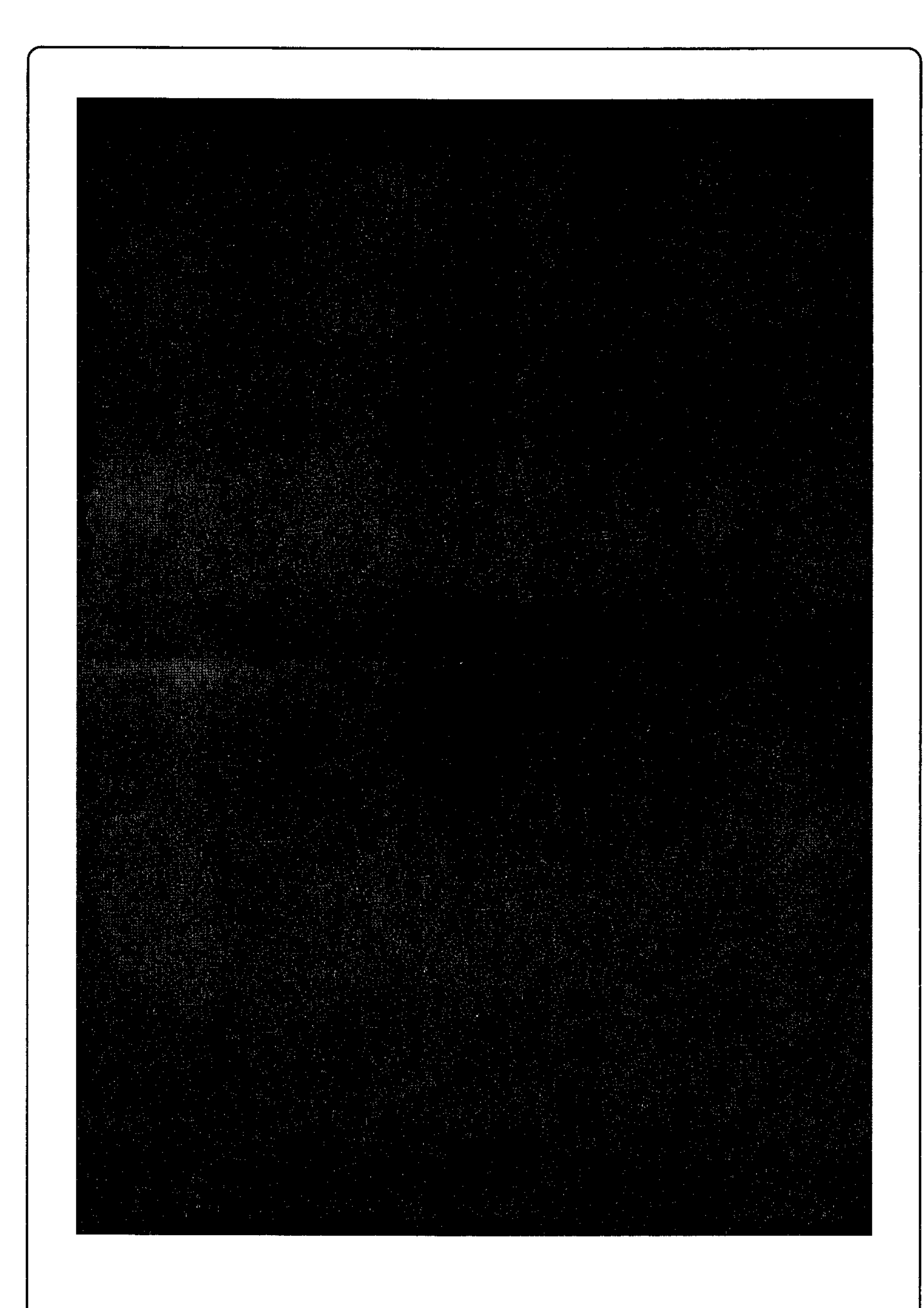
صُورة عُنوان وفاتحة الرِّسالة الأُولى



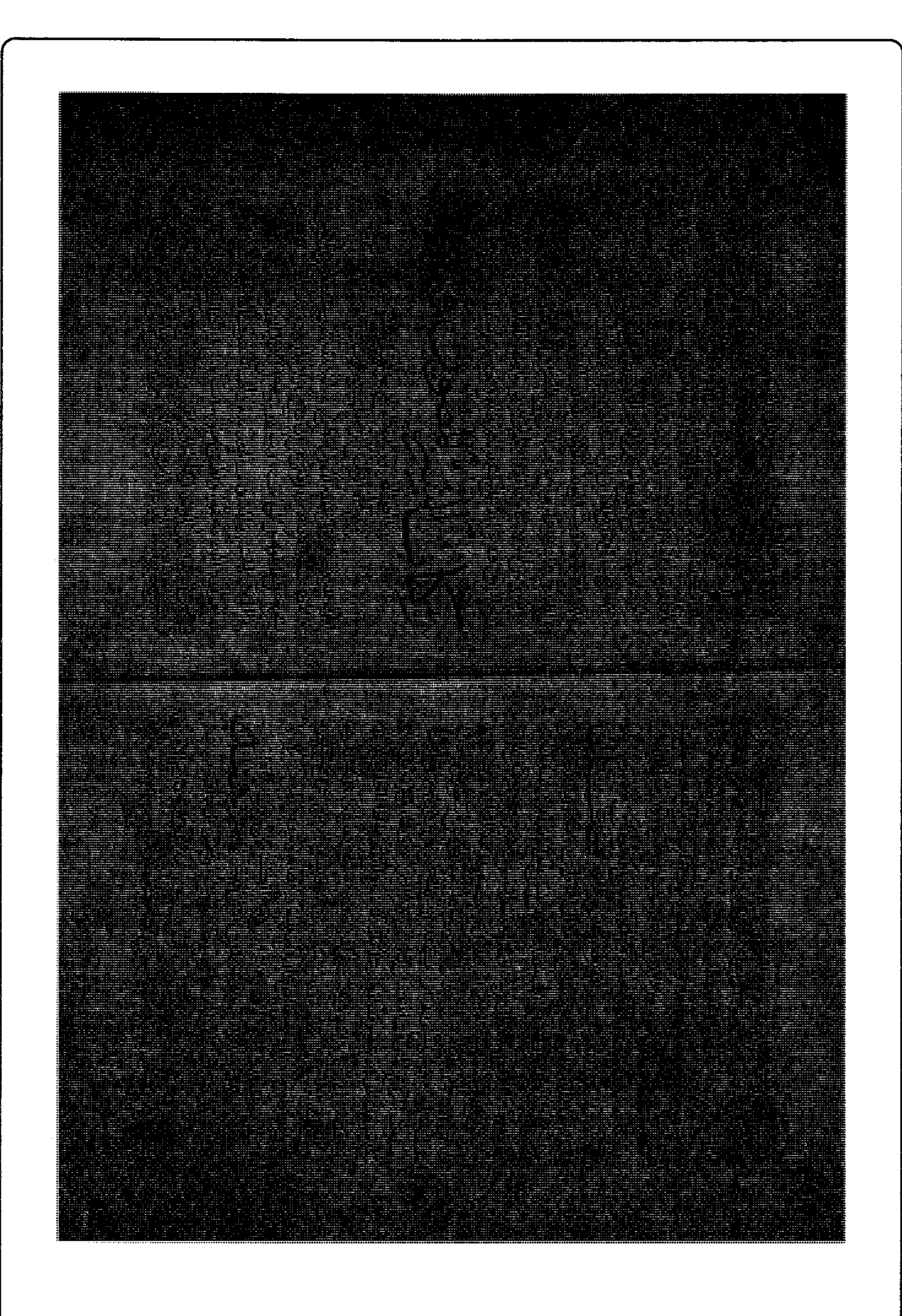
صُورة خاتمة الرِّسالة الأُولى؛ وعُنوان الرِّسالة الثَّانية



صُورة فاتحة الرِّسالة الثَّانية



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّانية؛ وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّالثة



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّالثة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٥)



تأليف
الإمام الزاهد الناسك والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح من قُلوب مُريديه مغالق أقفالها، وحدا[1] بها إلى حضرات قُدسه من علائقها وأغلالها، وجمع في الملأ الأعلى بين أرواحها وأرواح أشكالها، وقدَّس عزائمها عن الشَّوائب القادحة وزكَّى بالقبول جميع أعمالها، وخَلَع عليها هُنالك من خِلَع الأسماء العليَّة والصِّفات المُقدَّسة الجلاليَّة حُللاً بهيَّة فهُم يرفلون في أذيالها، أُولئك قومٌ اختصَّهم الله برحمته وسقاهم بكأس محبَّته من أنهار الاجتباء وعُيون الاصطناع رائق الأشربة وعذب زُلالها.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد بالوحدانيَّة لنفسه وأولوا العلم من خلقه.

ونشهد أنَّ مُحمَّداً ﷺ عبده ورسوله، أرسله لهذه الأُمَّة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً مُنيراً، صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة تكون لصاحبها يوم العرض والنُّشُور بُرهاناً ونُوراً.

وبعدُ:

فإنَّ المُوجب لتعليق هذه الكلمات: هُو ما أودع الله تعالى في قلبي

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (حَدَ).

من المودَّة والرَّحمة والشَّفقة لإخوان التَّجريد ـ أهل التَّخلِّي والانفراد لطلب التَّوحيد ـ، الذين قطعوا العلائق؛ وانفردُوا عن الخلائق؛ وطلبوا الحقائق: بالجُهد الجهيد.

هجروا الأوطان؛ وفارقوا الإخوان، تجرَّعوا مرارات الفاقات؛ وكابدوا مضض[1] التَّقطُّع في طلب الله سُبحانه بالمُجاهدات والرِّياضات، واستبدلوا من العزِّ ذُلاً؛ ومن الغنى فقراً، دَرَسُوا أنسابهم[2] في الله وطَمَسُوا فيه أحسابهم، وفارقوا في حُبِّه أترابهم[3]، بقُلُوبٍ لها بنار الوجد زفيرٌ، وأكبادٍ بها لفحات الشَّوق كحرِّ الهجير، تُحرِّكُهم هُبوب الرِّياح في الأصائل[4]، ينبعثون إذا أظلم عليهم الدَّياجي[5] بالأحزان والبلابل[6]، يقول قائلهم[7]:

أَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ إِلَيْكَ صَبَابَتِي ... وَلا قَضَيْتُ مِنْ فَرْطِ حُبِّكَ أَوْطَارِي

وقال[8]:

قومٌ هُمومهم بالله قد عَلِقَت ... فما لهم همَّةٌ تسمو إلى أحدِ

---

(١) أي: حُرقة.
(٢) أي: مَحَوْها وأذهبوا أثرها.
(٣) أي: أمثالهم المُتساوين في السِّنِّ.
(٤) أي: وقت العَشِيَّات.
(٥) أي: اللَّيالي الشَّديدة السَّواد.
(٦) أي: شدَّة الهُموم وكثرة الوساوس.
(٧) هُو أبو الفيض ذُوالنُّون بن إبراهيم المصريُّ الأخميميُّ، كما في: طبقات الصُّوفيَّة للسُّلميِّ (١/ ٢١)، طبقات الأولياء لابن المُلقِّن (١/ ٢٢٣).
(٨) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: (ص٧٧)].

فمطلب القوم مولاهم وسيِّدهم يا حُسن مطلبهم للواحد الصَّمدِ
ما إن تنازعهم دُنيا ولا شرفٌ من المطاعم واللَّذَّات والولدِ

بلبلت قُلوبَهم بلابلُ الأحزان، وطرقها طارق الفقد والأشجان: أَنْ هبَّت من الغَوْر[1] نسمةٌ تمرُّ على أسرارهم من شَذْي[2] الحُبِّ، لسان حالهم فيما يجدون؛ وعبادتهم عمَّا يستجنُّ في سرِّهم المكنون[3]:

إذا غبت عن عيني تملا بك الفكر وإن لم يزرني الطَّيف طاف بك السِّرُّ
وكُلِّي لسانٌ عن هواك مُخبرٌ وكُلِّي قلبٌ أنت في طيِّه نشرٌ

برقت على قُلوبهم بوارق المطلوب، وتدلَّت عليها لوامع من سرِّ الغُيُوب، فأصبحوا بها هائمين، وفي ابتداء الطَّلب تائهين.

والله لو حلف العُشَّاق أنَّهم سَكْرَى[4] من الوَجْد يوم البتِّ ما حنثوا، ومن العجب العجيب أنَّ أحداً منهم لا يدري ما به وما السَّبب لهيمانه؟ وما الوجه الذي إذا أمَّه وتوجَّه إليه ظفر بمرامه؟

---

(١) أي: العُمق.
(٢) أي: ترنُّم وتغنِّي.
(٣) ذكرهما تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: (ص٧٨)].
(٤) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)]: (وهذا المعنى لم يُعبَّر عنه في القُرآن ولا في السُّنة ولا العارفون من السَّلف بالسُّكر أصلاً، وإنَّما ذلك من اصطلاح المُتأخِّرين، وهو بئس الاصطلاح، فإنَّ لفظ السُّكر والمُسكر من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً، وعامَّة ما يُستعمل في السُّكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ =

فمنهم من تقطعه السِّياحات؛ وتنزل به في أسفاره نوازل الفاقات، ومنهم من يُعانق الجُوع والضُّرَّ والزُّهد والتَّقشُّف والفقر، غُرباء بين الخلق، يظنُّ النَّاس أنَّ بهم جُنوناً وليسوا بمجانين، غير أنَّ الطَّلب استولى على عُقولهم فهيَّمها وبلبل أسرارها وأزعجها، وهُم مع ذلك يشتاقون إلى لقاء دليلٍ ناصحٍ يدلُّهم على نهج السَّبيل، عساهم يظفرون بما عليه يهيمون، وإيَّاه يُؤمِّلون.

فمن أراد الله به خيراً ألقاه على دليلٍ ناصحٍ؛ مُتَّبعٍ لآثار الرَّسول ﷺ على المنهج الواضح، يعرف أمراضهم وعللهم وترحهم ومضضهم، فيحضنهم كما تحضن الطَّير ولدها، ويُرضعهم من لبان المعرفة ما يُبرِّد به من قُلُوبهم لهبها، ويسدُّ بأقوات المعارف فاقاتهم، ويروي بمياه الوُصول ظمأ أكبادهم، فهُم جياعٌ بغير المعرفة لا يشبعون، عطاشٌ بغير مياه الوُصول لا يروون، أذلاء بغير مقاعد الصِّدق لا يعتزُّون، مفاليس بغير كُنوز التَّقريب لا يستغنون، هذا شأنهم وهُم الغُرباء، وطُوبى للغُرباء.

= [سُورة النِّساء: الآية ٤٣]. وعبَّر به سُبحانه عن الهول الشَّديد الذي يحصل للنَّاس عند قيام السَّاعة، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سُورة الحجِّ: الآية ٢]. ويُقال: فلانٌ أسكره حبُّ الدُّنيا، وكذلك يُستعمل في سُكر الهوى المذموم. فأين أطلق الله سُبحانه أو رسوله أو الصَّحابة أو أئمَّة الطَّريق المُتقدِّمون على هذا المعنى الشَّريف ـ الذي هو من أشرف أحوال مُحبِّيه وعابديه ـ: اسم السُّكر المُستعمل في سُكر الخمر وسُكر الفواحش؟! كما قال عن قوم لُوطٍ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سُورة الحجر: الآية ٧٢]. فوصف بالسُّكر أرباب الفواحش وأرباب الشَّراب المُسكر، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات؛ ولا سيَّما في قسم الحقائق).

ومن أراد الله امتحانه منهم حجبه عن الدَّليل وطوَّل عليه الطَّريق، حكمة بالغة منه في حقِّه، يمُحِّص بذلك أدناسهم، ويمحو به بقاياهم وأدرانهم.

وفي هذه الأزمنة في رأس السَّبعمائة من الهجرة النَّبويَّة: والزَّمان الذي عزَّ فيه الأدلاء النَّاصحون؛ وكثرت فيه الأكاذيب والمدَّعون، واستعلن مذهب الوَحدة والاتِّحاد[1]؛ بدعواهم أنَّهم سُبل الهُدى والرَّشاد، والصَّادقون يلتزمون الخلوة والأذكار؛ والتَّقلُّل والانتظار.

فمنهم من ينتهي في سُلوكه إلى مُجرَّد فنائه في الذِّكر؛ وهُمود خواطره في السِّرِّ، بلا فُرقانٍ يلوح ببينةٍ[2] يتبعها شاهدٌ من شواهد الفُتوح.

فتراه جامد الظَّاهر، غايته فناء الخواطر، ورُبَّما فرحت نفسه بواقعةٍ وجَدَها؛ أو رُؤيا صالحةٍ قنع بها وضبطها.

وفي النَّاقدين من أهل زماننا من يَرِدُ عليه حالٌ يصطلمه[3]، تعجز عبارته عن تميُّزه، وتَكِلُّ بصيرته عن تحديده[4] وتقديره، لا يعرف العبادة ولا المعبود؛ إلا أنَّه مُستغرقٌ في مُجمل الشُّهود، ولا شعور له بالصِّفات التي على صاحبها بالمعرفة الصَّحيحة تعود.

---

(١) أي: مذهب الملاحدة القائلين بوحدة الوُجود واتِّحاد الخالق بالمخلوق؛ الذي يُضاهون به قول النَّصارى، تعالى الله عما يقول الظَّالمون عُلُوًّا كبيراً.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (بينه).

(٣) من اصطلاح المُتأخِّرين، ويقصدون به: أن يرتفع إحساس المُصطلم، فيستغرق في مشهوده؛ ويفنى في موجوده.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (تحديره).

فتراه أجنبيًّا عن السُّنَّة والقُرآن، فهُو عنهما مُعرضٌ حيران، يتغيَّر ذوقه عند القراءة، ويهرب من مجالس الحديث والإفادة، كأنَّه في طريقٍ مغايرةٍ لطريق الدِّين، كأنَّه ليس من جُملة المُسلمين.

وصاحب الذَّوق الصَّحيح إذا سمع القُرآن طرب إليه، واتَّصل القُرآن بذوقه اتِّصال الصِّفة بالموصوف، والكلام بالمُتكلِّم المعروف، ولذلك إذا سمع الحديثَ يُجيب قلبُه لدواعي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

ويظهر بهذا أنَّ الأذواق المُجملة غير المُفصَّلة ـ وهُو التَّألُّه البسيط ـ: يشترك فيه مُتعبِّدو[2] أهل جميع الملل من اليهود والنَّصارى والصَّابئين، إذ القدر المُشترك بينهم مُطلق التَّألُّه، وهذا حالٌ لا يُغني شيئاً؛ حتَّى يتفصَّل على التَّفاصيل الإسلاميَّة، فيَعْرِف اللهَ تعالى من التَّفاصيل التي تعرَّف إلينا بها من نُعوته التَّامَّات؛ وصفاته الكاملات.

وفيهم من يجعل القُرآن والسُّنَّة علماً ظاهراً، والسُّلوك إلى الله تعالى من أحوال السَّرائر.

ومنهم من يُسكره لائحةٌ من التَّوحيد؛ فيغرق في بحر القدر والتَّفريد[3]، فيغيب بفعل الخالق عن فعل المخلوق، ويسكر بعلم كلمات

---

(١) سُورة الحشر: الآية ٧.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (مُتعبِّدوا).

(٣) التَّفريد: هُو إفراد المربوبِ ربَّه بالإيثار، فيُخلِّص العابد العبادة من شوائب حُظوظه، ويُفرد القصد والمحبَّة لمعبوده، وصدق التَّفريد: هُو أن يبذل المخلوق كُلَّه لخالقه وحده، ثُمَّ يحتقر ما بذل في جنب ما يستحقُّه، =

التّكوين عن علم كلمات التّكليف، فيبقى غائباً عن الأوامر والنَّواهي، يتطلَّع إلى صرف القدر المحض من جميع النَّواحي، وأنَّى تروي هذه الأشياء غليلاً؟! أو تشفي بالمحبَّة الصَّادقة عليلاً؟!

فالصَّادق في ابتدائه في أوان غلبات وجده كالعطشان، كُلَّما رأى سراباً مال إليه، وحام نحوه وعليه.

فإن وقع في كِفَّة هؤلاء الأقسام المذكورين طالبٌ صحيح الطَّلب ـ بحيث يُلقوه في لفيفهم؛ ويحشروه في مضيفهم ـ؛ وكان غُرًّا جاهلاً بمتاهات الطَّريق قد يسلك معهم بُرهة من الزَّمان حتَّى يصل إلى غاية أمدهم؛ أو مُنتهى حدِّهم ومددهم: فيظهر حينئذٍ أنَّه ليس على تحقيقٍ؛ وأنَّه تائهٌ عن الطَّريق، فيتعب بهم دهراً طويلاً؛ ويشقى بسببهم شقاء بعيداً، خُصوصاً إذا أذابوا مُهجته بالرِّياضات، وطرحوه في مشابك التَّجوع والفاقات، فتضعف بذلك قُواه البدنيَّة، وتتغيَّر لطيفته الذِّهنيَّة، فتروح حدَّته ونشاطه معهم، ويضيع عُنفوان شبيبته في طريق انحرافهم، حتَّى يصل إلى غاياتهم؛ فيرى ما هُم فيه سراباً ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾(١).

وقليلٌ من السَّالكين يقف على عورهم، بل الغالب منهم ينقطعون معهم حيث انقطعوا، ويقفون في متاهاتهم مُتحيِّرين حيث وقفوا، ولا يقف على عورهم عند انتهاء سُلوكه معهم إلا الصَّادقون؛ لأنَّ الصَّادق لاحت له لوائح صادقةٌ؛ ولوامع صحيحةٌ رائقةٌ.

= ثُمَّ لا ينظر إلى بَذْلِه. مُلخَّصٌ من كلام ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ٤/ ٣٩٤ ـ ٣٩٨].

(١) سُورة النُّور: الآية ٣٩.

والبارقة وإن كانت شُعلة من وقودٍ؛ وقبساً لطيفاً من الأمر الكُليِّ الموجود: فإنَّها دالةٌ على ما وراءها من الكمالات، وهي أنموذجٌ صغيرٌ من ذلك الأمر الكبير.

فإذا أدَّاه السُّلوك السَّقيم؛ والطَّريق الذي هُو ليس بمُستقيم: إلى غايته ومُنتهى أمده؛ عرف بما عنده من البوارق الصَّحيحة أنَّه على غير طريقٍ، وأنَّ بُلوغه ليس ببُلوغ أهل التَّحقيق.

ثُمَّ غالب المُصنِّفين لكُتب الرَّقائق: تجدهم يصفون الطَّريق من الابتداء إلى الانتهاء؛ ومن التَّوبة إلى الفناء والبقاء، ولا يُبيِّنون الأمر الذي به يتمُّ السَّير والسُّلوك، ولا يُنبِّهون على الأمر ـ الذي تتدرَّج هذه المقامات فيه تدريجاً ـ تنبيهاً تمتحي معه الشُّكوك.

ففيهم من أشار إلى مُجرَّد الذِّكر البسيط أو المُركَّب مع الخلوة والتَّقلُّل، وذلك يُعطي حالاً مُجملاً لا تمييز شرعيَّ فيه، فيبقى بينه وبين ذائقي أهل الملل قدراً مُشتركاً، غير أنَّه يُصدِّق بصاحب الشَّريعة وهُم به مُكذِّبون، والقدر الجامع بينهم مُطلق التَّألُّه كما ذُكر أولاً.

ومنهم من أشار إلى العبادة والتِّلاوة بالتَّدبُّر، وإنَّما ينفذ في التَّلاوة حقيقة النُّفوذ المُوصل إلى المطلوب: من عرف المُقدِّمات ـ التي هي بمثابة الأساس للبُنيان[1] ـ من معرفة الأيَّام النَّبويَّة؛ والسِّير الصَّحابيَّة، وكيف كان ابتداء الإسلام وطُلوع شمسه وبُزوغ قمره؟ وكيف أينع غُصن الإيمان وأينق؛ وسطع نُوره وأشرق؟

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (للتِّبيان).

فمن عرف ذلك وتحقَّق بمعرفة الرَّسول ﷺ وعرف دلائل نُبوَّته وقام بُرهان ذلك في سرِّه حتَّى صار عِلْمه بذلك ضروريًّا؛ ثُمَّ عرف نُبوَّة الأنبياء من قبله بوُقوفه على قصصهم المُطابقة لما نطق به الكتاب العزيز والسُّنَّة المأثورة وذاق طعم الإيمان بصدقهم؛ ثُمَّ وجد في ذوقه ووجده أنَّ الذي جاء به هذا النَّبيُّ الخاتم للنُّبوَّة وما جاءت به الرُّسل والأنبياء من قبله هُو من عينٍ واحدةٍ ونُورهم جميعاً من مشكاة الرُّبوبيَّة ـ فدينهم واحدٌ وشرائعهم مُختلفةٌ؛ والرَّبُّ الذي يدعون إليه إلهٌ واحدٌ ـ؛ ثُمَّ وجد نَفَس الرَّحمن[1] وذوق الحقِّ ظاهراً[2] في جميع مللهم وشرائعهم بذوقه الصَّحيح وكشفه البيِّن المُنير: انتفع حينئذٍ بالتِّلاوة حقيقة الانتفاع، وصارت طريقاً للطَّالب يُوقعه على مطلوبه، وسبيلاً يُوصل المُحبَّ إلى معرفة محبوبه، ومع ذلك لا بُدَّ من شيخٍ يُريك شُخُوصها؛ أو صاحبٍ ذائقٍ يُنبِّهك على رُموزها.

وفي الجُملة؛ فالكتاب لا يستغني عن السُّنَّة في البيان، والسُّنَّة لا تستغني عن الكتاب، كلاهُما من الله تعالى، وكُلٌّ منهما يُبيِّن الآخر ويُوضِّحه ويدلُّ على حقائقه.

فلمَّا وجدت الطَّالبين في زماني على هذا المنهج سائرين؛ قد قطعتهم الإرادات؛ وجَحَفَت بهم[3] الانحرافات: استخرتُ الله تعالى

---

(١) أي: تنفيسه وتفريجه، كما قال رسول الله ﷺ: **(وهو مُوَلٌّ ظهره إلى اليمن: إنِّي أجد نَفَس الرَّحمن من ههنا)** أخرجه الطَّبرانيُّ في مُعجمه الكبير [الحديث رقم (٦٣٥٨)، (٧/ ٥٢)].

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (ظاهر).

(٣) أي: جَرَفَتْهم بشدَّة.

في تعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ تكون للطَّالب الصَّادق أُنموذجاً يستدلُّ بها على ما وراءها من حقائق المطالب العالية، وتُرشده إلى سبيل الصَّادقين من أُمَّة هذا النَّبيِّ الكريم أهل المشاهد الكاملة غير المغضوب عليهم ولا الضَّالِّين، فتحها الله تعالى عليَّ علماً قطعت بصحَّته، وأرجو من كرم الله تعالى أن يُحقِّقها لي حالاً أتَّصف بها بين أهل ولايته، فالنَّاطقون عن علمٍ لهم مرتبة الإخبار من علم اليقين، والواجدون لهم مرتبة التَّحقيق من عين اليقين، ويجب البيان كيلا يلتبس المُتكلِّم بالعلم: بالمُتكلِّم بالحال، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.



الفصل الأوَّل:

في المبادئ

إذا أراد الله بعبدٍ خيراً: أيقظه من سِنَة الغفلة للتَّخلُّص من مُوبقات الآثام والورَطة.

فأوَّل ذلك: عند ظُهور الإنابة إلى الله تَرِد على العبد جذباتٌ تجذب قلبه وهُو في غمار الغفلة، تتلاطم عليه فيه أمواج الطَّبيعة والهوى، ويستبين له الرُّشد والهُدى، على قدر استمرار تلك الجذبات التي تجذب قلبه من عوالمه الأرضيَّة إلى مقرِّ رُوحه، فيُشرق له في ذلك الحال بنُور عقله ضياء الطَّريق، ثُمَّ يعود عليه عوالمه الأرضيَّة، فيبقى مُتحيِّراً في ظُلماتها.

فمنهم من يتعاطى في تلك الظُّلمة ما يتقاضاه الطَّبع والهوى؛ إلا أن يعصمه الله تعالى، فلا يزال كذلك صاعداً مرَّة إلى أوجه؛ وتارة أُخرى إلى حضيضه، فيكون في أوَّل الأمر أوقات صُعوده نادراً، ثُمَّ تتوالى عليه الجذبات؛ إلى أن يبقى الصُّعود والنُّزول متساوييْن[1]، ثُمَّ تغلب أوقات الصُّعود على أوقات النُّزول، ثُمَّ تندر[2] أوقات النُّزول كما كانت أولاً أوقات الصُّعود نادرة.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مُتساويان).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (تندار).

فهُو بين ظُهور القلب والرُّوح: هُما أوجاه؛ الذي تُصعده[1] الجذبة إلى مقرِّهما العُلويِّ، والطَّبع يحطُّه عن أوجه إلى حضيضه الذي هُو مركز النَّفس والشَّهوات والحُظوظ الدُّنيويَّة[2].

فصاحب القلب الذي أغلب أوقاته يظهر عليه حُكم القلب إذا سقط: وقع على أرض طبيعته، وصاحب الرُّوح الذي أغلب أوقاته يظهر عليه أحكام الرُّوح إذا سقط: وقع على القلب[3]، فيكون محفوظاً بنُور قلبه.

وقد يسقط في بعض الأحيان على طبعه؛ لكن يكون ذلك نادراً، ومن وقع على طبعه: فحكمه ضبط نفسه عن أن ينصرف بحُكم نفسه وطبعه، إذ لا يبقى معه نُورٌ يحرسه ويتغذَّى به.



(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يصعده).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (الدُّنياويَّة).

(٣) وقع لَحَقٌ في النُّسخة الخطيَّة: بين قوله: (فصاحب القلب الذي أغلب أوقاته يظهر عليه حُكم القلب)؛ وقوله: (سقط: وقع على القلب فيكون محفوظاً بنُور قلبه).

الفصل الثَّاني:

في الأُمور التي يعتني بها صاحب هذا الحال

لا شكَّ أنَّ من هذا شأنه يكون غالباً تارة؛ ومغلوباً أُخرى، تارة يقهر جُندُ القلب والرُّوح؛ فتكون كلمة الله العليا على باطن الشَّخص وظاهره، وتارة يغلب جُندُ النَّفس والهوى والشَّيطان؛ فتكون الشَّهوات والإرادات النَّفسانيَّة حاكمة على الشَّخص غالبة عليه، فهُو في كُلِّ وقتٍ في حربٍ وجهادٍ، يَرِد عليه في كُلِّ يومٍ من العوارض المحمودة والمذمومة من ظاهره وباطنه من الخلائق أُمورٌ مُتعارضةٌ مُتقابلةٌ، ومثل هذا لا بُدَّ أن يُبتلى بقواطع وموانع ليُمتحن صَبره فيها.

وقد جَعَل في الكون جُنوداً تتقوَّى بها جُنودُ القلب والرُّوح؛ وجُنوداً تمدح الطَّبع والهوى والشَّيطان من الجنِّ والإنس[1]، فالعُلماء والصَّالحون والأولياء والمُقرَّبون والعبادات والقُرُبات والدُّعاء والالتجاء: جُنودٌ تمدح القلب والرُّوح، والبطَّالون والغافلون وتعاطي الشَّهوة والغفلة عن الله تعالى: يتركَّب منها جُنودٌ يتقوَّى بها جُنود الطَّبع والهوى.

ولا بُدَّ أن تعرض له فتنٌ كقطع اللَّيل المُظلم، وتدعوه الشَّياطين إلى طُرُق الضَّلالات وسبيل المتاهات، فليستعن بالله ويُكثر الدُّعاء

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في جُنود القلب والرُّوح وجُنود النَّفس).

والتَّضرُّع والابتهال في طلب النُّصرة منه، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[1]. وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾[2].

ثُمَّ أنفع ما له: الاشتغال بموادَّ تُقوِّي جُنود قلبه وتُسهِّل له سبيل رُشده لتغلب جُنودُ الرَّحمن جُندَ الشَّيطان، وتصير كلمة الله هي العُليا، وتُفتح عكَّا النَّفس؛ وطرابلس الهوى، وتُكسر الصُّلبان؛ ويُوحَّد الرَّحمن، وتتدلَّى على القلب أسباب الهُدى؛ وتُفتح مغالق المطالب التي إليها المُنتهى، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾[3].

وأهمُّ ما له بعد القيام بالأوامر واجتناب النَّواهي: رعاية الجوارح عن المُحرَّمات والمكروهات، والتَّخلُّص من قضاء الصَّلوات الفائتات، والحُقوق الواجبات فيما بينه وبين الله تعالى؛ وبين الخلق، حتَّى لا يبقى قلبه مُظلماً[4].

ولُزوم المُحاسبة: يُحاسب النَّفس على كُلِّ قولٍ يقوله أو عملٍ يعمله، فلا يعمل شيئاً إلا لله عزَّ وجلَّ، مثلاً: لا يتكلّم إلا لله؛ ولا يتحرَّك إلا لله، يُقدِّم النِّيَّة الصَّالحة على كُلِّ عملٍ من أعماله، وأيُّ حركةٍ أو عملٍ خلت من نيَّةٍ صالحةٍ: استغفر الله منها.

ولُزوم المُراقبة على الهُموم والإرادات، فلا يهمُّ إلا بخيرٍ، ولا ينوي إلا خيراً، فإنَّ الهُموم مُقدِّمات الأعمال، فمتى صلحت

---

(١) سُورة الأنفال: الآية ٩.

(٢) سُورة الحجِّ: الآية ٧٨.

(٣) سُورة النَّجم: الآية ٤٢.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (مُظلمٌ).

الهُموم: صلحت الأعمال، ومتى فسدت: فسدت الأعمال، ويُراقب نظر الله تعالى إلى قلبه، ويستشعر علمه به وقيامه عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2].

فيُراقب علم الله تعالى في سُويداء قلبه فيتَّقيه ويخشاه في ضميره، فهذا كُلُّه مُهمٌّ وقتُه وواجبٌ حالُه؛ لا غناء له عنه البتة، ولا يستقيم إلا به ولا ينفذ إلا به، فإنَّ باستعمال ذلك: تذوب طبيعة النَّفس؛ ويضعف الشَّيطان وتقوى جُنود القلب والرُّوح بالمحبَّة والعرفان.

فأهمُّ ما له مع ذلك: الاعتناء بعلم الحديث؛ والسِّير النَّبويَّة؛ والأيَّام الصَّحابيَّة، كالسِّيرة لابن إسحاق والواقديِّ وغيرهما، والصِّحاح السِّتَّة[3]، والاعتناء بالمُرور عليها، ويُطالع المسانيد الكبار كُمسند الإمام أحمد بن حنبلٍ وعَبْد[4] بن حُميدٍ وغيرهما، ويُطالع كُتب دلائل النُّبوَّة كدلائل النُّبوة للبيهقيِّ ولأبي نُعيمٍ الأصفهانيِّ والقاضي عياضٍ المغربيِّ وشرف المُصطفى لابن الجوزيِّ وغير ذلك، ومُطالعة قصص الأنبياء كالمُبتدى الذي للكسائيِّ أو غيره.

---

(١) سُورة يُونس: الآية ٦١.

(٢) سُورة المُلك: الآية ١٣.

(٣) وُصفت بالصِّحاح السِّتَّة تغليباً، وهي صحيح البُخاريِّ؛ وصحيح مُسلمٍ؛ وسُنن أبي داود؛ وجامع التِّرمذيِّ؛ وسُنن النَّسائيِّ؛ وسُنن ابن ماجه.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (عبد الله).

فيعرف كيف بُعثت الأنبياء؟ وكيف عالجوا الكُفَّار؟ فيعرف من السِّيرة بعثة النَّبيِّ ﷺ، ويتحقَّق بقلبه أنَّه بُعث كما بُعثوا، وأنَّ الذي جاؤوا به جميعاً من مشكاةٍ واحدةٍ.

وكذلك يعتني بعلم أيَّام الصَّحابة، كالطَّبقات لابن سعدٍ والاستيعاب لابن عبد البرِّ، وعلم أسباب النُّزول، وعلم التَّفسير والتَّأويل للقُرآن بعد معرفة مُحمَّدٍ، وواجبات الوُضوء والصَّلاة وشرائطهما، وعلم واجبات ما يخصُّه من الأُمور التي يُبتلى بها دون أمر العامَّة؛ إلا أن يستعدَّ له ويتَّسع لتحصيله مع حفظ مُهمَّات حاله وواجبات وقته.

ولا بُدَّ من شيخٍ نافذٍ إلى الله؛ يعرف الله تعالى من طريقة الرَّسول ﷺ، يكون علمه خالصاً عن شوب العُلوم الفاسدة المُنحرفة، قد ارتضع من لبان الرَّسول ﷺ وتضلَّع من رضاعه، فيأخذ عنه مقاصد الكتاب والسُّنَّة؛ بلا تأويلٍ ولا تحريفٍ، فإن رُزق مثل هذا الشَّيخ: فهُو من ألطاف الله، وذلك من جُملة التَّوفيق.



الفصل الثَّالث:

في بيان المطلوب حقيقة هُو في الكتاب والسُّنَّة دُون غيرهما من الأشياء والطُّرق

إعلم أنَّ الله سُبحانه وتعالى أكمل هذا الدِّين ولم يجعله مُعْوِزاً[1] فيُتمَّم من غيره كما يعمله أهل هذا الزَّمان، يجعلون الكتاب والسُّنَّة علماً ظاهراً يستعملونه في ظواهر العبادات والمُعاملات والعادات.

فإذا طلبوا معرفة الله والنُّفوذ إليه والوُصول إلى الحقائق والأسرار الإلهيَّة: صرفوا وُجُوههم عن الكتاب والسُّنَّة، وطلبوا ذلك من عُلوم الصُّوفيَّة والفُقراء؛ ومن الرِّياضة والتَّجوُّع والعُزلة والانفراد؛ أو من قطع الأسباب والتَّجرُّد عمَّا لا بُدَّ منه، فيُفتح لهم أمرٌ مُجملٌ لا تفصيل فيه ـ كما ذُكر أولاً ـ.

فمن جعل علم الصُّوفيَّة قِبلة قلبه: أعطته حالاً مُجملاً لا تفصيل فيه، ومن جعلها طريقاً إلى أن يستنبط بها من الكتاب والسُّنَّة الحقائق التي أشارت عُلوم الطَّائفة إليها: فقد وُفِّق وهُدي إلى طريقٍ مُستقيمٍ.

وإنَّما الطَّريقة الكاملة الجامعة المُستقيمة التي لا زيغ فيها ولا انحراف: أن تطلب معرفة الله من حيث تعرَّف إلينا من أسمائه العليَّة؛ وصفاته الجلاليَّة والجماليَّة؛ التي نطق الكتاب العزيز بها، ونصَّ

---

(١) أي: مُحتاجاً إلى شيءٍ.

الرَّسول ﷺ عليها: من أخبار الصِّفات وآياتها التي يدلُّ كُلُّ خبرٍ منها على سرٍّ عظيمٍ من أسرار المعرفة؛ وشأنٍ كبيرٍ من شُؤون العظمة، يُفتح به على الطَّالبين أبوابُ المعارف؛ وتُحفُ اللَّطائف، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله.

والسِّرُّ في إظهارها لنا وخطابنا بها: هُو أنْ نعرف الموصوف بها، فنعبده ونتوكَّل عليه؛ ونتألَّهه ونشتاق إليه، ونراقبه ونُعظِّم حُرماته، فيكون لقُلوبنا بالمرصاد.

فبعض النَّاس يتَّخذ آيات الصِّفات وأخبارها من قِبل الحُروف والمُتشابهة[1]؛ الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وحقيقةً: لا يعلم تأويل آيات الصِّفات وأخبارها إلا الله، لكن ما الحكمة في خطابنا بها وإظهارها لنا؟ فما هُو إلا لنذوق منها أذواق المعارف؛ ونُحبُّ الموصوف بها صاحب المكرمات واللَّطائف، وننفي عنها التَّمثيل والتَّكييف؛ والتَّأويل والتَّحريف.

فمن المُحال أن يُبيِّن الله تعالى في كتابه العزيز وفي سُنَّة رسوله ﷺ كُلَّ شيءٍ ـ كما ورد: (علَّمنا رسول الله ﷺ كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِراءة)[2] ـ ويترك شُؤون المعرفة وطريق الوُصول إلى الله

---

(١) أي: الحُروف المُقطَّعة والآيات المُتشابهة.

(٢) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الطَّهارة/ باب الاستطابة ـ الحديث رقم (٢٦٢) ـ ١/ ٢٢٣] عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه قال: **(قيل له: قد علَّمكم نبيُّكم ﷺ كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِراءة. فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائطٍ أو بولٍ، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقلَّ من ثلاثة أحجارٍ، أو أن نستنجي برجيعٍ أو بعظمٍ)**.

تعالى مُبهمة؛ فنفتقر إلى المعرفة بها إلى علمٍ آخر غير الكتاب والسُّنَّة! بل ذلك في الكتاب والسُّنَّة، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله.

ثُمَّ اعلم[1] أنَّ الله تعالى تعرَّف إلينا وأعلمنا بأنَّه فوق كُلِّ شيءٍ عرشُه، وفوق سبع سماواته، في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2]. وبقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[3]. وبقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[4]. وبقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[5]. وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[6]. وبقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[7]. وبقوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[8]. وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[9].

وقوله حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾[10]. وهذا يدلُّ على أنَّ مُوسى عليه السَّلام أخبره بأنَّ إلهه فوق السَّماوات، ولأجل ذلك قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في معرفة الله تعالى كما ينبغي).
(٢) سُورة طه: الآية ٥.
(٣) سُورة النَّحل: الآية ٥٠.
(٤) سُورة فاطر: الآية ١٠.
(٥) سُورة الأعلى: الآية ١.
(٦) سُورة الأنعام: الآيتان ١٨؛ ٦١.
(٧) سُورة المُلك: الآية ١٦.
(٨) سُورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٩) سُورة النِّساء: الآية ١٥٨.
(١٠) سُورة غافر: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

فمجموع ذلك؛ ومعراج النَّبيِّ ﷺ من سماءٍ إلى سماءٍ إلى أن أوحى إليه ما أوحى: دلائل قطعيَّة؛ وعُلومٌ ضروريَّة بأنَّ ربَّنا سُبحانه فوق عرشه؛ وفوق سبع سماواته؛ وفوق الأشياء كُلِّها، مُتنزِّهٌ عن الدُّخول في خلقه، ووُجوده سُبحانه بائنٌ عن وُجود خلقه، مُنفردٌ بنفسه وبجميع صفاته عن خلقه، وفوقيَّته سُبحانه فوقيَّة مُختصَّة به؛ لا كفوقيَّة الجسم المخلوق على الجسم المخلوق المحصور المحدود ـ تعالى الله عن ذلك ـ، فإنَّ العرش المجيد لا يُقلِّه ولا يُحيط به، وهُو الحاملُ للعرش المُحيطُ به، فعُلوُّه وفوقيَّته واستواؤه مُختصَّةٌ به؛ صفاتٌ تليق به، مُنزَّهٌ عن صفات الحدث، كما أنَّ سمعه العظيم مُنزَّهٌ عن سمع المخلوق، وبصره العظيم مُنزَّهٌ أن يكون كبصر المخلوق، وعلمه الكريم مُنزَّهٌ عن أن يكون كعلم المخلوق. فكذلك عُلوُّه واستواؤه مُنزَّهٌ أن يكون كعُلوِّ المخلوق واستوائه، فافْهَمْ ذلك وأَثْبِتِ الصِّفة ونَزِّهْ الموصوف عن صفات الحدث.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[1]. أي: مَنْ على السَّماء، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2]. أي: على الأرض. وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[3]. أي: على جُذوع النَّخل.

فهذه مسألة العرش، فافهمها وحقِّقها: تفز بالكنز الأكبر؛ والسِّر العظيم.



(١) سُورة المُلك: الآية ١٦.
(٢) سُورة التَّوبة: الآية ٢.
(٣) سُورة طه: الآية ٧١.

الفصل الرَّابع:

في أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين لا يستقيم أمرهم إلا بها ولا ينفذون إلى دينهم إلا بمعرفتها وتحقيقها

إعلم وفَّقك الله أنَّ مسألة العرش أصلٌ من أُصول السَّالكين، هي مبدأ المعارف الإلهيَّة والأذواق الوجديَّة، هي نقطة أمرهم ومركز دائرتهم، عليها تنشأ قواعدهم، وأكثر من انحرف عن التَّحقيق: فلجهله بها، فمعظم من لقيتُه من السَّالكين والطَّالبين: وجدتُهم ليس لقُلوبهم قِبلة تتوجَّه إليها[1]، لكونهم لا يُحقِّقون أنَّ ربَّهم فوق كُلِّ شيءٍ؛ بائنٌ من خلقه، فهُم حائرون فيه، فمنهم من يعتقد أنَّه لا داخل العالم ولا خارج العالم؛ ولا فوقه ولا تحته، وفيهم من يقول: إنَّه في كُلِّ مكانٍ، فهؤلاء قطعاً لا تصل قُلوبهم إلى حقيقة الأمر؛ لأنَّ مبدأ الحقائق ووُجودها ـ علماً واعتقاداً ـ في نفس المُريد والسَّالك، ثُمَّ تعود تلك العقائد فتصير مشاهد، فإذا كانت العقائد فاسدة: كانت المشاهد وهميَّة فاسدة.

فأوَّل أُمور الصَّادقين: معرفتهم بأنَّ ربَّهم فوق كُلِّ شيءٍ، فمن عرف منهم ذلك: صار لقلبه قِبلة في توجُّهه ودُعائه، كما أنَّ المُصلِّي قِبلته في صلاته الكعبة، إليها يتوجَّه؛ ونحوها ينحو، فالطَّالب المُريد إذا أيقن بذلك: يصير ما فوق العرش قِبلة قلبه في توجُّهه وإرادته.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (إليه).

ومن ذلك المحلِّ العُلويِّ: تنزل عليه البركات؛ وتُفَتَّح عليه حقائق الفُتوحات بمشيئة الله وإرادته، وهُو سُبحانه وتعالى قريبٌ في عُلوِّه؛ عليٌّ في قُربه، لا يُغيِّر قُربُه ومعيَّتُه: عُلوَّه وفوقيَّته، فهُو بذاته وصفاته فوق عرشه بائنٌ من خلقه، وهُو في عُلوِّه مع خلقه بمعيَّةٍ هي صفته، وحيطةٍ هي نعته، لا يُكيَّف ولا يُمثَّل، وهُو بذاته فوق العرش المجيد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد؛ فيما وصف به لنا نفسه، وتعرَّف إلينا بأنَّه فوق عرشه، وتعرَّف إلينا بأسمائه العليَّة؛ وصفاته المُقدَّسة الجلاليَّة، من حياته وعلمه وكلامه وسمعه وبصره وإرادته وقُدرته ومشيئته ووجهه الكريم ذي الجلال والإكرام ويديه المبسوطتيْن[1] وقبضته ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[2]، ويمينه في قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[3].

ووصف نفسه بعزَّته وقهره ولُطفه ورضاه ومحبَّته وغضبه ولعنته وسخطه وبطشه وانتقامه ورؤيته لعباده ومعيَّته معهم ومراقبته[4]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾[5]. وإتيانه يوم القيامة ومجيئه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[6]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[7].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (المبسوطتان).
(٢) سُورة الزُّمر: الآية ٦٧.
(٣) سُورة الزُّمر: الآية ٦٧.
(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (ومُراقبه).
(٥) سُورة الأحزاب: الآية ٥٢.
(٦) سُورة البقرة: الآية ٢١٠.
(٧) سُورة الفجر: الآية ٢٢.

وغير ذلك من الصِّفات المُقدَّسة الواردة في الكتاب العزيز لمن عرفها وتدبَّرها؛ وعرف الكتاب العزيز وتدبَّره وفهمه وتلاه حقَّ تلاوته.

فمن فُتحت بصيرته ورُزق صفاء الفهم وحُسن الاستماع: يجد الباري تعالى في كتابه العزيز يتعرَّف إلينا بمعاني صفاته، فتراه يُخاطبنا بكلامٍ رحيمٍ لطيفٍ بعباده، وتارة يُخاطبنا بكلامِ جبَّارٍ قاهرٍ مُنتقمٍ من مُخالفيه وأعدائه، وتارة يُخاطبنا بكلامٍ مُقتدرٍ يُدبِّر الأمر ويفعل ما يشاء، وتارة بكلامٍ عظيمٍ ذي مهابةٍ وعزَّةٍ، كُلُّ ذلك معرفة بمعاني صفاته، ويُقابل كُلَّ صفةٍ من صفاته بمُقتضاها من العُبوديَّة والخُضوع والطَّاعة.

فمثال الأوَّل: قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفاته الرَّحيمة واللُّطف والكرم والجود المُوجب لسعة الرَّجاء.

ومثال الثَّاني: قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾[2].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفات الجبروت والقهر والانتقام من مُخالفيه وأعدائه.

---

(١) سُورة الزُّمر: الآية ٥٣.

(٢) سُورة الحاقَّة: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

ومثال الثَّالث: قوله[1]: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾[2].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني المُلك والرُّبوبيَّة والاقتدار ومثال ذلك.

وإنَّما نبَّه على جنس هذه المعاني ليستدلَّ بها على ما وراءها، ولذلك نطقت السُّنَّة النَّبويَّة بأخبار الصِّفات التي تُفيد المعرفة بالموصوف، وهي كثيرةٌ أيضاً، وقد صُنِّف فيها كُتبٌ كثيرةٌ، فليطلبها من أراد الوُقوف عليها.

فمن ذلك: ما ورد من نُزوله سُبحانه وتعالى إلى سماء الدُّنيا حين يبقى ثُلث اللَّيل الأخير، فيقول: هل من تائبٍ؟ هل من مُستغفرٍ؟ إلى أن يطلع الفجر[3]، ومن تجلِّيه يوم

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (قوله: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ...﴾ الآية، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾).

(٢) سُورة الرَّعد: الآيتان ١ ـ ٢.

(٣) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب صلاة المُسافرين وقصرها/ باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر اللَّيل والإجابة فيه ـ الحديث رقم (٧٥٨) ـ ١/ ٥٢٣] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وأبي هُريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله يُمهل؛ حتَّى إذا ذهب ثُلث اللَّيل الأوَّل: نزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: هل من مُستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتَّى ينفجر الفجر)**.

القيامة ضاحكاً[1]، ومن فرحه بتوبة عبده[2]، ومن تعجُّبه[3]،

---

(١) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها ـ الحديث رقم (١٩١) ـ ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً: (ثُمَّ يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربَّنا. فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: حتَّى ننظر إليك. فيتجلَّى لهم يضحك).

(٢) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الدَّعوات/ باب التَّوبة ـ الحديث رقم (٦٣٠٨) ـ ٤/ ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب التَّوبة/ باب في الحضِّ على التَّوبة والفرح بها ـ الحديث رقم (٢٧٤٤) ـ ٤/ ٢١٠٣] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المُؤمن من رجلٍ في أرضٍ دويَّةٍ مُهلكةٍ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتَّى أدركه العطش، ثُمَّ قال: أرجع إلى مكاني الذي كُنت فيه فأنام حتَّى أموت. فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته؛ وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشدُّ فرحاً بتوبة العبد المُؤمن من هذا براحلته وزاده).

(٣) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّفسير/ باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ـ الحديث رقم (٤٨٨٩) ـ ٣/ ١٥٥٦]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الأشربة/ باب إكرام الضَّيف وفضل إيثاره ـ الحديث رقم (٢٠٥٤) ـ ٣/ ١٦٢٤] عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي مجهودٌ. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحقِّ؛ ما عندي إلا ماءٌ. ثُمَّ أرسل إلى أُخرى، فقالت مثل ذلك، حتَّى قُلن كُلُّهنَّ مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحقِّ؛ ما عندي إلا ماءٌ. فقال: من يُضيِّف هذا اللَّيلة رحمه الله. فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء. قالت: لا؛ إلا قُوت صبياني. قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السِّراج وأريه أنَّا نأكل، =

ومن رُؤيته يوم القيامة في حديث الرُّؤية[1].

وقد أفرد الدَّارقُطنيُّ رحمه الله كتاباً في حديث الرُّؤية وطُرقه[2]، فإنَّه حديثٌ عظيمٌ من الأحاديث الدَّالَّة على المعرفة وأبواب المحبَّة من تجلِّيه في صفةٍ غير الصِّفة التي عرفوها، ومن كون المُؤمنين يتَّبعُونه حين يتَّبع أهل الطَّواغيت طواغيتهم[3]، ومن القَدَم حين يضعه في النَّار؛

= **فإذا أهوى ليأكل فقُومي إلى السِّراج حتَّى تُطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضَّيف. فلمَّا أصبح غدا على النبيِّ ﷺ فقال: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما اللَّيلة)**.

(١) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّوحيد/ باب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ـ الحديث رقم (٧٤٣٦) ـ ٥/ ٢٣٢٠]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة/ باب فضل صلاتي الصُّبح والعصر والمُحافظة عليهما ـ الحديث رقم (٦٣٣) ـ ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (**خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: إنَّكم سترون ربَّكم يوم القيامة كما ترون هذا، لا تُضامون في رُؤيته**).

(٢) قال في مُقدِّمته (ص٩١): (هذا كتابٌ حافلٌ جمعت فيه ما ورد من النُّصوص الواردة في كتاب الله تعالى وأحاديث النَّبيِّ ﷺ المُتعلِّقة برُؤية الباري جلَّ وعلا وبعض أُمور الآخرة)، وتبعه ابن النَّحَّاس؛ حيث أفرد كتاباً في رُؤية الله تبارك وتعالى.

(٣) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الأذان/ باب فضل السُّجود ـ الحديث رقم (٨٠٦) ـ ١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب معرفة طريق الرُّؤية ـ الحديث رقم (١٨٢) ـ ١/ ١٦٣ ـ ١٦٦] عن أبي هُريرة رضي الله عنه: (**أنَّ ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تُضارون في رُؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تُضارون في الشَّمس ليس دُونها سحابٌ؟** =

فتقول النَّار: قط قط[1]؛ أو قد قد[2]، ومن ذكر الأصابع الواردة في الصَّحيح حديث الحبر لمَّا قال: إنَّ الله يأخذ السَّموات على أُصبع؛ والأرضين على أُصبع؛ الحديثَ، فضحك رسول الله ﷺ تعجُّباً لما قال الحبر؛ وتصديقاً له[3].

= قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنَّكم ترونه كذلك، يجمع الله النَّاس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتَّبعه. فيتَّبع من كان يعبد الشَّمس الشمس، ويتَّبع من كان يعبد القمر القمر، ويتَّبع من كان يعبد الطَّواغيت الطَّواغيت، وتبقى هذه الأُمَّة فيها مُنافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صُورةٍ غير صُورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتَّى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه. فيأتيهم الله تعالى في صُورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: أنت ربُّنا. فيتَّبعونه).

(١) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّفسير/ باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ ـ الحديث رقم (٤٨٤٨) ـ ٣/ ١٥٣٩]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضُّعفاء ـ الحديث رقم (٢٨٤٨) ـ ٤/ ٢١٨٧] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (لا تزال جهنَّم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتَّى يضع ربُّ العزَّة فيها قَدَمه، فينزوي بعضها إلى بعضٍ وتقول: قَطْ قَطْ؛ بعزَّتك وكرمك. ولا يزال في الجنَّة فضلٌ؛ حتَّى يُنشئ الله لها خلقاً فيُسكنهم فضل الجنَّة).

(٢) قال ابن حجرٍ العسقلانيُّ في [فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ: ٨/ ٤٦١]: (ووقع في حديث أبي سعيدٍ ورواية سُليمان التيميِّ بالدَّال بدل الطَّاء، وهي لغةٌ أيضاً، وكُلُّها بمعنى: يكفي).

(٣) أخرج البُخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّفسير/ باب ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ـ الحديث رقم (٤٨١١) ـ ٣/ ١٥١٩]؛ ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار/ الحديث رقم (٢٧٨٦) ـ ٤/ ٢١٤٧] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (جاء حَبْرٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا مُحمَّد؛ أو يا أبا القاسم؛ =

ومن غير ذلك من الصِّفات الواردة في السُّنَّة الصَّحيحة المأثورة المُنَزَّهة[1] عن التَّشبيه والتَّمثيل؛ المُحقِّقة التي لا تأويل لها إلا حقائقها مع نفي التَّأويل والتَّعطيل.

وكُلُّ صفةٍ من هذه الصِّفات: بابٌ مفتوحٌ إلى طريق المعرفة، وكُوَّةٌ[2] يُشرق منها سرٌّ من أسرار الإلهيَّة؛ وشأنٌ عظيمٌ من شُؤون العظمة، يشهد المُحبُّ العارفُ الذَّائقُ الموصوفَ بها، فتكون الصِّفة الواحدة باباً إلى معرفة الموصوف.

فما ظنُّك بجميع الصِّفات الواردة والأسماء إذا كُوشف العارف بحقائقها ووجد أذواقها؟! فيشهدها كما تليق بالرَّبِّ سُبحانه، عريَّة عن التَّمثيل بشيءٍ من المخلوقات والمُتوهَّمات والمُتخيَّلات.

والعارف الذَّائق ـ لا المحجوب الجامد البارد اليابس؛ لكنْ المحُبُّ الصَّادق والواجد الذَّائق ـ: يذوق بقلبه حقيقة وُجودها، قائمة بالموصوف الكبير المُتعال، لا كيفيَّة لها ولا مِثْل.

= إنَّ الله تعالى يُمسك السَّموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشَّجر على إصبع، والماء والثَّرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثُمَّ يهزُّهُنَّ فيقول: أنا الملك؛ أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ تعجُّباً مِمَّا قال الحَبْر تصديقاً له، ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾).

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (المُنَزَّة).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وكونه).

وكُلُّ عاقلٍ لبيبٍ يُفرِّق بين وُجود الشَّيء وحقيقته بالذَّوق؛ بلا كيفٍ ولا إحاطةٍ؛ وبين تكييف الشَّيء والإحاطة به وتخيُّله.

فإن قُلت: فالخيال لا بُدَّ منه؛ لأنَّه لا بُدَّ أن يقوم بقلب العارف شيءٌ.

فيُقال: نعم؛ لكن ليس كمِثْل الذي يقوم بقلبه شيءٌ، ولذلك يذوق العارف حقيقة وُجود الصِّفة عريَّة عن التَّكييف والتَّمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(1). وجاء في الحديث: **(وتعالى جدُّك)**(2).

فهُو سُبحانه وتعالى له المَثَل الأعلى في السَّماوات والأرض وفي قُلوب المُؤمنين، وليس لذلك المَثَل مِثلٌ يُشبَّه به.

وهذا المَثَل يجده العارفون في قُلوبهم؛ هُو بمثابة الاسم والمُسمَّى، فليس الاسم غير المُسمَّى ولا عينه، ومن توهَّم أنَّ الذي

---

(1) سُورة الرُّوم: الآية ٢٧.

(2) أخرج أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١١٦٥٧) ـ ١٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠]؛ وأبو داود في سُننه [كتاب الصَّلاة/ باب من رأى الاستفتاح بـ: سُبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك ـ الحديث رقم (٧٧٥) ـ ص١٢٥]؛ والتِّرمذيُّ في سُننه [كتاب مواقيت الصَّلاة/ باب ما يقول عند افتتاح الصَّلاة ـ الحديث رقم (٢٤٢) ـ ص٧٠]؛ والنَّسائيُّ في سُننه [كتاب الافتتاح/ باب نوع آخر من الذِّكر بين افتتاح الصَّلاة وبين القراءة ـ الحديث رقم (٨٩٩) ـ ص١٤٩]؛ وابن ماجه في سُننه [كتاب إقامة الصَّلوات والسُّنَّة فيها/ باب افتتاح الصَّلاة ـ الحديث رقم (٨٠٤) ـ ص١٥٢] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه: **(أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا افتتح الصَّلاة قال: سُبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك)**.

يجده في قلبه عين الحقيقة: فقد ادَّعى الحُلول والاتِّحاد؛ تعالى الله أن يحلَّ في شيءٍ أو يحلَّ فيه شيءٌ.

وهذا المَثَل مُطابقٌ للحقيقة بحسب استعداد المحلِّ، فإنَّ مُطابقة المَثَل بحسب محلِّه، فافهم ذلك فإنَّه مُهمٌّ جدًّا إن كُنت تطلب معونة الرَّبِّ والوُصول إليه، فصفات الباري تعالى يذوق العارف حقائقها بلا تكييفٍ ولا إحاطةٍ؛ كما يُؤمن المُؤمن بها بلا تكييفٍ ولا إحاطةٍ.

فإن قيل: كيف يُعرف من ليست له ماهيَّةٌ محدودةٌ؟ وكيف يُحبُّ من ليس له جمالٌ مُمثَّلٌ؟

فالجواب: أنَّ الحقائق إنَّما غابت ماهيَّتها عن القُلوب وتعذَّر تمثيلها وتكييفها: لقدمها وكمالها؛ وحُدوث صاحب القلب ونقصه، فإذا كان الشَّيء المحدود المحصور يُحبُّ ويُعرف بجسده وكيفيَّته: فمن غابت حقيقتُه عن القُلوب وكمالُه فهُو أولى بالمحبَّة من الأشياء المُمثَّلة، ولهذا الكمال جمالٌ يلوح في القُلوب أظهر من الجمال الظَّاهر المحدود الموصوف؛ يجده العارفون، فافهم هذا السِّرَّ؛ عساك أن تذوقه.

فإذا وفَّق الله تعالى العبد للتَّفقُّه في كتابه وسُنَّة نبيِّه ﷺ: يستفيد أولاً معرفة الرَّسول ﷺ، فيُعرف بسيرته وأيَّامه ومُعجزاته وآياته وسُنَّته وآدابه وغزواته وحركاته وسكناته وكراماته؛ كما يعرف فقراءُ زماننا وصُوفيَّته: شُيوخَهم بأنسابهم وصفاتهم ووقائعهم وكراماتهم.

واعلم أنَّ معرفة الرَّسول ﷺ هي أوَّل رُتبةٍ من رُتب المعارف، وهي أصل المعرفة وأساسه؛ لأنَّ الله تعالى تعرَّف إلينا بواسطته، وتجلَّى

علينا من جهته، فصارت معرفة الرَّسول هي الأساس؛ عليها تُبنى مباني المعارف، وعلى قدر التَّحقُّق بمعرفة الرَّسول ﷺ: يكون التَّحقُّق بمعرفة المُرسِل.

فإذا أتقن العبد معرفة الرَّسول ترقَّى حينئذٍ إلى معرفة المُرسِل من الرِّسالة وهي القُرآن، فيرقى إلى فهم الكتاب العزيز، ويعرف الرَّبَّ تعالى حينئذٍ من الصِّفات الواردة فيه، فيبقى حينئذٍ يسمع القُرآن كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه من فوق عرشه وهو معه، وتستولي المُراقبة حينئذٍ على قلب العارف؛ والهيبة للرَّبِّ تعالى والشُّعُور بعظمته، فيتحقَّق حينئذٍ بمعرفة الإلهيَّة؛ وهُو معنى الإله الذي تألهه القُلوب وتعبده وتطلبه وتُحبُّه وتُحبُّ قُربه.

فإذا كمَّل هذا المشهد: يُرجى أن يُفتح عليه بمعرفة الرُّبوبيَّة التي مضمونها: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[1]؛ بعد أن يتحقَّق: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.



(١) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

الفصل الخامس:

في كيفيَّة التَّرقِّي إلى علم صفة الرُّبوبيَّة بعد إحكام صفة الإلهيَّة

فإذا يسَّر الله تعالى للسَّالك التَّحقُّق بمشهد الإلهيَّة؛ وقام السَّالك بتحقُّقه[١] واستولى عليه حُكمُه: يُرجى أن يُفتح له علم معرفة الرُّبوبيَّة؛ وهُو الكشف عن سرِّ التَّوحيد والكلمات التَّكوينيَّات، ويظهر له قيام الرَّبِّ تعالى بتدبير خلقه، فلا نفع ولا ضُرَّ؛ ولا حركة ولا سُكون؛ ولا قبض ولا بسط؛ ولا خفض ولا رفع: إلا والله سُبحانه وتعالى فاعله وخالقه وقابضه وباسطه وخافضه ورافعه، له المُلك وله الحمد وهُو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

فحينئذٍ يتحقَّق العبد العُبوديَّة؛ ويخضع لأحكام الرُّبوبيَّة؛ ويستسلم للقدر؛ ويطمئنُّ إلى كفالته سُبحانه؛ ويرضى بتقديره وتدبيره، ويتحقَّق حينئذٍ بإيَّاك نعبد فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢].

وهذا الباب هُو كشف سرِّ الكلمات التَّكوينيَّات؛ وهُو علم صفة الرُّبوبيَّة، والأوَّل هُو علم صفة الإلهيَّة؛ والتَّحقُّق بالقيام بالأمر والنَّهي يكون عن كشف علم الإلهيَّة؛ والتَّحقُّق بالتَّوكُّل والتَّفويض، وحقائق العُبوديَّة يكون بكشف علم الرُّبوبيَّة؛ وهُو علم التَّدبير السَّاري

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (تحقُّقه).

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

في الأكوان من الكلمات التَّكوينيَّات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾. أي: بكلماته التَّكوينيَّات ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾(٢). أي: بالكلمات التَّكليفيَّات.

فإذا وفَّق الله تعالى العبد وحقَّقه بهذا المشهد ـ بحيث لا يحجبه عن المشهد الأوَّل ـ: فهُو الكمال.

فكثيرٌ من المفتوح عليهم ينحجب بأحد المشهديْن عن الآخر، ومن وُفِّق للجمع بينهما بلا ضعفٍ منه؛ بل يكون كمن له عينان ينظر بأحدهما إلى هذا وبالأُخرى إلى هذا؛ فيقوم بحُكم هذا ويستعين بالله بحُكم الآخر: فقد وُفِّق وهُدي إلى صراطٍ مُستقيمٍ.

ففيهم من يكون قويًّا في باب العبادة قائماً بالأوامر الشَّرعيَّة؛ فإذا جاءت الأحكام القدريَّة: ضعف وتزلزل واضطرب ولم يقف على حقيقة التَّوكُّل ولا على حقيقة التَّفويض، بل خاصم وسخط ونازع ولم يرض بقضاء الله ولا بفعله، وهذا عبدٌ شهد الإلهيَّة ولم يشهد الرُّبوبيَّة.

وفيهم من يكون قويًّا في باب الاستعانة والتَّوكُّل والجريان مع القدر؛ ضعيفاً في باب الحلال والحرام والمُحاسبة والمُراقبة والقيام بأحكام الكلمات التَّكوينيَّات: فيقع في المحظُورات والمحذُورات بحُكم طبعه وشهوته، وهذا عبدٌ شهد الرُّبوبيَّة ولم يشهد الإلهيَّة.

---

(١) سُورة النَّحل: الآية ٤٠.
(٢) سُورة التَّحريم: الآية ١٢.

والطَّبع والشَّهوة لا يُخمد نارَهما إلا القيامُ بالعبادة التَّامَّة مع الاستعانة التَّامَّة، ومن وُفِّق للجمع بينهما: استقام على الجادَّة؛ على صراط ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]؛ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2]. فحينئذٍ يُرجى أن يُفتح له بالكشف عن صفة المعيَّة.

❑❑❑

(١) سُورة النِّساء: الآية ٦٩.

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٧.

الفصل السَّادس:

في بيان الكشف عن صفة المعيَّة الخاصَّة

وهي معيَّةٌ خاصَّةٌ، وهي الصِّفة الثَّابتة لله تعالى بأنَّه مع كُلِّ شيءٍ كما يليق به، فيجتمع للعبد الجمع في هذا المشهد بين مشهد الإلهيَّة والرُّبوبيَّة، فيشهد الإله الآمر النَّاهي المُتكلِّم بالقُرآن الباعث للرَّسول ﷺ: هُو الرَّبُّ القادر المُدبِّر لمُلكه؛ وكُلُّ شيءٍ في قبضته وتدبيره، وهُو في عُلوِّه وارتفاعه مع العبد ومع كُلِّ شيءٍ، فيأنس العبد حينئذٍ من بعد وحشته، ويصير له سميرٌ من فيض معرفته؛ حين تحقَّق بصفة معيَّته، فلا يرى بينه وبين ربِّه مسافة تحجبه، ويجده مُحيطاً به قابضاً على ناصيته، ناظراً في سُويداء سرِّه ذوقاً ووجداً؛ لا نظراً وعلماً، هُو معه حيث ما كان؛ فحيث ما تحرَّك أو تصرَّف، باطنه مُمتلئٌ من ذوق صفة معيَّته، فيستحييه العبد ويُراعي اطِّلاعه عليه وعلمه به، فإذا صار إلى هذا المقام: فقد شارف مقام الجمع؛ ويُرجى أن يُفتح له بمشهد الجمع.

❑❑❑

الفصل السَّابع:

في بيان الكشف عن حال الجمع

فإذا جمع الله تعالى للعبد المشاهد الثَّلاثة ـ مشهد الإلهيَّة والرُّبوبيَّة والمعيَّة ـ: يبقى القلب مُستهتراً[1] بذكر الذَّات الجامع لجميع الصِّفات الكماليَّة، وهذا أوَّل الجمع، ثُمَّ يَرِد عليه حال الجمع بمشيئة الله تعالى، فهُو هُجوم اليقين عليه من جميع جهاته في فناء وُجوده، فيفنى حينئذٍ من لم يكن؛ ويبقى من لم يزل، ويضمحلُّ الحدث لظُهور القِدم.

ومن ذاق من ذلك شيئاً: فهُو يعمل على صفاء شُهوده من شَوب وُجوده، فهُو يتوب أبداً من وُجوده المُزاحم لصفاء شُهوده، كما قيل: وُجودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبٌ[2].

---

(١) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [الوابل الصَّيِّب ورافع الكلم الطَّيِّب: (ص١٨٩)]: (وفي بعض ألفاظ الحديث: (**المُستهترون بذكر الله**)، ومعناه: الذين أُولعوا به، يُقال: استهتر فلانٌ بكذا؛ إذا ولع به).
إشارة إلى الحديث الذي أخرجه التِّرمذيُّ في سُننه [كتاب الدَّعوات/ باب في العفو والعافية ـ الحديث رقم (٣٥٩٦) ـ (ص٨١٧)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**سبق المُفرِّدون. قالوا: وما المُفرِّدون يا رسول الله؟ قال: المُستهترون في ذكر الله، يضع الذِّكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافاً**).

(٢) ذكر ابن العماد في [شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب: (٢/ ٢٢٩)] عن الجُنيد قوله: (ما انتفعت بشيءٍ انتفاعي بأبياتٍ سمعتها). ثُمَّ ذكر من جُملتها:
(وإن قُلتَ ما أذنبتُ قالت مُجيبة وُجودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ)

والنَّفس في هذا المقام تتلطَّف في الدُّخول عليه بإراداتٍ لطيفةٍ مشوبةٍ بأعمالٍ صالحةٍ ليعود عليه وُجوده، فإنَّ عيشها في بقاء وُجودها؛ وموتها في فناء وُجودها، فلا يزال كذلك حتَّى يستقرَّ له حال الجمع.

وتارة يضعف قلب صاحب الجمع عن مُخالطة الصِّفات المُتقدِّمة لشدَّة ظُهور حُكم الذَّات فلا يتَّسع للصِّفات حتَّى يتقوَّى ويرى الأمر مُطابقاً للاعتقاد، فإنَّ الكشف الصَّحيح ـ هُو ما كان مُطابقاً للاعتقاد ـ: يقتضي أنَّ الرَّبَّ تعالى لم يزل مُتَّصفاً بالصِّفات قديماً وأزلاً؛ ولا يزال كذلك أبداً، فيكمل له حينئذٍ شُهود الجمع مع الصِّفات؛ وهُو المشهد التَّام الكامل، وحال صاحب هذا المقام: التزام العُبوديَّة لله تعالى؛ ورفض الاستبداد بقولٍ أو فعلٍ، فمتى استبدَّ بقولٍ أو فعلٍ: عُوقب إمَّا بعُقوبةٍ ظاهرةٍ أو باطنةٍ.

فإنَّه قد وجد الله بقلبه، ومن وجد الله بقلبه: استسلم له ولأحكامه، وصار عبداً له في جميع شُؤونه وأحواله، فهُو لا يُدبِّر ولا يتحرَّك ولا يتكلَّم إلا بما أمر به في ظاهر العلم؛ أو ندب إليه شرعاً، وأمَّا ما لم يجب عليه: لم يُندب إليه، فهُو في الشَّرع مُخيَّرٌ بين تركه والدُّخول فيه، فيطرق قلبه فيه بين يدي سيِّده؛ ينظر ما يُفيض عليه من شُهوده شارعٌ فيه، وإن وجد الفيض توقَّف حتَّى يتبيَّن له حُكمه، فهُو عبد الله تعالى، وآثار العُبوديَّة وخُضوع القلب لله عليه ظاهرٌ، وحُكم التَّوكُّل والتَّفويض عليه لائحٌ، وقد يُؤمر بالدُّخول في الأمر بهاتفٍ أو منام ليمضي فيه، أمَّا ما وجب بظاهر العلم لم يحتج معه إلى بيِّنةٍ باطنةٍ، لكنَّه يمضي فيه؛ وإن وجد القبض؛ لأنَّ الحُكم حاكمٌ على الذَّوق الباطن في كُلِّ شيءٍ، فلا يزال قائماً مع الله تعالى بوصف العُبوديَّة حتَّى يقبله الله تعالى ويتَّخذه عبداً ويصطنعه ويُقرِّبه ويُرتِّب له مرتبة بين يديه.

فأوَّل علامة ذلك: جذبةٌ تأخذ برُوحه فتعرج به إلى الملكوت حتَّى يجاوزه بعُروج رُوحه، ويُرتَّب له مرتبة في القُرب بعيان الرُّوح، وهذا الذي يُسمَّى الوُصول، وتلك مُشاهدة القُلوب بأنوار الإيمان.

وفرقٌ بين عيان الرُّوح وشهادة القلب، فحُكم هذا حينئذٍ: حُكم من رأى المَلك ـ أعني صاحب هذه المُشاهدة الإيمانيَّة ـ وبَعْدُ لم يصل إلى قُربه، فهُو يتأدَّب ويترك الاختيار، ويرجع إلى الله تعالى في كُلِّ شيءٍ حتَّى يرحمه ويُقرِّبه وينظر بقلبه إليه ويُرتِّب له بين يديه مرتبة، فذلك حينئذٍ أوَّل وُقوعه في تولِّي الحقِّ؛ وأوَّل علاماته في قبوله له.

فلا يزال قائماً في حُكم تلك المرتبة حتَّى ينتقل إلى غيرها ثُمَّ إلى غيرها، حتَّى يتصفَّى من كدره؛ وتذوب بقاياه فيصلح للدُّخول على المَلك ومُناجاته كفاحاً، ويصير من الخواصِّ الذين لا يُحجبون عن منازل المُلوك، وذلك الغاية التي انتهى عندها الطَّلب؛ وحصل المقصود من السَّير والسُّلوك، وحينئذٍ يبقى مأذوناً له لطهارته، باقياً بربِّه بقَيْد حاله؛ ولا تُقيِّده الحال لأنَّه بربِّه لا محالة، فبه يسمع؛ وبه يُبصر؛ وبه ينطق، وهذا مقام المُقرَّبين المحبوبين المُصطنعين، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.



الفصل الثَّامن:

في لواحق بها يكمل الكتاب

اعلم أنَّ هذه المعارف الشَّريفة؛ والمقامات العالية المُنيفة: لا تسكن إلا في القُلوب الطَّاهرة؛ والأبدان المُستعملة في مراضي الله تعالى من الأعمال الصَّالحة، ولا تسكن في قلبٍ مُلوَّثٍ بالشَّهوات، محشوٍّ بمحبَّة العُلوِّ والاستتباع والرِّئاسات، ولا في قلبٍ مُعلَّقٍ بشيءٍ من العوالم السُّفليَّات، إلا في قلبٍ صادقٍ في طلب ربِّ السَّماوات، لتقرَّ عينه بلقائه ويحظى لديه بخصائص التَّقريبات.

وعلامة صاحب هذه الهمَّة: كمال التَّقوى والمُحاسبة ورعاية الجوارح السَّبعة: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل ـ كما مرَّ أولاً ـ عن جميع مُحرَّمات الشَّرع ومكروهها، ومع ذلك فيكون قوَّاماً على قلبه بالرِّعاية التَّامَّة والمُراقبة للهمم الدِّينيَّة والخواطر النَّفسانيَّة، يُراعي اطِّلاع الرَّبِّ تعالى عليها، فهُو يتَّقيه ويخشاه في سرِّه كما يخشاه في علانيته، فهذا علامة الصِّدِّيقين الطَّالبين المُستعدِّين لهذه المعارف السَّنيَّة؛ والأحوال العليَّة.

وكُلُّ من لم يُحقِّق هذا الأصل؛ ولم يدخل فيه: لا يصلح لهذا الشَّأن إلا أن يشاء الله له ذلك، فإنَّ علامة المُرادين لهذا الأمر: قيامهم على الخواطر حتَّى يُنقُّوها من المكاره، ثُمَّ من الفُضول، ثُمَّ ينطلق من أسرار النَّفس فتبقى سماويَّة ذاكرة ذكر اللَّذات.

ومن لم يتحقَّق هذا؛ ولم[1] يُروِّض نفسه فيه غالباً: لا يثبت مشهده ولا يستقرُّ، ولا يصلح لانطلاق قلبه إلى ملكوت ربِّه ووُصوله إلى ما تُعاينه الأرواح؛ التي تبقى فيها مُشاهدة القُلوب المذكورة كالظُّلمات لمُعاينة الحقائق، فاعلم ذلك وحقِّقه.

فليزن الإنسان نفسه بهذه الموازين، أوَّلها: خُلوُّ قلبه عن التَّعلُّق بالأدنى من جميع العوالم السُّفليَّات، فإنَّ صاحب العلائق محجوبٌ عن الوُلوج إلى عالم السَّماوات، فيحتاج مثل هذا القلب إلى تطهُّرٍ، فإذا طَهُر استعدَّ لطلب الحقائق، فكثيرٌ من النَّاس يكون مُشتغلاً بالتَّقوى والمُراقبة وسياسة النَّفس بالآداب الشَّرعيَّة؛ وقلبه مُقيَّدٌ مُعلَّقٌ بشيءٍ من الكون، وذلك هُو حجابه؛ لأنَّ لذلك الشَّيء على قلبه سلطنةٌ وهيمنةٌ وربَّانيَّةٌ تمنع وُصول سلطنة الحقِّ وربَّانيَّته إلى القُلوب.

وأكثر المحجوبين[2] عن الحقائق لهذه الموانع، وذلك مِثْل حُبِّ رئاسةٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو مملوكٍ أو مُعاشرةٍ؛ أو غير ذلك من الأشياء التي يتعلَّق بها سرُّه ويسكن إليها قلبه، فلا يكمل إقباله على ربِّه ولا طلبه؛ فيُحجب لذلك.

فمن حُرم الوُصول من الطَّالبين: فليتَّهم نفسه، وليتطهَّر من الأدناس؛ ولينفكَّ عن العلائق.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (هذا لم).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (المحجوبون).

وقد يكون الإنسان باشر الأُمور الكبيرة وليس بين قلبه وبينها ارتباطٌ، بل قلبه مُتعلِّقٌ بالله تعالى، وتُشبه حال هذا: حال الحزينة الثَّكلى، تُباشر مصالحها والحُزن كامنٌ في قلبها، فنفس المُباشرة لا تَحْجُب، بل تَعَلُّق القلب وتقييده بها: هُو الحاجب.

قال بعض المشايخ: المُحبُّ من لا سُلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له مع مشيئته.



خاتمة الكتاب

فإذا وفَّق الله تعالى العبد لما ذُكر من استعمال التَّقوى والتَّلبُّس بالآداب الشَّرعيَّة؛ وتَطَهُّر الباطن عن التَّعلُّقات: فلا بُدَّ أيضاً من الانفراد وقطع الشَّواغل المُفرِّقة؛ وإن لم يتعلَّق القلب بها، وجمع الهمَّة والعُكوف على صدق الطَّلب والتَّوجُّه إلى قِبلة القُلوب المذكورة أولاً، وإن أمكن الجمع بين التَّوجُّه إلى قِبلة الطَّائفين بالظَّاهر وإلى قِبلة الباطن بالباطن: كان أكمل، ولا بُدَّ من مُفارقة الإخوان البطَّالين؛ والأقران الغافلين، الذين لا يُساعدونه على حقيقة الإسلام والدِّين.

واعلم أنَّ هذا المعنى كالعروس المُفْتِنة بحُسنها وجمالها؛ المُمتنعة على خُطَّابها، تطلب عاشقاً صادقاً في حُبِّها، يبذل في طلبها مُهجته، ويحلو عنده المرارات في طلبها، وتهون عليه المشقَّات في طلب الوُصول إليها، كما قيل: (من عرف ما يطلب: هان عليه ما يبذل)[1].

---

(١) أخرج البيهقيُّ في شُعب الإيمان [باب في شُحِّ المرء بدينه حتَّى يكون القذف في النَّار أحبَّ إليه من الكُفر ـ رقم (١٥٣٣) ـ ٤/٢٧٦] عن مُحمَّد بن غالب تمتام قال: كتب إبراهيم بن أدهم إلى سُفيان الثَّوريِّ: (من عرف ما يطلب: هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره: طال أسفه، ومن أطلق أمله: ساء عمله، ومن أطلق لسانه: قتل نفسه).

خليلي قُطّاع الفيافي إلى الحمى كثيرٌ وأمّا الواصلون قليل
تروم وصالاً من سُليمى ولم تَجُد بنفسك هل نال الوصال بخيل[1]

وقال آخر[2]:

عمَّن تُسائل من في الدَّار من رجلٍ بزينب بات مشغولاً عن الشُّغُل
قد جرَّحته الصَّبا ممَّا يُكابدها ليلاً وقد تمَّمته نسمة الأُصُل

ومن عرف هذا المعنى: تحقَّق أنَّ هذا السِّرَّ لا يُفتح غالباً إلا على القُلوب الطَّاهرة والقُصود الصَّادقة والهمم المُحترقة؛ المُتخلِّية عمَّا سوى مطلوبها.

وهيهات أن يحصل لها بعض مطلوبها، وكيف بأهل القُلوب المُلوَّثة والأسرار المُقيَّدة المُعانقة لأجزاء الكون بالإرادة والتَّعشُّق؟ إنَّ هذا منهم بعيدٌ!

ومن رزقه الله تعالى هذه الهمَّة العليَّة والتَّخلِّي عمَّا سوى مراده والتَّعرُّض التَّامَّ لبواديه ونفحاته أيضاً عليه شرطٌ آخر: وهُو القصد من السَّير، فبعض الصَّادقين من الطَّالبين لحدَّة عزمه وفرط غرامه: يتعدَّى الأُمور المشروعة؛ ويتحمَّل من المشقَّات ما لا يُطيق.

بل على المُريد أن[3] يتعلَّم السُّنَّة ليستفيد منها معرفة الرَّسول ﷺ؛ ومعرفة آدابه وأخلاقه، ويُمِرُّ السُّنَّة على نفسه قولاً وفعلاً، ويقتصر على ذلك بلا غُلوٍّ ولا انحرافٍ.

---

(١) لم أقف على قائلهما، وقد ذكر البيت الأوَّل: ابن رجب في: [لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: (ص٢٥٢)].
(٢) لم أقف عليهما.
(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ بل على المُريد أن).

فالصَّوم والسَّهر الدَّائم وترك الأسباب التي بها يقوم الوُجود البدنيُّ: كُلُّ ذلك غير مشروعٍ، بل يصوم قصداً؛ ويقوم قصداً، ويقطع قلبه عن الرُّكون إلى الأسباب، ولا يُعامل الله تعالى ولا يتقرَّب إليه إلا بما شرعه في كتابه أو سُنَّة رسوله ﷺ.

ومن خالف ذلك وارتكب أعمالاً شاقَّة غير مشروعةٍ: لم يجد لها ثمرة، وأوهنت[1] بدنه؛ وأضعفته في آخر الأمر عن المشروع والمندوب، وأورثته أحوالاً مُنحرفة ممزوجة بحدَّةٍ وسُوء خُلقٍ، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله.

وليقتصر الطَّالب على الصَّلوات الخمس المشروعة بإكمال وُضوئها والخُشوع والحُضور في رُكوعها وسُجودها.

وبعض النَّاس يعتقد أنَّه خاشعٌ في صلاته، وإنَّما الخُشوع هُو أن لا يخطر له في التِّلاوة غير معاني ما يتلوه فيها، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]؛ قال بقلبه: الحمد لله ربِّ العالمين، ويجتهد أن يكون اللِّسان تبعاً للقلب فيها، فإذا ركع فليخضع بقلبه كما يخضع، وإذا سجد فليسجد بقلبه تواضعاً لربِّه تعالى، ولا يغفل عن شيءٍ منها البتة، فذلك هو الخُشوع، وقد قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وأوهت).

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ١.

(٣) سُورة المُؤمنون: الآيتان ١ ـ ٢.

وفي الجُملة: فليقتصر على المشروع والمسنون الذي سنَّه رسول الله ﷺ ولا يتعدَّاه، بل يخصُّ قلبه فيه، ويعتني بمُعاملة ربِّه به، خُصوصاً في الصَّلاة وفي الأذكار المشروعة في عقبها؛ وما شُرع قبلها من إجابة المُؤذِّن والتَّهجير ومُراعاة[1] الصَّفِّ الأوَّل، واجتناب تخطِّي الرِّقاب، وغيره من السُّنن.

ويستعمل الصَّوم المشروع، ويقتصر عليه، مثل الاثنين والخميس؛ وأيَّام البيض؛ والعشران[2]، فإنَّ ذلك كافيه، وكذلك يتناول القُوت المشروع وهُو القدر الذي تتمُّ به صحَّته؛ ويقوى ضعفه[3].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (ومُراعات).

(٢) وُصفت بالعَشْرَيْن تغليباً، ومقصوده بالعشر الأُولى: اليوم العاشر من شهر المُحرَّم؛ وهُو يوم عاشُوراء. ومقصوده بالعَشْر الثَّانية: اليوم التاسع من شهر ذي الحجَّة الحرام؛ وهُو يوم عرفة. كما أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الصِّيام/ باب استحباب صيام ثلاثة أيَّامٍ من كُلِّ شهرٍ وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ـ الحديث رقم (١١٦٢) ـ ٢/٨١٨ ـ ٨١٩] عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ من كُلِّ شهرٍ؛ ورمضان إلى رمضان: فهذا صيام الدَّهر كُلِّه، صيام يوم عرفة: أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنة التي قبله؛ والسَّنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء: أحتسب على الله أن يُكفِّر السَّنة التي قبله**».

(٣) أي: يصير مكان ضعفه قُوَّة، والجادَّة أن يُقال: ويبرأ أو يذهب ضعفه، كما أخرج الأصفهانيُّ في [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٩/١٢٠] عن الرَّبيع بن سُليمان قال: (مرض الشَّافعيُّ، فدخلت عليه فقلت: يا أبا عبد الله؛ قوَّى الله ضعفك. فقال: يا أبا مُحمَّدٍ؛ لو قوَّى الله ضعفي على قُوَّتي: أهلكني. قُلت: يا أبا عبد الله؛ ما أردت إلا الخير. فقال: لو دعوت الله عليَّ لعلمتُ أنَّك لم تُرد إلا الخير).

وفي الجُملة: فلا يُغيِّر عادته من المآكل والمشروب أصلاً؛ لكن يُنقص منه قليلاً، ويجتنب السَّرف فيه، وكذلك ينام حتَّى يستريح، ويقوم من اللَّيل بالتَّهجُّد المشروع بحزبٍ خفيفٍ لا يشقُّ عليه.

ومع ذلك فيشدُّ عزمه ويجمع همَّته وقصده على التَّورُّع عن المحارم ومُجانبة الفُضول والمآثم، ويكون أغلب همِّه أن لا يعصي ربَّه في جميع نهاره وجميع ليله؛ لا بقولٍ ولا بفعلٍ.

فإن وُفِّق للاقتصار على ذلك: اجتمعت همَّته وتوفَّرت قُوَّته على القيام بما أُمر؛ وشدَّة الانبعاث إلى ما يُحبُّ ويطلب.

وهذا الانبعاث والطَّلب هُو السِّرُّ المطلوب من الصَّادق، فمن النَّاس من تموت همَّته ومحبَّته لشدَّة ما يتعاطاه من الأعمال الشَّاقَّة.

وحَسْب العبد الطَّالب قيامه بأمر ربِّه وتوفُّر همَّته على طلب مُراده مع حفظ قُوَّته وصحَّة مزاجه وعدم انحرافه.

ثُمَّ عليه أن يترجَّى الأوقات الفاضلة، مثل يوم الجُمعة؛ ويوم عرفة؛ والثُّلث الأخير من اللَّيل، فإنَّ فيها تتنزَّل الأنصبة على الطَّالبين، وتلوح البوارق على المُحبِّين والمُشتاقين.

أمَّا يوم الجُمعة: فهُو شبيهٌ بيوم الزِّيادة وأُنموذجٌ منه، إذا اجتمع النَّاس للصَّلاة: تتنزَّل التَّجليَّات على القُلوب الصَّادقة الفارغة من الهُموم؛ المُطلقة من القُيود، وكذلك يوم عرفة، وكذلك أواخر اللَّيل.

وعليه أن يستعمل ما يحلو له من الأذكار، ويجعل عقدة أمره وذروة سنامه: تدبُّر كتاب ربِّه تعالى؛ وفهم خطاب ربِّه تعالى، ويعمل على أن يتعرَّف منه معاني صفاته بقلبٍ طالبٍ وقصدٍ صادقٍ وهمٍّ

مجموعٍ، ويفتقر إلى ربِّه في ذلك، فالفهم والمعرفة فُتوحٌ؛ وهُو هبةٌ، وإنَّما العمل والتَّدبُّر واسطةٌ وسببٌ.

وإنَّما السِّرُّ في ذلك: أنَّ الله تعالى بعث إليه رسولاً برسالةٍ، فمن اعتنى بالوُقوف على فهمها؛ وغاص في حقائق المُراد منها؛ وطلب تعرُّف صفات المُرسِل المُتعالي منها: كان ذلك هُو طريقةً إلى معرفته حقيقةً، وغير ذلك من الطُّرق فروعٌ وشُعبٌ هذا أصلها.

فافهم هذا السِّرَّ راشداً: تفز إن شاء الله تعالى، فلا تزال كذلك مُجتهداً حتَّى تتحقَّق بمشهد صفة الإلهيَّة، فإنَّها إذا فُتحت جاء الخير؛ وانفتح الباب؛ وانجلى الظَّلام؛ واجتدَّت الأفهام[١]؛ وانجذبت القُلوب.

فقد يظهر للقُلوب من مُشاهدة الإلهيَّة بوارق تلوح للقُلوب أحياناً ولا تدوم، بمثابة البُروق اللَّوامع، فليُلازم حاله ولا يستبطئ عودها، **فإنَّ المواهب على قدر الاستعداد**، فقد لا يكون في هذا الآن مُستعداً لكمال الأمر.

فمنهم من تلوح له البارقة في سنةٍ مرَّة؛ وفي الشَّهر مرَّة؛ وفي الأُسبوع مرَّة، ثُمَّ تتقارب حتَّى تصير في اليوم مرَّة، ثُمَّ متى توجَّه وجد ذلك الحال، ثُمَّ يترقَّى إلى أن يكتسي القلب بصبغته[٢]، فيشتغل عنه وهُو غير مُنفصلٍ عنه.

واعلم أنَّ المشاهد تلتبس بالمقاعد، فقد يشهد المُريد مشهداً؛ ولا يكون لقلبه مقعداً، فأوَّل الأمر تكون المشاهد عقائد، ثُمَّ تصير لهم

---

(١) أي: بعد أن بَلِيَت بعد طُول احتجابها عن الفهم والمعرفة.
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (بصيغته).

مقاعد، فيروح الواحد يميناً وشمالاً؛ لا في مرضات ربِّه، ثُمَّ يعود إلى مقعده ومركزه، كالفرس تجول ثُمَّ تعود إلى آخيَّته(١).

فعلى العبد الاعتناء بهذا المشهد الأوَّل؛ فإنَّه الباب، فإذا شهده لا يقنع حتَّى يصير له مقعداً، ثُمَّ يُرجى أن يفتح الله عليه ببقيَّة المشاهد المُكمِّلة للأمر الكُلِّيِّ والحال الصِّدِّيقيِّ.

ومن فتح الله عليه بحقائق هذه المشاهد وختم له بالحُسنى عليها: رُجِيَ له أن يتحقَّق حقائقها الذَّاتيَّة في الدَّار الأُخرى في مراتب الكشف والعيان؛ كما حقَّقها في الدُّنيا في مراتب الإيمان والإيقان والإحسان والعرفان، فالذي رُزقوه في هذه الدَّار من الأحوال: نموذجات مقاصد الصِّدق ورقائقها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾(٢).

والله تعالى بكرمه وإحسانه يُوفِّقنا لما يُقرِّبنا إليه؛ ويُزلفنا لديه، ويُدخلنا في زُمرة أوليائه المُفلحين؛ وحزبه المُقرَّبين، الذين اختصَّهم لنفسه؛ واصطنعهم لقُربه، إنَّه أرحم الرَّاحمين(٣).



---

(١) أي: الحبل الذي يُدفن في الأرض؛ أو العُود الذي يُعرَّض في الحائط؛ فتُشدُّ بها وتُحبس لتلزم موضعاً واحداً.

(٢) سُورة القمر: الآيتان ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (بلغ مُقابلة).

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٧٦)



تأليف
الإمام الزاهد الناسك والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العبّاس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر وأعِن

الحمد لله فاتح مغالق القُلوب، ومطهِّرها من أدران الذُّنوب، وجاذبها إلى حضرات المحبوب، ومُثير عزماتها بالشَّوق إلى أوطان القُرب وأكناف مقاعد الصِّدق فهبَّت إليه بذلك كُلُّ الهُبوب.

لاح لها لائحاً من هيبة الجلال؛ وشُعاعاً باهراً من أشعَّة الجمال؛ الذي اتَّصفت به الرُّبوبيَّة في قِدم الأزل وأبد الآباد؛ فامتلأت منه الأرواح وصار لكُلِّ عُضوٍ من ذلك الشَّراب أهنأ مشروبٍ، فاستعمل ذلك النُّورُ القوالبَ والأجسادَ في أصناف القُربات؛ وخالص العُبوديَّات؛ بالمحبَّة الخالصة المشحونة بلواعج[1] الأشواق إلى لقاء المطلوب.

تجلَّى للأرواح من وراء سِتْر شُرَف الغُيوب؛ بأكمل الكمال وأتمِّ الجلال والجمال فعرفته بما تعرَّف إليها من لطائف صفاته؛ ومُقدَّسات نُعوته وأسمائه وحقائق أنوار فردانيَّة ذاته؛ فطارت القُلوب لذلك فرحاً؛ وحَشَاها بهيبة الإجلال فانقبضت مهابة وأدباً؛ فهي شاخصةٌ باهتةٌ خاضعةٌ خاشعةٌ في هيبة الجلال وبهجة الجمال وكيفيَّات القبض والبسط؛ ليتهذَّب به من بقايا العبد المربوب، فأورثه ذلك مُسارعة إلى

(١) أي: الهوى المُحرق للفُؤاد.

أوامره؛ وتباعداً عن نواهيه وزواجره؛ واغتناماً لمسنوناته ونوادبه؛ وافتقاراً تامًّا وتبرُّئاً من الحول والقُوَّة إلى حول الله تعالى وقُوَّته؛ فهذه صفات العبد المجذوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُفرِّج الآصار والكُروب.

وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله فاتح الخير والهادي إلى هذه الفضائل فهُو الواسطة بين العبد والمحبوب، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة ما سلك إلى الله طالبٌ ومطلوبٌ.

وبعدُ:

فإنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ عناية يسلك به فيها إلى طريق المُقرَّبين؛ ومقاعد المحبوبين: ألهمه التَّوبة النَّصوح، فيعرف ربَّه سُبحانه من فوق عرشه وفوق سبع سماواته؛ بائناً من خلقه مُستوياً على العرش ـ الاستواء اللائق به ـ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾(١).

والتَّدبير: هُو القيام بأمر المخلوقات من توفيتهم مدد حياتهم؛ وإدرار أرزاقهم، والحكمة التَّامَّة في ابتلائهم: ليبلوهم أيُّهم أحسن عملاً؛ يُحيي هذا ويُميت هذا، ويُمرض هذا ويشفي هذا، ويُعزُّ هذا ويُذلُّ هذا، ويُغني هذا ويُفقر هذا، ويُولِّي هذا ويعزل هذا، فـ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٢).

---

(١) سُورة يُونس: الآية ٣.

(٢) سُورة المُلك: الآيتان ١ ـ ٢.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[3]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[5]. وهذا يدلُّ على أنَّ مُوسى صلوات الله عليه أخبر فرعون بأنَّ ربَّه فوق السَّماوات، فلذلك قال: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

فإذا عرف الطَّالب ربَّه سُبحانه وتعالى بأنَّه فوق العرش؛ وفوق السَّماوات؛ وفوق الأشياء كُلِّها ـ فوقيَّة تليق بجلاله ـ: صارت عظمته لقَلبه قِبلة، فتكون العظمة الإلهيَّة قِبلة قَلبه؛ كما تكون الكعبة الشَّريفة قِبلة بدنه، وكان قبل ذلك حائراً في صلاته وتوجُّهه؛ لا يعرف جهة معبوده بأنَّه فوق الأشياء؛ وهُو مع العباد بعلمه وسمعه وبصره ومشيئته وإرادته[6]، فهُو عالٍ في دُنوِّه؛ دانٍ في عُلوِّه.

وأيقن العبد بذلك[7]: توجَّه إليه بالتَّوبة النَّصوح، رفع كفَّ الابتهال في حضرة ذي الجلال، وأبدى توبة نصوحاً خالصة غير التَّوبة التي[8]

---

(١) سُورة النَّحل: الآية ٥٠.
(٢) سُورة فاطر: الآية ١٠.
(٣) سُورة الأنعام: الآيتان ١٨؛ ٦١.
(٤) سُورة النِّساء: الآية ١٥٨.
(٥) سُورة غافر: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.
(٦) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ في معيَّته تعالى مع عباده).
(٧) أي: إذا عرف العبد ربَّه سُبحانه وتعالى بعُلوِّه وأيقن بذلك.
(٨) في النُّسخة الخطيَّة: (الذي).

كان يستعملها بحُكم الإيمان، فإنَّ هذه توبة خاصَّة بحُكم اليقين، وقال: يا ربِّ إنِّي تائبٌ إليك من جميع الذُّنوب والخطايا والتَّقصير في الحُقوق التي بيني وبينك؛ والتي بيني وبين عبادك، فاغفر لي يا كريم يا حليم، ثُمَّ لا يبرح من موضعه ذلك حتَّى يرقَّ قلبه ويخشع سرُّه، فذلك من علامات قبول التَّوبة، ثُمَّ يشرع في قضاء الصَّلوات الفائتة وقضاء الدُّيون والحُقوق والمظالم التي بينه وبين عباد الله؛ إمَّا بالوفاء وإمَّا بالاستحلال، فلا يبرح حتَّى تبرأ ذمَّته من كُلِّ حقٍّ هُو لله، ومن كُلِّ حقٍّ هُو لعباده.



فصلٌ

ثُمَّ يُلْزِم نفسه بالمُحاسبة في حركاته وسكناته، فلا يتكلَّم إلا لله، ولا ينظر إلا لله، ولا يسعى ولا يبطش إلا لله، ويُراعي جوارحه السَّبع عن جميع ما كرهه الله وحرَّمه: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل.

فيحفظ العين من النَّظر إلى الصُّور المُحرَّمة، ويحفظ الأُذن من سماع ما كره الله، ويحفظ اللِّسان من النُّطق لغير الله بغير رضا الله، ويحفظ البطن عن الشُّبهات، ويحفظ اليد والرِّجل عن المساعي المكروهة.

فمتى رعى هذه الجوارح من طُلوع الشَّمس إلى غُروبها؛ ومن غُروبها إلى طُلوعها؛ واتَّقى الله عزَّ وجلَّ فيها: فقد أدَّى حُكم المُحاسبة، وقام بحقائق التَّقوى إن شاء الله تعالى.

ويرقى من حُكم المُحاسبة إلى حُكم المُراقبة، فإنَّه متى وفَّى حقَّ الله تعالى في رعاية جوارحه الظَّاهرة وسياستها بحُكم التَّقوى: رفعه ذلك إلى تقوى الله تعالى في هُمومه وخواطره.

قال الله تعالى في الجوارح الظَّاهرة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1]. وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2].

---

(١) سُورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) سُورة ق: الآية ١٨.

وقال تعالى في حقِّ الكُفَّار: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾[1].

وقال تعالى في حُكم المُراقبة الباطنة والظَّاهرة: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[5].

فحكم المُحاسبة: رعاية جوارحه الظَّاهرة خوفاً من الله تعالى؛ وإقامةٌ لحقِّ تقواه؛ وامتثال أمره واجتناب نهيه.

وحُكم المُراقبة: حراسة باطنه عن أن يجري فيه شيءٌ يكرهه الله تعالى ويسخطه من الأفكار المذمومة والهُموم المُحرَّمة والمكروهة، فإنَّ الله سُبحانه وتعالى مُطَّلعٌ على ذلك عليمٌ به، لا يخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السَّماء.

فمتى وفَّق الله العبد لتوفية حقِّ الله في الخواطر الظَّاهرة والخواطر الباطنة: فقد أدَّى حقَّ الاستقامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ

---

(١) سُورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سُورة الأنعام: الآية ١٢٠.

(٣) سُورة المُلك: الآية ١٣.

(٤) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٥) سُورة يُونس: الآية ٦١.

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

فلا يزال العبد في المُكابدة حتَّى تطمئنَّ نفسه وتتعوَّد جوارحه على الاستقامة، ويتعوَّد باطنه على حفظ الأدب ورعاية الحُرمات في حضرة الحقِّ.

فمتى اطمأنَّت النَّفس والقلب على ذلك؛ وتعوَّد العبد الاستقامة؛ وأدمن خشية الله تعالى بالغيب ـ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2] ـ: فهناك يكون قد طهَّر الظَّاهر من جميع المكاره، وطهَّر الباطن ـ وهُو القلب الذي هُو بيت الرَّبِّ[3] ـ عن جميع ما لا يُحبُّه الله ويكرهه.

---

(١) سُورة الأحقاف: الآية ١٣.

(٢) سُورة المُلك: الآية ١٢.

(٣) يُصدِّق ذلك: ما أخرجه الطَّبرانيُّ في مُسند الشَّاميِّين [الحديث رقم (٨٤٠) ـ ٢/ ١٩] عن أبي عنبة الخولانيِّ رضي الله عنه يرفعه إلى النَّبيِّ ﷺ قال: (**إنَّ لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربِّكم قُلوب عباده الصَّالحين، وأحبُّها إليه ألينها وأرقُّها**).
وهذا الحديث الشَّريف يُغني عن الحديثيْن اللَّذيْن لا أصل لهما، أوَّلهُما: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المُؤمن: النَّقيِّ التَّقيِّ الوادع اللَّيِّن)، وثانيهما: (القلب بيت الرَّبِّ).
قال ابن تيميَّة في [الرَّدِّ الأقوم على ما في فُصوص الحكم (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة): ٢/ ٣٨٤]: [(يُقال: القلب بيت الرَّبِّ، وهذا هو نصيب العباد من ربِّهم؛ وحظِّهم من الإيمان به، كما جاء عن بعض السَّلف أنَّه قال: (إذا أحبَّ أحدكم أن يعلم كيف منزلته عند الله؟ فلينظر كيف منزلة الله من قلبه؟ فإنَّ الله يُنزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه)].

ومتَّى طهَّر الظَّاهر والباطن: استعدَّ القلب للفيض؛ لأنَّ صاحبه قد كنسه وطهَّره عن المزابل والرَّذائل وعن الأخلاق السَّيِّئة ـ مثل حُبِّ المشيخة والرِّئاسة وحُبِّ قبول الخَلْق واستتباعه لهم ـ، ونفى عن القلب حُبَّ أن يصير له شُهرة بين الخلق في الكرامات والآيات الظَّاهرة؛ ومن الكبر فلا يتكبَّر على مخلوقٍ مثله، والحسد والرِّياء، فلا يُرائي بعمله مخلوقاً[1] غير الله، بل يستعمل الإخلاص لله ولا يُشرك بعبادة ربِّه أحداً، ولا يحسد أحداً على ما آتاه الله من فضله، ولا يعجب بعمله، بل يرى نفسه مُقصِّراً حقيراً عاجزاً عن أداء ما أمره الله تعالى به، ويُحبُّ لجميع المُسلمين ما يُحبُّه لنفسه، ويتواضع لهم فلا يرى نفسه خيراً من مخلوقٍ.

ومثل هذه الأغراض الباطنة إنما ينتبه لها صاحب المُراقبة للخواطر، فكثيرٌ من العُبَّاد والصَّالحين يُكثرون العبادات والنَّوافل والذِّكر والتِّلاوة؛ ويجري في قُلوبهم مثل هذه الخبائث ولا يفطنون لها، فيكون مَثَلُهم كمَثَل مَن اكتسى حُللاً بهيَّة وكُسوة فاخرة ـ وهي ما اكتساه من صالح الأعمال ـ، ومع ذلك فتفيح في بواطنهم روائح خبيثةٌ مُنتنةٌ! فما تفي تلك الرَّائحة المُنتنة بتلك الكُسوة الطَّاهرة.

ومتى اكتسى العبد كُسوة المُحاسبة والأعمال الصَّالحة؛ وراقب القلب واستعان بالله في حفظ خطراته وإقامة تقوى الله فيه؛ وأبدل خواطر الرِّياء بالإخلاص؛ وخواطر العُجب برُؤية منَّة الله تعالى وبُرؤية حقارة نفسه؛ وخواطر الكبر وحُبِّ المشيخة بالتَّواضع ومحبَّة الخُمول وأن لا يُفطن له وأن لا يراه ولا يعلم به أحدٌ غير الله تعالى؛ وخواطر الحسد بمحبَّته لإخوانه المُسلمين ما يُحبُّه لنفسه.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مخلوق).

وفي الجُملة: فيتفطَّن لما يجري على القلب من تجارة الرَّبِّ(١)، فيُطهِّر بيت الرَّبِّ ـ وهُو القلب ـ عن هذه الرَّذائل، ويُبدلها عن مِثْل هذه الأخلاق، ويستعمل مكارم الأخلاق ظاهراً مِثْل البشاشة وطيب المُلاقاة ومحبَّة إدخال السُّرور على الصَّالحين والتَّواضع لهم، هذا مع الذين يأنس قلبه بهم، وأمَّا من يخاف منهم أن يُفسدوا الوقت: فيستعمل معهم المُداراة، ويفرُّ منهم فراره من الأسد، فإنَّ مُباينة من يُفسد الوقت شرطٌ في الطَّريق، فمتى قام بهذه الآداب ظاهراً وباطناً؛ وتعوَّدها واطمأنَّت نفسه عليها: فحينئذٍ يستعدُّ لمواهب الحقِّ إن شاء الله تعالى، فإنَّه أوفى ما عليه؛ وبقي ما يقتضيه الفضل والكرم والجُود، وبالله المُستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

ويُرتجى أن يفتح الله تعالى له إذا اشتغل بحُكم المُحاسبة والمُراقبة: بحُكم النِّيَّة وآدابها، فيعرف النِّيَّة في الحركات والسَّكنات، ومتى عرف النِّية: عرف الإخلاص، فإنَّ النِّية إنَّما يعرفها من صار لقلبه موطنٌ في القيام بين يدي الله تعالى، فإذا أراد أن يتحرَّك أو يتكلَّم: ينظر قلبَه؛ ماذا يُريد بهذا العمل؟ فإن كان لله خالصاً أمضاه، وإن كان لغيره أو مُحْبِطاً أخلصه ونقَّاه.



(١) يُصدِّق ذلك: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سُورة التَّوبة: الآيتان ١١١ ـ ١١٢].

فصلٌ

ويُراعي أحكام الصَّلوات الخمس، فلا يُصلِّي صلاة العُموم، وليتعوَّد أن يُصلِّي الفرائض صلاة الخُصوص.

مَثَلاً: إذا سمع النِّداء بالصَّلاة فليعلم أنَّه داعي الله، قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

فينوي برواحه إلى المسجد داعي الله[2]، فليجعل نفسه كأنَّه يزور الله تعالى في بيته، وحقٌّ على المزور أن يُكرم الزَّائر.

فإذا دخل المسجد فليستشعر أنَّه بيت الله، فإذا وقف في المحراب فليعلم أنَّه واقفٌ بين يدي الله تعالى، وأنَّ الله تعالى مُطَّلعٌ عليه؛ ناظرٌ إليه، يسمع نجواه ويعلم ما في ضميره، فإذا قال: الله أكبر؛ فلا يكون في قلبه أكبر من الله.

فإذا شرع في القراءة: فليجعل معاني القراءة عوضاً عن حديث النَّفس، فلا يُحدِّث نفسه بغير ما يتلو، ومتى فعل ذلك: كان مَثَله كَمَثَل رجلٍ يقول بلسانه شيئاً؛ ويتحدَّث بقلبه شيئاً آخر، وذلك نقصٌ في الصَّلوات؛ وعيبٌ في حضرة الحقِّ، لكن يجعل النَّاطق هُو القلب.

فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3]؛

---

(١) سُورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٢) أي: إجابة داعي الله تعالى.

(٣) سُورة الفاتحة: الآيتان ٢ ـ ٣.

فليجعل النَّاطق هُو القلب، ويجعل اللِّسان ترجُماناً يترجم عمَّا نطق القلب به.

والنَّاس في الصَّلاة أربعة أصنافٍ: منهُم من يُصلِّي بظاهره ويقول بلسانه وقلبه، يتحدَّث بغير ما يُناجي به ربَّه بلسانه، وهذه صلاة الغافلين.

ومنهم: من يقرأ بلسانه ويُطالب قلبَه بالحُضور مع المعاني، وهذه صلاة المُجاهدين المُكابدين.

ومنهم: من يقرأ بقلبه[1]، فيُكون القلب هُو النَّاطق بالقراءة، ويكون اللِّسان مُترجماً عمَّا استكنَّ في القلب، فهذه صلاة المُريدين الأوَّابين؛ الذين اطمأنَّت نُفوسهم وقُلوبهم بذكر الله.

ومنهم: مَن إذا قال: الله أكبر؛ غاب سرُّه في مُطالعة عظمة الكبرياء، والتبسه جلاليب الجلال، وأشرقت على سرِّه شُموس الجمال، واكتنفته أنوار المعارف من جميع جهاته، وقرب الجبَّار من قلبه، ففني بالله؛ وبقي به[2]، وصارت حركاته به، ويبقى وُجوده شبحاً

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (قلبه).

(٢) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ١/ ٣١٥]: (والجامع لهذا كُلِّه: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصداً، وحقيقة هذا النفي والإثبات الذي تضمنته هذه الشَّهادة: هو الفناء والبقاء، فيفنى عن تأليه ما سواه علماً وإقراراً وتعبُّداً، ويبقى بتأليهه وحده، فهذا الفناء وهذا البقاء: هو حقيقة التَّوحيد الذي عليه المُرسلون؛ وأُنزلت به الكُتب؛ وخُلقت لأجله الخليقة؛ وشُرعت له الشَّرائع؛ وقام عليه سُوق الجنَّة؛ وأُسِّس عليه الخلق والأمر، وحقيقته أيضاً: البراء والولاء، البراء من عبادة غير الله؛ والولاء لله).

كالخيال والظِّلال؛ في حضرة ذي الجلال، واحتوشت قلبه نيران المحبَّة والوجدان، واكتست نفسه المخافة والمهابة من حضرة الدَّيَّان، وامتحت الأكوان من سرِّه لِمَا باشر قلبه من أنوار الفردانيَّة، فمِثْل هذا إذا قرأ يعلم ما يقول؛ ومع من يقول، وهذه صلاة المُقرَّبين.

ومَن فتح الله عليه بمِثْل هذه الصَّلاة؛ وحدَّثته نفسه بأنَّه قد وصل وصار كذا وكذا: فقد دخل عليه الشَّيطان من حيث لا يشعر، وتحرَّكت النَّفس عليه من حيث لا يفطن، وذلك لغفلته عن حُكم المُراقبة الباطنة.

فيجب على الطَّالب إتقان هذا الباب وإحكامه؛ كي لا يُفسد النَّفسُ والشَّيطانُ أعماله وأحواله من حيث لا يشعر، بل من فتح الله عليه بمِثْل هذا الحال في الصَّلاة وغير الصَّلاة: فليعرف عجز نفسه وقُصورها، وكونه لا يدري عواقبها ولا يدري ما يُختم له، ويذكر منَّة الله تعالى وفضله وكرمه، فيفنى عن نفسه برُؤية فضل الله وكرمه، فيكون باقياً به؛ فانياً عن نفسه، وذلك يُدْرَك بفضل الله؛ وبدوام الاستعانة والاستغاثة، وبالله المُستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

وكذلك في الرُّكوع والسُّجود، فليُطالب قلبه بالخُضوع الباطن كما قد ظهر على ظاهره من الخُضوع الظَّاهر؛ ليتَّفق الظَّاهر والباطن، فكثيرٌ من يخضع ببدنه في الرُّكوع والسُّجود؛ وقلبه غير خاشعٍ ولا خاضعٍ لله تعالى.

❑ ❑ ❑

فصلٌ

ومن الأدب في التِّلاوة: الحُضور والفهم والشُّعور بأنَّ القُرآن رسالة الله إلى كُلِّ عبدٍ، وأنَّ هذا دعوةٌ عامةٌ لجميع الخلق، وأنَّ هذا العبد التَّالي منهم.

فإذا شرع في القراءة: فليستحضر الرَّسول ﷺ بسرِّه، وليُصلِّ عليه، وليُعظِّم شأنه وحُرماته كما كان يفعله لو رآه بعينه، وليجعله الواسطة بينه وبين مولاه، فيجعله إمامه ومُؤدِّبه ومُرشده، وليعمل على كمال الاقتداء به والتَّأدُّب به في حركاته وسكناته وأكله وشُربه وعاداته، ويُواظب على مُطالعة سيرته وسُنَّته.

وليجعل المشايخ وسائط بينه وبين الرَّسول ﷺ(١)، فإنَّه ﷺ هُو الواسطة القريب منه، وإنَّ الله تعالى تعرَّف إلينا من جهته، وتجلَّى علينا

---

(١) قال ابن تيميَّة في [الواسطة بين الخلق والحقِّ (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة): ١/ ١٢٥ ـ ١٢٦]: (ومن سِوَى الأنبياء ـ من مشايخ العلم والدِّين ـ فمن أثبتهم وسائط بين الرَّسول وأُمَّته؛ يُبلِّغونهم ويُعلِّمونهم ويُؤدِّبونهم ويقتدون بهم: فقد أصاب في ذلك. وهؤلاء إذا أجمعوا: فإجماعهم حُجَّةٌ قاطعةٌ؛ لا يجتمعون على ضلالةٍ، وإن تنازعوا في شيءٍ: ردُّوه إلى الله والرَّسول، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق؛ بل كُلُّ أحدٍ من النَّاس يُؤخذ من كلامه ويُترك؛ إلا رسول الله ﷺ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: **(العُلماء ورثة الأنبياء، فإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافرٍ))**.

بواسطته، فيجب علينا معرفته ومحبَّته واستحضاره وكثرة الصَّلاة عليه وتعظيم حُرماته.

فإذا شرع التَّالي في التِّلاوة: فليجعل نفسه كأنَّه يسمعه من الرَّسول ﷺ؛ يُبلِّغ القُرآن عن ربِّه عزَّ وجلَّ، فيتلقَّاه العبد بسرِّه من الرَّسول ﷺ، فإنَّه إذا فعل ذلك يُرجى أن يفتح الله له بأن يشهد بسرِّه المُتكلِّم سُبحانه وتعالى ويسمعه بعد ذلك كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه[1]؛ فينتبه قلبه حينئذٍ للفهم عن الله عزَّ وجلَّ، ويشعر القلب بوعد الله

---

(١) قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [رسالته إلى أحد إخوانه (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع الرَّسائل): ٤٤ ـ ٤٥]:
(مشهد الإحسان: وهو مشهد المراقبة، وهو أن يعبد الله كأنَّه يراه، وهذا المشهد إنَّما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، حتَّى كأنَّه يرى الله سُبحانه فوق سمواته مُستوياً على عرشه، يتكلَّم بأمره ونهيه، ويُدبِّر أمر الخليقة، فينزل الأمر من عنده ويصعد إليه، وتُعرض أعمال العباد وأرواحهم عند المُوافاة عليه، فيشهد ذلك كُلَّه بقلبه، ويشهد أسماءه وصفاته، ويشهد قيُّوماً حيًّا سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً، آمراً ناهياً، يُحبُّ ويُبغض، ويرضى ويغضب، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يُريد، وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيءٌ من أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم، بل يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور.
ومشهد الإحسان: أصل أعمال القُلوب كُلِّها، فإنَّه يُوجب الحياء والإجلال والتَّعظيم والخشية والمحبَّة والإنابة والتَّوكُّل والخُضوع لله سُبحانه والذُّلَّ له، ويقطع الوسواس وحديث النَّفس، ويجمع القلب والهمَّ على الله، فحظُّ العبد من القُرب من الله: على قدر حظِّه من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصَّلاة، حتَّى يكون بين صلاة الرَّجليْن من الفضل: كما بين السَّماء والأرض، وقيامهما ورُكوعهما وسُجودهما واحدٌ).

ووعيده وتخويفه وتحذيره، ويتنبَّه لقصصه وأخباره ومواعظه وأنبائه، فيكون كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[1].

وذلك الأوَّل هُو قراءة المُريدين، وهذه القراءة هي قراءة العارفين.

ولا بُدَّ من توفية الرُّتبة الأُولى؛ ليرتقي العبد إذا وفَّاها إلى الرُّتبة الأُخرى، وإنَّما هي درجاتٌ بعضها فوق بعضٍ، وبالله المُستعان.



(١) سُورة البقرة: الآية ١٢١.

فصلٌ

وعلى السَّالك أن يتعلَّم رُبع العبادات[1] وغيره ممَّا يفتقر دينه إليه، بحيث يعلم فرائض الوُضوء والصَّلاة وسُننهما وشُروطهما؛ وما يُفسد الصَّلاة والوُضوء، وغير ذلك من الأحكام، فمن لا يعلم حُدود فرائضه: كيف يرتقي له عملٌ؟

وبعد ذلك يسأل عمَّا يعرض له من الأحكام؛ ليكون عارفاً بحُدود فرائضه ونوافله وواجباتها وسُننها.

❑❑❑

---

(١) أي العبادات الخمس: الطَّهارة؛ والصَّلاة؛ والزَّكاة؛ والصِّيام؛ والحجُّ.

فصلٌ

وعلى الطَّالب أن يعبد الله تعالى بالنُّصح له وإتقان الأعمال، فلا يُعامله بالكسل وقلَّة المُبالاة، فالقوم إنَّما وصلوا ـ بعد التَّوفيق ـ إلى معالي الدَّرجات: لكونهم عاملوا مولاهم بالنُّصح لا بالكسل، نصحوه كما ينصح العبد البارُّ لسيِّده إذا بعثه في مُهمٍّ من مُهمَّاته؛ أو حاجةٍ من حوائجه، فإنَّه يجتهد على إيقاع تلك الحاجة على أكمل الوُجوه التي تُرضي سيِّده، بخلاف الكسلان الذي لا يُبالي أيَّ حاجةٍ اشترى؛ أو أيَّ شيءٍ أتى به سيِّده.

والعدل يقتضي أن يُعامل المُتهاون الكسلان بجنس[1] عمله، ويُعامل النَّاصح بالنُّصح، فإنَّ السَّيِّد إذا رأى عبده قد نصحه في حوائجه: نصحه وتولاه في ملبوسه وحوائجه وضروراته بأحسن الأشياء وأنفسها عنده، فلا يدع حاجة إلا قضاها، ولا ضرورة إلا سدَّها بأكمل ما يقدر عليه ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[2].

فكذلك العبد إذا عامل ربَّه تعالى بالنُّصح ـ في فرائضه وأوامره واجتناب مناهيه ونافلته وصلاته باللَّيل والتَّدبُّر في تلاوته، واستعمل ما أمره به المولى من رعاية ظاهره وباطنه من المُحاسبة والمُراقبة،

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (بحسن).
(٢) سُورة النَّبأ: الآية ٢٦.

وتبديل الأخلاق السَّيِّئة بمحاسن الأخلاق المرضيَّة، واستعمال مكارم الأخلاق التي أمره بها، ولم يدع جُهداً في ذلك كُلِّه، وأتى بالنُّصح التَّامِّ من جميع ما يقدر عليه ـ: فإنَّه يُرجى أن ينصحه الله تعالى في جزائه ومُعاملته، فيتولاه ويتَّخذه عبداً ويصطنعه لنفسه، ولا يدع له ضرورة إلا سدَّها؛ ولا حاجة إلا قضاها، اختار له فيها ما يُحبُّه ويرضاه، فإنَّه عامله بالنُّصح، فاقتضى أن يُجازى بالنُّصح، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[1]، وبالله المُستعان.

❑❑❑

(١) سُورة النَّبأ: الآية ٢٦.

فصـلٌ

وعلى المُريد استعمال الطَّريق الوسط بين الإفراط والتَّفريط، فلا يحمل نفسه في المُكابدة فوق طاقتها، ولا يُقصِّر عنها فتطغى النَّفس وتتجاوز حدَّها، فيستعمل من الصَّوم والفطر؛ والتَّقليل والتَّكثير؛ والغنى والفقر؛ والتَّنعُّم والتَّقشُّف: الوسط من ذلك، فإنَّ الوسط طريقٌ آمنٌ، والانحراف إلى إحدى الجهتيْن خطرٌ، فيصوم تارة ويُفطر أُخرى، ويتنعَّم تارة ويتقشَّف أُخرى، إذا رأى النَّفس قد قويت: أضعف سُلطانها بالصَّوم والتَّقلُّل؛ قدراً مُناسباً لا مُفرِّطاً، إذا وجدها قد ضعفت أو كادت أن تنحرف: أدخل عليها من الرِّفق والشَّهوات المُباحة ما يعتدل به حالها.

فيكون مداره على الاعتدال؛ لأنَّ الرِّياضة مقصودةٌ لغيرها لا لذاتها، وإنَّما يُقصد بها اعتدال طبيعة النَّفس كي لا تطغى وتجمح وتستعصي.

ومن كانت نفسه مُنقادة مُطيعة مُطمئنَّة لا تحتاج إلى عناءٍ وتقشُّفٍ وإفراطٍ: فإنَّ هذا الانقياد من النَّفس هُو المطلوب، وبالله المُستعان.



فصـلٌ

فإذا استعان العبد بربِّه؛ واستعمل ما في هذه الكُرَّاسة؛ وعامل الله عزَّ وجلَّ بها مُجتهداً مُخلصاً: فقد صار له طريقٌ إلى ربِّه؛ يُرجى أن يُفتح له بذلك ما وراء ذلك من الأبواب التي لم نذكرها هُنا، فإنَّ الطَّريق يكشفها الله تعالى لعبده السَّالك بعضها ببعضٍ، ويرميه بعضها على البعض الآخر؛ حتَّى يستوفي أقسام الخيرات بوُصوله إلى قلبه واشتغاله به بعد استقامة جوارحه على أمر الله تعالى، وطُمأنينة نفسه على مُراد الله تعالى، فهُناك يُرجى أن يبدو له من الله تعالى ما لم يكن يحتسبه من انفتاق موادِّ المعارف على القُلوب والأرواح، ووُجود خالص المعرفة، وشُرب رائق المحبَّة، واستعمال العُبوديَّة لله تعالى بترك التَّدبير والاختيار.

أوَّل ذلك: لائحٌ يلوح بسرِّه لا يدوم، يبتهج القلب بذلك اللائح محبَّة، وتكتسب الرُّوح إلى العليِّ الأعلى جذبة، ثُمَّ يعود إلى حاله الأوَّل، ثُمَّ يعود ذلك عليه قليلاً.

فيكون العبد بين التَّجلِّي والاستتار[1]؛ إلى أن يكشف الله عزَّ وجلَّ

---

(١) التَّجلِّي: هُو إشراق نُور المعرفة والإيمان على العبد، واستغراق قلبه في شُهود الذَّات المُقدَّسة وصفاتها: استغراقاً علميًّا، والاستتار: هُو ما يستره الرَّبُّ سُبحانه وتعالى عن العبد رحمة به؛ ولُطفاً بضعفه، إذ لو دام له حال التَّجلِّي: لألفه واعتاده؛ ولم يقع منه موقع الماء من ذي الغُلَّة الصَّادي؛ ولا موقع الأمن من الخائف؛ ولا موقع الوصال من المهجور، =

عن العبد حجاب الوُجود، ويطلع صُبح التَّوحيد وقمره، وتبزغ شُموس المعرفة، وينمحي ليل الوُجود بطُلوع فجر التَّوحيد.

فيذهب في ذلك من لم يكن، ويبقى من لم يزل، مُتَّصفاً بجلاله وجماله وكماله وبهائه وسنائه، قائماً بالصُّنع والتَّدبير والإرادة والمُراقبة والجلال والجمال والأمر والنَّهي.

فيبقى بعد فنائه بربِّه، ويغيب بصفاته عن صفات نفسه ثُمَّ يبقى بها، فتذهب رُعونات العبد وتدبيره واختياره ومُراده وشهواته، ويبقى العبد حينئذٍ بأمر الله واجتناب نهيه وحُسن تدبيره واختياره.

والعبد ذاهبٌ في ذلك كُلِّه، والله عزَّ وجلَّ هُو المُتولِّي له في سائر شُؤونه وحاجاته.

كما قيل:

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه ... ولاح صباحٌ كُنت أنت ظلامه

= فإنَّه لمَّا ذاق مرارة الاستتار: عرف حلاوة التَّجلِّي، فإنَّ الأشياء تتبيَّن بأضدادها، فمن رحمة الله تعالى بعبده: أن ردَّه إلى أحكام البشريَّة ومُقتضى الطَّبيعة، وليُعرِّفه أنَّ عطاء التَّجلِّي ليس لسببٍ من العبد، وإنَّما هُو مُجرَّد موهبةٍ وصدقةٍ تصدَّق الله تعالى بها عليه لا يبلغها عمله؛ ولا ينالها سعيه، ليعرف عزَّ الله تعالى في منعه؛ وبرَّه في عطائه، فينفتح على قلبه من معرفة الأسماء والصِّفات ـ بسبب هذا التَّجلِّي والاستتار ـ: أُمورٌ عجيبةٌ غريبةٌ يعرفها الذَّائق لها، ويُنكرها من ليس من أهلها. مُلخَّصٌ من كلام ابن قيِّم الجوزيَّة في [مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: (٤/ ٩ ـ ١٣)].

وأنت حجاب القلب عن سرِّ غيبه ولولاك لم يُطبع عليه ختامه[1]

وقيل أيضاً[2]:

من كان في ظُلم اللَّيالي سارياً رصد النُّجوم وأوقد المِصباحا
حتَّى إذا ما البدر أرشد ضوؤه ترك النُّجوم وراقب الإصباحا
حتَّى إذا انجاب الظَّلام بأسره ورأى الصَّباح بأُفْقِه قد لاحا
ترك المسارج والكواكب كُلَّها والبدر وارتقب السَّنا الوضَّاحا

فنسأل الله الكريم أن يأخذ بأيدينا في هذا السَّفر، ولا يكلنا إلى نُفوسنا ولا يُولِّينا بعضنا، ولا يجزينا وصفنا، ونسأله أن يُعاملنا بما هُو أهله، فإنَّه أهل التَّقوى والمغفرة، ويأخذ بأيدينا في ظُلمات الشُّكوك، ويُنوِّر علينا فيها بأنوار اليقين، إنَّه وليُّ الفتح المُبين.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

---

(١) ذكرهما تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين (٢/ ٥٠٦)، وذكر تتمَّتهما:

بدا لك سرٌّ طال عنك اكتتامه ولاح صباحٌ كُنت أنت ظلامه
فإن غبت عنه حلَّ فيه وطنَّبت على منكب الكشف المصون خيامه
فأنت حجاب القلب عن سرِّ غيبه ولولاك لم يُطبع عليه ختامه
وجاء حديثٌ لا يُملُّ سماعه شهيٌّ إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النَّفس زال عناؤها وزال عن القلب المُعنَّى قتامه

(٢) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: (ص٧٨)] دون نسبتها لقائلها، وعزاها ابن ناصر الدِّين في [توضيح المُشتبه: (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)] إلى المُؤلِّف: ابن شيخ الحزَّاميِّين، وفي النُّسخة الخطيَّة: (ظُلم اللَّيل).

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٧٧)



مِفتاحُ طَريقِ المُحِبِّين وبابُ الأُنسِ بِرَبِّ العالَمين

تأليف

الإمامِ الزّاهِدِ النّاسِكِ والعالِمِ العابِدِ السّالِكِ

عِمادِ الدِّينِ أبي العَبّاسِ أحمَدَ بنِ إبراهيمَ الواسِطِيِّ

المعروف بابن شيخ الحزّاميين

(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على تواتر نعمائه؛ وتوالي آلائه.

حمداً كثيراً يصعد إليه في شُموسه وعلائه، تلوح أمارات القبول على صفحاته وأرجائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُوحِّدٍ في مقاصده وإنجائه[1].

وأشهد أنَّ مُحمَّداً ﷺ عبده ورسوله المُسدَّد في جميع أعماله وآرائه.

صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة ملء أرضه وسمائه.

وبعدُ:

فإنَّ الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً: أقام فيه شاهداً من ذكر الآخرة، يُريه فناء الدُّنيا وبقاء الآخرة ودوامها، فيزهد في الفاني ويرغب في الباقي، فيبدأ بالسَّير والسُّلوك في طريق الآخرة.

---

(١) أي: ما يُنجيِّه ويُخلِّصه.

وأوَّل السَّير فيها: تصحيح التَّوبة.

والتَّوبة لا تصحُّ إلا بالمُحاسبة ورعاية الجوارح السَّبع: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل عن جميع المحارم والمكاره والفُضول.

هذا أحد شطري الدِّين، ويبقى[1] الشَّطر الآخر وهُو القيام بالأوامر، فيُحقِّق الشَّطر الأوَّل وهُو ترك المناهي من قالَبه وقلبه.

أمَّا القالَب: فلا يعصي الله بجارحةٍ من جوارحه، ومتَّى زلَّ أو أخطأ تاب.

وأمَّا القلب: فيُنقِّي منه المُوبقات والمُهلكات، مثل: الرِّياء والعُجب والكبر والحسد والبُغض ـ لغير الله وبُغض الدُّنيا ـ وردِّ الحقِّ واستثقاله والازدراء بالخَلْق ومقتهم، وغير ذلك من الكبائر القلبيَّة التي هي في مُقابلة الكبائر القالَبيَّة ومثلها من شُرب الخمر والزِّنا والقذف وغير ذلك، فهذه كبائر ظاهرةٌ؛ وتلك كبائر باطنةٌ تُحبط الأعمال.

فمن انطوى على شيءٍ من الكبائر الباطنة ولم يتب: حبط عمله، والدَّليل على ذلك: الأخبار والآثار، فمنها ما في الحديث: **(لا يدخل الجنَّة من في قلبه أو رأسه مثقال ذرَّةٍ من كبرٍ)**[2].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (هذا أحد شطري، ويبقى).

(٢) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب تحريم الكبر وبيانه ـ الحديث رقم (٩١) ـ ١/ ٩٣] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، ولفظه: **(لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّةٍ من كبرٍ)**.

وجاء: (**إنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب**)(١).

وجاء: (**يقول الله: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري: تركته وشريكه**)(٢).

وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٣).

وقد جاء: (**من قال: هلكت النَّاس؛ فهُو أهلكهم**(٤)).



---

(١) أخرجه أبو داود في سُننه [كتاب الأدب/ باب في الحسد ـ الحديث رقم (٤٩٠٣) ـ ص٧٣٥] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، وابن ماجه في سُننه [كتاب الزُّهد/ باب الحسد ـ الحديث رقم (٤٢١٠) ـ ص٦٩٨] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، ولفظ أبي داود: (**إيَّاكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب**).

(٢) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الزُّهد والرَّقائق/ باب من أشرك في عمله غير الله ـ الحديث رقم (٢٩٨٥) ـ (٤/ ٢٢٨٩)] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: (**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري: تركته وشركه**).

(٣) سُورة الكهف: الآية ١١٠، وقد سقطت من النُّسخة الخطيَّة: ﴿أَحَدًا﴾.

(٤) قال الحُميديُّ في [الجمع بين الصَّحيحيْن: (٣/ ٢٨٧)]: (قال بعض الرُّواة: لا أدري (أهلكَهم) بالنَّصب؛ أو (أهلكُهم) بالرَّفع، كذا قال، والرَّفع أشهر، أي: أشدُّهم هلاكاً، وذلك إذا قال على سبيل الإزراء عليهم بالاحتقار لهم؛ وتفضيل نفسه عليهم؛ لأنَّه لا يدري سرائر الله في خلقه، وهكذا كان بعض عُلمائنا يقول، والله أعلم بما أراد رسول الله ﷺ).

قال النَّوويُّ في [شرح صحيح مُسلمٍ: (١٦/ ١٧٥)]: (وأما رواية الفتح =

فصلٌ

ومتى تنقَّى القلب من مِثل هذه الخبائث والرَّذائل: طهر، وسكن فيه الرَّحمة في مُقابلة البُغض؛ والتَّواضع في مُقابلة الكبر؛ والنَّصيحة في مُقابلة الغشِّ؛ والإخلاص في مُقابلة الرِّياء والسُّمعة؛ ورُؤية المنَّة في مُقابلة العُجب ورُؤية النَّفس، فعند ذلك تزكو الأعمال وتصعد إلى الله تعالى، ويطهر القلب ويبقى محلّاً لنظر الحقِّ بمشيئة الله تعالى ومعونته.

فهذا أحد شطري الدِّين؛ وهُو رعاية الجوارح السَّبعة عن المآثم والمحارم، ورعاية الباطن والقلب عن مُوبقات الجرائم.

❑❑❑

= فمعناها: هُو جعلهم هالكين؛ لا أنَّهم هلكوا في الحقيقة. واتَّفق العُلماء على أنَّ هذا الذَّمَّ إنَّما هُو فيمن قاله على سبيل الإزراء على النَّاس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم؛ وتقبيح أحوالهم؛ لأنَّه لا يعلم سرَّ الله في خلقه. قالوا: فأمَّا من قال ذلك تحزُّناً لما يرى في نفسه وفي النَّاس من النَّقص في أمر الدِّين: فلا بأس عليه).

والحديث أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب البرِّ والصِّلة والآداب/ باب النَّهي من قول هلك النَّاس ـ الحديث رقم (٢٦٢٣) ـ (٤/ ٢٠٢٤)] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: (**إذا قال الرَّجل: هلك النَّاس. فهُو أهلكهم**).

فصلٌ

وأمَّا الشَّطر الآخر من الدِّين: فهُو القيام بالأوامر، ولا يتمُّ القيام بها حتَّى ينصح لله تعالى فيها كما ينصح العبد البارُّ النَّاصح لسيِّده إذا بعثه في مُهمٍّ من حوائجه، فإنَّه يبذل نُصحه وموجوده حتَّى يُوقع الحاجة على أكمل الوُجوه وأحسنها، يتقرَّب بذلك إلى سيِّده ليرضى عنه ويُحبَّه.

وكذلك العبد إذا توجَّه عليه أمرٌ من أوامر الله تعالى مثل صلاةٍ أو صومٍ أو زكاةٍ أو قضاء فائتٍ أو قضاء دينٍ أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن مُنكرٍ أو حقٍّ من الحُقوق التي بينه وبين الله تعالى أو بينه وبين عباده، فإنَّه ينصح لله في ذلك العمل ويبذل فيه مجهوده، ويُوقعه على أتمِّ الوُجوه وأكملها، إن كانت صلاة خشع فيها لله تعالى بقلبه وخضع وحضر بين يدي الله تعالى بقلبه وفُؤاده وتضرَّع إليه، والتجأ فيها بسرِّه إليه، وإن كان الحقُّ صياماً حفظه من الغيبة والنَّميمة والنَّظر إلى كُلِّ قادحٍ يقدح فيه، وهذه الأعمال لا يقوى على القيام بها إلا المُحبُّون.

والمحبَّة تُسهِّل[1] هذه الأشياء الشَّاقَّة على المُحبِّ الصَّادق، ولا يقوى على ذلك العبد السَّالك إلا بمعونة الله تعالى وفضله، فعليه بدوام الالتجاء إلى ربِّه ليُعينه في سائر أُموره وسائر شُؤونه، كما علَّمنا في الصَّلوات الخمس أن نُناجيه، ونقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يُسهِّل).

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

فلا بُدَّ من العمل والصَّبر والمُكابدة والمُجاهدة، فبذلك تتمُّ العبادة، ولا بُدَّ من الاستعانة والالتجاء فإنَّه لا مُعين إلا الله.

فتكميل شَطْرَيِ الدِّين أمرٌ لازمٌ؛ لا يتمُّ الإسلام والإيمان والسُّلوك إلا بهما، ومن لم يُصحِّح ذلك ولم ينفذ: فمَثَل ذلك كمَثَل زارعٍ قمحاً وشوكاً، فالقمح ينبت قَطْعاً، لكن مُجاورة الشَّوك ومُزاحمته إيَّاه تُفسده، كذلك مُوبقات الأعمال الظَّاهرة والباطنة تُفسد الأعمال وتمحقها؛ كما يُفسد الشَّوك ما حوله من النَّبات، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

ولا يتمُّ تكميل شَطْرَيِ الدِّين إلا بصحَّة الاعتقاد ومحبَّة الرَّسول ﷺ، وصحَّة الاعتقادات بإثبات[1] صفات الرَّبِّ تعالى كما يليق به، أوَّلها: صفة العُلوِّ، فيعتقد أنَّ ربَّه سُبحانه وتعالى عليٌّ فوق الأشياء كُلِّها والكائنات، ينظر إلى عباده من فوق عرشه ويعلم ما هُم عاملوه، ويسمع ما هُم قائلوه، ويُدبِّر ما هُم فاعلوه، ويُريد ما هُم مكتسبوه، فإذا أيقن القلب بذلك بلا تكييفٍ ولا تشبيهٍ: يُرجى أن يتمَّ بذلك سير العبد في سُلوكه بمعونة الله تعالى.

وأمَّا محبَّة الرَّسول ﷺ: فهي أن يتَّخذه السَّالك نبيَّه وأُستاذه وشيخه ومُؤدِّبه، فيجمع همَّه عليه دُون كُلِّ شيخٍ ومُؤدِّبٍ وأُستاذٍ، ويعكف على مُطالعة سيرته واستماع سُنَّته، ويُطالب نفسه بالاتِّباع للرَّسول ﷺ في جُزئيَّات المُتابعة وكُلِّياتها، ولا يُسامح نفسه أن يترك سُنَّة من السُّنن، مثل السِّواك والتَّهجُّد والصَّفِّ الأوَّل وميامن الصُّفوف والقُرب من الإمام

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (بثبت).

وحُضور التَّكبيرة الأُولى والتَّهجير إلى المسجد والتَّيمُّن في اللِّباس والأفعال وغير ذلك، فبذلك يكمل الاتِّباع للرَّسول ﷺ ويصحُّ الحُبُّ له.

ومتى صحَّت محبَّة الرَّسول ﷺ واتِّباعه: يُرجى للعبد أن يُحبَّه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

وجميع ما ذكرنا[2] من التَّوبة والمُحاسبة والرِّعاية والخُشوع في الصَّلاة: فكُلٌّ ذلك من جُزئيَّات المُتابعة للرَّسول ﷺ، والمُتابعةُ أصلٌ جامعٌ لجميع الخيرات، والله المُوفِّق للصَّواب.

ومن جُزئيَّات المُتابعة: التَّهجُّد والمُواظبة عليه، فإنَّ الرَّسول ﷺ أخبرنا بأنَّ الرَّبَّ ينزل إلى سماء الدُّنيا في ثُلث اللَّيل الآخر فيقول: (**هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من مُستغفرٍ فأغفر له؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ ولا يزال كذلك حتَّى يطلع الفجر**)[3].

وقد جاء في الحديث: (**أقرب ما يكون من عبده في جوف اللَّيل الآخر**)[4].

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: أصلٌ جامعٌ).

(٣) أخرجه مُسلمٌ في صحيحه [كتاب صلاة المُسافرين وقصرها/ باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر اللَّيل والإجابة فيه ـ الحديث رقم (٧٥٨) ـ ١/ ٥٢٣] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ وأبي هُريرة رضي الله عنهما، ولفظه: (**إنَّ الله يُمهل؛ حتَّى إذا ذهب ثُلث اللَّيل الأوَّل: نزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: هل من مُستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتَّى ينفجر الفجر**).

(٤) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١٧٠٢٦) ـ ٢٨/ ٢٥٠]، والتِّرمذيُّ في سُننه [كتاب الدَّعوات/ باب (١١٩) ـ الحديث رقم (٣٥٧٩) ـ ص٨١٣]،

فالمُريد ينبغي له أن لا يفوته ذلك الوقت، فإنَّه وقتٌ يفتح المَلك بابه، فيتعيَّن علينا أن نرجو[1] ذلك الوقت، ومن واظب على التَّهجُّد في جوف اللَّيل: يُرجى له نصيبٌ من أنصبة المُقرَّبين إن شاء الله تعالى، ويُرجى أن يرقى[2] من محبَّة الرَّسول ﷺ إلى محبَّة مُرسله سُبحانه، ويترقَّى إلى فهم كلامه سُبحانه وهُو القُرآن المجيد، وتَتبُّع رُؤية تجلِّيات الصِّفات المُقدَّسة، فيرقى بذلك إلى مواطن القُرب والمحبَّة الخاصَّة بمعونة الله تعالى وتوفيقه.

❑ ❑ ❑

والنَّسائيُّ في سُننه [كتاب المواقيت/ باب النَّهي عن الصَّلاة بعد العصر ـ الحديث رقم (٥٧٢) ـ (ص٩٧)]، وابن ماجه في سُننه [أبواب إقامة الصَّلوات والسُّنَّة فيها/ باب ما جاء في أيِّ ساعات اللَّيل أفضل ـ الحديث رقم (١٣٦٤) ـ (ص٢٤٢)] عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، ولفظ التِّرمذيِّ: (**أقرب ما يكون الرَّبُّ من العبد في جوف اللَّيل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك السَّاعة فكُن**).

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (نرجي).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (يرقون).

فصلٌ

والمرتبة الثَّانية من السُّلوك: فهي الطَّلب والإرادة والشَّوق إلى الوُصول والقُرب، وهذا شأن من ذاق بقلبه شيئاً من اللَّوائح[1] الإيمانيَّة، ووجد آثار الصِّفات المُقدَّسة اليقينيَّة، ومتى ذاقت القُلوب شيئاً من ذلك: لم يهنها عيشٌ حتَّى تبلغ من ذلك الذَّوق إلى غايته وكماله ونهايته.

وكان مَثَل هذا الذَّائق لها: كمَثَل شخصٍ رأى من وراء حُجُبٍ كثيفةٍ شيئاً من لمحات محبوبٍ فاق كُلَّ شيءٍ في الملاحة والجمال والحُسن والكمال ولم يُحقِّقه ببصره، لكن لاحت له لمحاتٌ منه على بُعْدٍ من الدَّار، فهيَّجت أشواقه إليه، وتعلَّقت الرُّوح به، فلا تزال الرُّوح مجذوبة إليه مُشتاقة إلى لقائه؛ وقد شغلها عن ذلك شواغل من أُمور الطبيعة، ولكنَّه متى صفا قلبه وخلا: هاج وتأجَّجت نيرانه، كما قيل[2]:

وما في الأرض أشقى من مُحبٍّ ... وإن وجد الهوى حُلو المذاق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (الوائح).

(٢) ذكرها أبو هلال العسكريُّ في [ديوان المعاني: (ص٢٥٧)]، وتمامهما:

وما في الأرض أشقى من مُحبٍّ ... وإن وجد الهوى حُلو المذاق
تراه باكياً في كُلِّ حينٍ ... مخافة فُرقةٍ أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التَّنائي ... وتسخن عينه عند التَّلاقي

وكما قيل(١):

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برقٌ تألَّق مُوهناً لمعانُه
يبدو لحاشية الرِّداء ودُونه ... صعبُ الذَّرى مُمتنعٌ أركانُه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يُطق ... نظراً(٢) إليه وصدَّه سجَّانُه
فالنَّار ما اشتملت عليه ضُلوعه ... والماء ما سفحت به أجفانُه

فمِثْل هذا إذا لم يكن له أُستاذٌ عارفٌ أو قرينٌ ناصحٌ يُرشده في حيرته: قد يُخشى عليه أن تقطعه الفاقات والمُجاهدات والرِّياضات؛ فينحرف لذلك مزاجه ويفسد حاله لانحراف مزاج قلبه فيفوته المطلوب، ومثل هذا يحتاج إلى سياسةٍ لطيفةٍ تتمُّ بها مصالحه في أُمور دينه ودُنياه وآخرته بمعونة الله وتوفيقه.

فأوَّل ذلك: دوام الالتجاء إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّه لا يُنجِّي من المهالك والمتالف في أسفار الدُّنيا والآخرة إلا الله، ولا يُوصل إلى الله إلا الله، هذا أوَّل الأمر وأساسه.

وليعلم أنَّ الجُوع المُفرط مُضرٌّ؛ كما أنَّ الشِّبع المُفرط مُضرٌّ، والخُروج من الأسباب الدُّنيويَّة(٣) التي تتمُّ بها المعيشة مُضرٌّ؛ كما أنَّ الانهماك فيها والتَّكالب عليها مُضرٌّ.

❑ ❑ ❑

---

(١) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: ص٧٨].

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (نظر).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (الدُّنياويَّة).

فصلٌ

والأمر الذي يبلغ السَّالك به إلى المطلوب بمعونة الله: الأمر الوسط المُعتدل من الصَّوم والفطر؛ والجُوع والشِّبع؛ والتَّقشُّف والتَّنعُّم؛ والتَّسبُّب والتَّجرُّد.

أمَّا الصَّوم: فيكفيه صوم الأيَّام الفاضلة المشروع صومها، كالاثنين والخميس وأيَّام البيض وعرفة وعاشُوراء، وبعض هذا يكفيه إن عجز عن جميعه.

والجُوع والشِّبع: فليعتمد على أكل الأشياء الرَّطبة المولِّدة للأخلاط الصَّحيحة والدَّم الصَّحيح، كالمسلوقة واللَّبن أو الحليب والعسل المُرقَّق بالماء؛ يُغلى حتَّى يبقى كالدِّبس السَّائل، ومِثْل الفواكه النَّاضجة كالمشمش والبِطِّيخ والعنب وأمثاله، ويجتنب الأغذية المُولِّدة للسَّوداء[1]؛ إلا القليل منها، فإنَّ البدن لا يستغني عن ذوات الطُّعوم كالحامض والحِرِّيف[2] والمالح، فيتناول من الأغذية المُلائمة قدراً مُعتدلاً بين القليل والكثير، مثل أن يأكل حتَّى يكتفي ولا يمتلئ منه، وإذا شبع في يومه مرَّة فلا يشبع مرَّة أُخرى فيه؛ إلا إذا أصبح صائماً،

---

(١) السَّوداء: مرضٌ مقرُّه في الطُّحال، كما في: المُنجد في اللُّغة والأعلام، ومن الأغذية المُولِّدة للسَّوداء: التَّمر والباذنجان والعدس والكرنب (الملفوف) واللَّحم والسَّمن واللَّبن والجُبن العتيق والإكثار من الحُلو.

(٢) أي: الذي يُحذي اللِّسان ويلذعه بحرافته، وهُو كُلُّ ما يُحرق فم آكله بحرارةٍ.

لكن يأكل لُقيماتٍ خفيفة على القلب حتَّى يبقى فارغاً من ثقل الطَّعام، ولا يثقل الطَّعام على أحدٍ إلا ينحجب عن الصَّفاء والنُّور، فهذا حدُّ الأكل والمأكول وقانونه، والله المُوفِّق والمُعين.

وأمَّا التَّقشُّف والتَّنعُّم: فليستعمل من التَّنعُّم مثل الحمَّام والنِّكاح واللِّباس والطِّيب وغيره بقدر الحاجة؛ وبقدر ما يصلح به البدن؛ متى وجد البدن قد قشف وقحل أو قارب أن يتقشَّف: رطَّبه وغذَّاه، ومتى وجده قد كاد أن يقسوا ويغلظ: عدَّله بالتَّقلُّل من الشَّهوات والصَّوم؛ ويحوم حول الاعتدال في كُلِّ شيءٍ، فبذلك يكمل الأمر بمعونة الله تعالى، فإذا أعطى الجوارح حقَّها: فيشرع فيستوفي الحقَّ الذي عليها.

وأمَّا التَّسبُّب والتَّجرُّد: فلا يُشرع له ترك الأسباب؛ كما لم يُشرع له الحرص والتَّكالب عليها، لكن يسعى في أمرٍ يكفيه ويكفي عياله في عامه بالمعروف، ويُؤثر منه ويتصدَّق ويُعين الصَّالحين، ولا يحرص الحرص البالغ بحيث يستحوذ عليه الشَّيطان بحُبِّ الدُّنيا فيُنسيه ذكر الله تعالى، فيبقى كالذين نسوا الله فنسيهم، فينقطع بذلك عن الله تعالى، وكذلك التَّجرُّد عن الدُّنيا بالكُلِّيَّة: يُشغل النُّفوس بالحاجة والفاقة، وذلك حجابٌ أيضاً، وخير الأُمور أوساطها، والله المُوفِّق والمُعين.



فَصْلٌ

وإذا وفَّقه الله تعالى للقيام بشَطْرَيِ الدِّين ـ المذكور أولاً ـ؛ ثُمَّ بسياسة النَّفس على قانون العدل من الصَّوم والفطر؛ والشِّبع؛ والتَّقشُّف؛ والتَّجرُّد والتَّسبُّب: فليسلك إن شاء الله تعالى؛ ليتحقَّق قلبه بذلك الذَّوق الذي وجده.

واعلم أنَّ كُلَّ حالٍ جاء بالجُوع ذهب بالشِّبع، أو حصل بالخلوة ذهب في الخُلطة في أغلب الأُمور.

ومن سلك طريقاً مُعتدلاً في أُمور معاشه وصلاح جسمه: استقام حاله بمعونة الله تعالى وتوفيقه، فإذا استقامت النَّفس على الاعتدال المذكور وتعوَّدته؛ واعتادت المُحاسبة ورعاية الجوارح واستقبال الحركات بالنِّيَّات الصَّالحة؛ والنُّصح في البيع والشِّراء وسائر المُعاملات، بحيث يُحبُّ العبد لأخيه ما يُحبُّه لنفسه، ويُرضي ربَّه في زوجه وإخوانه بما يتعاطاه[1] معهم من مكارم الأخلاق؛ وبشاشة الوجه وحُسن السِّيرة؛ وظُهور الرَّحمة من قلبه لهم وإرادة المصلحة لهم في سائر أُمورهم: فليشرع حينئذٍ في هذه الطَّريقة السَّهلة الخاصَّة إلى الله تعالى؛ بلا جُوعٍ مُفرطٍ ولا تقشُّفٍ مُضرٍّ تسيء به الأخلاق ويعطب بسببه الجوارح، لظُهور اليُبْس في بدنه والطَّيش في دماغه لانحرافه عن حدِّ الاعتدال.

❏❏❏

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يتعاتاه).

فصلٌ

أوَّل هذه الطَّريقة السَّهلة: أن يعلم العبد أنَّ صلاح القُلوب وقُربها من الله إنَّما يكون بشُعورها بقُربه سُبحانه منها؛ إذا شعرت القُلوب بقرب الله منها؛ وبأنَّ الله يعلم سرَّها وخفيَّ هواجسها ودبيب خطراتها: استقامت القُلوب وصلحت وقربت من ربِّها.

ولا طريق أعدل من أن يجعل الإنسان لنفسه وقتاً يتخلَّى فيه عن الشَّواغل؛ إمَّا في اللَّيل أو النَّهار، ثُمَّ يجلس في موضعٍ خالٍ فيُصلِّي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من جميع الذُّنوب التي اجترحها في يومه ذاك أو ليلته ما علم من ذُنوبه وما لم يعلم، فإنَّ ما لا يعلمه من الذُّنوب أكثر ممَّا يعلمه.

فإذا تاب كذلك يشرع في التِّلاوة للقُرآن المجيد ويجعل نفسه كأنَّه بين يدي ربِّه تعالى، فكأنَّه يُناجي ربَّه تعالى بكلامه، وكأنَّ الرَّبَّ تعالى يسمع مُناجاته ويرى مكانه في هذه الحال، ويجتهد أن لا يخطر بقلبه غير معاني ما يتلو، فيجعل المعاني في محلِّ دبيب الخواطر، وهذا أنفع شيءٍ للسَّالكين من كثرة الصَّلاة والعبادة بلا قلبٍ، وليس بينهما نسبة؛ إلا شخصاً يتلو كلام الله تعالى ويجعل الحقَّ تعالى ناظراً إليه، ويجعل المعاني عوضاً عن حديث النَّفس في محلِّ دبيب الخواطر، وهذا أمرٌ لا يقوى عليه إلا من يُريد اللهُ أن يُقرِّبه ويصطنعه، والله المُوفِّق والمُعين.

❑❑❑

فصلٌ

فأوَّل ما يُفتح على من سلك هذه الطَّريقة بمشيئة الله تعالى وتوفيقه: أن يغيب قلبه في المعاني، وتلتذُّ الرُّوح بالمعاني كما تلتذُّ بالنَّسيم البارد في الهواجر الحارَّة، وهذا أوَّل الفُتوح.

ثُمَّ يُفتح له بعد ذلك شمُّ القلب لنسيم القُرب بعد شمِّه لنسيم معاني كلام الرَّبِّ تعالى، وحينئذٍ يشعر القلب بعظمة الله تعالى المُتكلِّم بالقُرآن، وهذه مرتبةٌ ثانيةٌ.

ثُمَّ يُرجى أن يُفتح له بعد ذلك سماع الكلام كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه، فإنَّه كان في الابتداء يقرأ القُرآن كأنَّما يقرؤه على الله تعالى؛ والله تعالى ناظرٌ إليه يسمع قرآنه، فيرقى من الرُّتبة إلى سماع الكلام كأنَّه يسمعه من مُتكلِّمه، ويشعر القلب بقُربه وعظمته، ويُكاشف في القُرآن بصفات المُتكلِّم من رحمته ولُطفه وعظمته وقهره وجلاله وكماله؛ ووعده ووعيده؛ وتخويفه وتحذيره وترغيبه؛ وغير ذلك من الصِّفات.

❑❑❑

فصـلٌ

من فُتح له هذا القُرآن العظيم في التَّلاوة: فقد صار القُرآن ربيع قلبه وشفاء صدره وجلاء حُزنه؛ وطريقه إلى الله تعالى؛ وصراطاً مُستقيماً يُبلِّغه إلى قُرب الله بمعونته وتوفيقه.

❑ ❑ ❑

فصـلٌ

واعلم أنَّ هذه الأذواق العظيمة ـ التي هي أذواق المُقرَّبين؛ ومشارب العارفين والمُحبِّين ـ لا يذوقها في كلام ربِّ العالمين من يَبِس مزاجهُ بالصَّوم والجُوع، فإنَّ الصَّوم والجُوع المُفرطيْن[1] يُؤثِّران في القلب اليُبْس والانحراف، ويبقى القلب جامداً كالحجر؛ لا يتصرَّف فيه القُرآن ولا يُؤثِّر فيه قوارعه؛ لغلبة حُكم اليُبْس عليه، ولا يناوله من الأحوال إلا مُمتزجاً بطبيعة اليُبْس، فيثور من باطنه عند الحال حدَّةٌ وصُراخٌ وانحرافٌ يستدلُّ بذلك على انحراف مزاجه.

وأمَّا صاحب المزاج المُترطِّب المُعتدل إذا شرع في التِّلاوة والخلوة؛ وثار له شيءٌ من هذه الموارد: يتصرَّف الموارد في قلبه، وينفعل القلب لها للطافته ورقَّته واعتدال مزاجه، ويغيب في الموارد ويستغرق فيها كما يستغرق من لاحت له شواهد محبوبه وأنس به وغاب به وبصفاته عن كُلِّ شيءٍ سواه، فإذا أفاق من ذلك: رجع إلى أعماله الباطنة والظَّاهرة ومساعي دُنياه التي لا يتمُّ صلاح جسمه إلا بها، وهذا هُو الأمر الكامل المُعتدل المُناسب لمألوف الصَّحابة والتَّابعين لهُم بإحسانٍ رضي الله عنهُم أجمعين.

❑❑❑

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (المُفرطان).

فصلٌ

ومن سلك هذا القانون وهذه الطَّريقة: كان حاله كمن عمَّر الدُّنيا بقيامه في مصالحه، وعمَّر الآخرة بقيامه بمأمورات ربِّه، وعمَّر مكارم الأخلاق بحُسن تأتِّيه مع أهله وإخوانه بما يُرضي ربَّه، وعمَّر منازل القُرب ومواطن الأُنس بدُخوله في طريقٍ قريبةٍ سهلةٍ إلى ربِّه، ومع هذا فجسده صحيحٌ رطبٌ؛ وقلبه خاشعٌ ليِّنٌ؛ وأخلاقه طيِّبةٌ زاكيةٌ؛ وزوجته راضيةٌ قد أعطاها ما تستحقُّه، وقام بما يُصلح نفسه ويُصلحها من حُقوق الله تعالى الواجبة، وإخوانه راضون بما بذل لهم من حُقوقهم المتأكِّدة عليه، وهذا هُو الكمال إن شاء الله تعالى، والله المُوفِّق والمُعين.

وأُصول ذلك وعُمدته: التَّوبة النَّصوح، والانتهاء عن منهيَّات الظَّاهر والباطن وسياسات النَّفس في العادات بمُقتضى العدل باستعمال الأمر الأوسط بين الإفراط والتَّفريط.

وعُمدة الطَّريقة: أن تصل معاني القُرآن إلى دبيب الخواطر، فمتى وصلت سهل الأمر وقرب بمشيئة الله ومعونته.

ونسأل الله الكريم أن يُوفِّقنا لما يُحبُّ منَّا، وأن يدلَّنا عليه من أقرب الطُّرق وأدلِّها عليه، وأن يُعافينا من تعب الطَّريق وطُولها، ولا يجعلنا ممَّن طوَّل عليه وابتلاه من أُمور دُنياه ممَّا فيه التَّعويق، آمين يا ربَّ العالمين.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليماً[1].



---

(١) قال العبد الفقير إلى غنى ربِّه العليِّ؛ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ: ختمت الرَّسائل الثَّلاث في مسجد الله الحرام؛ بعد الفراغ من التَّراويح وأنا مُتسربلٌ بالإحرام، وذلك في سطح حرم الله تعالى أفضل المساجد؛ ومهوى فُؤاد كُلِّ طائفٍ وعاكفٍ وراكعٍ وساجدٍ، ليلة الجُمعة (١٩ رمضان ١٤٣٢هـ)؛ المُوافق (١٩ آب (أغسطس) ٢٠١١م).
وذلك بحُضور الأخ الجليل؛ ومُشاركة الصَّاحب النَّبيل: الشَّيخ عمَّار بن عبد الرَّحمن رمضاني؛ حفظه الله تعالى من كُلِّ سُوء وشرٍّ ومكروه، وآتاه من حسنة الدَّاريْن فوق ما يتمنَّاه ويرجوه.
وكان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في يوم الاثنين (٢٦ ذوالقَعدة ١٤٣٢هـ)؛ الموافق (٢٤ أُكتوبر (تشرين الأوَّل) ٢٠١١م).
فالحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين؛ وعلى آله الطيِّبين؛ وأزواجه المُطهَّرين؛ وأصحابه الغُرِّ الميامين؛ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وكتبه

وليد بن محمد بن عبد الله العلي

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة

١ ـ **الأعلام**: خير الدِّين الزِّرِكليُّ ـ دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة (١٩٨٩م).

٢ ـ **الإعلام بوفيَّات الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: رياض عبد الحميد مُراد؛ عبد الجبَّار زكَّار ـ مطبوعات مركز جُمعة الماجد للثَّقافة والتُّراث بدُبي ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٣ ـ **أعيان العصر وأعوان النَّصر**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان)؛ دار الفكر (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٤ ـ **الأنساب**: عبد الكريم بن مُحمَّد السَّمعانيُّ ـ تحقيق: عبد الله عُمر الباروديُّ ـ دار الجنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٥ ـ **إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٦ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: مُحمَّد مُرتضى الحُسينيُّ الزَّبيديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ مطبوعات المجلس الوطنيِّ للثَّقافة والفُنون والآداب (الكُويت/ دولة الكُويت) ـ الطَّبعة الأُولى.

٧ ـ **تاريخ التُّراث العربيِّ**: فُؤاد سزكين ـ نقله إلى العربيَّة: الدُّكتور/ محمود فهمي حجازي ـ مطبوعات جامعة الإمام مُحمَّد بن سُعود الإسلاميَّة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٨ ـ **تذكرة الحُفَّاظ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٩ ـ **التَّذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ النَّشرة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١٠ ـ **تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة**: صالح بن عبد العزيز آل عُثيمين البُرَديُّ ـ تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١١ ـ **تهذيب اللُّغة**: مُحمَّد بن أحمد الأزهريُّ ـ تحقيق: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ تقدَّمهم وقدَّم له: عبد السَّلام مُحمَّد هارون ـ المُؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والأنباء والنَّشر؛ الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة (القاهرة/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١٢ ـ **توضيح المُشتبه**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: مُحمَّد نعيم العرقسوسيِّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٣ ـ **الجامع لشُعب الإيمان**: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ ـ حقَّقه وراجع نُصوصه وخرَّج أحاديثه: الدُّكتور/ عبد العليِّ عبد الحميد حامد ـ الدَّار السَّلفيَّة (بومباي/ الهند) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٤ ـ **الجمع بين الصَّحيحيْن**: مُحمَّد بن فُتوح الحُميديُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ علي حُسين البوَّاب ـ دار ابن حزم (بيروت/ لبنان)، توزيع دار الصُّميعيِّ (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

١٥ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أحمد بن عبد الله الأصفهانيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

١٦ ـ **الدُّرُّ المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة التَّوبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٧ ـ **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة**: أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلانيُّ.

١٨ ـ **الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: فهيم مُحمَّد شلتوت ـ مطبوعات مركز البحث العلميِّ وإحياء التُّراث الإسلاميِّ بجامعة أُمِّ القُرى (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

١٩ ـ **ديوان المعاني**: الحسن بن عبد الله بن مهران المعروف بأبي هلال العسكريِّ ـ شرحه وضبط نصَّه: أحمد حسن بسج ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٢٠ ـ **ذيل العبر**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢١ ـ **ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبد السَّلام تدمري ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢٢ ـ **الذَّيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب البغداديُّ ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٢٣ ـ **الرَّدُّ الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٢٤ ـ **رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه**: تحقيق: عبد الله بن مُحمَّد المُديفر: ضمن مجموع الرَّسائل للإمام أبي عبد الله مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب ابن قيِّم الجوزيَّة ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبد العزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة ـ دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٥هـ).

٢٥ ـ **رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب**: إبراهيم بن مُحمَّد بن ضُويَّان ـ تحقيق: عُمر بن غرامة العمرويِّ ـ دار الفكر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٦ ـ **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**: مُحمَّد بن عبد المُنعم الحميريُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ إحسان عبَّاس ـ مكتبة لبنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٤م).

٢٧ ـ **سنن ابن ماجه**: مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ المعروف بابن ماجه ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٢٨ ـ **سُنن أبي داود**: سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٢٩ ـ **سُنن التِّرمذيِّ**: مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٠ ـ **سُنن النَّسائيِّ**: أحمد بن شُعيب النَّسائيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣١ ـ **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**: عبد الحيِّ بن العماد الحنبليُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٣٢ ـ **شرح صحيح مُسلم**: يحيى بن شرف النَّوويُّ ـ دار الرَّيَّان للتُّراث (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٣٣ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عُمر بن سُليمان الحفيان ـ مكتبة العُبيكان (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٣٤ ـ **صحيح البُخاريِّ**: مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ ـ تحقيق: مُحمَّد علي القُطب ـ المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣٥ ـ **صحيح مُسلم**: مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ ـ حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٣٦ ـ **صفات الله عزَّ وجلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة**: علويُّ بن عبد القادر السَّقَّاف ـ دار الهجرة للنَّشر والتَّوزيع (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٣٧ ـ **طبقات الأولياء**: عُمر بن عليٍّ المصريُّ المعروف بابن المُلقِّن ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٣٨ ـ **طبقات الصُّوفيَّة**: مُحمَّد بن الحُسين بن مُوسى المعروف بأبي عبد الرَّحمن السُّلميِّ ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٩ ـ **العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد حامد الفقي ـ مكتبة المُؤيَّد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٤٠ ـ **عُلماء الحنابلة من الإمام أحمد (المُتوفَّى سنة ٢٤١هـ) إلى وفيَّات عام ١٤٢٠هـ رحمهم الله تعالى**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

٤١ ـ **العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ).

٤٢ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ**: أحمد بن عليِّ بن حجرٍ العسقلانيُّ ـ رقَّم كُتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: مُحبُّ الدِّين الخطيب، راجعه: قُصي مُحبُّ الدِّين الخطيب ـ دار الرَّيَّان للتُّراث (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

٤٣ ـ **فهرس مخطوطات دار الكُتبِ الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)**: وضعه: مُحمَّد رياض مالح ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٤٤ ـ **القاموس المُحيط**: مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٤٥ ـ **القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة**: مُحمَّد بن عليِّ بن طُولون الصَّالحيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد أحمد دهمان ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

٤٦ ـ **كتاب الرُّؤية**: عليُّ بن عُمر الدَّارقُطنيُّ ـ قدَّم له وحقَّقه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: إبراهيم مُحمَّد العليُّ؛ أحمد فخري الرِّفاعيُّ ـ مكتبة المنار (الزَّرقاء/ المملكة الأُردنيَّة الهاشميَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٤٧ ـ **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: مُصطفى بن عبد الله المعروف بحاجِّي خليفة ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٤٨ ـ **كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: ربيع بن أحمد خلف ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٤٩ ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجبٍ الدِّمشقيُّ ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان).

٥٠ ـ **اللُّباب في تهذيب الأسماء**: مُحمَّد بن مُحمَّدٍ الشَّيبانيُّ المعروف بابن الأثير الجزريِّ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٥١ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: جمع وترتيب: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن قاسم وساعده ابنه مُحمَّد ـ مُجمَّع الملك فهد لطباعة المُصحف الشَّريف (المدينة المُنوَّرة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

٥٢ ـ **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيل ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٥٣ ـ **المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبلٍ وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٥٤ ـ **مدخل أهل الفقه واللِّسان إلى ميدان المحبَّة والعرفان**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

٥٥ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان**: عبد الله بن سعد اليافعيُّ ـ دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٦ ـ **مُسند الإمام أحمد بن حنبلٍ**: أحمد بن حنبلٍ الشَّيبانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: شُعيب الأرنؤوط ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٥٧ ـ **مُسند الشَّاميِّين**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفيُّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٥٨ ـ **المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: عليُّ بن مُحمَّد البجاوي ـ الدَّار العلميَّة (دلهي/ الهند) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٧م).

٥٩ ـ مُعجم البُلدان: ياقوت بن عبد الله الحمويُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٦٠ ـ مُعجم الشُّيوخ: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد الحبيب الهيلة ـ مكتبة الصِّدِّيق (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦١ ـ المُعجم الكبير: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفيُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ ـ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٢ ـ مُعجم المُؤلِّفين: عُمر رضا كحَّالة ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٣ ـ مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكريُّ ـ تحقيق: مُصطفى السَّقَّا ـ عالم الكُتب (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٦٤ ـ مُعجم مُصنَّفات الحنابلة من وفيَّات (٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ): الأُستاذ الدُّكتور/ عبد الله بن مُحمَّد الطُّريقيُّ ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٦٥ ـ مفتاح طريق الأولياء: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميُّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠ه ـ ١٩٩٩م).

٦٦ ـ المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن: القاسم بن مُحمَّد البرزاليُّ ـ تحقيق: الأُستاذ الدُّكتور/ عُمر سُليمان تدمري ـ المكتبة العصريَّة (صيدا ـ بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٦٧ ـ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: إبراهيم بن مُحمَّد بن مُفلح المقدسيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٦٨ ـ المُنجد في اللُّغة والأعلام: دار المشرق (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة والعشرون (١٩٨٦م).

٦٩ ـ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: جماعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: عبد القادر الأرناؤوط ـ

دار صادر (بيروت/ لبنان)؛ توزيع مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٩٩٧م).

٧٠ ـ **المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد مُحمَّد أمين ـ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٩٨٤م).

٧١ ـ **النَّصيحة في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الرَّابعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٧٢ ـ **هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٧٣ ـ **الوابل الصَّيِّب ورافع الكلم الطَّيِّب**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد الرَّحمن بن حسن بن قائد ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبد العزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة ـ دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٥هـ).

٧٤ ـ **الوافي بالوفيَّات**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: س. ديدرينغ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان).



فهرس الموضوعات

الرِّسالة الأُولى:

مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطَّلب والإرادة

الرِّسالة الثَّانية:
مفتاح الطَّريق إلى سُلوك التَّحقيق

الرِّسالة الثَّالثة:
مفتاح طريق المُحبِّين وباب الأُنس بربِّ العالمين

❑❑❑

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
(١٧٨)

صَوَارِمُ الْبَرَاهِين

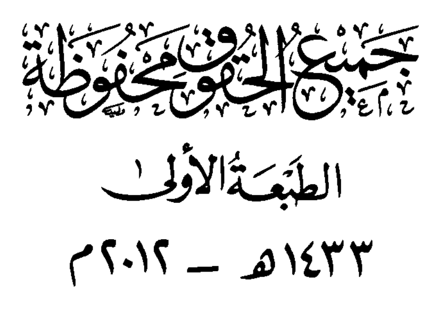
الْمَسْلُولَةُ مِنْ أَغْمَادِ أَسْرَارِ الْوَحْيِ الْمُبِين عَلَى رِقَابِ شُبُهَاتِ الزَّائِفِين

للشيخ المؤرّخ
رَاشِدِ بْنِ عَلِيّ الْجُرَيْسِيِّ النَّجْدِيِّ
المتوفى سنة (١٣٠٣ هـ) تقريباً
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتورة فوزية بنت عبد العزيز الشّائع

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ الْبَشَائِرِ الْإِسْلَامِيَّة



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م
بيروت ـ لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن لأهل السُّنَّة والجماعة في كل عصر من العصور معارك ضارية مع أهل البدع والأهواء، حيث قاموا بفضح دعاة الضلال، وتعرية حقائقهم، فعقدوا معهم المناظرات، وأنشأوا التصانيف الموضحة لنهج أهل السُّنَّة، المحذِّرة من اتباع سبل أهل الردى والهوى، فكان لذلك الأثر الحميد في بقاء هذه العقيدة محفوظة من الدسِّ فيها.

ومن هذه البدع الكثيرة بدعة القدرية، التي انتشرت في أوساط الأمة الإسلامية، فكان لعلماء السلف جهود عظيمة في الرد على هذه البدعة، ومناقشة دعاتها. وقد ألّف في ذلك أئمة السلف السابقين، منهم: الإمام عبد الله ابن وهب القرشي، وجعفر ابن محمد الفريابي، وأبو بكر البيهقي، وكل مؤلفاتهم مطبوعة.

ومن العلماء الذين عملوا على قمع هذه البدعة والردِّ على شيوخها بأسلوب مشرق ورد مفحم، **الشيخ المؤرخ الأديب راشد بن علي آل جريس** من علماء نجد في القرن الثالث عشر، وله في ذلك مؤلف جدير بالدراسة والتحقيق والتعليق عليه، عنوانه:

«صوارم البراهين،
المسلولة من أغماد أسرار الوحي المبين،
على رقاب شبهات الزائغين»

وهذه الرسالة الموجزة تضمنت قضايا منهجية عظيمة في العرض والاستدلال والرد، وهي رغم قلة عدد صفحاتها إلا أنها اشتملت على مسائل مهمة في العقيدة والتوحيد.

فعقدت العزم على تحقيق هذه الرسالة ودراستها.

وأحاطت همتي دوافع ملحة تحث على هذا التحقيق، منها:

١ ـ أهمية هذه الرسالة في بيان وتوضيح عقيدة السلف والمنهج الصحيح في الرد على مخالفيها.

٢ ـ أني لم أجد أحداً سبق إلى تحقيقها.

٣ ـ المشاركة في خدمة كتب التراث، عن طريق تحقيقها ودراستها وتسهيل عرضها للقرَّاء.

٤ ـ بروز الشيخ وتميزه في الرد على هذه الطائفة، وقد تميزت ردوده ـ رحمه الله ـ في هذه الرسالة بالقوة والعمق والشمول.

منهج التحقيق

١ ـ نسخ الرسالة المراد تحقيقها، مع الالتزام الدقيق بالنص عند تحريره، والعمل على إخراجه سالماً من التصحيف والتحريف، مع رسمه وفق قواعد الإملاء الحديثة، وضبط ما يحتاج إلى ضبط من النص.

٢ ـ ترقيم الآيات وعزوها إلى سورها.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كان في غيرهما تتبعت مظانه مع نقل كلام العلماء في الحكم عليه قبولاً وردًّا.

٤ ـ تخريج الآثار الواردة في الكتاب وتوثيق النقول بالرجوع إلى مصادرها ومظانها ما أمكن، مع ذكر كلام أهل العلم حيالها.

٥ ـ التعليق على المسائل المهمة والقضايا البارزة.

٦ ـ شرح الألفاظ الغريبة، والتعريف بالفرق، وعزو الشواهد الشعرية ونسبتها إلى قائلها، مع ذكر رواياتها الأخرى إن وجدت.

٧ ـ الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة ما عدا الخلفاء الأربعة الراشدين.

٨ ـ قدمت ترجمة وافية لمؤلف الرسالة الشيخ راشد بن جريس، استعرضت فيها حياته العلمية، وحياته العملية، وبعضاً من مصنفاته.

تقسيم العمل في تحقيق هذه الرسالة

سرت في تقسيم العمل في تحقيق هذه الرسالة على المنهج التالي:

القسم الأول: الدراسة:

(أ) ترجمة الشيخ راشد بن جريس:

وتتضمن ترجمة لمؤلف الرسالة من حيث:

- اسمه ونسبه.
- نشأته ورحلاته العلمية.
- أخلاقه ومناقبه.
- وفاته.

(ب) رسالة صوارم البراهين:

ويتضمن وصفاً للرسالة من حيث:

- وصف المخطوط.
- محتوى الرسالة.

القسم الثاني: التحقيق:

ويتضمن تحقيق النص، وتخريج نصوصه، وترجمة أعلامه، وتحرير مسائله.

❑❑❑

القسم الأول

الدراسة

(أ) ترجمة الشيخ راشد بن جريس

سأعرض في هذه الترجمة أبرز ما يتعلق بشخصية الشيخ ابن جريس ـ رحمه الله ـ.

*** اسمه ونسبه:**

هو الأديب البارع ونسَّابة نجد في زمنه الشيخ: راشد بن علي بن عبد الله بن محمد بن سليمان الحنبلي، من آل جريس من موالي آل راشد بالزلفي، ثم انتقلوا إلى بلدة رغبة، وجاوروا العرينات فيها من سبيع، ثم انتقلوا إلى ضرما، ثم إلى حوطة سدير، فولد هذا العالم في قرية نعام من حوطة سدير سنة ١٢٥٠هـ تقريباً[1].

*** نشأته ورحلاته العلمية:**

رباه والده أحسن تربية، ونشأ نشأة حسنة؛ فقرأ القرآن وجَوَّده على مقرىء، وشرع في طلب العلم بهمّة عالية ومثابرة؛ فقرأ على علماء سدير والوشم، ثم رحل إلى الدرعية للتزود والاستفادة، ثم الرياض،

---

(١) علماء نجد (١/ ٢٥٧)، روضة الناظرين (١/ ١٠٤).

ولازم علماءهما زمناً، ثم رحل إلى الزبير، فالكوفة، فالبصرة؛ للتزود، فلازم علماء الحنابلة.

وكان كثير المطالعة ومشغوفاً بكتب الأدب والتاريخ والحديث والتفسير، وقد كان معاصراً للسيد صديق حسن خان[1] ملك بهوبال وبينهما مراسلات ومكاتبات، وقد عكف على «تفسير صديق» وأولع به حتى كان يجعله أنيسه في الغربة.

ونزح من نجد فأقام في اسطنبول عاصمة تركيا آنذاك، بعد الفتن التي دارت بين أبناء الإمام فيصل، فعينه الترك في مجلس المعارف عضواً، ومن اسطنبول أخذ المؤلف يراسل السيد صديق خان بالهند، وأثنى كل منهما على صاحبه، وهذا يفهم من فحوى الرسائل التي دارت بينهما، ثم أجازه بمروياته كتابياً.

وفي سنة ١٢٩٧هـ أدَّى فريضة الحج، وبعد الحج زار المدينة المنوَّرة ثم بيت المقدس، ثم واصل سفره إلى الآستانة، وسكن قسطنطين، وهمَّ بالسفر إلى الهند للقاء السيد صديق بهوبال، ولكن الظروف حالت دون السفر إليها[2].

---

(١) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني النجاري القنوجي، ولد ونشأ في قنوج بالهند، وتعلم في دلهي، وسافر إلى بهوبال، ففاز بثروة وافرة، وتوفي في رجب (١٣٠٧هـ). من تصانيفه الكثيرة: «أبجد العلوم»، «فتح البيان في مقاصد القرآن في التفسير» في عشرة أجزاء.
انظر: حلية البشر (٢/ ٧٣٨)، الأعلام (٦/ ١٦٧)، معجم المؤلفين (٣/ ٣٥٨).

(٢) علماء نجد (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، روضة الناظرين (١/ ١٠٤).

* **أخلاقه ومناقبه:**

يقول السيد صديق خان عنه بعد ثناء عطر: «ولقد ظهر لي أنه ذو علم نافع وفهم لامع وفضل ساطع، يقتدي بالسُّنَّة الصحيحة والقرآن.. تلوح من كتبه أنوار الفضيلة والاستقامة، وأنه من أهل المجد والكرامة.. حيث لا يخاف في الله لومة لائم.

ومن صفاته أيضاً أنه عالم ناقد متتبع، ذو يد طولى في علم القرآن والحديث، مقتدٍ بالسلف الصالح في كل أمر قديم وحديث»(١).

كما أنه يتميز بروح المحبة والإخاء بينه وبين شيوخه وتلاميذه؛ يدل على ذلك رسالته إلى شيخه ابن عيسى وهذا نصها:

«أهدي أشرف التسليمات وأفضل التحيات إلى حضرة شيخنا المكرَّم وقدوتنا الأفخم: الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى المحترم سلمه الله وأبقاه البقاء الجميل، وكان الله له حافظاً وكفيلاً، آمين.

أما بعد: فالباعث إلى تحرير ورقة الشفقة أولاً السؤال عن تلك الذات الطَّاهرة المحفوفة بمكارم الأخلاق الزَّاهرة، والمزايا الباهرة. ثُمَّ إن محبكم لم يزل يزداد قلقهُ ويتواصل أرقه لذكراكم، ويعلل نفسه بالأماني المبشرات أنه يراكم.

هذا، وقد زادنا القلق كدراً عما سمعنا أن بمكة المكرَّمة اختلال صحة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، أستودعه دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، وأستودعه حياتك. اللَّهم يا حيُّ يا قيّوم إني أستودعك... وحافظ

---

(١) التاج المكلل (ص٥٢٢).

ملّتنا، فمتعنا ببقائه فينا يا أرحم الراحمين، وارفع البلاء والوباء عن جميع المسلمين.

أخي وقرة عيني: بشِّرني بسلامتكم وارتفاع ما نزل بكم، منّوا علينا بإرسال الجواب لو مع الأحلام أو الأطيار، بشِّرونا بالسلامة. لا زلتم في حفظ رب العالمين وجميع المسلمين، ولا تجدد عندنا إلا الخير، وقد أرسلنا لكم قبل هذا جواباً أوان مشتملاً على بعض الإيثارات ولا بد ينتج بعضها بالخير إن شاء الله.

وسلّموا لنا على الأخ الشيخ مبارك البسام، وأرسلنا له قبل هذا جواباً ولا جاءنا جوابه، الله يجعل المانع خيراً.

وواصلك خطيط[1] لوالدتنا في نعام من غير أمر عليك تتفضلون بإرساله مع حُجَّاج الحريق والحوطة وأنتم مثابين إن شاء الله تعالى.

ومن لدينا حضرة الشريف عون باشا، وعبد الله الثنيان، وكافة الإخوان يسلِّمون عليكم، ولكم إخوان في قسطنطينية يسلِّمون عليكم، إذا ذكرناكم لهم انشرحت صدورهم حُبًّا في الله، والشريف الحيدري متوجه إليكم بالسلامة، الله يبلغه سالماً بحفظ الله ورعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.

المحب الداعي لكم بظهر الغيب

راشد بن علي بن جريس

٢٥ ذو القعدة سنة ١٢٩٨هـ»[2]

---

(١) تصغير «خط»، والمقصود به في ذاك العصر في نجد هو: الرسالة.

(٢) أصل هذه الرسالة محفوظ في مكتبة محمد بن ناصر العَجْمي في الكويت.

*** مؤلفاته:**

وكان رحمه الله واسع الاطلاع، خصوصاً في الأدب والتاريخ والأنساب، فهو المرجع لأهل نجد، وله مؤلفات مخطوطة عند أحفاده(١).

ومؤلفات الشيخ محدودة لكنها عظيمة الفائدة، منها:

ـ كتاب «مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد»، وله عدة طبعات، الطبعة الأولى تحقيق عبد الواحد محمد راغب. والطبعة الثانية تحقيق: محمد بن عمر العقيلي (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري).

ـ كتاب «بهجة المحاضر وسرور الناظر فيما منَّ الله به على أهل نجد من الشرف والمكارم والمفاخر على يد شيخ الإسلام التقي الأوَّاب محمد بن عبد الوهاب». مخطوط.

ـ كتاب «صوارم البراهين المسلولة من أغماد أسرار الوحي المبين على رقاب شبهات القدرية الزائغين»، وهو الذي بين يديك.

*** وفاته:**

مرض شهراً، وانتقل إلى جوار ربه سنة (١٣٠٣هـ)، تقريباً(٢). في اسطنبول(٣).

---

(١) روضة الناظرين (١/ ١٠٥).

(٢) روضة الناظرين (١/ ١٠٥).

(٣) وللاستزادة في ترجمته انظر: حلية البشر (٢/ ٦٢٦)، والنعت الأكمل (ص٣٢٥)، والأعلام (٣/ ١٢)، وعلماء الحنابلة (ص٤٣٩)، ومعجم المؤلفين (١/ ٧١٠)، وتسهيل السابلة (٣/ ١٦٣٤).

(ب) رسالة «صوارم البراهين»

١ ـ وصف المخطوط:

من مؤلفات ابن جريس ـ رحمه الله ـ التي لا تزال مخطوطة كتاب: «بهجة الحاضر وسرور الناظر فيما منَّ الله به على أهل نجد من الشرف والمكارم والمفاخر على يد شيخ الإسلام التقي الأواب شيخنا محمد بن عبد الوهاب».

وفي آخر هذا الكتاب توجد رسالة المؤلف، وقد ورد اسم المؤلف وعنوان الكتاب في ثنايا مخطوط الرسالة، حيث جاء في أولها، بعد الحمد والثناء قوله: «فيقول الفقير إلى الله راشد بن علي بن جريس الحنبلي غفر الله زلات المسلمين وزلاته...».

ثم قال: «فعنَّ لي أن أكتب رسالة مختصرة... وسميتها بـ«صوارم البراهين المسلولة من أغماد أسرار الوحي المبين على رقاب شبهات القدرية الزائغين»، ألفتها نصرة لله...».

***وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على النسخة الموجودة في** مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت، الجابرية، بالرقم العام (٢/ ١٤) (٢)، وهي نسخة كاملة وتقع في (٣) لوحات، وكل لوح من هذه الألواح وجهان، مسطّر كل وجه (٢٦) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (١٨) كلمة، مقاس: (٣١×٢٠سم)، وترك له هامش بعرض (٣سم).

وتاريخ الخط أواخر القرن الثالث عشر تقريباً. ولم يذكر في التصنيف العام اسم ناسخها. وقد كُتِبت بخط النسخ الجميل الواضح، وحالتها جيدة.

٢ ـ محتوى الرسالة وأهميتها:

كتبت هذه الرسالة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري تقريباً، حين كان الشيخ قاصداً مكة لأداء فريضة الحج وذلك عام ١٢٩٦هـ، وقد أشار الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقدمة تحقيقه لكتاب «مثير الوجد في أنساب ملوك نجد» إلى هذه الرسالة، وأنها من مؤلفات ابن جريس، وتقع بآخر كتاب «بهجة المحاضر»، وأفاد أنه لم يرد ذكرها عند من ترجم لابن جريس؛ حيث ذيل مقدمته بقوله: «ولم يذكر هذين الكتابين أحدٌ ممن كتب عن ابن جريس».

وتأتي أهمية هذه الرسالة في كونها ردًّا من المؤلف على رسالة أحد المبتدعة.

وهي رسالة صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة، حشد لها المؤلف كثيراً من الأدلة والبراهين في الرد على ذلك المبتدع.

وقد احتوت هذه الرسالة على مسائل علمية جليلة، كان الناس بأمس الحاجة إلى بيانها؛ نتيجة انتشار أقوال القدرية، وتأثر الناس بآرائهم.

ومن هنا تبرز أهمية هذه الرسالة حيث تضمنت الكشف عن مذهب القدرية، وتصويره على حقيقته؛ ليحذره عامة الناس.

وقد بيَّن الشيخ ابن جريس ـ رحمه الله ـ في ثنايا الرسالة بعض الأسباب التي دعته إلى كتابتها وهي:

١ ـ لتوضيح منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

٢ ـ للرد على أهل البدع والضلال من القدرية والجبرية.

٣ ـ نصرة لدين الله وقياماً بواجب البلاغ.

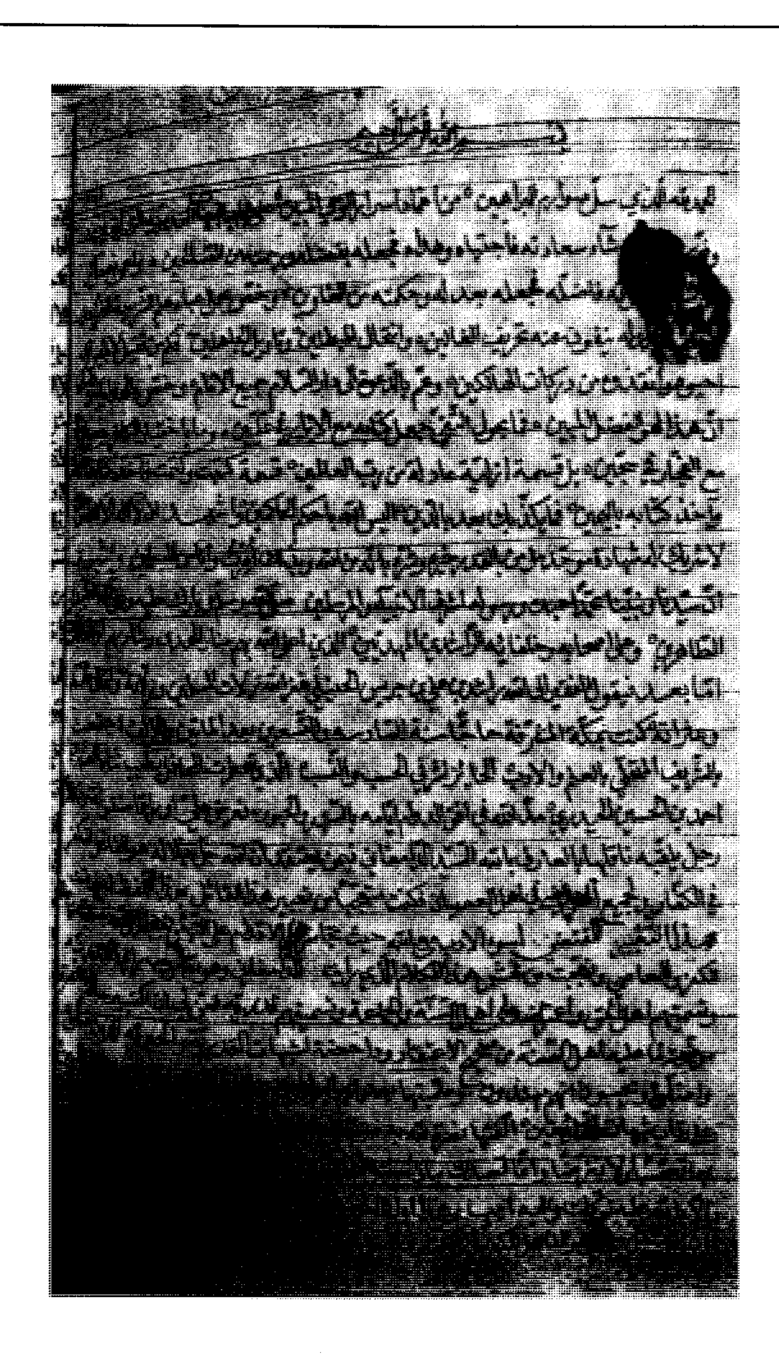
٤ ـ بيان سبيل النجاة وبيان سبيل الهلاك.

وأما منهج الشيخ في هذه الرسالة: فقد عالج ـ رحمه الله ـ مسائل شائكة اختلف فيها الناس، وحارت منها عقولهم، فبين القول الفصل في شأنها، معززاً رأيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال السلف الصالح، وقد حرص الشيخ على الانتصار لعقيدة السلف، والذب عنها، وإبراز الحقائق الشرعية نقية خالصة عن كل ما علق بها من شوائب.

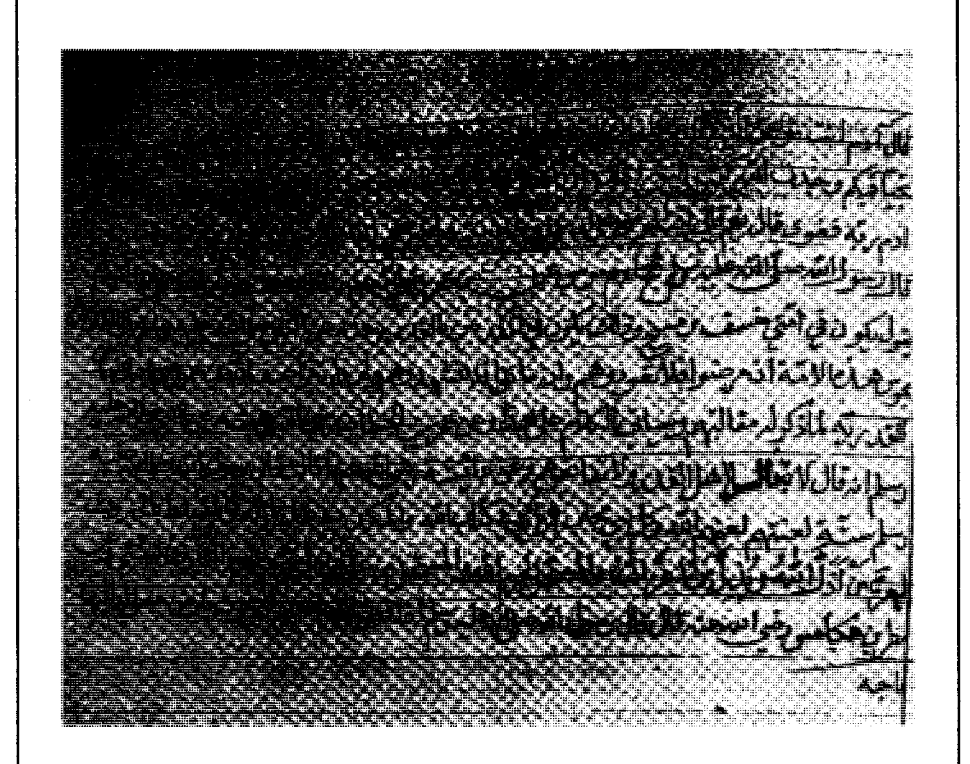
وأسلوب المؤلف في هذه الرسالة يعتمد على تحليل القضية، وتأصيل المسألة، مع كثرة الاستشهاد والاستدلال، وعرضها بكل ما أوتي من قوة ووضوح وبيان، دون اللجوء إلى أسلوب الشتم والسب، ويمتاز تحليله للمسائل بأنه دقيق ينبىء عن براعة فائقة، ونقد بنَّاء موزون بميزان الحق.

وفيما يلي الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط:





الصفحة الأولى من المخطوط



الصفحة الأخيرة من المخطوط

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٨)

صوارم البراهين

المسلولة من أغماد أسرار الوحي المبين على رقاب شبهات الزائفين

للشيخ المؤرّخ
راشد بن عليّ الجريسيّ النجديّ

تحقيق وتعليق
الدكتورة فوزية بنت عبد العزيز الشائع



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي سلَّ صوارم البراهين، من أغماد أسرار الوحي المبين على رقاب شبهات القدريَّة[1] الزائغين، ونوَّر [جباه] من شاء سعادته فاجتباه وهداه فجعله بفضله ورحمته من الصالحين، وأعمى بصائر من شاء شقوته فأضلّه فجعله بعدله وحكمته من الغاوين، وخصّ بحمل أعباء علم الشريعة الغرَّاء من الخلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وأنقذوه من دركات الهالكين، وعمّ بالدّعوة إلى دار السلام جميع الأنام، وخصّ بالهداية من شاء، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، فما بحول التقي جعل كتابه مع الأبرار في علِّيِّين، وما باختيار الكافر جعل كتابه مع الفجّار في سجِّين؛ بل قسمة أزلية عادلة من

---

(١) القدرية: هم القائلون بأن العبد يحدث فعل نفسه، وأن أفعال العباد مقدورة لهم على جهة الاستقلال، وكان متقدموهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وهم الذين كفرهم السلف، ومن أوائلهم معبد الجهني، ومتأخروهم يثبتون العلم وينازعون في مرتبة الخلق. ومن أشهر فرقهم المعتزلة.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٩٨)، الملل والنحل (١/٥٦)، البرهان (ص٥٠).

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

ربِّ العالمين، قسمة كتبت وكتمت فآخذ كتابه بشماله وآخذ كتابه باليمين، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موحِّد مؤمن بالقدر خيره وشرِّه بأنَّه من الله، ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وأشهد أنَّ سيِّدنا ونبيَّنا محمّداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء والمرسلين، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى أصحابه وخلفائه الراشدين المهْدِيِّين، الذين أعلى الله بهم منار الهدى وشاد بهم أركان الدين.

أمّا بعد..

فيقول الفقير إلى الله، راشد بن علي بن جريس الحنبلي، غفر الله زلات المسلمين وزلاته، وأقال عثراتهم وعثراته:

كنت بمكة المشرَّفة حاجًّا سنة السادسة والتسعين بعد المائتين والألف، اجتمعت بالشريف المتحلِّي بالعلم والأدب، الحائز لشرفي الحسب والنسب، الذي تعطَّرت المحافل بطيب ثناه العنبري: أحمد بن الحسين الحيدري[3]، مدَّ الله في أفق الدوام أيَّامه بالسرور والحبور، فعرض عليَّ أوراقاً منقولة من كلام رجل يلقِّبه ناقلها بالعارف بالله السيِّد الدامغاني[4]، فيمن يعتقد أن الله جلّ جلاله هو الفاعل للكفر في الكفّار ولجميع المعاصي في أهل العصيان.

---

(١) سورة التين: الآيتان ٧ ـ ٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٣.

(٣) لم أقف على ترجمة علم بهذا الاسم، ولعله لم يكن علماً بارزاً.

(٤) لم أقف على ترجمته.

فكنت متعجِّباً من تعبير هذا القائل بهذا اللفظ، فعارضت هذا التعبير المقتضي لسوء الأدب مع الله؛ حيث تجاسر على الإقدام على التهاون بجلال الله بتسميته فاعلاً للكفر وللمعاصي!! وتعجَّبت من فحش هذا الكلام الذي رأيت للدامغاني، وهو تصويب رأي القدريَّة، وتسميتهم أهل الحق، واعتراضه على أهل السُّنَّة والجماعة وتسميتهم قدريَّة!

فعنَّ لي أن أكتب رسالة مختصرة موضِّحة لما عليه أهل السُّنَّة من صحيح الاعتقاد، داحضة لشبهات القدريَّة والجبريَّة[1]، الذين ضلُّوا وأضلُّوا، ويحسبون أنهم مهتدون، وسميتها بـ:

«صوارم البراهين،
المسلولة من أغماد أسرار الوحي المبين،
على رقاب شبهات الزائغين»

أَلَّفتها نصرة لله به مستعيناً؛ جعلها الله خالصةً لوجهه الكريم، ولم أقصد بها تعصُّباً ولا تغرُّضاً، وإنَّما قصدت بيان سبيل النجاة وبيان سبيل الهلاك، والخيرَ أردت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) الجبرية: من الجبر، وهو نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف، فمنهم من لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة أصلاً، ومنهم من يثبت له قدرة غير مؤثرة أصلاً، ومن أشهر فرقهم الجهمية.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفرق (ص٢١١)، الملل والنحل (١/ ٩٧).

وهذا أول الشروع في المعارضة، فأقول:

أما قوله[1]: أما قول من قال: «إن الله جلّ جلاله هو الفاعل للكفر في الكفّار ولجميع المعاصي في أهل العصيان».

فالتعبير بهذا اللفظ من سوء الأدب مع الله تعالى، فلو قال هذا القائل: إنَّ الله هو الخالق للكفر في الكفَّار، ولجميع المعاصي في أهل العصيان؛ لكان أولى وأصوب؛ لأنَّ الله تعالى يسمَّى خالقاً للكفر ولا يسمَّى فاعلاً له[2].

فإسناد فعل الكفر إلى المخلوق، وخلق الكفر يُسند إلى الله تعالى؛ لأنَّه تعالى جدُّه وتقدَّس اسمه تفرَّد بالخلق؛ فلا يسمّى خالقاً إلا هو[3]؛ قال عزّ شأنه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[4]، ولم يقل: ألا له الكفر والأمر، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[5]، ولم يقل: فعلناه، وسيأتي الكلام

---

(١) كذا في أول المخطوط، وفيها تكرار مع الآتي، ولا حاجة لها.

(٢) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (يمتنع إطلاق إرادة الشر عليه وفعله، نفياً وإثباتاً، لما في إطلاق لفظ الإرادة والفعل من إيهام المعنى الباطل، ونفي المعنى الصحيح. . . فإن أفعاله خير كلها، وعدل ومصلحة وحكمة، لا شر فيها بوجه من الوجوه، وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام، وهذا إنما يتحقق على قول أهل السُّنَّة: إن الفعل غير المفعول، والخلق غير المخلوق، كما هو الموافق للعقول، والفطر، واللغة، ودلالة القرآن، والحديث، وإجماع أهل السُّنَّة). انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٢/ ٢٦٠).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: «والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم» انظر: المحاضرات السنيَّة في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٦٢٥).

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٥) سورة القمر: الآية ٤٩.

على تفسير هذه الآية في محلِّه إن شاء الله تعالى.

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «**القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من آدابه...**»[1] الحديث.

فقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى بالتأدُّب معه إذا تكلَّمنا كيف نقول في مثل هذا التعبير.

وكذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[2]. فالخالق للخير والشرِّ هو الله تعالى، وإذا كفر به أحد من عباده فهو بتقدير الله لا بأمره؛ لأنه لم يأمر أحداً بالكفر، وإنَّما أمر العباد بالإيمان والانقياد لأوامره، والانزجار عن معاصيه، ونهاهم عن الاعتراض عليه في خلقه فقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾[5]. وهذه الآية توجب التأدب مع الله، فلا يحل لأحد أن يخترع له اسماً ما أنزل الله به من سلطان[6]، ولا ينسب إليه لفظةُ كافرٍ أو عاصٍ، وإنما تنسب هذه اللفظة

---

(١) رواه الدارمي في فضائل القرآن (٢/ ٣١٠/ رقم ٣٣١٨).

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٠.

(٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٦) قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته، وكل اسم من أسمائه فهو يشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق =

إلى المخلوق، إذا فعل الكفر سمِّي كافراً، وإذا ارتكب المعاصي سمِّي عاصياً، ويسند إلى المخلوق بهذا التعبير.

وأما الباري عزَّ وجلَّ فيسمَّى خالقاً لهذه الأعمال، وإن كان يبغضها؛ فهي خلقه وبقدَره، فلا تخرج عن ديوان العبودية، كالكافر إذا كفر؛ فهو عبدٌ لله، والله هو خالقه، ولا يخرج عن ديوان العبودية؛ لأنَّ الله تعالى خاطب العباد ـ مسلمهم وكافرهم ـ فقال: «**يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**»[1]، وقال: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[2]. ولا ينافي الحديث عنه ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم...**» إلى آخر الحديث[3]. فسمَّاه ﷺ عبداً للدينار والدرهم؛ لمَّا كان مؤْثِراً له على طاعة الله، ولا يخرج بتسميته له بهذا الاسم عن ديوان العبودية لله؛ لأن عبوديته للدينار والدرهم عبودية مجازية، وعبوديته لله هي العبودية الحقيقية.

فتنبَّه لهذه الأسرار العظيمة، لعل الله أن ينجيك من دركات

= المنفصل يسمَّى متكوناً ومتحركاً وساكناً وطويلاً، وأبيضاً وغير ذلك؛ لأنه خالق هذه الصفات».

انظر: شفاء العليل (٢/ ٢٦٢).

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم رقم (٢٥٧٧).

(٢) سورة الزمر: الآية ١٦.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله رقم (٢٧٩٤)، وكتاب الرقاق، باب: ما تبقى من فتنة المال رقم (٦٢٠٧)، وتمام الحديث: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعطَ لم يرضَ».

الهالكين، فلا يقال لله كافراً لمَّا خلق الكفر، ولكن يقال خالقاً، ويطلق اسم الكافر على المخلوق إذا فعل الكفر الموجب لإطلاق هذا الاسم عليه، ولا يطلق على الله إلا اسم الخالق، كما سمى نفسه بهذا الاسم، ولا يقال لخالق الكفر كافراً، ولا عاصياً، هذا هو عين التأدُّب مع الله وتنزيهه عن إطلاق ما لا يليق بجلاله عليه، فمن اعتقد أن خالق الكفر كافراً أو عاصياً[1] فقد أثبت رباً غير الله يعصى ويكفر به! فإذا سمَّيت الله كافراً وعاصياً، فمن هذا الرب الذي كفر الله به وعصاه؟ تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيراً:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2].

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4].

* * *

---

(١) كذا في المخطوط، ولعل الصواب: كافرٌ أو عاصٍ.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة الحديد: الآية ٣.

(٤) سورة الحشر: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.

قوله: «وذلك منهم تنزيه عن أن يقع في ملكه شيء بغير فعله؛ لأن ذلك يقضي عجزه ونحو ذلك».

أقول: ليست هذه المقالة قول القدرية؛ لأنهم لا يعتقدون أن الله خالق الخير والشر، ولم يؤمنوا بالقدر خيره وشره؛ لأن الإيمان بالقدر خيره وشره بحلوه ومره هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، بل هو اعتقاد جبريل ومحمد صلَّى الله عليهما وسلَّم، وهو اعتقاد أشرف القرون أصحاب النبي ﷺ، وسنذكر ذلك عنهم مفصلاً في الكلام على حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فيا سبحان الله! كيف تجاسر هذا القائل على نسبة اعتقاد القدرية إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وكيف أقدم على تسمية اعتقاد أصحاب النبي ﷺ اعتقاد القدرية، ونسبهم إلى الضلال والغواية؛ وجدَّ واجتهدَ في الاستشهاد على قوله الباطل بوجوه اخترعها من نفسه، ما أنزل الله بها من سلطان، ويستدل بآيات من القرآن ويفسرها برأيه ويوجه معانيها كما يروم من أطفأ نور الله ـ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[1] ـ، ويقول فيمن اعتقد أن الخير والشر كله من الله: هذه خراريف وباطل!!

وأقول: إن الله ـ جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه ـ هو خالق الخلق ومالكهم، فهم عبيده ومِلكه؛ يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يجري فيهم مثقال ذرة من خير وشر إلا بقضائه وقدره؛ فمن فعل من العباد شيئاً من الأعمال الذميمة سُمِّي بها، والخالق والمقدِّر لذلك هو الله تعالى، أجراه بقضائه على يد هذا المخلوق المقدور.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

فإن أنكرت ذلك فأين أنت من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]؟ ولم يقل: أنا أخلق كذا وهو فعلي، وأنتم تخلقون كذا وهو فعلكم، بل تفرَّد تعالى بالخلق؛ فهو خالق الخير والشر، فإذا قضى على أحد من خلقه بفعل شيء يبغضه الله تعالى كالكفر فما دونه من المعاصي أضافه إلى فاعله من الخلق، فكل شيء يبغضه الله لا يقال لله: فاعله، ولكن يقال: خالقه ومقدِّره.

وأما إذا قلت: إن الله تفرَّد بخلق الخير وتبرَّأ من خلق الشر، فأسندت الشر إلى العبد، كما أسندت الخير إلى الرب، فقد أثبتَّ لله شريكاً في خلقه يخلق الشر[2]، وبهذا سمِّيت فرقة القدرية: «مجوس هذه الأمة»[3]؛ ....

---

(١) سورة الصافات: الآية ٩٦.

(٢) تبارك الله وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً، وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وأفعاله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله.
انظر: شفاء العليل (٢/ ٦٤).

(٣) سموا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم نفوا القدر عن الله تعالى، وأثبتوه لأنفسهم، ونفوا عنه خلق أفعالهم، وأثبتوه لأنفسهم؛ فهم يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى الإنسان والشيطان، والله سبحانه وتعالى خالقهما معاً، لا يكون شيء إلا بمشيئته، فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، وأن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة.
انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص١١٧)، والنهاية لابن الأثير (٤/ ٢٩٩).

لأن المجوس[1] يقولون بـ: إله الظلمة وإله النور، فإله النور عندهم خالق الخير، وإله الظلمة خالق الشر!

ولقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة فيها من يأخذ مآخذ الأمم الماضية فقال: «**لتتَّبعنَّ سَنن من كان قبلكم حذو القذَّة بالقذَّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»[2]، فوقع كما أخبر ﷺ في كثير من هذه الأمَّة انتحال مذاهب الملاحدة الأوائل من الفلاسفة[3]، والمجوس.

فالقدرية انتحلوا مذهب المجوس؛ فجعلوا خالقاً للخير وأسندوه إلى الله، وجعلوا خالقاً للشر وهو العبد، واستظهروا على الله،

---

(١) المجوس: هم أصحاب الملّة المجوسية، الذي أثبتوا أصلين مدبرين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر، أحدهما: النور، والآخر الظلمة، وهم عدة طوائف: الكيومرثية، والزروانية، والزردشتية.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٦)، والبرهان (ص٩٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، باب: قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٧٠٤٨)، وفي الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٣٤٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٦٦٩)، ولفظه عندهما: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

(٣) الفلاسفة: الفلسفة باليونانية: محبة الحكمة، والفيلسوف مركب من مقطعين (فيلا) و(سوفا)، وفيلا: هو المحب، وسوفا: الحكمة، والحكمة عندهم قولية وفعلية، ومنهم حكماء الهند والروم واليونان، وهم على ثلاثة أقسام: الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون.
انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٦٩)، والمنقذ من الضلال (١٣ـ ١٦).

وقد أكذبهم بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

فإذا كان الكفر يسمَّى شيئاً فهو مخلوق، وخالقه هو الله، فمن أنكر ذلك وقال: إنَّ الكفر والعصيان خارجان عن ذلك الشيء الذي ذكره الله في قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ فقد نسب لله شريكاً يخلق كما يخلق الله، والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

فأسماء القبائح تطلق على فاعليها من المخلوقين، لا على خالقها ومقدِّرها، فافهم ذلك وتنبه له؛ فإنه بحث عظيم هلك فيه فئام من الناس؛ فطائفة قالوا بإثبات خلق العبد لأفعاله الكفرية، وإيجاده إياها، وهؤلاء هم القدرية، وطائفة قالوا بأن الله خالق الكفر في العبد وهو الذي جبله عليه، فليس على العبد حرج إذا كفر بالله؛ لأنه مجبول على ذلك وهؤلاء هم الجبرية[4]، ويسندون أفعال العباد ـ كالكفر فما دونه من المعاصي ـ إلى الله، ويحتجون بالقضاء والقدر، فهؤلاء عارضوا أمر الله

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢.

(٢) سورة القمر: الآية ٤٩.

(٣) سورة الصافات: الآية ٩٦.

(٤) يقول شيخ الإسلام في الواسطية: «وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة والله خالقهم، وخالق قدرتهم، وإرادتهم». قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية: (وفي هذا رد على الجبرية والقدرية: «وللعباد قدرة وإرادة» خلافاً للجبرية، «والله خالقهم وخالق إرادتهم وقدرتهم» خلافاً للقدرية).

انظر: المحاضرات السنيَّة في شرح الواسطية (٢/٦٢٨).

بقدره، ويقولون: كيف يقدّر الله على العبد ذنباً ثم يعذبه عليه؟![1].

وهذا طعن منهم على الشريعة الغرَّاء المطهرة.

فهذه[2] الفرقتان، انتدب هذا القائل لنصر إحديهما، وهي فرقة القدرية القائلين بما تقدَّم في صدر هذه الرسالة، ولم يعلم هذا الجاهل[3] أنه قدري بقوله الذي ذكره الناقل لتلك الأوراق عنه، ومع هذا يشنِّع على القدرية وهو منهم!!

ولله در القائل حيث قال:

يا أيُّها الرَّجل المعلِّم غيره ... هلَّا كان لنفسك[4] ذا التعليمُ

ابدأ بنفسك فانْهها عن غَيِّها ... فإذا انتهيت[5] عنه فأنت حكيمُ

تنهى[6] عن خُلقٍ وتأتيَ مثلَه ... عار عليك إذا فعلت عظيمُ[7]

وأعجب من هذا أنه جعل النبيَّ ﷺ وأمراء المؤمنين أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ قدريَّة، وهم بريئون

---

(١) إن الاحتجاج بالقدر إنما يرد على من لا يقر للإنسان بإرادة ولا قدرة، كالجهمية والأشاعرة، أما على مذهب أهل السنَّة الحقيقي فلا يرد؛ لأنهم يقولون: إن الإنسان مريد وفاعل حقيقة وله قدرة يقع بها الفعل.

(٢) كذا في المخطوط، والصواب: «فهاتان».

(٣) أي الدامغاني.

(٤) كذا في المخطوط، وفي المشهور: «هلَّا لنفسك كان...».

(٥) كذا في المخطوط، والصواب: «انتهت».

(٦) كذا في المخطوط، والصواب: «لا تنهَ».

(٧) تنسب هذه الأبيات للمتوكل بن عبد الله الليثي.
انظر: العقد الفريد، لابن عبد ربه (١/ ١٩٠).

مما يقول، ويذكر أن الأمَّة أَجمعت على قوله بإسناد الشر إلى العبد، وإسناد الخير إلى الله!! وقد أكذبه الله، وأكذبه رسول الله ﷺ، وأصحابه [رضي الله عنهم]، وسنذكر قولهم إن شاء الله تعالى بعد هذا.

ثم إنه تارةً يستدلُّ بآيات من القرآن العظيم لم يفهم معناها، ولم يعلم أنها تُردّ مقالته وتدحض حجته، ومع ذلك لم يعرف جهله!

ولقد أحسن من قال في هذا المعنى:

ومن العجب أنك لا تدري ... ولا تدري بأنك لا تدري[1]

ولله درُّ القائل في ذم الجهل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسادهم قبل القبور قبورُ

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشورُ[2]

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»[3].

---

(١) لم أقف عليه، وقد نُسب في الموسوعة الشعرية للخليل الفراهيدي.

(٢) هذا الشعر منسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. انظر: ديوان الإمام علي (ص٨٧)، وهو من بحر الطويل. أما الشطر الأول من البيت الثاني فهو في جميع نسخ الديوان: (وإن امرءًا لم يَحْيى بالعلم ميت). أما الرواية التي ذكرها ابن جريس لهذا الشطر (وأرواحهم في وحشة من جسومهم) فقد أوردها ابن القيم أثناء استشهاده بهذا الشعر.
انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٣٤)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٤٨).

(٣) لم يذكره بهذا اللفظ إلا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١)، (١٥/ ٥٤)، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ٣٩٨)، (٤/ ٥٩٠). =

وقال ﷺ: **«أخوف ما أخاف على أمتي من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل»**[1].

وهذا؛ لأن العالم الفاجر يحمل الناس على فجوره؛ فيقلِّده الناس في ارتكاب الفجور، والعابد الجاهل يفتن الناس بجهله؛ فيقتدي به كل جاهل فيَضِلَّ ويُضِلَّ.

وها هنا نكتة ذكرها ابن خَلِّكان[2] في «تاريخه» صدرت على أناس بسبب جهلهم، وهي: أن جماعة من متعلمي علم الطب تعاهدوا أن لا يذكر لهم أستاذهم دواءً إلَّا جرَّبوه ليختبروا صدق الأستاذ؛ فذكر لهم الأستاذ يوماً حبَّ البنج[3] أنه يجنِّن من أَكَلَه ويخْتِل عقله، فقالوا: لا نصدِّقه حتى نجرِّبه؛ فعملوا منه خبيصاً[4] فأكلوه، فاختلت عقولهم،

= وقد وقفت على أثر بمعناه، وهو ما رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٦٩/ رقم ٧٥٢٦) عن المستظل بن حصين قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «قد علمت ورب الكعبة متى يهلك العرب ـ مراراً يقولهن ـ: حين يسوس أمورهم من لم يصحب الرسول ﷺ ولم يعالج أمر الجاهلية».

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلِّكان البرمكي، المؤرخ الحجة، صاحب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً، ومن أبدع المصنفات، ولد سنة (٦٠٨هـ) وسافر إلى دمشق وأقام بها، نبغ في الأحكام والفقه وأصول الدين.
انظر: البداية والنهاية (١٧/ ٥٨٨)، شذرات الذهب (٧/ ٦٤٨).

(٣) البنج: ضرب من النباتات، يُقوى به النبيذ.
انظر لسان العرب، مادة (بنج).

(٤) خبيصاً: الخبيص هو الحلوى المخبوصة، وخبص الحلوى أي: خلطها وعملها.
انظر: لسان العرب، مادة: (خبص).

وغاب رشدهم، فألقوا ثيابهم، وتجرَّدوا منها، وقاموا عراة، فهاموا في الأرض، وخرجوا من البلد إلى البرِّية كالمجانين يتضاحكون ليس على عوراتهم ما يسترها، فلما أتى أستاذهم فقدهم من المدرسة يومين، فلما كان اليوم الثالث أتى واحد منهم إلى المدرسة وهو عريان، فجلس إلى أستاذه والناس يضحكون منه، وهو يقول: ألا تعقلون؟ فسأله الأستاذ عن أصحابه، فقال: إنهم جنوا، وأنا عقلت، فكان عاقلهم يمشي عريان، ويزعم أنه قد عقل، وأنهم إلى الآن مجانين!

فهذا باعتقاده مع القدرية كهذا المجنون مع أصحابه.

فصل:

في تحريم القول بالرأي في القرآن

اعلم أن تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام، كما رواه الإمام محمد بن جرير[1] ـ رحمه الله تعالى ـ، حيث قال: حدثنا محمد بن بشار[2]، حدثني يحيى بن سعيد[3]،

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام الحافظ، المقرىء، المفسر، الفقيه، الأصولي، المجتهد، من مصنفاته «جامع البيان في تأويل آي القرآن»، و«تاريخ الأمم والملوك»، توفي سنة (٣١٠هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، معجم المؤلفين (٩/ ١٤٧).

(٢) محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري، أبو بكر، ثقة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وله بضع وثمانون سنة.
انظر: تقريب التهذيب، رقم الترجمة (٦٤٥٥).

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي، أبو سعيد القطان البصري. ثقة متقن حافظ، إمام قدوة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٥٨١١).

حدثنا سفيان[1]، حدثني عبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي[2]، عن سعيد بن جبير[3]، عن ابن عباس[4] ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ﷺ قال: «**من قال في القرآن برأيه[5] فليتبوأ مقعده من النار**»[6].

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة، مات سنة إحدى وستين ومائة وله أربع وستون.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٢٦٩٤)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٠٣).

(٢) عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، أكثر العلماء على تضعيفه، وأنه ليس بقوي، وروى عنه سعيد بن جبير وعنه أبو عوانه.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٤١٥٢)، وتهذيب التهذيب (٦/ ٩٤).

(٣) سعيد بن جبير بن هاشم الأسدي الوابلي مولاهم، الفقيه البكاء والعالم الدعاء، ثقة، إمام حجة على المسلمين، من الطبقة الثانية، توفي سنة ٩٥هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٥٦)، تهذيب الكمال (١/ ٣٥٨).

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، ويسمى بحبر الأمة، كان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والفرائض والمغازي، توفي سنة ٦٨هـ بالطائف.
انظر: أسد الغابة (٣/ ٢٩٢)، الإصابة (٢/ ٣٣٠).

(٥) في هامش المخطوط: «أو بما لا يعلم» وصححه.

(٦) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم ٢٩٥٠، قال الترمذي حديث حسن.
ولكن الألباني ضعفه، وبيَّن أسباب الضعف من وجوه عدة.
انظر: ضعيف سنن الترمذي رقم (٥٦٩)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (١٧٨٣). ولم يروه أبو داود والنسائي بهذا اللفظ، بل بلفظ آخر سيأتي فيما بعد.

وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري.

ورواه أبو داود، عن مسدد[1]، عن أبي عوانة[2] عن عبد الأعلى به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن[3].

وقد رواه ابن جرير أيضاً من وجه آخر: أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ**»[4].

وفي لفظ غير هذا أنه قال: «**من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[5]؛ أي لأنه تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأتِ الأمر من بابه؛ كمن حكم بين الناس بجهل؛ فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ، والله أعلم.

---

(١) مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد الأسدي، البصري، أبو الحسن، ثقة، حافظ، يقال: إنه أول من صنف المسند بالبصرة، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٧٤٣٦).

(٢) أبو عوانة: وضاح بن عبد الله اليشكري، الواسطي، مشهور بكنيته (أبو عوانة)، ثقة، ثبت من السابعة، مات سنة خمس أو ست وسبعين ومائة.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٨٣٤١).

(٣) انظر: سنن الترمذي رقم الحديث (٣١٣٥).

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (١/ رقم ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥).

(٥) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم، رقم (٣٦٢٥)، ورواه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه رقم (٣١٣٦) بلفظ «من قال في القرآن برأيه...»، وقد حكم العلماء بضعفه.
انظر: ضعيف الترمذي (٥٧١)، وضعيف سنن أبي داود (٧٨٩).

ولهذا تحرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة[1] عن سليمان عن عبد الله بن مرة[2] قال: قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: «**أيّ أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم**»[3].

وروي مثل هذا عن عمر وابن عباس وغيرهما من أجلة الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ لا يقدمون على تفسير ما لا علم لهم به.

وقال عمرو بن شعيب[4] عن أبيه عن جده: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون في القرآن فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض؛ فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فَكِلوه إلى عالمه**»[5].

---

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد، ثقة حافظ متقن، مات سنة ستين ومائة.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٣٠٨٧).

(٢) عبد الله بن مرة الزرفي: صدوق من الطبقة الثالثة.
انظر: تقريب التهذيب رقم (٣٩٩٧).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٢/رقم ٢٢٧٨) عن القاسم بن محمد، وجاء في الكتاب المصنف لابن أبي شيبة (٦/رقم ٣٠٠٩٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٧٣) عن إبراهيم التيمي.

(٤) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، من الطبقة الخامسة، مات سنة ثمان عشرة ومائة.
انظر: تقريب التهذيب رقم الترجمة (٥٦٨١).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٧ رقم ٢٢٥٨).

وقال: **«ألا سألوا إذْ لم يعلموا؟! فإنَّما شفاء العي السؤال»**[1]. رواه عن مالك بن عوف الأشجعي[2].

وقال عن عبد الله بن عمرو[3] ـ رضي الله عنهما ـ قال: **«مَنْ أُفْتِيَ بغير علم كان إثمه على من أفتاه»**[4].

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري[5] ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة، باب: في المجروح يتيمم رقم (٣٣٦)، وابن ماجه في كتاب التيمم، باب: في المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل رقم (٥٧٢)، وهو حديث حسن.
انظر: صحيح سنن ابن ماجه رقم (٤٦٤)، وصحيح سنن أبي داود رقم (٣٦٤).

(٢) مالك بن عوف بن نضلة بن خديج الأشجعي، من أهل الصفة، ثم نزل الكوفة.
انظر: الثقات لابن حبان (٣/ ٣٠٥).

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص من قريش، صحابي من النسَّاك، من أهل مكة، أسلم قبل أبيه، له ٧٠٠ حديث، استأذن من النبي ﷺ في كتابة ما يسمع منه ﷺ فأذن له.
انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٩).

(٤) رواه أبو داود في كتاب العلم عن أبي هريرة، باب: التوقي في الفتيا، رقم (٣٦٥٧)، وابن ماجه في المقدمة، باب: اجتناب الرأي والقياس، رقم (٥٣)، وهو حديث حسن.
انظر: صحيح سنن أبي داود رقم (٣١٠٥).

(٥) إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، روى عنه معابد بن رفاعة، كان من الصحابة، ولم يتابع عليه، له حديث واحد «يحمل هذا العلم. . .».
انظر: أسد الغابة (١/ ٥٢ رقم الترجمة (١٢).

أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَف عُدُولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1].

فالعلم المشار إليه في هذا الحديث هو علم كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.

* * *

*** وأما ما جاء من الوعيد فيمن كذب على رسول الله ﷺ متعمداً للكذب عليه في أقواله أو أفعاله:**

ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[2].

---

(١) الحديث رواه الآجري في الشريعة (١/ ٢٧١ رقم ١)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١)، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣)، كلهم عن إبراهيم العذري مرسلاً، لكن ورد هذا الحديث من طرق أخرى مرفوعاً، عن ابن عمر، وأبي هريرة، وابن مسعود وأسامة بن زيد، وقد أشار الحافظ ابن حجر في الإصابة (١١/ ١٩٢) إلى الإرسال. وتعدد الطرق لهذا الحديث، وضعفها عند ابن عدي، وكذلك الألباني، وذُكر أن العلائي صحَّح بعض طرقه في «بغية الملتمس».
انظر: تعليقه على مشكاة المصابيح (١/ ٨٢، ٨٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث (٣٣٤٥).

ـ وعن سمرة بن جندب[1]، والمغيرة ابن شعبة[2] ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»[3].

وعن عبد الله بن مسعود[4] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار**»[5].

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال، صحابي، كان يكنى أبا سليمان، نشأ في المدينة، نزل البصرة ومات بالكوفة، وقيل البصرة سنة ٦٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب رقم (٢٩٠٧)، الإصابة (٤/ ٢٥٧).

(٢) المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة، ثم الكوفة، مات سنة (٥٠هـ).
انظر: تقريب التهذيب رقم (٧٧٠١).

(٣) رواه مسلم في المقدمة، باب: وجوب الرواية عن الثقات، وترك الكذابين (١/ ٩)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يروي حديث وهو يرى أنه كذب رقم (٢٦٦٤).

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي، أسلم بمكة قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، مات سنة ٣٢هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ٣٤٢)، الاستيعاب (٣/ ٩٨٧).

(٥) سبق تخريجه (ص٣٥) مرويًّا عن ابن عباس، والحديث السابق جزء من هذا الحديث. وهو بتمامه هكذا في الترمذي.

وقال: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[1]، رواه جندب[2]، رضي الله عنه.

وقال: «**المراء في القرآن كفر**»[3]، رواه أبو هريرة[4] رضي الله عنه.

فصل:
في ذكر ما ورد من الرد على القدرية

ـ أخرج الإمام الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوي[5] ـ رحمه الله ـ في

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥/ ٢٠٠ رقم ٢٩٥٢)، وقد أورده ابن الأثير في جامع الأصول (٢/ ٣)، وتكلم عن حكم تفسير القرآن بالرأي والمراد بذلك، بكلام نفيس طويل (٢/ ٤ـ ٦). وانظر: (ص٣٥، ٣٦) من هذه الرسالة.

(٢) هو أبو ذرّ جندب بن جنادة بن سفيان من بني غفار، صحابي، أول من حيّا الرسول ﷺ بتحية الإسلام، سكن دمشق، ثم سكن الربذة إلى أن مات، له (١٨٢) حديثاً، توفي عام (٣٢هـ).
انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ٩)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦).

(٣) رواه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب: النهي عن الجدال في القرآن رقم (٤٦٠٣)، وهو حديث حسن صحيح.
انظر: صحيح سنن أبي داود رقم (٣٨٤٧).

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم في السنة السابعة للهجرة، وهو أحفظ من روى الحديث في عصره، سكن الصفة، توفي بالمدينة سنة (٥٩هـ).
انظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٦٨)، أسد الغابة (٦/ ٣١٨).

(٥) أبو محمد الحسين بن مسعود ابن الفراء البغوي الشافعي، الحافظ، المفسر، كان زاهداً قانعاً باليسير، له القدم الراسخة في التفسير والفقه، توفي سنة ٥١٦هـ.
انظر: وفيات الأعيان (١/ ٤٠٢) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢٥٧).

«مصابيح السُّنَّة»[1]، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال:

قال رسول الله ﷺ: **«احتج آدم وموسى ـ عليهما السلام ـ عند ربهما، فحجَّ آدم موسى.**

قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطْتَ الناس بخطيئتك إلى الأرض!

قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرَّبك نَجِيّا، فَبِكَم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟.

قال موسى: بأربعين عاماً.

قال آدم: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟

قال: نعم.

قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟».

قال رسول الله ﷺ: **«فحج آدمُ موسى»**[2].

---

(١) رواه البغوي في مصابيح السُّنَّة (١/رقم ٦٠) باب الإيمان بالقدر.

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله الحديث رقم (٦٣٨٠)، ومسلم في كتاب القدر، باب: احتجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/ ٢٦٥٢).

قال البيهقي وفي هذا دليل على تقدم علم الله عزَّ وجلَّ بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير منه، وأنه ليس لأحد من الآدميين أن يلوم أحداً =

ـ عن ابن عمر[1] ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يكون في أمتي خسف[2] ومسخ[3]، وذلك يكون في المكذبين بالقدر»[4].**

= على القدر المقدور الذي لا مدفع له، إلا على جهة التحذير للوقوع في المعصية، ولم يكن قول موسى بعد خروج آدم من دار الدنيا وفي وقت يكون للتحذير فيه معنى، فصار بما عارضه به آدم محجوجاً بقضية المصطفى ﷺ.
انظر: شعب الإيمان (١/ ٢٠٥).

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه، شهد فتح مكة، أفتى الناس ستين سنة، وهو من آخر الصحابة موتاً بمكة، توفي سنة (٧٣هـ).
انظر: تهذيب التهذيب (٥/ ٣٢٨)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٠٣).

(٢) معنى الخسف: يقال خسف المكان، يخسف خسوفاً إذا ذهب في الأرض، وغاب فيها.
انظر: ترتيب القاموس المحيط (٢/ ٥٥)، ولسان العرب مادة: (خسف).
والخسف من أشراط الساعة، جاء ذكره في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى.
انظر: التذكرة (٢/ ٥٢٠).

(٣) المسخ: يكون المسخ حقيقياً ويكون معنوياً: وقد فسر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ المسخ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، بأنه مسخ حقيقي، وليس مسخاً معنوياً فقط، وهذا القول هو ما ذهب إليه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من أئمة التفسير.
انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥ـ ١٠٦).

(٤) رواه ابن ماجه (رقم ٤٠٦٢)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ١٠٣)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (رقم ١١٣٥)، هو حديث حسن.
انظر: صحيح سن ابن ماجه للألباني (رقم ٣٢٨٢).

وعنه عن النبي ﷺ قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»[1].

ولهذا تبرأ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ من القدرية لما ذكر له مقالتهم[2]. وسيأتي الكلام على هذا.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**»[3].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في القدر (رقم ٤٦٩١)، ورواه الآجري (٢/ ٨٠١ رقم ٣٨١)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٩٩ رقم ١٥١٤)، واللالكائي (٤/ ٦٣٩ رقم ١١٥٠)، وهو حديث حسن.
انظر: صحيح سنن أبي داود رقم (٣٩٢٥).

(٢) مما روي في ذلك: قال عبد الله بن عبد الرحمن: إن رجلاً قال لعبد الله بن عمر: «إن ناساً من أهل العراق يكذبون القدر ويزعمون أن الله عزَّ وجلَّ لا يقدر الشر، قال: فبلِّغهم أن عبد الله بن عمر منهم بريء، وأنهم منه براء...»، وعن نافع قال: قال عبد الله بن عمر: «إذا لقيت أهل القدر فأخبرهم أن عبد الله إلى الله منهم بريء، وأنهم منه براء، ولا تصلوا على جنائزهم، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا موتاهم». والآثار المروية عن عبد الله بن عمر في التبرؤ من القدرية كثيرة جدًّا.
انظر: الإبانة (٢/ ١٥٢ـ ١٥٦) تحقيق الآثيوبي، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (٤/ ٦٤٤، ٤/ ٧٠٦).

(٣) رواه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب: في القدر رقم (٤٧١٠)، وفي كتاب السُّنَّة، باب: في ذراري المشركين رقم (٤٧٢٠)، وهو ضعيف.
انظر: ضعيف سنن أبي داود (٤٦٨ رقم ١٠١٢).

وعن عائشة[1] ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ستة لعنتهم، لعنهم الله، وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليعزَّ من أذل الله، ويذلَّ من أعزَّ الله، والمستحلّ لحرم الله، والمستحلّ من عترتي ما حرم الله، والتارك لسُنَّتي»**[2].

وعن مطر بن عكامس[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة»**[4].

---

(١) عائشة بنت عبد الله بن أبي قحافة، الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين وزوج النبي ﷺ، وأشهر نسائه ـ رضي الله عنها ـ، وأمها أم رومان بنت عمير، قال عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة ـ رضي الله عنها ـ، توفيت سنة (٥٧هـ)، ودفنت بالبقيع.
انظر: أسد الغابة (٧/ ١٨٨).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ١٤٩ و٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٦)، وقال الألباني بعد أن بين الاختلاف في إسناد هذا الحديث: الحديث ضعيف منكر.
انظر: تخريج السُّنَّة (١/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٣) مطر بن عكامس السلمي، من بني سليم بن منصور، يعد في الكوفيين، روى عنه أبو إسحاق السبيعي.
انظر: أسد الغابة (٥/ ١٨٥ رقم ٤٩٣٥).

(٤) رواه الترمذي في كتاب القدر، باب: ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها، رقم (٢١٤٧)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ولا نعرف لمطر بن عكامس عن النبي ﷺ غير هذا الحديث. وهذا الحديث له شاهد فهو به حسن، رواه الترمذي في كتاب القدر، باب: ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها رقم (٢١٤٨)، =

. . . .

❑❑❑

= قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وهو بنفس اللفظ عن أبي عزة.
انظر: جامع الأصول (١٠/ ١٣٢).

* * *

قيد القراءة والسماع بالمسجد الحرام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده.

تمَّ سماعاً ومقابلة مع الشيخ المحقق محمد بن ناصر العجمي، فسمع الشيخ عماد الجيزي، وحضر بأُخَرَةٍ الشيخ المسند نظام يعقوبي، وسمعتْ عبر الهاتف الفصلَ الأخير منه محققته الدكتورة فوزية الشائع، بقراءة كاتب السماع عبد الله بن أحمد بن عبد الله التوم، والحمد لله أولاً وآخراً، فصح وثبت تجاه الركن الشامي من الكعبة المعظمة، لإحدى وعشرين خلت من رمضان سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة.

صحيح



فهرس الآيات القرآنية

❏❏❏

فهرس الأحاديث والآثار

المحتوى

الموضوع | **الصفحة**

❑❑❑

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٩)

تخميس أبيات في التوحيد

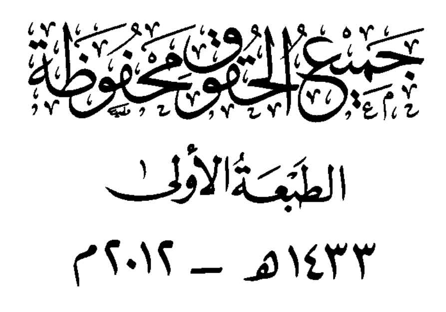
أصلها للإمام ابن تيمية

نظم الشيخ العلامة
محمد صالح العباسي الشافعي البحريني
المتوفى سنة (١٤١٢هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
السيد محمد رفيق الحسيني

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ للَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

أَمَّا بَعْد..

فَإِنَّ تَارِيْخَ البَحْرِيْنِ لَا يَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَى جَمْعِ أَوْرَاقِهِ وَوَثَائِقِهِ، وَمُتَابَعَةِ حَوَادِثِهِ وَمُجْرَيَاتِهِ لَا سِيَّما الجَانِبَ الثَّقَافِي والعِلْمِي، فَهُوَ أَشَدُّ حَاجَةً إِلَى العِنَايَةِ وَالاهْتِمَام، وَكَمْ هَضَمْنَا عُلَمَاءَ هَذِهِ المَمْلَكَةِ حَقَّهُمْ، وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُمْ مَنْزِلَتَهُمْ وَمَكَانَتَهُمْ، مِنَ التَّكْرِيْمِ وَالإِعْزَازِ، وَلَمْ تَحْظَ أَعْمَالَهُمْ وَتُرَاثَهُمْ بِأَيِّ عِنَايَةٍ وَإِبْرَاز، لَا مِنْ حَيْثُ التَّحْقِيقِ وَلَا مِنْ حَيْثُ الدِّرَاسَة، حَتَّى مِنَ المُقَرَّبِيْنَ لَهُمْ، وَكَمْ فِي النَّفْسِ مِنْ حَسَرَاتٍ وَزَفَرَاتٍ، وَحَزَازَاتٍ وَآلَام، لَكِنَّهَا لَا تُسْمِنُ وَلَا تُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ مَا لَمْ يُصَاحِبْهَا عَمَلٌ وَهَمٌّ، وبَحْثٌ وتَنْقِيْبٌ، وجِدٌّ واجْتِهَادٌ، وَإِنَّنَا نَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعِيْنَنا عَلَى لَمِّ هَذِهِ الشَّوَارِدِ، وَإِبْرَازِ تِلْكَ الفَوَائِدِ الفَرَائِدِ.

وَهَذِه المنْظُوْمَةُ تأتي ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ مُتَلَاحِقَةٍ بِإذْنِ اللهِ لنَفْضِ الغُبَار عن تُرَاث عُلَمَائِنَا الرُّوَّاد، وإبْرازِ تُرَاثِهِمْ مِنْ طَيِّ النِّسْيَان، قِيَاماً بِوَاجِبِ الوَفَاءِ لَهُمْ، وَقَضَاءً لَا أَدَاءً لِبَعْضِ مَا لَهُمْ مِنَ الحُقُوْقِ عَلَيْنَا، وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

السَّيِّد محمَّد رفيق الحسيني

١٥/ جمادى الآخر/ ١٤٣١هـ

٢٩/ أيار (مايو)/ ٢٠١٠م

ترجمة صاحب الأصل
شيخ الإسلام ابن تيمية[1]

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة الحرَّاني، الدِّمشقي، الحنبلي، تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس، الملقَّب بشيخ الإسلام.

ولادته ونشأته:

وُلد في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ) في حرَّان، وتحوَّل أبوه من حرَّان إلى دمشق سنة (٦٦٧هـ) عند استيلاء التَّتار على البلاد، فنشأ فيها، وعاش في بيئة علميَّة تقيَّة نقيَّة، حيث كان أبوه وجدُّه من كبار العلماء.

استطاع ـ رحمه الله ـ أن يُلِمَّ بفنون العلم في عصره في وقت مبكِّر، لِمَا كان يتمتَّع بحافظة خارقة، وعقليَّة وقَّادة، فكان يحفظ كلَّ ما يقع تحت عَيْنَيه، وكان ـ رحمه الله ـ مضرب المثل في زُهْده وترفُّعه

---

(١) ينظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة خلال سبعة قرون، جمع وترتيب محمد عزير شمس وعلي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (١٤٢٠هـ).

عن شَهَواتِ الدُّنيا، وعن الحِقْدِ والحَسَدِ، فلا ينتقِم لنَفْسه، قال فيه مخلوف قاضي المالكيَّة: ما رأينا مثل ابن تيميَّة، حرَّضْنا عَليه فلم نقْدِر، وقَدَر عَلَينا فصَفَحَ وحَاجَجَ عَنَّا، وقد أثنى عليه كثيرٌ مِن الأئمَّة والعُلماء حتَّى لقَّبوه بشيخ الإسلام، وأفردوا مَنَاقِبَه بِالتَّصنيفِ، ولم يَنْتَقِصْ مِنْهُ إلا مَنْ جَهِلَ مَكانَتَه ومِقْدَاره، والإنسانُ عدوٌّ ما يَجْهل.

مما قيل فيه:

قال الحافظ المزِّي: ما رأيت مثلَهُ، ولا رأى هو مثلَ نفسهِ، ولا رأيتُ أحَداً أعْلم بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسول الله ﷺ ولا أتبع لهما منه.

وقال ابن سيِّد النَّاس الشَّافعي: كان يستوعب السُّنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التَّفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته، أو حاضر بالمِلَلِ والنِّحَلِ لم يُر أوسع من نِحْلَتِه في ذلك ولا أرفع من رايته، برز في كلِّ فنٍّ على أبناء جنسه.

ولقد أنصف بهاء الدِّين ابن السُّبكي حيث قال: ما يبغض ابن تيميَّة إلا جاهلٌ أو صاحبُ هَوىً، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدُّه هواه عن الحقِّ بعد معرفتِه له.

مؤلفاته:

لقد خلَّف ـ رحمه الله ـ مكتبة علميَّة ضخمة، حيث زادت مؤلفاته عن خمسمائة مصنَّف، ما بين رسالة صغيرة كالواسطيَّة والتَّدمريَّة والحمويَّة، ومجلَّدات عظيمة كمنهاج السُّنَّة النَّبويَّة ودرء تعارض العقل

والنَّقل ونقض المنطق والرَّدُّ على المنطقيين، وفي مختلف العلوم وشتَّى الفنون، منها المطبوع والمخطوط والمفقود.

وفاته:

أُدخل السِّجن ـ رحمه الله ـ آخر مرَّة في شعبان سنَّة (٧٢٦هـ)، واعتقل بالقلعة، ومكث في السِّجن إلى أن توفَّاه الله تعالى في (٢٦ من ذي القعدة ٧٢٨هـ)، وكانت جنازته مهيبة عظيمة، وأقل ما قيل في عدد المشيِّعين خمسون ألفاً.



ترجمة صاحب النَّظم
الشيخ العلَّامة محمَّد صالح العبَّاسي[1]

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ العلَّامة الدَّاعية الفقيه الفَرَضي الأديب محمَّد صالح بن الشَّيخ عبد الله بن الشَّيخ مصطفى العبَّاسي، الجناحي مولداً، البحريني موطناً ووفاةً، الشَّافعي مذهباً.

مولده ونشأته:

وُلد الشيخ ـ رحمه الله ـ في قرية جناح ببلاد فارس، سنة (١٩٠٥م) تقريباً، وهناك نشأ وترعرع في بيت علم وتقوى وصلاح.

شيوخه:

تلقَّى العلوم الشرعيَّة على علماء بلدته ومشايخ قطره، لا سيَّما:

١ ـ والده الشيخ عبد الله بن الشيخ مصطفى العباسي.

---

(١) لقاءات مع: الشَّيخ الدَّاعية حسن الشَّيخ، وشيخنا الفقيه الفرضي مصطفى الواعظ، وشيخنا المسند نظام يعقوبي، والأستاذ عبد العزيز بن الشيخ محمد صالح العبَّاسي، وشيخنا وصديقنا الشَّيخ عبد الله بن محمد رضا كاندي، والأخ الشَّيخ المؤرِّخ بدر بن شاهين الذَّوَّادي.

٢ ـ الشَّيخ العلَّامة الرُّحلة عبد الرَّحمن بن مُلَّا يوسف الخالدي[1] الملقَّب بـ«سلطان العلماء».

٣ ـ الشيخ العلامة الفقيه عبد الله بن الشيخ حسن الحسن المعروف بالشيخ عبد الله الكوهجي[2].

وغيرهم...

---

(١) يرجع نسبه إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه. ولد ـ رحمه الله ـ في منطقة بستك من بلاد فارس، تلقَّى العلم على علماء بلده ثمَّ رحل إلى الآفاق لطلب العلم كالبصرة والهند وكردستان ومكة المكرمة والمدينة المنورة والإحساء ومصر، وغيرها من البلاد، وبعد رجوعه جدَّ واجتهد، درَّس وألَّف، وأنشأ المدرسة الرحمانيَّة في بستك، ثم في لنجَّة، وكثر عليه الطَّلبة، وتخرَّج منها العلماء، توفي يوم السبت (٣/ محرم/ ١٣٦٠هـ).

(٢) ينتهي نسبه إلى عبد الله المحض ثم الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ولد ـ رحمه الله ـ قبل سنة (١٣١٨هـ) في قرية كوهج من بلاد فارس، طلب العلم على علماء بلده ثم رحل في طلب العلم فالتقى بالعلماء والمشايخ حتى برع في العلوم والفنون كالفقه والحديث والتفسير والفرائض والنحو والصرف والفلك وعلم البلاغة والمنطق وغير ذلك، له عدة مصنفات، منها: «زاد المحتاج شرح المنهاج»، و«سلم الواعظين وبغية المتعظين»، و«رسالة في وجوب اتباع المذاهب الأربعة»، و«الرحلة الكويتية والنحلة المكية» (منظومة شعرية)، وشرح على الورقات، و«الجواهر السنية شرح المنظومة البيقونية»، و«الفوائد الجلية شرح التحفة السنية في الفرائض وغيرها»، توفي ليلة الجمعة (٢٤ جمادى الأولى سنة ١٤٠٨هـ).

هجرته إلى البحرين:

بعد تحصيله العلمي هاجر إلى البحرين، وأمَّا عن تاريخ دخوله لها فلا نعلم متى دخل تحديداً، لكنَّ الغالب أن دخوله كان بين (١٩٢٠م و١٩٢٥م) تقريباً، أي في العشرينيات من القرن المنصرم، حيث قدم البحرين وهو شاب.

علمه ودعوته:

كان ـ رحمه الله ـ من كبار علماء البحرين، ومن البقيَّة الباقية من سلسلة جليلة من أفاضل أهل العلم فيها، انقرضوا واحداً بعد واحد، أَمَّ وخطب بمسجد بن جَمْعَان «جامع السُّوق»[١]، تفنَّن في جملةٍ من العلوم الشَّرعية وأتقنها، لا سيَّما الفقه والنَّحو والفرائض، وكان متذوِّقاً للأدب، محبًّا للشِّعر، مجيداً لنظمه، ونظمه أقرب ما يكون إلى نظم الفقهاء والحكماء.

امتهن التِّجارة فكان من تجَّار سوق المنامة يبيع البزَّ بدكَّانه القريب من «جامع بن جَمْعَان»، عُرِض عليه القضاء عدَّة مرَّات

---

(١) وهذا المسجد لم يكن جامعاً إلا أن الشَّيخ العبَّاسي كان يرى ضرورة تحويله إلى جامع تقام فيه الجمعة لحاجة النَّاس في تلك المنطقة، ودخل بسبب ذلك في صراعات مع بعض المشايخ والمسئولين حتَّى تمَّت الموافقة، وخطب فيه الشَّيخ العبَّاسي فيه قرابة خمس سنوات تقريباً، ثمَّ تناوب الشَّيخ نظام يعقوبي والشَّيخ حسن الشَّيخ على الخطابة فيه إلى أن تحوَّل الشَّيخ نظام إلى جامع العدليَّة، واستقرَّت الخطابة للشَّيخ حسن الشَّيخ إلى وقتنا، كلُّ ذلك في حياة الشَّيخ العبَّاسي.

فرفضه[١]، قضى جلَّ حياته في التَّدريس والإرشاد والإفتاء والخطابة والزَّعامة، يُرَغِّب الشَّباب في طلب العلم وحفظ المتون العلميَّة، ويشجِّعهم على الالتزام والتَّخلُّق بأخلاق أهل العلم وطلبته[٢].

مذهبه الفقهي:

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ كما هو معروف شافعي المذهب تعلُّماً وتعليماً وتدريساً، إلا أنه مع اتباعه لمذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ كان ينبذ التَّعصُّب لأيِّ مذهب من المذاهب في الفتوى، ويبحث عن الحقِّ بالأدلَّة والبراهين، سواء وافق مذهبه الشَّافعي أو خالفه، ويصرِّح بما يترجَّح لديه من أقوال الأئمة المجتهدين ـ رحمهم الله تعالى ـ ويجاهر به، بل كان يفتي أحياناً بخلاف المشهور المعروف لدى أتباع المذاهب الأربعة، اتِّباعاً للدَّليل وعملاً بالرَّاجح، مما يثير جدلاً كبيراً أحياناً بينه وبين أهل العلم، وكان ـ رحمه الله ـ يقول: «الحَقُّ أَحْقُّ أَنْ يُتَّبَعْ»، كلُّ ذلك مع تَوَاضعٍ جَمٍّ، وخُلُقٍ عَظِيمٍ، وأَدَبٍ رَحْبٍ، وإقبالٍ على طلبةِ العلم، وفي هذا يقول:

والشَّافِعِي إمَامُنَا وَمَالِكُ وَأَحْمَدُ الحَبْرُ الخَبِيرُ السَّالِكُ
كَذَا ابْنُ ثَابِتٍ إمَامُ الأُمَّهْ عَلَى الهُدَى وَسَائِرُ الأَئِمَّهْ

---

(١) كما عرض عليه القضاء بإمارة دبي وذلك خلال زيارته لها.

(٢) فهو الذي حثَّ الشَّيخ نظام يعقوبي على الخطابة وإلقاء الدروس رغم صغر سنه، وأرشد الشَّيخ عبد الله كاندي إلى دراسة علم الحديث بالجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة، يقول الشيخ عبد الله كاندي: وقد أهداني بحضرة والدي الكريم منظومة الرَّحبيَّة حاثّاً لي على حفظها، وغير ذلك من المواقف الإرشاديَّة والدعويَّة.

وهذه هي سِمَة العلماء المنصفين الذين لا يتعصَّبون لقولٍ دون قولٍ، ولا لإمامٍ دون إمامٍ، ولكن يتمسَّكون بالدَّليل، فيدورون معه حيث دار، فليس بمعيب أن يتمذهب العالم أو طالب علم بمذهب معيَّنٍ من مذاهب أئمة هذا الدِّين، لكن المعيب أنْ يعتقد أنَّ المذهب الذي سلكه هو المذهب الحق، وأن المذاهب الأخرى باطلة، ولا شك بأن هذا التَّعصُّب هو الذِّي ذمَّه العلماء من المذاهب الأربعة كلها، ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي».

أخلاقه وصفاته:

يقول النبي ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، فقد كان ـ رحمه الله ـ متصفاً بالآداب القرآنيَّة، وملتزماً بالأخلاق النبويَّة، من التَّواضع والزهد والعبادة، والغِيرة على الدِّين والدِّفاع عنه، من غير تعصُّبٍ ولا تحزُّب، فكان ـ رحمه الله ـ حريصاً كلَّ الحرْصِ على مخالطة النَّاس وعدم الاعتزال، في أسواقهم ومجالسهم وأفراحهم وأتراحهم، موجِّهاً ومرْشِداً ومفتياً، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، فقد كان ـ رحمه الله ـ يرى أنَّ واجب العلماء ورسالتهم الكبرى إنَّما هي في تحسُّس مشاكل النَّاس وتعاهد مجالسهم، ليقوموا بالنُّصح والإرشاد وتفقيههم في أمور دينهم ودنياهم، والسَّعي في حلِّ مشاكلهم وموجِّهاً لهم في مصائبهم، عملاً بقول النَّبي ﷺ: «**المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ**

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣)، وأحمد برقم (٨٩٣٩)، وقال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٥)، وصحيح الأدب المفرد حديث رقم (٢٠٧).

النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»[1]. ويروى عنه في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنه مرَّ يوماً بشارع الشَّيخ عبد الله ـ فريق المخارقة ـ فسمع أحدهم يسبُّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فغضب عليه الشَّيخ غضباً شديداً وضربه بيده على أنفه حتى سقط، وتجمَّع النَّاس، ولم يستطع أن يشتكي عليه لمعرفته بمكانة الشَّيخ وإحساسه بخطئه، ويقال بأنَّه أصبح مقرَّباً من الشَّيخ، فيأتيه ويسأله عن المسائل المشكلة ليجيب عنها ـ رحمه الله ـ.

تواصله مع علماء عصره:

كان ـ رحمه الله ـ لغزارة فهمه وسعة اطِّلاعه ملجأً لكثيرٍ من أهل البلاد وخارجها، يستفتونه في النَّوازل والمسائل المسْتَحْدثة، حتَّى بعض كبار العلماء والقضاة في البحرين يرجعون إليه ويستفتونه في عويصات المسائل ومستعصيات القضايا.

وكان ـ رحمه الله ـ محبًّا للعلماء والمشايخ وطلبة العلم مجلًّاً ومعظِّماً لهم، مواصلاً لهم بزيارتهم في البيوت والمجالس، ومطالعاً لمؤلفات معاصريه.

وأول ما عرفته وارتسمت صورته في ذهني من خلال زيارة والدي الشَّيخ المقرئ محمَّد سعيد الحسيني حفظه الله تعالى له، وكانت بينه

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦٢٥)، وابن ماجه برقم (٤٠٣٢)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين، انظر السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٣٩).

وبين والدي صداقة ومودَّة، وأذكر أنِّي رأيته مع والدي عدَّة مرَّات، فقد كان ـ رحمه الله ـ مواصلاً لمشايخ بلده كالشَّيخ عبد الله كجوي والشَّيخ عبد الله نور محمد العبَّاسي، والشَّيخ عبَّاس محمد نور العبَّاسي، والشَّيخ محمد رشيد جناحي، والشّيخ القاضي عبد الرحمن المهزع، وغيرهم، وقد كانت صلته بالشَّيخ عبد الرحمن المهزع قويَّة، وسُئل مرَّة عن الشَّيخ العبَّاسي فأجاب: «بأنَّه مستشار القضاة»، وذلك لرجوع القضاة والمشايخ إليه في المسائل الصعبة وللاستشارة، واستمرَّ مواصلاً للعلماء حتَّى أقعده المرض قبل وفاته بسنوات.

تقريضه لكتاب «الرد الشافي» للعلَّامة آل بوطامي:

ومما يستحسن ذكره هنا أنَّ الشَّيخ ـ رحمه الله ـ لما اطَّلع على كتاب «الرَّد الشَّافي» للقاضي العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي الشَّافعي (ت١٤٢٣هـ)، قال:

«لقد تصفَّحت كتاب «الرَّد الشَّافي الوافر»[1] للعلامة السَّيد أحمد بن حجر البنعلي قاضي قطر، وقرأته فرأيته كتاباً شافياً في بابه فقرَّضته بهذه الأبيات: [بحر الخفيف]

دَامَ لِلدِّينِ عِزُّهُ وَرِجَالُهُ ... كَمْ حَمَى عَنْ حِيَاضِهِ أَبْطَالُهْ

سَرَّ قَلْبِي سِفْرٌ وَجِيزٌ لَطِيفٌ ... مَا يُرَى مِثْلُهُ وَلَا مِنْوَالُهْ

قَدْ تَوَلَّى تَأْلِيفَهُ ذُو ذَكَاءٍ ... لَا يُجَارَى عُلَاهُ أَوْ أَفْضَالُهْ

مِنْ رِيَاضِ العِلْمِ أَلَّفَ فِيهِ ... ثَمَراً آنَ يَنْعُهُ وَنَوَالُهْ

(١) الرد الشافي الوافرعلى من نفي أمية سيد الأوائل والأواخر.

كَمْ حَوَى سِيْرَةَ الرَّسُوْلِ المُفَدَّى ... ثُمَّ تَارِيخُ مُعْجِزٍ إجْمَالُهْ
وَعَلَى الهِنْدِ فِيْهِ قَدْ رَدَّ صِدْقاً ... شُبَهاً مَا أَصَابَ فِيْهَا خَيَالُهْ
وَدِفَاعاً حَقّاً وَذَبّاً عَجِيْباً ... عَنْ مَقَامِ الأُمِّيِّ عَزَّ مَنَالُهْ
فَشَفَى وَاشْتَفَى بِرَدٍّ مَرِيْعٍ ... مُقْنِعٍ مُفْحِمٍ صَحِيحٍ مَقَالُهْ
مَنْطِقٌ وَاضِحٌ أَدِلَّةُ حَقٍّ ... مِنْ كِتَابٍ لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهْ
وَمِنَ السُّنَّةِ السَّنِيَّةِ فِيهِ ... وَاضِحَاتُ المَنَارِ وَاسْتِدْلَالُهْ
وَمِنَ الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ حَاوٍ ... حُجَجاً يَسْتَبِينُ مِنْهَا كَمَالُهْ
كَيْفَ لَا وَهْوَ مِنْ قَرِيْحَةِ حَبْرٍ ... لَا يُجَارَى وَنَادِراً أَمْثَالُهْ
أَحْمَدُ ابْنُ حَجْرٍ مِنْ آلْ بُوطَا ... مِي جَمِيْلٌ طِبَاعُهُ وَخِصَالُهْ
وَإلى البِنْعَلِي يُنْمَى وَيُسْمَى ... طَابَ أَصْلاً وَطَابَ صِدْقاً فِعَالُهْ
دَامَ لِلْعِلْمِ لِلتَّمَسُّكِ بِالحَقْـ ... ـقِ وَلِلذَّبِّ عَنْ حِمَى الدِّيْنِ قَالُهْ

محمد صالح العبَّاسي»

يقول شيخنا نظام يعقوبي: من مواقفه التي لا أنساها في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أنَّه صادف أنِّي اطَّلعت على كتاب خبيث يروج للبدع والخرافات، ويدعو إلى الفتن، فعرضته عليه، وقرأتُ له فقرات منه، فغضب غضباً شديداً، وطلب إليَّ أن أشتري له نسخاً أخرى ليقوم بإطْلاع المسؤولين عليها، ففعلت ذلك امتثالاً لأمره، ولمَّا أطْلَع المسؤولين على الكتاب، وعلموا خطورته وانحرافه، مُنِعَ من الأسواق، وسُحِب إلى وقتنا هذا.

مواقفه وآراؤه:

لقد أثارت بعض اجتهادات الشيخ ـ رحمه الله ـ وفتاواه الجريئة الجدل في الأوساط العلميَّة، فكانت محل أخذٍ وردٍّ بين العلماء، والجمود الفكري من أسباب تخلف أمتنا؛ فلهذا أعمل الشيخ ـ رحمه الله ـ فكره في المسائل الخلافية والمسائل المستحدثة، يقلب المسائل ويبحث عن الدليل، مع استحضار مقاصد الشريعة ومرادها، وانتفاء ما يعارضها، ثُمَّ يفتي بما يتوصَّل إليه، لاسيَّما في المسائل المستجدَّة، وفي هذا يقول:

فَلَا تَعْجَبْ فَفِي الدُّنْيَا عُلُوْمٌ	حَوَاهَا قَلْبُ أَهْلِ الإِطِّلَاعِ
فَفَوْقَ عُلُومِنَا عِلْمٌ كَثِيْرٌ	حَوَتْه عُقُولُ أَهْلِ الإِخْتِرَاعِ
وَفِي إِثْبَاتِهِ أَعْلَى دَلِيلٍ	فَفَكِّرْ فِي الأَدِلَّةِ وَالسَّمَاعِ

فمن هذه المسائل التي أفتى بها ونصرها: جواز سياقة المرأة للسيارة، وجواز دخول المجالس النيابيَّة الوضعية للإصلاح ودرء المفاسد، وإمكانيَّة الصعود إلى الفضاء والهبوط على القمر لأنَّه لا يمتنع شرعاً ولايستحيل عقلاً، وغير ذلك من المسائل المثارة في واقعنا المعاصر.

والشيخ ـ رحمه الله ـ كان من القلائل الذين يَرْون ضرورة المشاركة في المجالس النِّيابيَّة، طلباً للإصلاح ودرءًا للفساد وسدّاً للثَّغرات، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً بالوسائل المتاحة، فَرشَّح نفسه للمجلس الوطني أيام الإنتخابات البرلمانيَّة سنة (١٩٧٣م)، رغم كبر سنِّه وبعده عن الحياة السِّياسية، وذلك بعد إلحاح أهل الدِّين عليه لكي يصلح، وكان شعاره ـ رحمه الله ـ [بحر الوافر]:

لَـقَـدْ رَشَّـحْـتُ نَـفْـسِـي لَا أُبَـالِـي بِـمَـنْ لَا يَـرْتَـضـي الإِسْـلَامَ دِيـنَـا
يُـرَشِّـحُـنِـي بِـعَـوْنِ اللهِ قَـوْمٌ مَـيَـامِـيـنٌ تُـقَـاةٌ مُـصْـلِـحِـيـنَـا

كما أنَّ هذا الاعتدال والإنصاف وعدم الغلوّ قد انعكس أيضاً على مسلكه في التَّصوف والعبادة، فقد اتسمت عبادته بالاعتدال والاتباع، القائم على الكتاب والسُّنة ونبذ البدع والخرافات، ولذلك انتسب إلى الشَّيخ الجنيد بن محمد القواريري سيِّد الطَّائفة نفسه، ولم ينتسب إلى غيره من الطُّرق الصُّوفيَّة الأخرى، وبيَّن سبب اختياره لهذا المسلك أنَّه موافق للشرع مجانب للبدع، فقال:

وَإِنَّـمَـا طَـرِيـقَـةُ الـجُـنَـيْـدِ طَـرِيـقُ حَـقٍّ صَـائِـبٍ سَـدِيـدِ
لأَنَّـهُ كَـانَ وِفَـاقَ مَـا شَـرَعْ لَـنَـا الإِلَـهُ فِـي اعْـتِـزَالٍ لِـلْـبِـدَعْ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجنيد: «وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه، ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله، فهؤلاء من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي، وتوصية بإتباع ذلك»[١]، وقال: «فمن سلك مسلك الجنيد من أهل التصوف والمعرفة كان قد اهتدى ونجا وسعد»[٢].

تلامذته:

كان ـ رحمه الله ـ لتبحُّره في علوم الشريعة وتمكُّنه من اللغة وإجادته للشعر الأثر البالغ في إقبال الطلبة والمستفيدين عليه، فقد درَّس

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٥٥).

القرآن الكريم والفقه والحديث والتفسير والنحو والفرائض والشعر، وغير ذلك، فاستفاد منه عددٌ كثير من طلبة العلم في البحرين وغيرها.

ومن أشهرهم:

١ ـ الأديب الشاعر المؤرِّخ الأستاذ مبارك بن راشد بن جاسم الخاطر (ت١٤٢٢هـ).

٢ ـ الشاعر الأديب سعادة الشيخ خالد بن محمد بن عبد الله آل خليفة (ت١٤١٢هـ).

يقول عن شيخه في قصيدة له:

وَهَـذَا سَـيِّـدِي شَـيْـخِـي وَذُخْـرِي ... وَمَـنْ فِـي العِـلْـمِ حَـازَ طَـوِيـلَ بَـاعِ
غَـذَانِـي العِـلْـمَ فِـي صِـغَـرِي نَـمِـيـراً ... كَـمَـا يُـغْـذَى صَـغِـيـرٌ بِـالـرَّضَـاعِ
وَأَدَّبَـنِـي بِـآدَابٍ تَـجَـلَّـتْ ... بِـأَخْـلَاقٍ لَـهُ خَـيْـرُ الـطِّـبَـاعِ
مُـحَـمَّـدُ صَـالِـحٍ قَـوْلاً وَفِـعْـلاً ... إِلَـى الـعَـبَّـاسِ يُـنْـمَـى بِـاتِّـبَـاعِ

٣ ـ الشَّيخ الفقيه المسند نظام محمد صالح يعقوبي العبَّاسي، حفظه الله تعالى.

٤ ـ الشَّيخ عبد الصَّمد بن الشَّيخ محمد رشيد العوضي، حفظه الله تعالى.

قرأ عليه «الأربعين النوويَّة» مع شرح الشَّيخ لها، يقول الشَّيخ عبد الصَّمد: «كان الشَّيخ محمد صالح العبَّاسي ـ رحمه الله ـ ابن تيميَّة البحرين».

٥ ـ الشَّيخ عبد الحميد القشندي، من قرية توريان بجزيرة قشند.

قرأ عليه «عمدة السَّالك وعدَّة النَّاسك» في الفقه الشَّافعي لابن النَّقيب المصري، وغيرهم الكثير.

مؤلفاته:

إنَّ ممَّا يؤسف له أنَّ مكتبة الشَّيخ ـ رحمه الله ـ قد ضاعت، فلا ندري إلى أين ذهبت وعند من تحوَّلت، وهنا أقول: كم عالم بحريني فقدنا أعماله، وكم شاعر ومثقَّف بحريني ضاع تُراثه، وكم رجل علم بحريني ضاعت مكتبته بين وَرَثَتِهِ، وكم، وكم . . . ستطول القائمة، نحن بحاجة إلى تكاتف جهود الأفراد والمؤسَّسات لجمع تُراث علمائنا والحفاظ على مكتباتهم، وتسطير تراجمهم وسيَرهم، فهل فكَّر طلبة العلم عندنا يوماً في إبراز تُراث علماء البحرين وشعرائها وأدبائها وحمايتها من الزَّوال؟ أو دراسة شخصيَّاتهم ومؤلفاتهم وما قاموا به من الجهود العلميَّة والدَّعويَّة؟.

وبعد البحث والتَّنقيب وقفت على بعض رسائله ومؤلفاته ومنظوماته، ومنها مراسلات الشَّيخ ـ رحمه الله ـ التي كان يرسلها أو يكتبها والَّتي كان غالبها نظماً، حتَّى الخطابات الرَّسميَّة التي يخاطب بها المسؤولين كان في أغلبها نظماً، كما أنَّ نَثْرَه اتَّصف بالسَّجع في أكثر الأحوال، فقد كان ـ رحمه الله ـ مكثراً من النَّظم، فنظم في المواضيع الدِّينيَّة والعلميَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة والهزليَّة والرمزيَّة، وأغلبها في النَّصائح والمواعظ.

فمن منظوماته ومؤلفاته:

١ ـ **العِظَةُ الدَّهْرِيَّة**: منظومة من بحر الكامل، اشتملت على (المواعظ) و(النَّصائح) و(التَّوحيد) وعدد أبياتها (١٥٧) بيتاً، نظمها في سلخ رمضان (١٣٥٥هـ)، أوَّلها:

حَمْداً لِمَنْ يُرْجَى عَطَاهُ وَيُرْهَبُ ... مَنْ بِاسْمِهِ وَبِهِ المَعُونَةَ أَطْلُبُ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى نَبِيٍّ خَاتَمٍ وَهْوَ الرَّسُوْلُ الأَبْطَحِيُّ الأَنْسَبُ
وَعَلَى جَمِيعِ الآلِ وَالأَصْحَابِ هُمْ سُفُنُ السَّلَامَةِ هُمْ نُجُومٌ نُخَبُ

وآخرها:

تَارِيخُ نَظْمِي هَا أُبَيِّنُ مُجْمَلَا (غَفَرَ الإلَهُ بِهَا) لِمَنْ هُوَ يَحْسِبُ
فِي سَلْخِ شَهْرِ الصَّوْمِ تَمَّ وَمَنْزِلِي عِنْدَ الكِرَامِ بَنِي المُلُوْكِ النُّجُبُ
آلُ الخَلِيْفَةِ رَبِّ أَرْغِدْ عَيْشَهُمْ وَاحْفَظْ وَوَفِّقْهُمْ لِمَا هُوَ أَصْوَبُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ شَرُفَتْ بِتُرْبَتِهِ الكَرِيمَةِ يَثْرِبُ
وَكَذَا عَلَى آلِ الرَّسُوْلِ وَصَحْبِهِ مَا لَاحَ بَرْقٌ أَوْ تَلَأْلَأَ كَوْكَبُ
(الحَقَّ أُبْدِي) عَدُّهَا وَخَتْمَتُهَا عَوْنِي الإلَهُ لَهُ الثَّنَاءُ الأَطْيَبُ

٢ ـ **أُرْجُوْزَةُ النَّصَائِحِ وَالحِكَمِ**، والمسَمَّى بـ «مُزِيْلِ الظُّلْمَةِ فِي النَّصِيْحَةِ وَالحِكْمَةِ»(١): من بحر الرجز، وعدد أبياتها (١٩٢) بيتاً، أوَّلها:

الحَمْدُ للهِ الحَكِيمِ الهَادِي مُبَيِّنِ الضَّلَالِ وَالرَّشَادِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدَا عَلَى رَسُوْلِ اللهِ مِصْبَاحِ الهُدَى

وآخرها:

وَالحَمْدُ فِي الأُوْلَى لَهُ وَالآخِرَهْ تَارِيخُ نَظْمِي مُجْمَلٌ فِي المغْفِرَهْ
أَمْلَى مُحَمَّدْ صَالِحُ العَبَّاسِي يَرْجُوْ بِهِ ثَوَابَ رَبِّ النَّاسِ
أَبْيَاتُهُ تِسْعُونَ مِنْ بَعْدِ المِيَهْ فَاحْفَظْهُ تَرْقَى الدَّرَجَاتِ السَّامِيَهْ

---

(١) حيث جاء في خاتمتها:
سَمَّيْتُ نَظْمِي بِمُزِيْلِ الظُّلْمَةِ نَصَائِحُ جَمَعْتُهَا فِي الحِكْمَةِ

٣ ـ **مُرِيحُ الفِكْرِ في بَابِ الذِّكْرِ**: رسالة طبعت بالهند بالمطبعة الحجازية، في (١٤ شعبان سنة ١٣٥٩هـ)[١]، وموضوعها بيان فضل الذكر والجهر به، والذكر بلفظ الجلالة: «الله الله»، وبلفظ: «هُو هُو»، وقد ردَّ على هذه الرسالة الشيخ حامد محمد عبد الله العبادي في رسالة سمَّاها: «البيان الشَّافي في تصحيح ما جاء في رسالة العبَّاسي».

أقول: أما المسألة الأولى فخلافية والكلام فيها يطول، وأمَّا الذكر بـ«الله الله»، فهذا ليس بذكر مشروع ولم يرد عن النبي ﷺ ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولا العلماء المعتبرين، وأما الذكر بـ«هُو هُو»، وتعليله بأنه اختصار للفظ «الله» أي الاقتصار على «الهاء» من لفظ الجلالة، فهي ليست بكلمة مفيدة فضلاً بأن تكون ذكراً، ومع احترامي لمن قال به إلا أن الحق أحق أن يتبع[٢]، كما أن هذه المسألة قد أثيرت سابقاً في البحرين وقد ردَّ عليها علماء البحرين وقضاتها وبيَّنوا بدعية ذلك، منهم: الشيخ القاضي عبد اللطيف السعد والقاضي عبد اللطيف بن علي الجودر، وقد عزز هذه الفتوى علامة عصره ووحيد مصره الشيخ القاضي قاسم بن مهزع بتقريره وتصديقه عليه ـ فبرز تبراً مسبوكاً في الحق والإنصاف، والحمد لله[٣] ـ، والشيخ عبد الله بن إبراهيم

---

(١) الموافق: (١٧ سبتمبر/ أيلول ١٩٤٠م)، تقريباً.

(٢) ولعل عذر الشيخ رحمه الله تعالى أنه ألف رسالته في مقتبل العمر كما جاء ذلك في تقريظ الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرزاق آل محمود الشافعي (ت١٣٦٨هـ)، والشيخ عبد الله بن محمد كجوي الشافعي (ت١٣٩٠هـ).

(٣) كما جاء في التقرير.

الصحاف، رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته[1].

٤ ـ **مُنَاجَاتٌ إِلَى بَابِ قَاضِي الحَاجَاتِ**: منظومة من بحر الكامل، عدد أبياتها (٢٥) بيتاً، نظمها بتاريخ (٢٦/ ٩/ ١٣٨٢هـ)، ملحقة بآخر الكتاب.

٥ ـ **القَوَاعِدُ المَلِيْحَةِ فِي فَنِّ النَّحْو**: منظومة من بحر السَّريع، وهي نظم لمتن الآجروميَّة في النَّحو، في (١٨٥) بيتاً، أوَّلها:

حَمْداً لِرَبِّي وَاهِبَ المَوَاهِبِ ... الرَّافِعِ المَنَّانِ بِالمَنَاصِبِ
لِلْخَافِضِ الجَازِمِ بِالتَّوْحَيْدِ ... سُبْحَانَهُ مِنْ قَادِرٍ مُرِيْدِ

وآخرها:

أَبْيَاتُهُ مَعْدُوْدَةٌ فِي (قَالَ لَك) ... تَارِيْخُهُ يُحْسَبُ فِي (مَا شَغَلَكْ)
(١٨٥) ... (١٣٩١)

٦ ـ **تَخْمِيْسُ أَبْيَاتٍ فِي التَّوْحِيْدِ**: وهي رسالتنا هذه، خمَّس فيها لاميَّة شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٧ ـ **الدُّرَّةُ الفَرِيدَة**: نظم العقيدة في التوحيد، من بحر الرجز، وهي نظم لعقيدة السُّيوطي، وعدد أبياتها ستٌّ وستون بيتاً، وقد طبعت في مطبعة الإمام، أوَّلها:

بِاسْمِ الإلَهِ خَالِقِ الإنْسَانِ ... أَكْرَمَهُ بِالعَقْلِ وَالبَيَانِ
قَالَ عُبَيْدُهُ أَقَلُّ النَّاسِ ... أَعْنِي مُحَمَّدْ صَالِحَ العَبَّاسِي

---

(١) ولأخينا الشيخ عبد الله الحسيني رسالة في هذا الموضوع أتى فيها بما يستجاد ويستفاد وجمع أقوال الأئمة الأمجاد، مع التحرير والتحقيق والتدقيق، يسر الله له طبعها.

وآخرها:

أَطْلُبُ مَنْ يَرَاهُ مِنْ إخْوَانِي ... إصْلَاحَ مَا جَنَيْتُ فِي البَيَانِ
عُذْرِي صَحِيحٌ عَنْدَ أَصْحَابِ النَّظَرْ ... لأَنَّنِي نَظَمْتُ ذَاكَ في الصِّغَرْ

٨ ـ **التُّحَفُ الشَّهِيَّة**: منظومة في العقيدة، من بحر الرجز، وعدد أبياتها مائتان وخمس وثمانون بيتاً، نظمها الشيخ في مقتبل عمره، أوَّلها:

بِاسْمِ الإلهِ المَلِكِ القَيُّوْمِ ... مُزَيِّنِ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ
وَرَافِعِ السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ عَمَدْ ... وَبَاسِطِ الأَرْضِ عَلَى مَاءٍ جَمَدْ

وآخرها:

تَمَّ بِعَوْنِ المَلِكِ الإلَهِ ... نَظْمُ الفَقِيرِ إبْنِ[1] عَبْدِ اللهِ
العَدَّ (خُذِ الهَدَلْ) وَجُدْ (بِالمَهْرِ) ... أَرِّخْهُ وَعُدَّ يَا ذَا الفَخْرِ

(١٣٦٩) (٢٧٧)

٩ ـ **نَظْمُ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى**: من بحر الرجز، وعدد أبياتها ستة وعشرون بيتاً، طبعت سابقاً، أوَّلها:

بِاللهِ وَالرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ ... المَلِكِ القُدُّوْسِ وَالكَرِيمِ
المُؤْمِنِ المُهَيْمِنِ الجَبَّارِ ... المُتَكَبِّرِ العَزِيْزِ البَارِي

---

(١) بهمزة القطع للضرورة الشعرية، ومنه قول حسان بن ثابت:
وشقَّ له من إسمِه ليُجِلَّه ... فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمَّدُ
وقول جميل بثينة:
ألا لا أرى إثنينِ أحسنَ شيمةً ... على حدَثان الدهرِ منِّي ومن جُمْلِ
وغير ذلك، ولو أنَّ الناظم رحمه الله قال: (نَظْمُ الفَقِيرِ نَجْلِ عَبْدِ اللهِ) لكان أوفق.

وآخرها:

أَسِـيـرُ ذَنْـبِـهِ أَقَـلُّ الـنَّـاسِ	الـفَـارِسِـيُّ مِـنْ وَلَـدِ الـعَـبَّـاسِ
أَبْـيَـاتُـهُ (هَـاكَ) بِـلَا سُـؤَالِ	تَـارِيْـخُـهُ (خُـذْ هُـمْ) بِـلَا جِـدَالِ
(٢٦)	(١٣٤٥)

وللشَّيخ مؤلَّفات أخرى متناثرة، وأبيات شعريَّة متفرِّقة، لعلَّ الله أن يهيِّء لها من يجمع مُتَنَاثِرَهَا، ويَنْظِمَ مُتَفَرِّقَهَا[١]، كما أتمنَّى مِنْ كلِّ مَنْ وقف على شيءٍ مِنْ مؤلَّفاتِهِ أو منظوماتِهِ، أو رسائلِهِ أو صوره[٢]، أو الوثائقِ والمسْتنداتِ، أنْ يُرشِدَنا إليها أو يطلعنا عليها، فالدالُّ على الخير كفاعله.

وفاته:

توفي الشَّيخ ـ رحمه الله ـ فجر يوم السَّبت السَّابع من ذي القعدة الحرام (١٤١٢هـ)، الموافق (١٠ مايو/ أيار ١٩٩٢م)، عن عمر قارب التِّسعين، في الدَّعوة وخدمة الدِّين، وصَلَّى عليه شيخنا نظام يعقوبي العبَّاسي وذلك بمسجد مقبرة المنامة ودفن فيها، فجزاه الله عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء، وتغمَّده بفضله وكرمه.



---

(١) وللشَّيخ عبد الله بن محمد رضا كاندي جهد مشكور في جمع كثير من مؤلَّفات الشَّيخ ومصنَّفاته، والعناية بترجمته وأحواله، وذلك بتوجيه من شيخنا نظام يعقوبي، فجزاهما الله خيراً.

(٢) سواء صور الشَّيخ الفتوغرافيَّة، أو صور الوثائق والمستندات.

البحرين والمذاهب الفقهية السُّنِّيَّة

ظهر في تاريخ أهل السُّنَّة مذاهب فقهيَّة عديدة انقرض غالبيتها، ولم يبقَ منها إلا من وفَّقه الله بتلاميذ أخذوا على عاتقهم نشر مذهب إمامهم.

ومن تلك المذاهب الإسلاميَّة المذاهب الأربعة:

المذهب الحنفي: أتباع الإمام أبو حنيفة النُّعمان (ت١٥٠هـ)، صاحب أكثر المذاهب انتشاراً في أكثر البلدان الإسلاميَّة، لُقِّب بالإمام الأعظم، ومن أقوى أسباب انتشار مذهبه هو تولِّي تلميذه أبو يوسف لمنصب القضاء وذلك في خلافة هارون الرَّشيد، وتصدِّي تلميذه الآخر محمَّد بن الحسن للتَّدريس والتَّأليف.

والمذهب المالكي: أتباع إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس الأَصْبحي (ت١٧٩هـ).

والمذهب الشَّافعي: أتباع الإمام محمَّد بن إدريس الشَّافعي (ت٢٠٤هـ).

والمذهب الحنبلي: أتباع الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، وهو آخر المذاهب الأربعة وأقلها أتباعاً، إلا أنه اشتهر وبدأ في الانتشار بعد ظهور شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيِّم الجوزيَّة، وفي

القرون المتأخِّرة كانت دعوة الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب وتبنِّي آل سعود لدعوته سبباً لانتشار المذهب الحنبلي، رحم الله الجميع.

إلَّا أن أقدم المذاهب بالبحرين ـ والله أعلم ـ المذهب المالكي، ثم المذهب الشَّافعي، وهما الأقدمان والسَّائدان في البحرين، ثم المذهب الحنبلي، وقد تمَّ تعيين القضاة في المحاكم الشَّرعيَّة السُّنيَّة بالبحرين من هذه المذاهب الثَّلاث.



البحرين ومذهب الحنابلة

دخل المذهب الحنبلي البحرين ـ فيما أعلم ـ بقدوم علماء نجد، سواء للإستقرار بها أو المرور عليها، وتولِّي بعضهم منصب القضاء أو اشتغالهم بالتَّدريس بالبحرين:

فمنهم: الشَيخ العلَّامة القاضي عثمان بن عبد الله آل جامع الحنبلي (ت١٢٤٠هـ) صاحب كتاب «الفَوَائِدُ المنْتَخَبَاتِ فِي شَرْحِ أَخْصَرِ المُخْتَصَرَاتِ» في الفقه الحنبلي[1]، وتمَّت هذه الأسرة العلميَّة الحنبلية في القضاء وعلى المذهب الحنبلي إلى أن جاء الشَّيخ عبد العزيز بن عيسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن عثمان آل جامع فتحوَّل إلى المذهب المالكي (ت١٣٨٦هـ)، وبمدينة المحرق مسجد اشتهر باسم «مسجد الحنابلة»، والذي بناه عبد الله بن سُليمان الجامع، كما أنَّ أسرة آل جامع من أقدم الأسر العلميَّة بالبحرين إن لم تكن أقدمها، كما أنَّها من أقدم الأسر التي اهتمت بنشر الثَّقافة والعلوم بالبحرين، وذلك عن طريق التَّدريس وبيع الكتب[2].

---

(١) السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: (٢/ ٧٠١)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٧٠٤).

(٢) وقد جمع أخبار وتراجم عائلة الجامع أخونا بشَّار الحادي في بهجة المسامع بذكر أخبار آل جامع.

ومنهم: الشَّيخ عبد العزيز بن حَمَد المعمر النَّجدي الحنبلي (ت١٢٤٤هـ) صاحب كتاب «مِنْحَةُ القَرِيْبِ المُجِيبِ فِي الرَّدِّ عَلَى عُبَّادِ الصَّلِيْبِ»[١].

ومنهم: المحسن الكبير مُقْبل بن عبد الرحمن الذِّكير الحنبلي (ت١٣٤١هـ)[٢]، وقد طَبَع ـ رحمه الله ـ الكثير من كتب الحنابلة كـ«شَرْحُ الإقْنَاع» و«شَرْحُ المنْتَهَى» كلاهما في الفقه لحنبلي، و«إعْلَامُ الموَقِّعِيْن» و«حَادِي الأَرْوَاح» في ثلاث مجلدات كلاهما لابن القيِّم، و«إثْبَاتُ العُلُّو» لموفَّق الدِّين المقدسي الحنبلي، و«العَقِيْدَةُ الصَّابُوْنِيَّة» لأبي عثمان الصَّابوني، وكتاب «تَأْيِيدُ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ انْحَادَ وَانْحَرَفَ ودُعِيَ بِاليَمَانِيِّ شَرَف» للعلامة سُليمان بن سَحْمان النَّجدي الحنبلي، وغيرها من الكتب.

---

(١) وذلك أن مندوباً إنجليزياً قدم البحرين وكان قسِّيساً نصرانيَّاً ومعه كتاب يحوي شبهات في إثبات صحَّة النَّصرانيَّة وتوهين دين الإسلام، فعرضه على حاكم البحرين، وطلب منه عرضه على علماء البحرين ليجيبوا عليه، أو يقرُّوا بصحة ما فيه إن عجزوا، فَعُرِضَ عليهم فقالوا: لا نستطيع الرَّد عليه، فقال له أحد خواصه: إنَّه يوجد في البحرين شابٌّ من طلبة العلم من أهل نجد، فأرى أن تعرضه عليه عسى أن يكون له عنده جواب، فأعطى الكتاب لهذا الطَّالب، وهو الشَّيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر، فقال: سأعطيكم الجواب عليه بعد شهر إن شاء الله تعالى، فلم يمضِ شهر حتى دفع إليهم الجواب السَّديد، واسمه «منحة القريب المجيب في الرَّد على عبَّاد الصَّليب» فدعى القسِّيس الانجليزي، فلما قرأ الرَّد دهش من قوَّة الجواب وسداد الرَّأي.
علماء نجد: (٢/ ٤٤٦).

(٢) وله مسجد باسمه (مسجد مقبل بن ذكير)، جنوب فريق (حي) الفاضل بالمنامة.

ومنهم: العلامة الفقيه محمد بن عبد العزيز بن مانع التَّميمي النَّجدي الحنبلي (ت١٣٨٥هـ)[1].

ومنهم: الشَّيخ المفسِّر عبد الرَّحمن بن محمَّد بن خَلَف آل نادر الدُّوسري (وُلد بالبحرين سنة (١٣٣٢هـ) وتوفى سنة (١٣٩٩هـ)، وقد تتلمذ بالبحرين على الشَّيخ القاضي قاسم بن مهزع بن فايز السُّبيعي المالكي (ت١٩٤١م).

ومن نزل البحرين: الشَّيخ الفقيه سُلَيمان بن سَحْمان بن مُصْلح النَّجدي الحنبلي (ت١٣٤٩هـ)[2].

ومن الأسر الحنبليَّة الَّتي استقرَّت بالبحرين: عائلة الجلاهمة، وهذه الأسرة وإن كانت ليست علميَّة، إلا أن صلتها كانت قويَّة بأئمة الدَّعوة الحنابلة في نجد، ومنها أسرة البسَّام، والقاضي، والرُّوق، والزَّامل، والمنيع، والعَجَاجِي.

فوجود الحنابلة بالبحرين قديم، وتواصل العلماء فيما بينهم ليس بالحديث، وذلك بسبب الجوار (السُّعودية ـ قطر ـ وغالبيَّة أهل الكويت)، وتبادل الزِّيارات بين التُّجار والعلماء، لا كما يظنُّ البعض بأنَّ تاريخهم من تاريخ افتتاح جسر الملك فهد! نعم، كَثُر

---

(١) ومن المواقف العلمية في هذا الصدد، ما فعله المحسن: مقبل بن عبد العزيز الذكير حيث أنشأ نادياً في البحرين لتحرير المقالات وإعداد الردود على النصارى الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية، وقد تولى الشَّيخ محمَّد بن عبد العزيز المانع رئاسة النادي، وقام به خير قيام. علماء نجد: (٣/ ٨٣٠).

(٢) وذلك في سنة (١٣٣٢هـ)، كما جاء في كتابه «إقامة الحجَّة والدَّليل وإيضاح المحجَّة والسَّبيل».

انتِشارهم بعد الجسر وذلك لسهولة المواصلات أولاً، ولوجود الجامعات الشَّرعيَّة ثانياً.

وهنا أنوِّه أنَّ وجود المذهب المالكي والشَّافعي والحنبلي ـ وبهذا القِدَم ـ بالبحرين، واستدعاء بعض علماء الحنابلة والشَّافعيَّة للقضاء لدليل على ما تمتاز به البحرين ـ حكَّاماً وشعباً ـ من التَّسامح والمودَّة وعدم التَّعصُّب في الآراء أو المذاهب، أو لرأيٍ أو مذهب معيَّن.



البحرين وآراء ابن تيميّة

ومما لا يجهل اعتماد علماء نجدٍ وأئمَّة الدَّعوة بها على أقوال شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيِّم في فتاواهم وتصانيفهم، وكما سبق الذِّكر من وجود تبادل الزِّيارات بين علماء البحرين وعلماء نجد، وتتلمذ كثيرٍ من علماء البحرين بالإحساء ومكة المكرَّمة والمدينة المنوَّرة، مما أتاح لهم الاحتكاك ومخالطة علماء الحنابلة والوقوف على مذهبهم وآرائهم، والمراسلات والردود العلميَّة بينهم، وهذا ممَّا كان له الأثر الأكبر في تأثُّر علماء البحرين ببعض آراء شيخ الإسلام ابن تيميَّة وتناقلها.

كما أنَّ المحسن مُقْبل بن عبد الرَّحمن الذِّكير (ت١٣٤١هـ) كان له الفضل في طباعة بعض مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة، فقد طبع له على نفقته الفتاوى الكبرى في خمس مجلدات، والعقيدة التَّدمرية، وهذه الكتب والَّتي سبق ذِكْرها طَبَعها ووَقَّفَهَا لمَّا كان بالبحرين.

أهل البحرين والاستفتاء عن منزلته:

ومما يدل على ذلك أيضاً مجلة «المنار» والتي كان يصدرها الشيخ السيد محمد رشيد رضا الحسيني من مصر، وكان لها انتشاراً واسعاً في الدول الإسلامية، وقد كان لها تأثيراً إصلاحياً على الأفراد

والمجتمعات، وقد وردت على المجلة عدة أسئلة من أهل البحرين[1] أجاب عنها السيد محمد رشيد رضا في مجلته، ولا يخفى تعلق محمد رشيد رضا بابن تيمية وآرائه ونهجه في إصلاح العقيدة ومحاربة البدعة والخرافة، ونشر الفكر الصحيح.

وغيرها من الأمور التي تدلنا على أن أهل البحرين وعلماءها قد اطلعوا على أقوال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وخبروها، وقلَّبوا أنظارهم وتمعنوا فيها.

ولا أدلَّ على ما ذكرناه من سؤال ورد على العلامة السيد محمد رشيد رضا من البحرين يسأله السائل عن حال شيخ الإسلام ابن تيمية نورده بتمامه للفائدة:

أسئلة من البحرين في الأئمة والمذاهب وما يجب على العامي[2]

(س ٧ ـ ١٠) من صاحب الإمضاء في جزيرة البحرين:

هل يقال: إن شيخ الإسلام ابن تيمية أعلم من الأئمة الأربعة أحمد

---

(١) كناصر خيري: يشكو في إحدى رسائله على ما في البحرين من البدع والمحدثات وسكوت بعض المنتسبين للعلم من أتباع المذاهب الأربعة عن إنكارها، وعن اعتقاد أن من شرب من نهر يبرأ من العلل والعاهات. وعلي إبراهيم كانو: يسأل عن حكم التذكير على المنائر قبل العشاء وقبل الفجر. مجلة المنار: (٢٣/ ١٩١، السنة ١٣٤٠هـ).

(٢) مجلة المنار: المجلد [٢٨] الجزء [٦] (ص٤٢٣)، صفر (١٣٤٦هـ = أغسطس/ آب (١٩٢٧م).

ومالك والشافعي وأبي حنيفة، وهل يجوز للعامي ألا يتمسك بمذهب من المذاهب الأربعة، وألا يقلد إمامًا من الأئمة الأربعة، وأن يكون مذهبه مذهب من أفتاه، وأن يلقب نفسه محمديًّا، ويومًا يسأل عالمًا شافعيًّا ويعمل بقوله، ويومًا يعمل بفتوى مالكي، ويومًا بفتوى حنبلي، ويتبع الرخص في مسائل العبادات.

وهل يجوز له إذا أفتاه عالم من المسلمين من الفقه أن يقول: ما أقبل الفقه، أقبل الكتاب والسنة فقط.

أفتونا على ذلك ولكم من المولى جزيل الثواب.

لمخلصكم خليل الباكر

(أجوبة المنار):

(١) هل ابن تيمية أعلم من الأئمة الأربعة ؟

إن لأئمة الفقه الأربعة المتَّبعين فضلاً على الشيخ أحمد تقي الدين ابن تيمية؛ لأنه لم يَصِرْ فقيهًا إلا باطلاعه على فقههم، كما أن لأئمة الحديث كأحمد والشيخين، وأصحاب السنن الأربع وغيرهم فضلاً عليه بأنه لم يكن محدِّثاً إلا بكتبهم.

ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصح منه فهمًا للكتاب والسنة فيما أعتقد؛ لأن اللغة العربية كانت لهم سليقة لا صناعة فقط كعلماء عصره، وهو قد بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، واطلع على ما لم يطلعوا عليه كلهم من الأخبار والآثار؛ لأنه اطلع على ما رووه وعلى غيره وحفظه وعرف ما قالوه هم، وما قاله غيرهم من أقرانهم في أسانيدها وفي معانيها، فهو في فتاويه يذكر خلاف الأئمة المجتهدين

في المسألة وأدلة كل منهم، ويمحص هذه الأدلة؛ فيتبين الراجح منها بالدليل، فمن تأمل فتاويه بنظر الإنصاف؛ يرى أن ما رجحه هو الحق في الغالب، كما ترى في رسالة أحكام السفر التي خالف فيها الأئمة الأربعة في بعض المسائل كتحديد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ويباح الفطر، ووافقه من جاء بعده من فقهاء الحديث المستقلين كالشوكاني.

ثم إنه قد حَدَثَ بعد الأئمة الأربعة بدع خلع عليها مبتدعوها ثياب زور عزيت إلى الدين، فاتبعها خلق كثير من المسلمين، منها ما جاء من شبهات الفلسفة، ومنها ما جاء من تصوف الهنود، ومنها ما كان من أوضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية إلخ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية من أعلم الناس إن لم يكن أعلمهم. بمثارات هذه البدع وشبهاتها ومنتحليها، ومن أقدرهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الإسلامي، والاستدلال على بطلانها، ولم يكن الأئمة يعرفون ذلك كله؛ لأنه لم يكن في زمنهم إلا بعضها، فالأمة الإسلامية محتاجة إلى شيء من علوم ابن تيمية لا تجده في شيء مما روي عن الأئمة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وأهمه بيانه لحقيقة التوحيد، وهدم قواعد الشرك والبدع، ودحض شبهات أهلها.

مع هذا كله لا ينبغي لأحد أن يقول: إن ابن تيمية كان أعلم من هؤلاء الأئمة هكذا على الإطلاق لما فيه من الدعوى بأنه ـ أي القائل ـ من طبقتهم، أو أعلم منهم، ولذلك قدر أن يرجح بعضهم على بعض، ولما فيه أيضًا من إثارة الخلاف والشقاق بينه وبين أتباعهم، وهم سواد المسلمين الأعظم مما هو في غنى عنه إن لم يكن صاحب هوى، ولأن الله تعالى قد نفع بعلمهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به، وهذا أمر عظيم، مثاله في المتأخرين الشيخ محمد عبد الوهاب

وأولاده وأحفاده الذي يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علمًا بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الإسلام، ولكن جده هو الذي هدى إلى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذي هو أساس الإسلام، وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف إلى دين الله الخالص، وكان أولاده وأحفاده ومنهم الشيخ عبد اللطيف هذا من بعض حسناته، وله مثل أجورهم كلهم رحمهم الله أجمعين.



لامِيَّةُ شَيْخِ الإسْلامِ

يَا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي ... رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ... لا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ ... لَكِنَّمَا الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وَأَقُولُ[1] فِي القُرْآنِ مَا جاءَتْ بِهِ ... آياتُهُ فَهُوَ القَديمُ المُنْزَلُ

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

وأَرُدُّ عُهْدَتَها[2] إلَى نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ الكِتابَ وراءَهُ ... وإذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

وَالمُؤْمِنُوْنَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وَإِلَى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

وَأُقِرُّ بالمِيْزَانِ وَالحَوْضِ الَّذِي ... أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهَلُ

وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ

والنَّارُ يَصْلَاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ ... وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيُدْخَلُ

---

(١) وفي نسخة: (وأُقِرُّ).

(٢) وفي نسخة: (عُقْبَتَها).

وَلِـكُـلِّ حَـيٍّ عَـاقِـلٍ فِـي قَـبـرِهِ عَـمَـلٌ يُـقـارِنُـهُ هُـنَـاكَ وَيُـسْـأَلُ
هَـذَا اعْـتِـقَـادُ الـشَّـافِـعِيِّ وَمَـالِـكٍ وَأَبِـيْ حَـنِـيْـفَـةَ ثُـمَّ أَحْـمَـدَ يُـنْـقَـلُ
فَإِنِ اتَّـبَـعْـتَ سَـبِـيْـلَـهُـمْ فَـمُـوَفَّـقٌ[1] وإنِ ابْـتَـدَعْـتَ فَـمَـا عَـلَـيْـكَ مُـعَـوَّلُ

❑❑❑

(١) وفي نسخة: (فَمُوَحِّدٌ).

التَّخْمِيسُ الشِّعري
وتخميس اللامية

التَّخْمِيْسُ الشِّعْرِي:

معنى التَّخميس: هو أن يعمد الشَّاعر إلى بيت شعرٍ، فيجعل صدره بعد ثلاثة أشطر ملائمة له في الوزن والقافية (أي يجعله عجُز بيت ثانٍ)، ثمَّ يأتي بعجز ذلك البيت بعد البيتين فيحصل على خمسة أشطر، ومن هنا جاءت التَّسمية بـ(التَّخميس)، وهو من فنون البلاغة، ويعتبر من محسَّنات الشِّعر المعروفة في الشِّعر الفصيح، فمثلاً:

يَا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي ... رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

فخَمَّسَه الشَّيخ على النَّحو التَّالي:

أَللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُخَلِّصَ نِيَّتِي ... أَبَدَاً وَيُحْسِنَ سِيْرَتِي وَطَوِيَّتِي

وَعَلَيْهِ مُعْتَمَدِيْ وَمِنْهُ مَعُوْنَتِي ... يَا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي

رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

❑ ❑ ❑

وصف تَخْمِيس أبيات في التوحيد

أصل التَّخميسة هي منظومة لشيخ الإسلام ابن تيميَّة من البحر الكامل، وعدد أبياتها خمسة عشر بيتاً، خمَّسها الشَّيخ ـ رحمه الله ـ إلى (٧٥) شطراً، ثمَّ أضاف عليها (١٥) شطراً من عنده جعلها خاتمة للتَّخميس، فكان التَّمام (٩٠) شطراً، وقد طبعت هذه التَّخميسة قديماً في حياة الشَّيخ ـ رحمه الله ـ، وقد حصَّلنا نسخة منها مصوَّرة من أخيه محمَّد بن عبد الله العبَّاسي حفظه الله تعالى، وشافاه وعافاه.

وقد سمعنا هذه المنظومة المباركة ومعها القواعد المليحة في علم النحو بتمامهما في مجلس واحد على شيخنا المسند نظام يعقوبي العبَّاسي بقراءة الشَّيخ عبد الله كاندي وبحضور الأخ عبد الله عيسى العبَّاسي، وذلك بمكتبه بسوق المنامة، ليلة الخميس (١٦رجب ١٤٣٠هـ)، الموافق (٩ يوليو/ تموز ٢٠٠٩م).



تخميس أبيات في التوحيد

أصلها للإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى

الله أسأل أن يخلص نيتي ... أبدا ويحسن منهجي وطريقتي
وعليه معتمدي ورب سريرتي ... يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي
رزق الهدى من للهداية يسأل

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
لا يختص عنه ولا يتحمل

[illegible] ... [illegible]
ويحب آل المصطفى أقرب ... حب الصحابة كلهم لي مذهب
ومودة القربى بها أتوسل

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... ولكلهم قدر وفضل ساطع
لكنما الصديق منهم أفضل

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... وأقول في القرآن ما جاءت به
آياته فهو القديم المنزل

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... وجميع آيات الكتاب أمرها
حقا كما نقل الطراز الأول

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... وأرد عهدتها إلى نقالها
وأصونها عن كل ما يتخيل

بسم الله الرحمن الرحيم
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من مطبوع المنظومة
ويظهر قيد القراءة والسماع في المسجد الحرام

١٠

من يهج مولاه اجتلب دماره — من حب لقياه أحب لقاءه
ويطول في دار النعيم ثواءه — قبساً لمن نبذ الكتاب وراءه
وإذا استقل يقول قال الاخطل

أولى البرية هديه واحبهم — الصالحون المتقون تابعهم
يهديهم المولى ويذهب رعبهم — والمؤمنون يرون حقاً ربهم
وإلى السماء يشير كيف ينزل

وبفتنة الاجداث معتقد وذى — بعد الملك وبالرحيم تعوذى
والموت منه كل نفس تلتقى — وأقر بالميزان والعرض الذى
أرجو بأنى منه ربا أنهل

والبعث حق بالكتاب المحكم — ثم الورود على النبي الاكرم
وكذا الحساب بما علمه مسلم — وكذا الصراط يمد فوق جهنم
فرحيم ناج وآخر مهمل

طوبى لمن طلب النجاة بهمة — ونجاه رب العالمين برحمة
كم للإله على الورى من نعمة — والنار يصلاها الشقي بحكمة
وكذا التقي إلى الجنان سيدخل

يجزى سعيد بالجنان بره — ويعذب العاصي بسابق شره
يا فوز من عمل التقى في عمره — ولكل حي سائل في قبره
عن حاله هناك ويسأل

أرجو قبول عبادتي ومناسكي — باللطف أرجو أن يكون مداركي
الله ربي ذو الجلال ومالكي — هذا اعتقاد الشافعي ومالك
وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل

أكرم بمن هو بالخلائق مشفق — والله في كل خير موفق
بالمؤمنين بكل حال يرفق — فإن اتبعت سبيلهم أوفق
وإن ابتدعت فما عليك معول

صورة الصفحة الثانية من مطبوع المنظومة

١١

أعظم ثوابي يا مهيمن رحمة	وارزق حبيبك في القيامة رفعة
خمسة ذي الأبيات أرجو دعوة	من قاريها لا لاكتساب سمعة

وعسى الإله بفضله يتقبل

ثم الصلاة على الرسول الأكرم	خير البرية ذي المقام الأعظم
وعلى القرابة من إليه ينتمي	وصحابه الغرّ الكرام الأنجم

وكذا التحية والسلام الأكمل

هذا محمد صالح العباس قد	أنهى بعون الرب تخميسا قصد
والحمد لله المجيد إلى الأبد	حمداً كثيراً لا يعد ولا يحد

طول الدوام له الثناء الأجزل

(تم التخميس)

صورة الصفحة الأخيرة من مطبوع المنظومة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٧٩)

تخميس أبيات في التوحيد

أصلها للإمام ابن تيمية

نظم الشيخ العلامة
محمد صالح العباسي الشافعي البحريني
المتوفى سنة (١٤١٢هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
السيد محمد رفيق الحسيني



بسم الله الرحمن الرحيم (١)

أَللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُخَلِّصَ نِيَّتِي ۞ أَبَداً وَيُحْسِنَ سِيْرَتِي وَطَوِيَّتِي

وَعَلَيْهِ مُعْتَمَدِي وَمِنْهُ مَعُوْنَتِي ۞ (يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي

رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ)

يُعْطِي الجَزِيلَ لِمَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ ۞ وَيُعَذِّبُ العَاصِي الكَفُورَ بِعَدْلِهِ

عَمَّ الوُجُودَ بِجُودِهِ وَبِطَوْلِهِ ۞ (اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ

لا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ)[١]

---

(١) البسلمة ليست في النسخة.

(٢) أسأل الله تعالى أن يجعل نيتي خالصة له أبداً في جميع أعمالي وأقوالي، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة: ٥]، وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات»، وأن يحسن سيرتي بين الناس ويطهّر طويتي من آفاتها، فعليه أعتمد وبه أستعين في جميع أموري وشئوني، يا من سألني عن مذهبي الذي أذهب إليه وعقيدتي التي أعتقد بها، رُزِقت الهدى إن كنت فعلاً عن الهداية تسأل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

فائدة: الطوية: هي الضمير. والعقيدة في اللغة: من العقد والربط، وفي الاصطلاح: يطلق على ما يجب الإيمان والتمسك به من الأمور الدينية.

طُوبَى لِمَنْ مِنْ ذِكْرِ[1] أَحْمَدَ يَطْرَبُ وَبِهَدْيِهِ مُتَمَسِّكٌ مُتَأَدِّبُ
وَبِمَدْحِ آلِ المُصْطَفَى أَتَقَرَّبُ (حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبُ
وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ)[2]

هُمْ لِلدِّيَانَةِ وَالعُلُومِ مَنَابِعُ هُمْ لِلْمَكَارِمِ وَالفَخَارِ مَجَامِعُ
هُمْ لِلنُّجُومِ كَمَا يَقُولُ الشَّافِعُ (وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعُ
لَكِنَّمَا الصِّدِيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ)[3]

---

(١) كذا، ولو قال: (طوبى لمن في ذكر أحمد يطرب) لكان أجود، والله أعلم.

(٢) يُعْطِي الجزيل لمن يشاء من عباده وذلك بفضل منه ومِنَّة، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ويعذب العاصي الذي كفر به أو بنعمته فيمنع فضله عنه بعدله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فقد عم جوده ومنُّه على كل موجود مخلوق، اسمع يا طالب الهداية والرشد كلام رجل تحقَّق من قوله وكلامه، فلم يتحيَّر ولم يتشكَّك؛ لأني لم أقلِّد أحداً، ولم أتعصَّب لمذهب، وهذا الكلام لا يتغير ولا يتبدَّل لأنه مأخوذ من الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة.

(٣) طاب وسعد من ينشرح صدره وتبرق أسارير وجهه عند ذكر محمد ﷺ؛ لأنه حريص على التمسك بهديه، والتأدب بخلقه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»، وإنني كما تقرَّبت إلى الله تعالى بمدح المصطفى ﷺ فإنني أتقرَّب كذلك بمدح آل المصطفى ﷺ وعليهم السلام، غير مغال فيهم ولا مجاف عنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وبحبهم أتقرَّب إلى الله تعالى، ومن حبي للمصطفى فإني أحب كل من صحبه من غير استثناء رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فحب القرابة والصحابة من الإيمان وبغضهم نفاق وخسران، وهذا لي مذهب =

طُـوْبَـى لِـعَـبْـدٍ خَـائِـفٍ مِـنْ رَبِّـهِ   وَجِلٍ عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ ذَنْبِهِ
أَرْجُـو الإِلَـهَ وَطَـامِـعٌ فِـي قُـرْبِـهِ   (وَأَقُـولُ فِـي الـقُـرْآنِ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ
آيَـاتُـهُ فَـهُـوَ الـقَـدِيـمُ الـمُـنْـزَلُ)[1]

= أذهب إليه واعتقاد أعوِّل عليه، وقدمتُ اعتقادي فيهم لأنهم نقلة هذا الدين، فكل ما يأتي من بعد فالمرجع إليهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فائدة: طُوْبى من الطيب، فقُلِبت الياء واواً لانضمام الطاءِ قبلها، وهي من طاب يَطيبُ، وقيل: هو اسم شجرة في الجنة (وهذا مروي عن النبي ﷺ، فقد أخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك، وآمن بك. قال: طوبى لمن رآني وآمن، وطوبى لمن آمن بي، ولم يرني. قال رجل: وما طوبى؟ قال: (شجرة في الجنة مسيرة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها). والصحابة: جمع صاحب، وهو في اللغة من طالت عشرتك به، وفي الاصطلاح: من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً ومات على ذلك.

(١) وذلك لأنهم منابع للدين والعلم، ومجامع لجميل الأخلاق وكريم الفعال، كيف لا وقد قال عنهم الشافع صلى الله عليه وآله وسلم: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون . . . الحديث» [مسلم: ٢٥٣١]، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهجهم القويم، والتَّعيس من عدل عن طريقهم، ولكل من هؤلاء الصحابة منزلته وفضائله التي لا تُجهل، لكن الصديق أبا بكر رضي الله عنه بالإجماع منهم أفضل، وذلك لسابقة إسلامه، واختصاصه لهجرته ﷺ، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]، أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وقال ﷺ: «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي، إني قلت: أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**» [البخاري: ٣٦٦١]. =

صَدَّقْتُ آيَاتِ الكِتَابِ بِأَسْرِهَا وَأَصُونُ عَنْ قَوْلِ المُعَانِدِ قَدْرَهَا
مِنْ رَبِّنَا حُلْوُ القَضَاءِ وَمُرُّهَا (وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا
حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ)(١)

مَنْ يَطْلُبُ التَّحْوِيلَ عَنْ مِنْوَالِهَا بِالجَهْلِ مِنْهُ أَخَلَّ فِي إِجْلَالِهَا
أَطْوِي عَنَانَ القَوْلِ فِي أَمْثَالِهَا (وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا
وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ)(٢)

= فائدة: حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» موضوع. انظر السلسلة الضعيفة حديث رقم (٥٨ و٦١).

(١) كما طاب وسعد من خاف ربه، وتذكَّر ما مضى من ذنبه، فكفَّ النَّفس عن هواها، ومنعها عن اتباع شهواتها، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١]، أرجو الله تعالى أن يجعلني منهم فأنال قربه في جنته، ومما أعتقده في القرآن الكريم ويجب على كل مؤمن أن يعتقده. ما جاءت به الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أنه كلام الله منزَّل على نبيه محمد ﷺ، غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهو المكتوب بين دفَّتي المصحف، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سورة منه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وغيرها من الآيات والأحاديث الواردة.

فائدة: الرجاء بالمد: هوتعلق القلب بمرغوب فيه مع أخذ الأسباب، وإلا فهو طمع مذموم.

(٢) كما أنني آمنت بجميع آيات الكتاب وصدَّقتها؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأحفظ هذه الآيات وأصونها وأحفظها عن فهم كل معاند، فأنفي عنه انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، =

....

= وتأويل الجاهلين.

وأمَّا القضاء والقدر فإنَّني أرضى بحلوه ومرِّه، خيره وشرِّه، والإيمان به واجب لأنه من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره؛ حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه». [صحيح الترمذي: ٢١٤٤].

وأمَّا صفات ربِّ العزَّة الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة فأثبتها كما أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأقول فيها ما قال الطراز الأول وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعييهم، قال محمد بن الحسن الشيباني: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه».

فمن رام تحويل معاني تلك الآيات والأحاديث الصحيحات الواضحات من المعطلة والمؤولة عن حقيقتها أو صرفها إلى غير معناها تنزيهاً للباري بزعمه أو رفعاً للتشبيه بحسب قوله، فعقله قاصر وعلمه ناقص، لأنه بذلك ـ من حيث جهله ـ أخل في الإجلال والتعظيم وتنزيهه للوحيين، فالقرآن ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، والسنة النبوية ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦]، فأقطع حبال العقل في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة في الصفات وأرجع عهدتها إلى ناقليها من الأئمة الأثبات والمهرة الثقات، وأحمي تلك الآيات والأحاديث وأصونها عن كل ما يتخيل بالبال أو يخطر بالخيال، من تأويل أو تشبيه أو تكييف أو تعطيل.

مَــنْ يَــدْعُ مَــوْلاهُ أَجَــابَ دُعَــاءَهُ مَــنْ حَــبَّ لُــقْــيَــاهُ أَحَــبَّ لِــقَــاءَهُ
وَيُــطِــيــلُ فِــي دَارِ الــنَّــعِــيــمِ قِــرَاءَهُ (قُــبْــحــاً لِــمَــنْ نَــبَــذَ الــكِــتَــابَ وراءَهُ
وإِذَا اسْــتَــدَلَّ يَــقُــولُ قَــالَ الأَخْــطَــلُ)(1)

---

(١) ومن صفاته تعالى أنه يسمع دعاء من يدعوه، ويستجيب دعوة من يرجوه، لأنه سميع مجيب عليم قريب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ومن صفاته المحبة فإنه سبحانه يحب من أحبه، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وفي الحديث: «**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه. ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه**» [مسلم: ٢٦٨٥]، وعلى المؤمن أن يحرص على مواطن حبه تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وغيرها من الآيات، فمن أحبه الله تعالى وفق لكل خير، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحبّ عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض**» [البخاري: ٧٤٨٥]. والآيات والأحاديث كثيرة في ذلك، فمن فاز بحب الله تعالى له سعد في الدنيا والآخرة ونال الهداية والوقاية والتوفيق والسداد، ومن تمام محبته لعبده أنه يقرِّبه في دار الخلد ويخلِّد نعيمه في دار المقام، لكن هذه المحبة لا تنال إلا بطاعته فيما أمر واجتناب معصيته فيما نهى، فلا تنال درجة المحبة إلا باتباع دون الابتداع ففي الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**» [البخاري: ٦٥٠٢]، لكن من ترك الآيات ونبذها والسنن النبوية وهجرها، ورغب عن هدي القرآن بوسوسة الشيطان، وحكَّم المعقول ونبذ صريح المنقول، وإذ استدل لبدعته بأحاديث ضعيفة موضوعة أو بأبيات شعرية مصنوعة، =

أَوْلَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَهُ وَأَحَبَّهُمْ   الصَّالِحُونَ الْمُتَّقُونَ فَأَيُّهُمْ
يُدْنِيهِمُ الْمَوْلَى وَيُذْهِبُ رُعْبَهُمْ   (وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ
وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ)(1)

= كاستدلال بعضهم ببيت ينسب للأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليل

فقبحاً لسيرته ومسيرته وعلمه وتعلمه.

فائدة: قال ابن حزم: (ملعون ملعون قائل هذا البيت، وملعون من جعل هذا النصراني حجة في دين الله)، [الفصل٣/ ٢١٩]، وقال الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان».

(١) فمن طمع بمحبته وقربه فعليه أن يلزم الصلاح والتقوى في أقواله وأفعاله وفي حركاته وسكناته، فإن أولى الناس بقربه وأحبهم لديه هم أهل الصلاح والإيمان والإحسان، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**» [مسلم ١٨٢٧]، كما أنه تعالى يزيل عنهم وحشة القبر وأهوال يوم القيامة فتتلقاهم الملائكة بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحديد: ١٢]، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم.

ومن تمام حبه لأوليائه أنهم يرون ربهم في الجنة بأبصارهم حقيقة، كما جاءت النصوص القرآنية، وتواترت الأحاديث النبوية، والآثار السلفية، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى، =

وَبِفِتْنَةِ الأَجْدَاثِ مُعْتَقِدٌ وَذِي بَعْدَ المَمَاتِ وَبِالرَّحِيمِ تَعَوُّذِي
وَالمَوْتُ مِنْهُ كُلُّ نَفْسٍ تَغْتَذِي (وَأُقِرُّ بِالمِيْزَانِ وَالحَوْضِ الذِي
أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيّاً أَنْهَلُ)[1]

= وأما السنّة النبوية فقد تواترت الأخبار بأن المؤمنين يرون اللّه في الدار الآخرة في العرصات، وروضات الجنات، قال يحيى بن معين: «عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية، كلها صحاح»، ورؤية رب العالمين هي أعظم نعيم أهل الجنة وأجلها.

فائدة: ألف فيه الإمام الآجري «التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة» مطبوع، والدارقطني «الرؤية» مطبوع، وابن النحاس «رؤية الله تباك وتعالى» مطبوع.

ومما تواترت به الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثبته السلف الصالح ويجب الإيمان به صفة النزول لله تعالى، وأنه ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**» [البخاري: ١١٤٥، مسلم ١٦٨ ـ ٧٥٨]، نزولاً يليق بجلال عظمته وباهر كبريائه من غير تأويل ولا تكييف ولا تعطيل.

فائدة: لشيخ الإسلام كتاب مطبوع مستقل في شرح حديث النزول، وللدارقطني «أحاديث النزول» مطبوع.

(١) ومن معتقدي ومعتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين، وفتنة القبر وأهواله، فالموت كل ذائقه لا محالة، قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فإذا مات الميت فهو إما في نعيم أو عذاب، للآيات الواردة والأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا فإنني ألجأ إلى الرحمن الرحيم مستعيذاً ومستجيراً به بأن يقيني كل ذلك كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من ذلك، =

....

= فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فهم يعرضون على النار في قبورهم، ويوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في أشد أنواع العذاب. ومن الأحاديث الواردة حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يستعيذ من عذاب القبر، ومن فتنة الدجال، وقال: «**إنكم تفتنون في قبوركم**»، [صحيح النسائي ٢٠٦٤]، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**استجيروا بالله من عذاب القبر ؛ فإن عذاب القبر حق**» [صحيح الجامع: ٩٣٢]، وأن ذلك العذاب وذلك النعيم يحصل لروحه وبدنه جميعاً.

فائدة: وللبيهقي «إثبات عذاب القبر» مطبوع، والفتنة: الامتحان والاختبار، والأجداث جمع جدث، وهي القبور، والتعوذ: هو الالتجاء والاعتصام والتحرز، وحقيقتها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، والفرق بين العياذ واللياذ، أن العياذ: لدفع مكروه، واللياذ: لطلب محبوب، ومنه قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره

ومن المسائل الغيبية التي أعتقدها ويجب الإيمان بها الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات يوم القيامة، وأن له كفتان توزن بهما صحائف الأعمال، لأنه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة: ٦]، وأما الأحاديث فمن ذلك حديث جبريل: «قال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: فإذا فعلت هذا فأنا مؤمن ؟ قال: نعم قال: صدقت» [صحيح الجامع ٢٧٩٨]، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**. وقال: =

وَالبَعْثُ حَقٌّ بِالكِتَابِ المُحْكَمِ ثُمَّ الوُقُوفُ لَدَى العَلِيمِ الأَحْكَمِ
وَكَذَا الحِسَابُ فَيَا هَنَاءَ مُسَلِّمِ (وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمِ
فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ)[1]

= اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]» [البخاري ٤٧٢٩، ومسلم ٢٧٨٥]، وأما الكفار فلا توزن أعمالهم بل يقررون بها ويجزون عليها، فإنهم لا حسنات لهم، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ومن المسائل الغيبية التي أعتقدها وينبغي على المؤمن اعتقادها الإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، أرجو الله تعالى أن يرزقني منه شربة هنية لا أظمأ بعدها أبداً، قال النبي ﷺ: «لقد أنزلت عليَّ آنفاً سورة» فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: اللّه ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدث بعدك» [مسلم: ٤٠٠].

فائدة: قال الإمام السيوطي في البدور السافرة: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين» [ص١٦٤].

(١) ومن المسائل الغيبية التي أعتقدها ولا يكون المرءُ مؤمناً إلا بها: الإيمان بالبعث بعد الموت لثبوتها في محكم الآيات، قال تعالى ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ [التغابن: ٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، وتواترها في صحيح الروايات، منها: الحديث القدسي: «يقول الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون =

....

= علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً! وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأً أحد» [البخاري ٤٩٧٤]، فلا جرم أن لا ينكره إلا كافر ملحد أو زنديق متمرد.

فائدة: البعث: لغة هو القيام، وشرعاً: هو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم، وقد ألف فيه ابن أبي داود «البعث» مطبوع، والبيهقي «البعث والنشور» مطبوع.

ومن المسائل الغيبية المتعلقة بيوم القيامة والتي يجب الإيمان بها الإيمان بالقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، حفاة عراة غرلاً، في يوم عظيم الهول كثير الفزع، جليل الخطب شديدٌ صعب، كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وقال النبي ﷺ: «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**» [البخاري: ٦٥٣١، ومسلم: ٢٨٦٢].

ومن المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها، والتي يهنؤ المسلم بالتسليم لها، الحساب والفصل بين العباد، بتعريف الله تعالى الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من حوسب يوم القيامة عذب**»، فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**» [مسلم: ٢٧٧٦].

فائدة: الهني: الذي لا آفة فيه، والمستلذ الخالي من المنغصات، والحساب في اللغة: العد، وشرعاً: توقيف الله تعالى عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم.

وكما آمنت بالمسائل السابقة فإنني أؤمن كذلك بالصراط وهو الجسر =

طُوبَى لِمَنْ طَلَبَ النَّجَاةَ بِهِمَّةٍ وَحَبَاهُ رَبُّ العَالَمِينَ بِرَحْمَةِ
كَمْ لِلْإِلَهِ عَلَى الوَرَى مِنْ نِعْمَةٍ (والنَّارُ يَصْلَاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةِ
وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيُدْخَلُ)[1]

= المنصوب على متن جهنم، بين الجنة والنار، أدق من الشعر وأحد من السيف، وأظلم من الليل، فمن وحد الله تعالى ولم يشرك به، وآمن بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعصه، وفاز برحمة الله تعالى نجى من مزلَّة الصراط وإلا هوى في نار جهنم، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث طويل: «**ثم يوضع الصراط بين ظهراني جهنم، قال وإنه لدحض مزلة وإن له كلاليب وخطاطيف. قال عبد الرحمن لا أدري فلعله قال حشيشة ينبت بنجد يقال له السعدان قال ونعتها، قال: ثم قال: والأنبياء بجنبي الصراط وكثر قولهم: اللهم سلم سلم فأكون أنا و أمتي أول من يمر أو قال أول من يجيز، قال فيمرون عليه مثل البرق ومثل الريح ومثل أجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مكلم ومكردس في النار**» [إسناده جيد على شرط مسلم، تخريج كتاب السنة: ٦٣٤]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف، مدحضة مزلة، عليه كلاليب من نار يخطف بها؛ فممسك يهوي فيها؛ ومصروع، ومنهم، من يمرون كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس ثم كرمل الرجل، ثم كمشي الرجل، ثم يكون آخرهم إنساناً رجل قد لوحته النار، ولقي فيها شرًّا حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته.. الحديث» [صحيح الترغيب ٣٦٢٧].

(١) طاب وسعد كل من سعى للنجاة بهمة وإقبال، ووفقه الله تعالى لطاعته واختاره برحمته، فكم من نعمة لله تعالى علينا، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لن ينجي أحداً منكم عمله، ولا أنا، إلا إن يتغمدني الله برحمته، ولكن سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا**» =

يُجْزَى سَعِيداً بِالجِنَانِ بِبِرِّهِ وَيُعَذَّبُ العَاصِي بِسَابِقِ شَرِّهِ
يَا فَوْزَ مَنْ عَمِلَ التُّقَى فِي عُمْرِهِ (وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبرِهِ
عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ)[1]

= [صحيح الجامع: ٥٢٢٩]، والنار يلجها من شقي في الدنيا بالمعصية، والجنة يدخلها من سعد في الدنيا بالطاعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٥ ـ ١٠٨]، وُروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يدخل النار إلا شقي، قيل: يا رسول الله! ومن الشقي؟ قال: من لم يعمل لله بطاعة، ولم يترك له معصية**» [ضعيف ابن ماجه: ٤٩٨٨]، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**». قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» [صحيح البخاري: ٧٢٨٠].

(١) فالله سبحانه وتعالى يكافئ المطيع بأن يجيره من النار فيكون من أهل الجنة بفضله، ويعاقب العاصي بحرمانه من الجنة فيكون من أهل النار بمعصيته، فيا لفوز من لزم التقى في حياته فسعد في آخرته، ويا لخسارة من لزم المعصية في حياته فشقي في خاتمته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، والجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فيجب الإيمان بهما واعتقاد وجودهما.

ولكل مكلف في قبره قرين يجده بحسب عمله من خير أو شر، فالرجل الصالح كما رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**يمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول: بشَّرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه الحسن الذي جاء بالخير، فيقول: هذا يومك الذي** =

أَرْجُو قَبُولَ عِبَادَتِي وَمَنَاسِكِي ... بِاللُّطْفِ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مُدَارِكِي

أَللَّهُ رِبِّيْ ذُوْ الجَلَالِ وَمَالِكِ ... (هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ

وَأَبِيْ حَنِيْفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ)[1]

= كنت توعد ـ أو الأمر الذي كنت توعد ـ أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصيته، فجزاك الله خيراً فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي». والرجل الفاجر كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث والله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصيته»، ويسأله الملكان اللذان ينزلان عليه في قبره كما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك في النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة ـ قال النبي ﷺ: ـ فيراهما جميعاً، وأما الكافر، أو المنافق: فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين» [البخاري: ١٣٣٨، ومسلم: ٢٨٧٠].

(١) أسأل الله تعالى أن يتقبل مني الأعمال الصالحة بلطفه ومنّه، وأن يتداركني برحمة منه وفضل فهو ذو العظمة والكبرياء، وأهل بأن يُجل فلا يُعصى، وأن يُطاع فلا يُخالف، فهذا الذي ذكرته هو اعتقادي واعتقاد الأئمة الأربعة المتبوعين، أولهم: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (ت١٥٠هـ)، وثانيهم: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، وثالثهم: الإمام =

أَكْرِمْ بِمَنْ هُوَ بِالخَلَائِقِ مُشْفِقُ وَلِمَالِهِ فِي كُلِّ خَيْرٍ مُنْفِقُ

بِالمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ حَالٍ يَرْفَقُ (فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقُ

وإِنِ ابْتَدَعْتَ فَما عَلَيْكَ مُعَوَّلُ)[1]

= أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، ورابعهم: الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، فهولاء هم المقتدى بأقوالهم وأفعالهم؛ لأن أقوالهم قد ضبطت، ومذاهبهم قد دونت وخُدمت.

فائدة: التعبير بالمضارع يشعر بالتجدد، أي أرجو الله رجاءً متجدداً بتجدد الأحوال.

(١) أكرم بهولاء الأئمة أهل الأثر والعلم، وأمثالهم ممن هو ناصح لدينه مشفق على أمته رحيم بإخوانه، وهم مع ذلك لا يطمعون في جمع حطام الدنيا، بل ينفقون أموالهم في جميع أوجه الخير، فإن اتبعت أثر هؤلاء واقتفيت طريقهم فأنت الموفق للإقتداء بالكتاب والسنة وهدي سلف هذه الأمة؛ لأنهم أهل الدراية والرواية والديانة، وإن خالفتهم كنت بدعياً على غير سبيل السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين المقتدى بأقوالهم وأفعالهم.

فائدة: البدعة: من الإختراع، وهو الشيء يحدث من غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أي خلقهما على غير مثال سابق، وفي الشرع: الحدث في الدين بعد الإكمال وهو ما لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما فعله أو أقر عليه، أو علم من قواعد شريعته الإذن فيه وعدم النكير عليه [الباعث على إنكار البدع والحوادث: ١٨].

أَعْظِمْ ثَوَابِي يَا مُهَيْمِنُ رَحْمَةً ... وَارْزُقْ عُبَيْدَكَ فِي القِيَامَةِ رِفْعَةً
خَمَّسْتُ ذِي الأَبْيَاتِ أَرْجُو دَعْوَةً ... مِنْ قَارِئِيهَا لَا لِأَكْسَبَ سُمْعَةً
وَعَسَى الإِلَهُ بِفَضْلِهِ يَتَقَبَّلُ(١)

ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى الرَّسُولِ الأَكْرَمِ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ ذِي المَقَامِ الأَعْظَمِ
وَعَلَى القَرَابَةِ مَنْ إِلَيْهِ يَنْتَمِي ... وَصِحَابِهِ الغُرِّ الكِرَامِ الأَنْجُمِ
وَكَذَا التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ الأَكْمَلُ(٢)

---

(١) وأسأله تعالى أن يعظم في الثواب والأجر برحمة منه، فإنه رقيب على خلقه مطلع على أعمالهم ونياتهم، وأسأله أن يجعل مقامي ـ عبيدك تصغير عبد ـ يوم القيامة في عليين، ثم لعلم القارئ إني ما خمست هذه الأبيات إلا طلباً للثواب وطمعاً في الدعاء من القارئ والناظر، والطالب والعالم، لا سعياً خلف سمعة أوشهرة، فلعل الله أن يتقبل ذلك مني على حسن مقصدي ونيتي بفضله وجوده.
فائدة: الرياء: أن يعمل القربة ليراه الناس، والتسميع: أن يعمل العمل وحده ثم يخبر به الناس لأجل تعظيمهم له أو لجلب خير منهم، وكلاهما محبط للثواب والأجر.

(٢) وأختم تخميستي هذه بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خير الخليقة، صاحب المقام الأعظم، وهو المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وعسى من اللّه حق، كما أصلي على من انتسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم من قرابة وأهل، وعلى صحابته أصحاب الأيادي البيضاء في الدعوة والنصرة والتأييد، من شبّهوا بأنهم كالنجم الهادي لكل مسترشد ساري، وكذا التحية والسلام الأكملان على نبيه صل الله عليه وآله وسلم وقرابته وصحابته رضوان الله عليهم. =

هَـذَا مُـحَـمَّـدُ صَـالِـحُ الـعَـبَّـاسِ قَـدْ   أَنْـهَـى بِـعَـوْنِ الـرَّبِّ تَـخْـمِـيساً قَـصَـدْ
وَالـحَـمْـدُ لـلـهِ الـحَـمِـيـدِ إلـى الأَبَـدْ   حَـمْـداً كَـثِـيْـراً لَا يُـحَـدُّ وَلَا يُـعَـدْ
طُـوْلَ الـدَّوَامِ لَـهُ الـثَّـنَـاءُ الأَجْـزَلُ[1]

تمَّ التَّخْمِيْس[2]

❑❑❑

= فائدة: الصلاة لغة: الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي ادع لهم، وشرعاً: ثناؤه تعالى على عبده في الملأ الأعلى، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي العالية.

(١) وقد أنهيت بعون الله تعالى ما قصدت من تخميس هذه المنظومة المباركة، فله الحمد أولاً وآخراً، حمداً كثيراً لا حدَّ له ولا عدّ، وعلى الدوام من غير انقطاع.
فائدة: الحمد: هو الثناء بالكلام على الجميل الإختياري على وجه التعظيم.

(٢) **قيد السماع والقراءة بالمسجد الحرام:**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.
فقد قرأت هذه المنظومة على شيخي المحدِّث نظام يعقوبي العباسي، وذلك بقراءة الأخ الشيخ عبد الله كندي وبحضور الأخ عبد الله عيسى، وهذه المنظومة لشيخ شيخنا العلَّامة الفقيه الأديب محمد صالح العباسي رحمة الله تعالى عليه.

١١ رجب ١٤٣٠هـ
٨/٧/٢٠٠٩م
صح وثبت والحمد لله
نظام بن محمد صالح يعقوبي

فهرس الكتاب

الموضوع | **الصفحة**

قسم الدراسة

التخميس محقَّقاً

❑❑❑



لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٨٠)



النفح المسكي في عمرة المكي

تأليف الشيخ

حسن بن علي العجيمي

(١٠٤٩ - ١١١٣هـ)

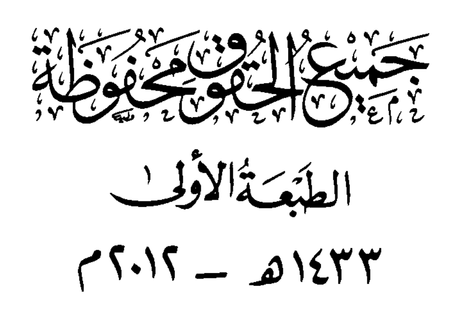
رحمه الله تعالى

عُنِيَ بها

راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، شرع لعباده زيارة بيته الحرام، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعدُ:

فإن مما جرى فيه الخلاف بين العلماء قديماً وحديثاً، مسألة: هل للمكي والآفاقي الخروج إلى الحِلّ والإتيان بعمرة أم لا؟ وانقسم العلماء في هذه المسألة إلى فريقين، كما سيأتي.

وبين يديك ـ أخي القارىء ـ رسالة في هذا الموضوع وهي:

«النفح المسكي في عمرة المكي»

لمؤلفها الشيخ: حسن بن علي العجيمي رحمه الله

أَحببتُ إخراجها ليعمّ النفع بها، ولتكون بين يدي من يريد دراسة المسألة دراسة علمية.

هذا، وقد قدمت لها بدراسة مختصرة عن العمرة وأحكامها، ثم ترجمت للمؤلف وعرَّفت بها.

والله أسأل أن ينفع بها، وأن يغفر لكاتبها وناسخها ومحققها وناشرها، إنَّه سميع مجيب.

كتبه حامداً ومصلياً ومسلِّماً
راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي

تمهيد

في العمرة وأحكامها

مع

ترجمة للمؤلِّف ودراسة للرسالة

بقلم المعتني

راشد الغُفَيْلي



فصـل

في تعريف العمرة، وذكر ما ورد في فضلها، والمتابعة بينها وبين الحج، وفضل الاعتمار في رمضان

ـ **العمرة في اللغة**: الزيارة، أو القصد.

ـ **وشرعاً**: قصد البيت الحرام لأفعالٍ مخصوصة.

قال الأزهري: وقيل: إنما اختُصَّ الاعتمار بقصد الكعبة؛ لأنه قصدٌ إلى موضعٍ عامر.

والأفعال المخصوصة هي: إحرامٌ، وطواف، وسعي، وحلق أو تقصير.

* وقد ورد ما يدل على فضل العمرة فيما أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (٣/ ٥٩٧ فتح)، بسنده: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

* وأخرج النسائي في «المجتبىٰ» (٥/ ١١٥)، بسنده: عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد».

وروواه الترمذي عن ابن مسعود، وزاد: «والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثوابٌ إلا الجنة».

* وأخرج البخاري (٣/ ٦٠٣ فتح)، ومسلم (٩/ ٢ نووي)، من طريق ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، قال: سمعتُ ابن عباسٍ يحدثنا، قال: قال رسول الله ﷺ لامرأةٍ من الأنصار ـ سمَّاها ابن عباسٍ فنسيتُ اسمها ـ: «ما منعكِ أن تحجي معنا؟» قالت: لم يكن لنا إلَّا ناضحان، فحج أبو ولدها وابنها على ناضحٍ وترك لنا ناضحاً ننضح عليه. قال: «فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرةً فيه تعدلُ حَجَّة».

وأخرجه البخاري (٤/ ٧٢ فتح)، ومسلم (٩/ ٢ ـ ٣ نووي)، من طريق حبيب المعلم عن عطاء، وزاد: «معي»، ولم يذكر الأمر: «فاعتمري».



فصلٌ[1]

في عمرة المكي والآفاقي، وبيان ميقاتهما للعمرة

قلتُ: اختلف العلماء في مشروعية العمرة للمكي، وكذا الآفاقي إذا قدِم مكة، هل له أن يخرج إلى الحل ويأتي بعمرة أخرى أم لا؟

ـ فذهب بعض العلماء إلى أنه ليس لهما أن يعتمرا، وأن إكثارهما من الطواف أفضل لهما.

بهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٢٦/ ٢٤٨ ـ ٣٠١) بل وصَرَّح ـ رحمه الله ـ ببدعية ذلك.

وبه قال ـ أيضاً ـ العلّامة ابن القيِّم (زاد المعاد ٢/ ٩٤، ١٧٥).

قال ابن قدامة (المغني ٥/ ١٤ ـ ١٥):

فصلٌ: وليس على أهل مكة عمرة، نصَّ عليه أحمد، وقال: كان ابن عباس يرى العمرة واجبة ويقول: يا أهل مكة ليس عليكم عمرة إنما عمرتكم طوافكم بالبيت.

وبهذا قال عطاء وطاووس، اهـ.

---

(١) هذا الفصل لخصته من «القول المرضي في عمرة المكي» بتصرف يسير.

ـ وذهب ابن حزمٍ (المحلّىٰ ٧/ ٩٨، ٩٩)، وابن حجر (الفتح ٣/ ٣٨٦)، وابن دقيق العيد (الإحكام ٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٨)، والشوكاني (نيل الأوطار ٤/ ٣٣١)، وغيرهم إلى:

أن لأهل مكة أن يعتمروا، وكذلك الآفاقي.

وهو مروي عن عددٍ من الصحابة والتابعين (المصنَّف ٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

* واختلفوا من أين يحرم المكي، وكذا الآفاقي للعمرة إذا أتى بها خارجاً من مكة، **على ثلاثة أقوال**:

ـ **الأول**: أنه يحرم من الحِلّ ولا بُدّ.

قلتُ: وقد أجاد العلّامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في الكلام على ذلك عند قول صاحب الزاد (وعمرته من الحِلّ) فانظره ـ غير مأمورٍ ـ في الشرح الممتع (٧/ ٥٦ ـ ٥٨).

ـ **الثاني**: أنه يحرم من مكة.

وبه قال البخاري في صحيحه (٣/ ٣٨٤ فتح)، وترجم عليه: (باب مهل أهل مكة للحج والعمرة)، وذكر حديث ابن عباس المشهور في المواقيت، وفيه: «حتى أهل مكة من مكة».

وإليه ذهب الشوكاني في السيل الجرار (٢/ ٢١٥ـ ٢١٦).

وذهب الصنعاني (سبل السلام ٢/ ٦١١ ـ ٦١٣)، و(حاشية العمدة) (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) إلى: أن المكي والآفاقي يحرمان من مكة للعمرة.

ـ **الثالث**: التفريق بين المكي والآفاقي.

فالمكي يحرم من مكة، لحديث ابن عباسٍ.

والآفاقي يحرم من الحِلّ؛ لحديث عائشة، والله أعلم.

❑ ❑ ❑

فصلٌ

تكرار العمرة[1]

* ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية، والشافعية، والحنابلة إلى استحباب تكرار العمرة في العام الواحد.

يقول ابن عابدين: لا يُكره الإكثار منها خلافاً لمالك؛ بل يستحب على ما عليه الجمهور، اهـ.

ويقول النووي: ولا يُكره عمرتان وثلاث وأكثر في السنة الواحدة، اهـ.

ويقول ابن قدامة: لا بأس أن يعتمر في السنة مراراً، اهـ.

* وذهب المالكية إلى أنه يكره تكرار العمرة في السنة الواحدة مراراً.

وإلى ذلك ذهب الحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي.

وأما تكرار العمرة في اليوم الواحد أو المدة المتقاربة، فالشافعية ـ وهو ظاهر مذهب الحنفية ـ أن ذلك لا يُكره، ولم يجعلوا لذلك حدّاً.

---

(١) جميع ما في هذا الفصل مستفاد حرفياً ـ مع اختصار وتصرف ـ من بحث «تكرار العمرة والإكثار منها» للدكتور عبد الله الغطميل.

وأما الحنابلة فعندهم: «أن الإكثار من الاعتمار **والموالاة** بينها لا يُستحب في ظاهر قول السلف.

وقال أحمد: إذا اعتمر فلا بُدَّ أن يحلق أو يقصِّر وفي عشرة أيام يُمكن حلق الرأس، فظاهر هذا أنه لا يُستحب أن يعتمر في أقل من عشرة أيام.

وقال الشيخ ابن عثيمين: لكن تكرار العمرة كما يفعل الجهال هذا هو الخطأ، بعض الناس وهو بمكة يعتمر في أول النهار ويعتمر في آخر النهار، بل قد شاهدتُ رجلاً اعتمر وحَلَق نصف رأسه وأبقىٰ النصف الآخر، فرأيته يسعى، فسألته لم فعلت هكذا؟ فقال: هذا الذي حلقته عن عُمرة الأمس والباقي لعمرة اليوم. فهذا خطأ، فالنبي ﷺ في فتح مكة بقي فيها تسعة عشر يوماً ولم يخرج يعتمر، فهل النبي ﷺ يَجْهل أنه مشروع؟ كلَّا، أو هل عند رسول الله ﷺ تهاون في ترك الأمر الفاضل؟ حاشاه من ذلك عليه الصلاة والسلام ـ، فلم يخرج للاعتمار مع أن التنعيم قريب. . . إذن هذا التكرار ـ أي العمرة ـ الذي يوجد من بعض الناس خلاف السُنَّة، اهـ كلامه رحمه الله.

والخلاف في المسألة خلاف في الأفضلية، فَمَنْ قال إن الأفضل التكرار والإكثار نَظر إلى عموم قول الرسول ﷺ وما أُثِر عن بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

ومن قال الأفضل عدم التكرار والإكثار وكَرِهَهُ نَظر إليه على أنه خلاف عمل الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

والذي يظهر من عرض أقوال الفقهاء تفريقهم بين التكرار والإكثار.

فالحنابلة وافقوا الحنفية والشافعية في استحباب التكرار وخالفوهم في الإكثار.

وقول مَنْ قال باستحباب تكرار العمرة للآفاقي ـ بمعنى أنه يُفرد لكل عمرة سفراً مستقلاً يُحرم بها من دُويرة أهله ـ قول قوي.

أما الإكثار منها وتكرارها من الحِلّ، فهذا خلاف فعل النبي ﷺ وأصحابه، وإن كان قد أُثِر عن بعض الصحابة أنه فعل ذلك.



ترجمة المؤلِّف[1]

(١٠٤٩ ـ ١١١٣هـ)

اسمه وكنيته:

حسن بن علي بن يحيى، أبو البقاء، وأبو الأسرار العجيمي الحنفي المكي.

علَّامة شهير، محدِّث الحجاز وأحد مسانيده.

مولده ونشأته وشيوخه:

وُلد في مكة المكرّمة، ومات والده قبل تمام السنة من عمره فقامت والدته بتربيته.

حفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره.

طلب العلم وقرأ القرآن على المقرىء محمد بن علي البخاري، وأخذ عن الشيخ مهنا الحضرمي.

---

(١) ترجمته في: أعلام المكيين ٢/ ٦٦٦ ـ ٦٦٨ (وجُلَّ الترجمة منه). المختصر من نشر النور والزهر (ص١٦٧)، الأعلام (٢/ ٢٢٣).
وترجم المؤلِّف لنفسه في (إسبال الستر الجميل...) وهي مخطوطة.

أخذ الفقه عن الشيخ إبراهيم بيري المكي، والشيخ أحمد المخزنجي.

والحديث والتفسير والأصول والفرائض والتوحيد والنحو والبيان والمنطق والجدل وعلم الحساب عن الشيخ عيسى الثعالبي المغربي ثم المكي، حيث لازمه نحواً من خمس عشرة سنة، وقرأ عليه كتباً كثيرة في فنون عديدة.

وقرأ في المناسخات على جماعةٍ، منهم الشيخ مبارك بن سليمان اليمني.

وأخذ علم الميقات عن السيد محمد الشلي باعلوي، والملّا إبراهيم الكوراني، والشيخ محمد بن سليمان الروداني، والشيخ أحمد الدمياطي البنّا.

* أُجِيز بالتدريس فتصدَّر له في منزله ـ أولاً ـ، ثم تصدَّر للتدريس بالمسجد الحرام، فأخذ عنه جماعة في النحو والعروض والحديث والمصطلح والسِّير والفقه.

مؤلفاته:

وهي كثيرة ومتنوعة، منها:

١ ـ إهداء اللطائف من أخبار الطائف (ط).

٢ ـ إسبال الستر الجميل على ترجمة العبد الذليل ـ ترجمة ذاتية ـ (خ).

٣ ـ خبايا الزوايا (ترجم فيه مشايخه).

٤ ـ حاشية على الأشباه والنظائر.

٥ ـ النفح المسكي في عمرة المكي. (هذه الرسالة).

٦ ـ الفلك المشحون (جمع فيه فوائد جَمَّة).

٧ ـ رسالة متعلقة بالنياحة على الميت.

٨ ـ الأجوبة المرضية على الأسئلة اليمنية.

٩ ـ رسالة في علم الفرائض.

١٠ ـ إثارة ذوي النجدة لتنزيه بَنْدر جدة.

وفاته:

بعد حياةٍ بلغت ثلاثاً وستين سنة أمضاها في العلم والتعليم والتدريس والافتاء والتأليف، توفي ـ رحمه الله ـ عام (١١١٣هـ)[1] بمدينة الطائف.

❑❑❑

(١) على رأي أغلب المصادر التي ترجمتْ له.
وذكر القطّان في (تنزيل الرحمات) أنه توفي سنة (١١١٤هـ)، أما ما ذكره مرداد نقلاً عن الطبري أنه توفي سنة (١١٣١هـ) فهو وهْم أو خطأ من الناسخ، والله أعلم.

مصنفات وبحوث في موضوع الرسالة

١ ـ «القول المحكي في حكم عمرة المكي».

عبد الله بن حسين الكازروني (كان حيّاً ١١٠٢هـ)(١).

٢ ـ «رسالة مشروعية العمرة للمكي في أشهر الحج».

إبراهيم بير زاده (مخطوطة).

٣ ـ «نزهة المشتاق في حل عمرة المكي والملحق به من الآفاق».

طاهر سنبل (مخطوطة)(٢).

٤ ـ «الأقوال المعتبرة في حكم تكرار العمرة».

حلمي بن محمود السداوي (ط).

٥ ـ «عمرة المكي».

إبراهيم الحبيب.

(مجلة جامعة أم القرى عدد ٤٦).

٦ ـ «القول المرضي في عمرة المكي».

محمد بن عبد الوهاب العبدلي (ط).

---

(١) ذكرها مرداد في «المختصر» (ص٣١١).

(٢) لديَّ صورة عن نسختها الخطية وأعمل على تحقيقها.

٧ ـ «تكرار العمرة والإكثار منها».

دراسة فقهية مقارنة.

عبد الله بن حمد الغطيمل.

(مجلة المجمع الفقهي بالرابطة ـ عدد ١٣).

* **وانظر أيضاً:**

(أ) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٦/ ٢٤٨ ـ ٣٠١).

(ب) «شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة» (١/ ٣٢٧ ـ ٣٣٤).

(ج) «زاد المعاد» لابن القيم (٤/ ٩٤، ١٧٤، ١٧٥).

(د) «المسائل المشكلة من مناسك الحج والعمرة» للشيخ إبراهيم الصبيحي (٨٢ ـ ٩٩).

(هـ) «أجوبة المسائل الثمان» للمعصومي (ص٤٧ ـ ٥٤).



وصف النسخة الخطية

اعتمدت على نسخة خطية واحدة، وصفها كالتالي:

ـ تقع في ورقة ونصف غير صفحة الغلاف.

ـ عدد الأسطر متفاوت بين (١٦) و(١٨) سطراً.

ـ الخط نسخ، واضح جداً.

ـ الناسخ: عبد القادر حسين إلياس المكي الحنفي.

ـ تاريخ النسخ (٩ ذو القَعْدة سنة ١٣٥٢هـ).

ـ من مخطوطات جامعة الملك سعود بالرياض[١].

❑ ❑ ❑

---

(١) أشكر الأستاذ صالح بن سليمان الحجي (أبو زكريا) رئيس قسم المخطوطات بالجامعة، على تفضله بنسخة مصورة عن المخطوطة.

النفح المسكي في حكم عمرة المكي

تأليف

العالم العلامة القدوة الفهامة

مولانا الشيخ حسن

ابن المرحوم الشيخ علي

العجيمي

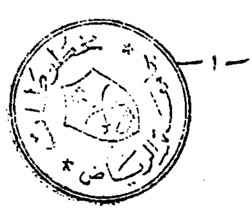
رحمه الله

آمين

نقله العبد الفقير راجي العون والهداية من رب الناس عبد القادر حسين الباس المكي الحنفي

في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ هجرية بيده الفانية غفر الله له ولوالديه ومشائخه ولمن دعا له بخير آمين

صورة عنوان المخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فلم يزل الخلاف قديما وحديثا بين علما
الحنفية في عمرة المكي في أشهر الحج إذا حج من عامه هل هي مكروهة أو لا وكل تمسك بأدلة
فالقائلون بعدم الكراهة استدلوا عليه بثمانية أوجه أحدها بطلان التمتع عند جمهور الأئمة
ثانيها ثبوت النسخ لما كانت عليه الجاهلية ثالثها اعتمار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أشهر
رابعها حملهم نهي عمر رضي الله عنه على عدم خلو البيت لا على كون العمرة مكروهة خامسها إطلاقات
بعض جواز العمرة المفردة سادسها تصريح بعض بعدم كراهة العمرة في أشهر الحج من غير تقييد
سابعها تقييد الجمع الواقع في صور الإضافة بما يدل على كون المنهي عنه الجمع فقط وقد تصدى بعض
الفضلاء لنقض عرى هذه الدلائل وسماها شبها وهذا أوان بيان ذلك تذكيرا للنبيه
وبالله التوفيق لأحسن المسالك الوجه الأول قول جماعة كصاحب الكافي في تعريف التمتع
أنه الترفق بأداء النسكين في سفر واحد على وجه الصحة من غير أن يلم بأهله إلماما صحيحا
وعد الملا رحمه الله في مناسكه عدم الإلمام الصحيح من شروط صحة التمتع وقال في المبسوط
لو اعتمر المكي في أشهر الحج ثم حج من عامه ذلك لا يكون متمتعا لأن الآفاقي إنما يكون
متمتعا إذا لم يلم بأهله بين النسكين إلماما صحيحا والمكي هنا يلم بأهله بين النسكين
حلالا انتهى وانتفى عن المكي التمتع لفقد شرط صحته كان منفردا بالنسكين وذلك جائز
واعترض بأن عدم الإلمام إنما هو شرط للتمتع الموجب لدم الشكر وهو المنفي في عبارة
المبسوط لا لمطلق التمتع ولذا لم يذكره أصحاب المتون الثاني نص صاحب ال

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٨٠)



تأليف الشيخ

حسن بن علي العجيمي

(١٠٤٩ - ١١١٣هـ)

رحمه الله تعالى

عُنِيَ بها

راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

وبعد:

فلم يزل الخلافُ قديماً وحديثاً بين علمائنا الحنفية في عُمرة المكي في أشهر الحج، إذا حَجَّ من عامه هل هي مكروه[ة] أوْ لا؟

وكُلٌّ تَمسَّك لمدّعاه.

❑ ❑ ❑

[أولاً: القائلون بعدم الكراهة]

فالقائلون بعدم الكراهة استدلوا عليه بثمانية أوجه(١):

أحدها: بُطلان التمتع عند وجود الإلمام(٢).

ثانيها: ثبوت النسخ لما كانت عليه الجاهلية(٣).

ثالثها: اعتمار النبي ﷺ وأصحابه في أشهر الحج(٤).

---

(١) المصنِّف ساق سبعة أوجه فقط، فلعلَّ الوجه الثامن سقط من النسخة الخطية التي اعتمدتها.

(٢) قال الكرماني: والإلمام الصحيح الذي يُبطل التمتع عندنا أن ينصرف إلى أهله بعدما أدى العمرة، ثم يعود ويحرم بالحج. كذا عن سعيد بن المسيّب، وعمر، وابن عمر وغيرهم من التابعين، اهـ (المسالك ١/ ٦٥٧).

(٣) كان أهل الجاهلية يعتقدون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض.

قال الحافظ في (الفتح ٣/ ٤٩٨): هذا من تحكماتهم الباطلة المأخوذة عن غير أصل. وقال: ولابن حبان من طريق أخرى عن ابن عباسٍ قال: «والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة في ذي الحجة إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك، فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون...»، فذكر نحوه، اهـ.

(٤) أخرج البخاري في «المغازي» (١٨٤٨)، ومسلم في «الحج» (١٢٥٣)، واللفظ له عن أنسٍ رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ اعتمر أربع عُمَر، كلها في =

رابعها: حملهم نهي عمر رضي الله عنه على عدم خلو البيت[1]، لا على كون العمرة مكروهة.

خامسها: إطلاقات بعضٍ جواز العمرة المفردة.

سادسها: تصريحُ بعضٍ بعدم كراهة العمرة في أشهر الحج من غير تقييد.

سابعها: قيد الجمع الواقع في صور الإضافة بما يدل على كون المنهي عنه الجمع فقط.

* وقد تصدّى بعض الفضلاء لنقض عُرى هذه الدلائل وسَمَّاها شُبهاً.

وهذا أوان بيان ذلك تذكيراً لذلك، وبالله التوفيق لأحسن المسالك.

= ذي القعدة إلا التي مع حجته: عمرة من الحديبية، أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجِعرانة، حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته».

(١) قال في «بدائع الصنائع» (٣/ ١٣٢٢): وما روي عن عمر أنه كان ينهىٰ عنها في أشهر الحج فهو محمول على نهي الشفقة على أهل الحرم؛ لئلَّا يكون الموسم في وقتٍ واحدٍ من السنة، بل في وقتين لتوسع المعيشة على أهل الحرم، اهـ.

قلتُ: وحديث النهي عن العمرة قبل الحج أخرجه أبو داود في «المناسك» (١٧٩٣) من طريق سعيد بن المسيّب: «أنَّ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فشهد عنده أنه سمع رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه ينهى عن العمرة قبل الحج».

قال المنذري: سعيد بن المسيّب لم يصح سماعه من عمر بن الخطاب. =

الوجه الأول

قولُ جماعةٍ، كصاحب «الكافي»[1] في تعريف التمتع أنه: الترفق بأداء النسكين في سفرٍ واحدٍ على وجه الصحة، من غير أن يُلمَّ بأهله إلماماً صحيحاً[2].

وقد عَدَّ الملّا[3] ـ رحمه الله ـ في «مناسكه»[4] عدم الإلمام الصحيح من شروط صحة التمتع[5].

= وقال الخطابي: في إسناد هذا الحديث مقال. (معالم السنن مع السنن ٢/ ٣٩٠).

(١) الكافي في فروع الحنفية.
قال اللكنوي: وكتاب الكافي والمنتقىٰ أصلان من أصول المذهب بعد كتب محمد، اهـ.
وصاحب الكافي هو: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المجيد الشهير بالحاكم الشهيد المروزي البلخي.
صنَّف «المختصر» و«المنتقى» و«الكافي». قتل شهيداً في ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. [الفوائد البهية ص/ ١٨٥].

(٢) انظر: البناية للعيني (٤/ ٢٠٨)، المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٥).

(٣) علي بن سلطان محمد الشهير بـ(الملّا علي القاري) الهروي.
فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، سكن مكة، توفي سنة (١٠١٤هـ).
من تصانيفه: «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع»، «حاشية على نزهة النظر»، وغير ذلك كثير [الأعلام ٥/ ١٢].

(٤) واسمه «المسلك المتقسط في المنسك المتوسط» وهو شرح على لباب المناسك للشيخ رحمة الله السندي. وقد طبع مع حاشيته «إرشاد الساري إلى مناسك الملّا علي القاري».

(٥) انظر: مناسك الملّا علي القاري (ص٢٧٥، ٢٨٤).

وقال في «المبسوط»[1]:

لو اعتمر المكي في أشهر الحج ثم حَجَّ من عامه ذلك لا يكون مُتمتِّعاً؛ لأن الآفاقي[2] إنما يكون مُتمتِّعاً إذا لم يُلمَّ بأهله بين النسكين إلماماً صحيحاً.

والمكي هنا يلمّ بأهله بين النسكين حلالاً، انتهى[3].

وانتفى عن المكي التمتع لفقد شرط صحته [و] كان منفرداً بالنُسكين وذلك جائز.

[اعتراض]:

واعتُرض بأنَّ عدم الإلمام إنما هو شرطٌ للتمتع الموجب لدم الشكر، وهو المنفي في عبارة «المبسوط» لا لمطلق التمتع، ولذا لم يذكره أصحاب المتون.

* * *

---

(١) كتاب «المبسوط» لشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي. أحد الفحول الكبار، أصحاب الفنون.
أملاه وهو محبوس في السجن بأوزجَنْد. [الجواهر المضية ٣/ ٧٨].

(٢) الآفاقي، ويقال: الأفقي. نسبة إلى الأُفق: وهو الناحية.
وفي الاصطلاح: يطلق على القادم من خارج الميقات.

(٣) المبسوط (٤/ ٣٠).

[الوجه] الثاني

نصَّ صاحب «النهاية»[1] أنَّ نسخ ما كانت عليه الجاهلية من امتناع العمرة في أشهر الحج لكونها عندهم من أفجر الفجور!!، وأنَّ هذا النسخ ثابتٌ عندنا في حق المكي ـ أيضاً ـ لو اعتمر في أشهر الحج جاز بلا كراهة. انتهى[2].

وأمَّا حَجّهُ فلا خلاف في عدم كراهته.

[اعتراض]:

واعتُرِض بأنَّ النسخ مُسلَّم، لكنه حاصل بالعمرة غير المعقبة بالحج، وبالمعقبة به من الآفاق.

وأما المعقبة به من المكي ـ التي هي محل النزاع ـ فلا يلزم من ثبوت النسخ جوازها.

[الوجه] الثالث

اعتمار النبي ﷺ وأصحابه من غير نهى منه عنها ـ أي ولا لأهل مكة ـ دليلٌ على جوازها بلا كراهة.

---

(١) الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن المراد هنا (النهاية شرح الهداية) للفقيه الحسين بن علي بن حجَّاج، الملقَّب حسام الدين الصِّغْناقي. (المتوفى سنة ٧١١ أو ٧١٤هـ).

(٢) انظر: بدائع الصنائع (٢/ ١٤٩).

[نقض هذا الوجه]:

ونُقِضَ بأنه لا دليل فيه إلا على عدم كراهة العمرة في الجملة، وذلك صادق بجوازها للآفاقيين.

ولو نُقِل عدمُ نهيه لأهل مكة عنها لتمَّ الدليل، لكنه لم يُنْقَل.

[الوجه] الرابع

أنَّ عُمر ـ رضي الله عنه ـ إنّما نهى الناسَ عن العمرة في أشهر الحج؛ لأنه كَرِه خلوّ البيت عن الزوّار في شيءٍ من الأوقات، ولو أجازها في أشهر الحج لخلا البيت في غير أشهر الحج، لا لكون التمتع مكروهاً عنده، كما في «الفوائد الظهيرية»[1].

[نقضٌ]:

ونُقِض بأنه لا دليل فيه:

أمَّا أولاً: فلأنَّ أهل مكة ليسوا بزوارٍ للبيتِ عُرفاً، بل هم أهله وجيرانه[2].

---

(١) الفوائد الظهيرية في الفتاوى.
لظهير الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن عمر (ت ٦١٩هـ).
جمع فيها فوائد «الجامع الصغير الحسامي». [كشف الظنون ١/١٢٩٨].

(٢) ورد ما يدل على ذلك فيما أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/٧٢٦)، وفيه: «قال النبي ﷺ لعتّاب بن أسيد: أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على **أهل الله**، فاستوصِ بهم خيراً». قال المحقق: إسناده مرسل.
وأخرج أبو يعلى في «المسند» (١/١٨٥)، والأزرقي (٢/٧٢٧) من طريق =

وأمَّا ثانياً: فلأنَّ كلام عمر رضي الله تعالى عنه يدل على أنه نهىٰ عن تمتع الآفاقي، إذْ لم يقل أحد من الحنفية بعدم كراهة التمتع للمكي إنْ تحقَّق منه.

[الوجهان] الخامس والسادس

قد نصَّ جماعة على أنَّ العمرة جائزة بلا كراهة في جميع السنة إلا في خمسة أيام[1]: العيدين[2]، سواء في ذلك المكي وغيره.

[نقضٌ]:

ونُقِضَ بأنَّ ذلك في العمرة المفردة، وليس الكلام فيها، إنما الكلام في المعقبة بالحج.

= حماد بن سلمة، وفيه: استعمل عمر بن الخطاب نافع بن عبد الحارث الخزاعي على أهل مكة، قال: فلما قدم عمر استقبله، فقال عمر: من استخلفت على أهل مكة، قال: ابن أبزى، قال: استعملت على **أهل الله** رجلاً من الموالي، فغضب عمر...

قال محقق «أخبار مكة»: إسناده حسن.

وانظر: بقية الآثار في «أخبار مكة» للأزرقي، والفاكهي وفي «شفاء الغرام».

(١) قال ابن هبيرة: «وأجمعوا على أن فعلها ـ أي العمرة ـ في جميع السنة جائز، إلا أبا حنيفة فإنه قال: يجوز فعلها في جميع السنة إلا خمسة أيام منها: يوم عرفة ويوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة...». (الإفصاح ١/ ٢٧٤).

وحكى ذلك عن أبي حنيفة ابن رشد (بداية المجتهد ١/ ٣٣٤).

وقال الطحاوي: قال أصحابنا: «العمرة جائزة في كل السنة غير يوم عرفة ويوم النحر، وأيام التشريق، فإنها محظورة فيهن...».

(٢) كذا في النسخة الخطية ولعلَّ هناك سقطاً.

[الوجه] السابع

أنَّ في عباراتِ جماعةٍ ما يدل على أن كراهة العمرة المفردة للمكي إذا جَمع بينها وبين الحج إحراماً[1].

[نقض]:

ونُقِض بأن العبارات ليس فيها ما يدل على انحصار الكراهة في صورة الإفاضة، فلا دلالة لها على المدعىٰ من جواز عمرة المكي بلا كراهة.

❑❑❑

---

(١) قال الإمام مالك: يُكره للحاج العمرة في أربعة أيام: يوم النحر، وأيام التشريق ولا يكره ذلك لغير الحاج.
وقال الحافظ ابن حجر: «واتفقوا على جوازها في جميع الأيام لمن لم يكن متلبِّساً بأعمال الحج» (فتح الباري ٣/ ٥٩٨).

القائلون بالكراهة

وأما القائلون بالكراهة:

فالمتقدِّمون منهم استندوا إلى صريح عبارة «البدائع»(١)، وشرح «الاسبيجابي»(٢)، و«السراج الوهاج»(٣)، و«شرح الهداية» للعيني(٤)، وهي: «من تمتَّع من أهل مكة أو قَرَن كان مسيئاً ويجب عليه دم للإساءة»(٥).

وزاد بعض المتأخرين الاستدلال على ذلك بصنيع أصحاب المتون حينما عرَّفوا التمتع بأنه: هو أن يحرم بعمرةٍ من الميقات في أشهر الحج

---

(١) بدائع الصنائع (٢/ ١٧١).

(٢) لم يتبيَّن لي المراد بذلك، فهناك ثلاثة كلهم يُعرف بـ«الإسبيجابي»:

* أحمد بن منصور، أبو نصر، وله شرح «مختصر» الطحاوي (تاج التراجم ص١٢٦).

* علي بن محمد بن إسماعيل، وله شرح «مختصر» الطحاوي (تاج التراجم ص٢١٢).

* محمد بن أحمد بن يوسف، وله شرح «القدوري» (تاج التراجم ص٢٥٦).

(٣) السراج الوهّاج على القدوري، في ثمان مجلدات.

ومصنفه: أبو بكر بن علي بن محمد، أبو العتيق، رضى الدين الحداد، الحنفي (ت ٨٠٠هـ) [تاج التراجم ص١٤١].

ونقل عنه الضياء في «البحر العميق» (٤/ ٢٠١٢).

(٤) البناية (٤/ ٢٢٤، ٢٢٦).

(٥) انظر: الفتاوى التاتارخانية (٢/ ٥٢٨).

ويطوف ويَسعى ويحلق أو يقصِّر ويقطع التلبية، ويقيم بمكة حلالاً ثم يحرم بالحج يوم التروية[1].

ثم قالوا: لا تمتع ولا قِرانَ لمكيٍّ[2].

ولا شَكَّ أن التمتع المنفي هو ذلك المعرَّف، وعليه فكأنهم قالوا: ليس لأهل مكة أن يعتمروا فيحلوا من عمرتهم فيبقوا حلالاً إلى يوم التروية، ثم يحرموا بالحج يوم التروية أو قبلها.

فكلام المتون على هذا دليلٌ على منع المكي من العمرة في أشهر الحج المعقبة.

وهذا وجه إنكار ذلك المتصدّي لتلك النقوضات المتقدِّمة.

ولمَّا كان اللائق بالفقير الإعراض عن الاعتراض، ولم يكن لنا بُدٌّ من نقلها لاحتوائها على فوائد، سَكَتُّ عن تسمية قائلها، وإلا فقد منع الاستدلال بعبارة «البدائع» بأن الحكم بالإساءة والجبر بالدم فرع الحكم بالصحة، وليست موجودة إلا عند استيفاء الشرائط، ومنها: عدم الإلمام الصحيح.

---

(١) مختصر القدوري (ص١٥٢)، المبسوط (٤/ ٣٠ ـ ٣١).

(٢) مختصر القدوري (ص١٥٣)، بدائع الصنائع (٢/ ١٦٩)، المبسوط (٤/ ١٦٩).
قال السمرقندي: المتعة والقِران مشروعان في حق أهل الآفاق، فأما في حق حاضري المسجد الحرام وهم أهل مكة وأهل داخل المواقيت فمكروه. (تحفة الفقهاء ١/ ٤١١).
قلتُ: وذهب الأئمة الثلاثة إلى أن لأهل مكة ومن داخل المواقيت أن يتمتعوا ويقرنوا، ولا يكره لهم ذلك، وليس عليهم دم إن فعلوا ذلك.
انظر: البيان (٤/ ٨٣)، المجموع (٧/ ١٤٦)، المغني (٥/ ٣٥٧)، الكافي لابن عبد البرّ (١/ ٣٨٢، ٣٨٦)، والله أعلم.

ولا يوجد استيفاؤها في تمتع المكي إلا في صورة إدخاله إحرام الحج على العمرة بعد أداء أكثر طوافها. فلا تدل على كراهة العمرة المعقبة بالحج بعد التحلل منها؛ لأنها ليست بتمتع حتى يحكم عليه بالإساءة. ومُنع الاستدلال بصنيع المتون بأنهم ما ذكروا قولهم: لا تمتع ولا قِران إلا بعد ذكر التمتع مع سَوْق الهدي(1)، فكأنّهم قالوا: ليس للمكي التمتع بالسَّوْقِ. كذا في رسالة الشيخ أبي المحاسن السجستاني الحنفي(2).

والله ولي التوفيق.

وصلّى الله على سيدنا محمد و[على] آله وصحبه وسلم. وكان الفراغ من نقلها الساعة الواحدة والربع من ليلة السبت الموافق (١٠ ذي القعدة سنة ١٣٥٢هـ)، على يد ناسخها راجي العون من القادر: عبد القادر(3) غفر الله له ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه بمنّه وكرمه، آمين.



(١) انظر: مختصر القدوري (ص١٥٢، ١٥٣)، المسالك للكرماني (١/ ٦٥٢، ٦٨٢).
(٢) لم يتبيَّن لي المراد به ولا برسالته.
(٣) **عبد القادر حسن إلياس.**
من مواليد مكة المكرّمة في (١٥/ ٧/ ١٣٢٩هـ).
درَّس في الصولتية، ثم العزيزية الابتدائية، ثم الرحمانية. عمل مشرفاً بالمدرسة العزيزية الثانوية (مدرسة تحضير البعثات) كان ضمن أعضاء اللجنة المكلفة بدراسة أوضاع مكتبة الحرم المكي الشريف.
توفي ـ رحمه الله ـ بمكة المكرّمة (عام ١٣٧٩هـ).
[بتصرف من كتاب نشر القلم في تأريخ مكتبة الحرم للدكتور محمد باجودة (ص٩٩) عن ابن المترجم].

قيد القراءة والسماع بالمسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

بلغ مقابلة هذا الجزء وهو: «النفح المسكي في حكم عمرة المكي» لشيخ الحرم العلَّامة حسن العُجيمي رحمه الله، بقراءة محققه الشيخ راشد الغفيلي حفظه الله، ومقابلة السادة الفضلاء والعلماء النجباء: د. عبد الرؤوف الكمالي، عبد الله التوم، د. عبد الله المحارب، وعماد الجيزي، وكاتب السطور خادمهم.

وحضر المجلس: إبراهيم بن أحمد التوم، شعبان الصليلي، محمد سالم الظفيري، وحسن بن حمود الشمَّري. كما حضر المجلس الوجيه الكريم الشيخ هاني بن عبد العزيز ساب، نفع الله بهم جميعاً، فصحَّ ذلك وثبت، والحمد لله، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

خادم العلم بالبحرين

نظام بن محمد صالح يعقوبي

٢١ رمضان ١٤٣٢هـ

بصحن المسجد الحرام

تجاه الكعبة المشرَّفة

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الجزء محقَّقاً

❑❑❑

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨١)

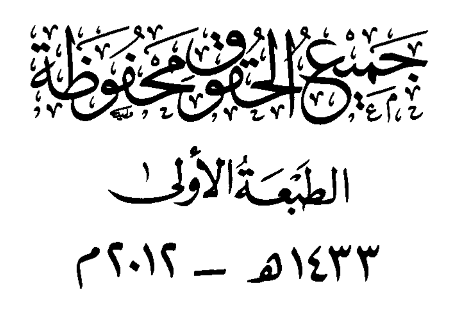


للإمام العلامة
مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة (١٠٣٣هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد بن أحمد الكمالي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م
بيروت ـ لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

مقدِّمة التَّحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقَّ حَمْدِه، والصلاةُ والسلام على مَن لا نبيَّ مِن بعدِه، سيِّدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه، ومَنِ اقتفى أثرَهم في قولِهِ وفِعلِه، إلى يومِ الدِّين، آمين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ مِن أهمِّ ما تميَّزتْ به شريعتُنا الغرّاء، ما حوته مِن الأحكام في مختلفِ الأنحاء، فهي شريعةٌ شاملةٌ كاملة، لم تَتْرُكْ بابًا إلا وأوضحتْه، ولا مسألةً ــ وإن دَقَّتْ ــ إلا وبيَّنَتْه، حتى أصبح المسلمُ في راحةٍ وطُمأنينةٍ، وسعادةٍ وهناء.

ومِن حكمة الله تعالى البالغة، أن تَركَ بعض الفروع المتعلِّقةِ بأُمَّهات الأحكام محَلاً لاجتهاد المجتهدين، وبحثِ العلماء العاملين، يغوصون في أعماق الشريعة للوصول إلى أسرارها ومعانيها، ويبذلون غايةَ جَهدهم لِنَيْل مُناهم ومَرامِهم.

فينالون ــ بذلك ــ أعظمَ الأجور مِن ربِّ البرِيَّات ذي الطَّوْلِ والإنعام، ويرتفعون أعلى الدرجات عند صاحب الفضل والإكرام، إذْ جَعَل ــ سبحانه ــ العلمَ مِن أفضل الأعمال الصالحةِ التي يُتقرَّبُ بها

إليه، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، وقال نبيُّنا ﷺ: «فضل العلم أحبُّ إلَيَّ مِن فضل العبادة، وخيرُ دينِكُمُ الوَرَع»[2].

فَمِن تلكم المسائل التي تحتاج إلى البحث والتدقيق، والبيان والتحقيق، مسألةٌ تتعلَّق بما يَحتاج إلى معرفته المكلَّفُ في كثيرٍ مِن الأحيان، دون تعلُّقٍ بزمانٍ أو مكان، ألا وهي: استعمال الذهب والحرير؛ اللَّذَيْنِ حُرِّما على جميع الناسِ ـ رجالاً ونساءً ـ في قول عامَّةِ أهل العلم، في غير لُبسِ المرأةِ لهما فإنَّه ـ بالاتفاق ـ مباح، ولُبْسِ الرجلِ للحريرِ عند الحاجة فليس عليه فيه جناح.

ولمَّا كان معنى الاستعمالِ يَحتاج إلى ضبطٍ وتحقيق، جاءت هذه الرسالةُ المباركة المفيدة، التي هي لإمامٍ جليلٍ مِن أئمة الحنابلة المتأخرين، مِن أصحاب التصانيف الواسعة، في العلوم المختلفة النافعة، الشيخِ مَرْعِيِّ بنِ يُوسُفَ بنِ أَبى بكرٍ الكَرْمِيِّ، صاحبِ «غاية المنتهى» و«دليل الطالب» وغيرِهما.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٢) أخرجه البزار (٢٩٦٩) مِن حديث حُذيفةَ رضي الله عنه، وأخرجه الشاشي في «المسند» (٧٥)، والحاكم (١/ ٩٢) ـ وصحَّحه ووافقه الذهبي ـ مِن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وذَكره البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٢٦) ـ ط الرشد ـ وقال: «وَرُوِّينَاهُ صَحِيحًا مِنْ قَوْلِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ» اهـ، وصحَّحه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع» (٤٢١٤)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٨) (١٧٤٠) لطرقه.

حقَّقَ فيها معنى الاستعمال، بما لا يُحتاج بعده إلى مقال، بأسلوب واضحٍ مبين، ودليلٍ راسخٍ مَتين، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وأسكنه وإيانا بحبوحة جنته مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقا، وصلى الله على عبده ورسوله محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❑ ❑ ❑

ترجمة المؤلِّف[1]

هو: مَرْعِيُّ بنُ يُوسُفَ بنِ أَبى بكرِ بنِ أَحْمدَ بنِ أَبى بكرِ بنِ يُوسُفَ بنِ أَحْمدَ الكَرْمِيِّ؛ نِسْبَةً لِـ (طور كرم)[2] قَرْيَة بِقرب (نابلس)، ثمَّ المقدسيُّ[3].

أحدُ أكابرِ عُلماء الحَنابِلَة بِمصْر، كان إمامًا مُحَدِّثًا فَقيهًا ذا اطِّلاعٍ وَاسعٍ على نقُولِ الفِقه ودقائق الحَدِيث، وَمَعْرِفَةٍ تامَّةٍ بالعلوم المتداولة.

أَخذ عَن الشَّيْخ مُحَمَّد المَرْداوي، وَعَن القاضي يحيى الحجاوي، وَدخل مصر وتوطَّنها، وَأخذ بِها عَن الشَّيْخ الإمام مُحَمَّد حجازي،

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦١). وانظر ـ أيضًا ـ: «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر» لمصطفى الحموي، بتحقيق: عبد الله محمد الكندري (٦/ ١٦٠ ـ ١٦٥)، و«ديوان الإسلام» لشمس الدين ابن الغزي (٤/ ١١٠)، و«كشف الظنون» (٢/ ١٩٤٨)، و«هدية العارفين» (٢/ ٤٢٦، ٤٢٧)، و«الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٠٣، ٢٠٤)، و«معجم المؤلفين» (١٢/ ٢١٨، ٢١٩)، و«طبقات النسابين» للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ـ رحمه الله ـ دار الرشد (١/ ١٦٥).

(٢) حيث وُلِد بها.

(٣) حيث انتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة حيث توفِّيَ بها.

والواعِظِ والمحقِّق أَحمد الغنيمي، وَكثيرٍ من المشايِخ المصريين، وَأَجازَهُ شيوخُهُ.

وتَصَدَّرَ للإقراء والتدريس بِجامِعِ الأزهر، ثمَّ تولَّى المشيخةَ بِجَامِعِ السُّلْطان حسن، ثمَّ أَخذها عنهُ عصريُّهُ العَلامَة إبراهيم الميموني، وَوَقع بَينهما من المفاوضات مَا يَقع بَين الأقران، وَأَلَّف كلٌّ مِنْهُمَا فى الآخر رسائلَ.

وكان مُنْهمِكًا على العُلوم انهماكًا كُلِّيًا، فَقطع زمانه بالإفتاء والتدريس، وَالتَّحْقِيق والتصنيف، فسارت بتآليفه الرُّكْبان، وَمَعَ كَثْرَة أضداده وأعدائه، مَا أمكن أَن يَطعنَ فيها أحد، ولا أَن ينظر بِعَين الإزراء إليها.

فَمِنْها: كتاب «غاية المُنْتَهَى» في الفقه، قريب من أَرْبَعِينَ كُرَّاسًا، وَهُوَ متنٌ جمع من المسائل أقصاها وأدناها، مَشى فِيهِ مَشيَ الْمُجْتَهدين في التَّصْحيح، والِاخْتِيار والتَّرْجيح.

وَله كتاب «دَلِيل الطَّالِب» في الفقه، نَحْو عشرَة كراريسَ، و«دَلِيل الطالبين لِكَلام النَّحْوِيين»، و«إرشاد مَن كان قصده إعراب لا إله إلا الله وَحده»، و«مقدمة الخائض في علم الفَرائض».

و«القَول البديع فى علم البديع»، و«أقاويل الثِّقات في تَأْوِيل الأسماء والصِّفات»، و«الآيات المُحْكَمات والمتشابهات»، و«قُرَّةُ عين الوَدُود بِمَعْرِفَة المَقْصور والمَمْدُود».

و«الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة»، و«بديع الإنشاء والصِّفات فى المكاتبات والمراسلات»، و«بهجة الناظرين فى آيات المستدلين»، نَحْو عشْرين كُرّاسًا يشْتَمل على العجائب».

و«الغرائب والبرهان في تَفْسِير القُرْآن»، لم يتمَّ، و«تنوير بصائر المقلِّدين في مناقب الأئمة المُجْتَهدين»، و«الكواكِب الدُّرِّيَّة في مَنَاقِب ابْن تيميَّة»، و«الأدلة الوفيَّة بتصويب قَول الفقهاء والصوفيَّة».

و«سلوك الطريقة في الجمع بَين كلام أهل الشَّرِيعَة والحقيقة»، و«روض العارفين وتسليك المريدين»، و«إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين»، و«تهذيب الكلام في حكم أَرض مصرَ والشَّام».

و«تشويق الأنام الى الحَجِّ إلى بَيت الله الحَرَام»، و«مُحَرِّك سواكن الغرام إلى حجِّ بَيتِ الله الحرام»، و«قلائد المرجان في النَّاسِخ والمنسوخ مِنَ القُرْآن»، و«أرواح الأشباح فى الكلام على الأرواح».

و«مرآة الفِكَر في المهديِّ المنتظَر»، و«إرشاد ذوي الأفهام لنزول عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام»، و«الرَّوْض النَّضِر فى الكلام على الخضِر»، و«تَحْقِيق الظنون بأخبار الطَّاعُون»، و«ما يَفْعَلُهُ الأطبّاء والداعون لِدفع شَرِّ الطَّاعُون».

و«تلخيص أَوْصَاف المُصْطَفى وَذِكْرُ مَن بعده مِن الخلفا»، و«إتحاف ذوي الألباب في قَوْله تَعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾»، و«أحكام الأساس في قَوْله تَعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾.

و«تنبيه الماهر على غير ما هُوَ المُتبادِر»، مِنَ الأحاديث الواردة في الصِّفَات، و«فتح المنَّان بتفسير آيَة الامتنان»، و«الكلمات البَيِّنات في قَوْله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾».

و«أزهار الفلاة في آيَة قَصْرِ الصلاة»، و«تَحْقِيق الخلاف في أَصْحاب الأعراف»، و«تَحْقِيق البُرْهَان فى إثبات حَقِيقَة المِيزان»، و«توفيق الفَرِيقَيْن على خُلُود أهل الدَّارِيْنِ».

و«توضيح البُرْهان فى الفرق بَين الإسلام والإيمان»، و«إرشاد ذوي العرْفان لِمَا فى العُمر مِنَ الزِّيادة والنُّقْصان»، و«اللَّفْظ المُوَطَّا فى بَيان الصَّلاة الوُسْطَى».

و«قلائد العِقْيان في قَوْله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾»، و«مَسْبُوك الذَّهَب فى فضل العَرَب وشرف العلم على شرف النَّسَب»، و«شفاء الصُّدُور فى زِيارة المشَاهد والقبور».

و«رياض الأزهار في حكم السَّمَاع والأوتار والغناء والأشعار»، و«تَحْقِيق الرُّجحان بِصَوْم يَوْم الشَّك مِن رمضان»، و«تَحْقِيق البُرْهان في شَأْن الدُّخان الذى يشربه النَّاس الآن».

و«رَفْعُ التلبيس عَمَّن توقَّف فِيما كفَر بِهِ إبليس»، و«تَحْقِيق المقالة: هَلِ الأفضل في حقِّ النبيِّ الولاية أَو النُّبُوَّة أَو الرسالة»، و«الحجج المبينة فى إبطال اليَمين مَعَ البينة».

و«المسائل اللطيفة في فسخ الحَجِّ إلى العُمْرة الشريفة»، و«**السِّرَاج المُنِير في اسْتِعْمال الذَّهَب والحَرِير**»، و«دَلِيل الحُكَّام في الوُصُول إلى دار السَّلام»، و«نزهة الناظرين في فَضَائِل الغُزَاة والمجاهدين».

و«بُشرى مَنِ استبصر وَأَمَرَ بِالمَعْرُوفِ وَنهَى عَنِ الْمُنكَر»، و«بُشرى ذوي الإحسان لِمَنْ يَقْضي حوائج الإخوان»، و«الحكم الملكية والكلم الأزهرية»، و«إخلاص الوِداد في صدق الميعاد».

و«سُلْوان المُصَاب بفُرقة الأحباب»، وتسكين الأشواق بأخبار العشاق»، و«منية المحبين بغية العاشقين»، و«نزهة المتفكر»، و«لطائف المعارف»، و«المسرة والبشارة فى فضل السلطنة والوزارة».

و«نزهة الناظرين فى تاريخ مَن وَلِيَ مصرَ مِنَ الخُلَفاء والسلاطين»، و«قلائد العِقْيان فى فضائل سلاطينِ آلِ عُثْمان».

وغير ذَلِك مِن فَتاوَى ورسائلَ نافعةٍ تداولَها النَّاسُ، ولَهُ الرسالة الَّتي سَمَّاها: «النادرة الغريبة والواقعة العجيبة»، مضمونها الشكوى مِنَ الميموني والحطِّ عَلَيْه.

وله ديوان شعرٍ، مِنْهُ: قَوْلُه:

يا ساحرَ الطَّرف يا مَن مُهجتي سَحَرا ... كم ذَا تنامُ وَكم أسهرتنى سَحَرا

لَوْ كنتَ تعلم ما أَلْقَاهُ مِنْكَ لما ... أَتعبتَ يا مُنْيتى قلبًا إليك سَرَى

هذا المُحِبُّ لقد شاعَتْ صبابتُهُ ... بِالروحِ وَالنَّفس يَوْمًا بالوصال شرى

يا ناظري ناظري بالدمع جاد وَمَا ... أبقيتَ يا مقلتي في مقلتي نظرا

يا مالكي قصَّتي جَاءَت ملطَّخةً ... بالدمع يا شافعي كررتها نظرا

عساك بالحنفي تسْعَى على عجلٍ ... بالوصل للحنبلي يا مَن بدا قمرا

وَقَوله:

بروحي مَن لي في لقاه ولائمُ ... وَكم فى هَوَاهُ لي عذولٌ ولائمُ

على وجنَتَيْهِ وردتان وخاله ... كمسكٍ لطيفِ الْوَصْفِ والثغْر باسمُ

ذوائبه ليلٌ وطلعة وَجهِهِ ... نَهَارٌ تبدى والثنايا بواسمُ

بديع التثني مُرْسلٌ فَوق خَدِّهِ ... عذارًا هوى العذرى لَدَيْهِ ملازمُ

وَمِنْ عجبٍ أَني حفظتُ وِدادَهُ ... وَذَلِكَ عندي في الْمحبَّة لَازمُ

وبينى وبَيْنَ الْوَصْلِ مِنْهُ تبَايِنٌ   وبيني وبَيْنَ الفَصْلِ مِنْهُ تلازمُ

وَقَولُه:

لَيْتَ في الدَّهْرِ لَو حظيتُ بِيَوْمٍ   فِيهِ أَخْلُو مِنَ الْهوى والغرامِ
خالي الْقلب مِن تباريحِ وجدٍ   وصدودٍ وحرقةٍ وهيامِ
كي يراح الْفُؤَاد مِن طولِ شوقٍ   قد سقَاهُ الهوى بكأسِ الحِمَامِ

وَلَهُ:

يُعَاتب مَن في النَّاس يدعي بِعَبْدِهِ   وَيقتل مَن بِالقَتْلِ يرضى بعهدهِ
ويُشهر سَيْفًا ويمزح ضاحِكًا   فيا لَيْتَ سيفَ الَّلحظِ تمَّ بغمدهِ
فَلِلَّه مِن ظبيٍ شَرودٍ نافرٍ   يجازي جميلاً قد صنعتُ بضدهِ
يُبَالغ في ذمِّي وأمدح فعلَهُ   فشكرًا لمَن مَا جَرَّ يَوْمًا بصدِّهِ

ولَهُ:

لَئِنْ قلَّدَ النَّاسُ الأَئِمَّةَ إنَّنِي   لفي مَذْهَبِ الْجَدِّ ابْنِ حَنْبَلَ رَاغِبُ
أقلد فتواه وأعشق قَوْلَهُ   وَلِلنَّاسِ فِيما يعشقون مَذَاهِب

وكانت وفاته بِمصْرَ، في شهرِ ربيعٍ الأولِ، سنةَ ثَلاثٍ وَثَلاثِينَ وَألفٍ، رَحِمَهُ الله.

❑ ❑ ❑

اسم الكتاب وإثبات نسبته للمؤلف

ورد ذِكْرُ الكتاب ونسبتُه للشيخ مَرْعِيٍّ في ترجمته في «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي (٤/ ٣٥٩) باسم: «**السِّراج المنير في استعمال الذهب والحرير**»، وكذلك ورد في «هدية العارفين» لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ٤٢٧).

ووقع ذكره في «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر» لمصطفى الحموي (٦/ ١٦٣) باسم: «المنير في استعمال الذهب والحرير».

وأما في المخطوط نفسِه، فقد ذَكره الناسخ في بداية الكتاب باسم: «الكتاب المنير في استعمال الذهب والحرير».

فثبَت بما سبق صحةُ نسبةِ الكتاب للشيخ مَرْعِيٍّ، ولعلَّ العنوان الأول الذي ذكره المُحِبِّي ـ وهو: «**السِّراج المنير في استعمال الذهب والحرير**» ـ هو الأنسب، والله تعالى أعلم.



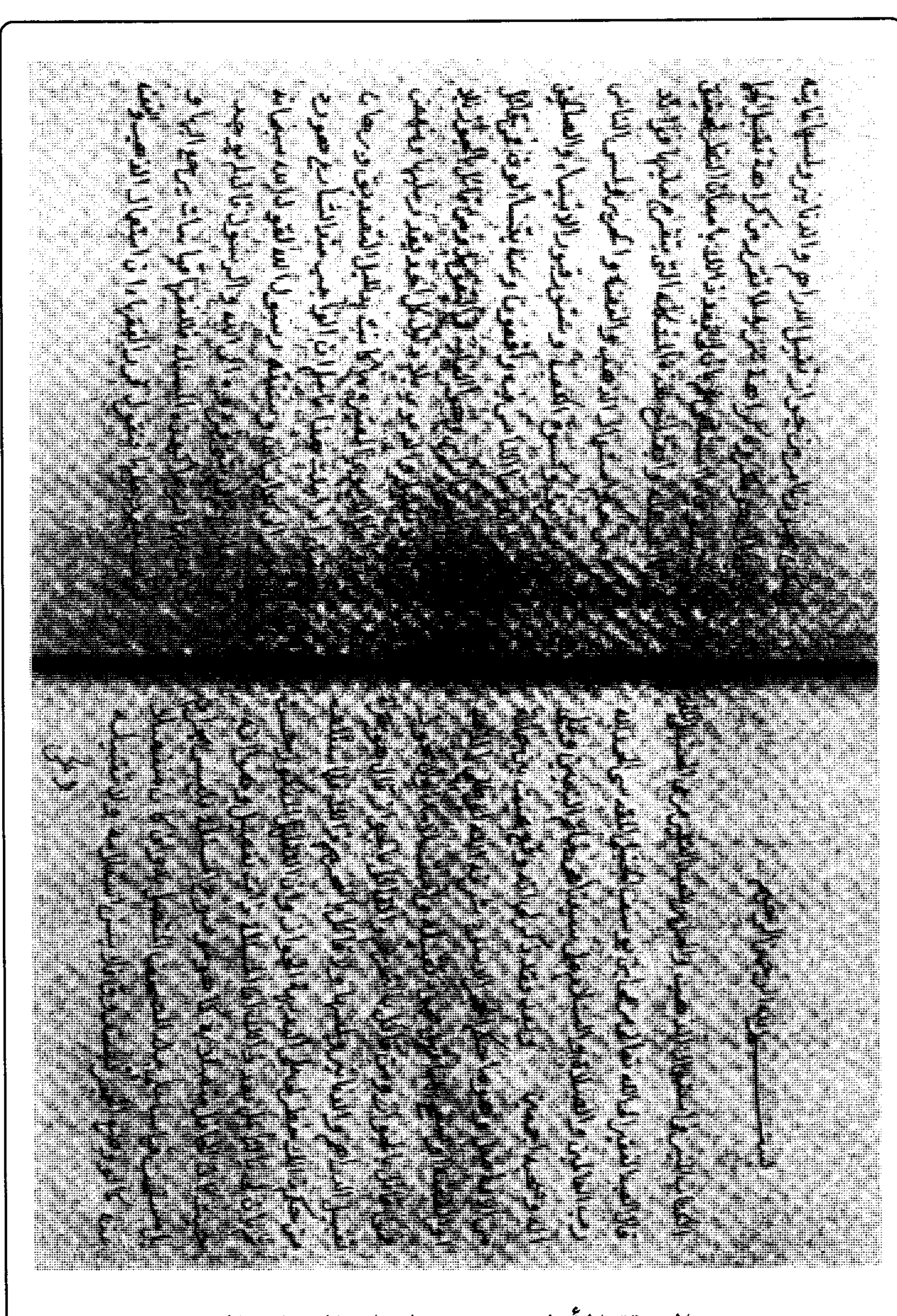
وصف نسخة المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة وحيدةٍ، مصوَّرةٍ مِن مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، ضمن مجموعٍ (ق٢٩ ـ ٣٤)، وتقع في (٥) ورقات، وهي بخطٍّ نسخيٍّ جميل، وعددُ أسطرها (١٦) سطرًا، وقد نُسِخَتْ على نسخةِ خطِّ مؤلِّفِها رحمه الله، كما بيَّنه الناسخ ـ رحمه الله ـ في آخر الرسالة.

ثم إنني ـ بحمد الله تعالى وفضله ـ نسخت الرسالة على جهاز الحاسوب، ثم قمت بمقابلتها في المسجد الحرام مع الإخوة والمشايخ الفضلاء الذين ذُكِروا في آخِر التحقيق، ثم علَّقت عليها بما تدعو الحاجةُ إليه.

وأتوجَّه بالشكر لأخي الكريم، وجاري العزيز، الشيخ الفاضل محمد بن ناصر العجمي على تقديمه لي صورةً مِن المخطوط، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبَّلَه منَّا، آمين، وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.





صورة الورقة الأولى من مخطوط «السراج المنير».

على جواز ستر الكعبة المشرفة بالحرير وحكى بعضهم الاتفاق
على ذلك فهل كذلك الحرير المنسوج بالذهب لغير الكعبة
ونحوه والذي يظهر الى التحريم لان الاصل في مثل ذلك المنع
والحظر لكن ورد الجواز بالحرير فاغتفر فيبقى ما عداه على الاصل
في بقاء التحريم ولا القياس على ما جاء على خلاف القياس خصوصا
وهو سرف وتضييع للنقد فيما لا فائدة فيه ولم يأذن به الله ورسوله
وفي هذا القدر كفاية لمن نظر اليه بعين الرضا لا بعين السخط
والعدى وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي
المساويا ويرحم الله تعالى القاضي ابا يوسف صاحب الامام
الاعظم ابو حنيفة حيث قال اقامة الحجة على الجاهل سهلة
وانما الصعب قبولها جعلنا الله ممن يقبل الحق حيث كان وأينما
ومن الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وازكاه ولا
يفوتنا عنه حظوظ انفسهم وجعلنا من عباده الصالحين
بل من انفسهم امين تمت على نسخة خط مؤلفه ربيع الاخر ٩ ١٢٨٥

صورة الورقة الأخيرة من مخطوط «السراج المنير».



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨١)



السراج المنير في استعمال الذهب والحرير

للإمام العلامة
مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة (١٠٣٣هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد بن أحمد الكمالي



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبدُ الفقير إلى الله تعالى: مَرْعِيُّ بنُ يوسُفَ الحنبليُّ المَقْدِسيُّ:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ خاتَمِ النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد ذُكِرَ لي أنه وقع بحثٌ بين جماعةٍ مِن الأفاضل، وهو: ما حكمُ الحَجَرِ الأسودِ ـ شرَّفه الله ـ لو طُلِيَ بالذهب أو الفضة أو صُفِّحَ بهما؟ فهل يجوزُ تقبيلُه واستلامُه أوْ لا يجوز؟

فمِن قائلٍ بالجواز، ومِن قائلٍ بالتحريم.

والقائلُ بالجواز قال: هو بمنزلةِ تقبيلِ الدراهمِ والدنانيرِ ولَمْسِها، ولا قائلَ بتحريم(١) ذلك.

فلمَّا سُئلتُ عن حكم ذلك، خطر لي على البديهة الجوازُ، وأنَّ التعليلَ(٢) المذكورَ حَسَن.

---

(١) في الأصل: «بالتحريم»، والصواب ما أثبتُّه؛ كما يقتضيه السياق.

(٢) في الأصل: «التقليل» بالقاف، والصواب ما أثبتُّه كما هو ظاهر.

ثم بان لي بالتأمل ـ بعد ذلك ـ أنَّ المسألةَ ذاتُ تفصيل، وهو: أنه حيث كان الحائلُ متَّصِلاً به ـ كما هو موضوع المسألة ـ فليس بحرامٍ، بل مستحبٌّ[1]؛ قياسًا على جلد المصحف المتصل به، وإنْ كان منفصلاً عنه ـ كما لو وُضِع الحَجَرُ بصندوقٍ ـ فلا يُسَنُّ استلامُه ولا تقبيلُه، ولكن يجوز؛ لما مَرَّ مِن جواز تقبيل الدراهم والدنانير ولَمْسِها، غايتُه أن يقال: هو مكروهٌ كراهةَ تنزيهٍ؛ لِمَا تقرَّر مِن كراهةِ تقبيل الجمادات سوى ما استُثني.

ثم بان لي ـ بعد ذلك بإمعانِ النظرِ ـ تحقيقُ هذه المسألة، وإيضاحُ هذه المشكلة، التي يتفرعُ عليها فوائدُ كثيرةٌ، مِن حُكمِ استعمال الذهب والفضة والحرير، ولَمْسِ الناسِ للمَحْمِلِ الشريف[2]،

---

(١) أي: كما هو الحكم الأصلي للحَجَرِ الأسود، مِنِ استحباب تقبيلِه ولَمْسِه.

(٢) جاء في «مجلة البحوث الإسلامية» التي تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، بالمملكة العربية السعودية (٢١/ ١٣٥):

«بدعة المحمل: وهو جملٌ يُنصب عليه هَوْدجٌ يَحْمل كسوة الكعبة المشرفة، ويُزيَّن بأنواع الزينة، ويجعلونها في مقدمة قافلة الحج من مصر، ويأتي في موكبٍ مِن الطبول والزمور الذي لا يتفق مع قدسية المكان، وجعلوا ذلك كالسُّنَّةِ المتبعة أو الفريضة الشرعية، حتى توهَّمَ العامَّةُ أنه جزءٌ من الحج، وبالغوا في تعظيمه والتمسُّح به».

ومحامِلُ الحاجِّ، واحدها: «مَحْمِل» على وزن مَجْلِس، وأما على وزن المِرْجل، فكعِلاقة السيف. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٧٨).

وكسوةِ الكعبة(١)، وستور قبورِ الأنبياء والصالحين، إلى غير ذلك مما الناسُ فيه واقعون، وعنه يتساءلون.

---

(١) أول من كسا الكعبةَ ـ شرَّفَها الله تعالى ـ على الإطلاق: تُبَّعٌ الحِمْيَرِيُّ على الراجح (كما قال صاحب «السيرة الحلبية»)، وذلك قبل نبيِّنا محمدٍ ﷺ بتسعمائة سنة. وفي الحديث عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تسبُّوا تُبَّعًا؛ فإنه قد كان أسلم» أخرجه أحمد (٢٢٨٨٠) ـ ط الرسالة، وهو حديثٌ حسن لغيره، كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ «المسند» (٣٧/ ٥١٩).
وكَانَت قُرَيْش فِي زمن الْجَاهِلِيَّة تشترك فِي كِسْوَة الْكَعْبَة، ثمَّ كساها النَّبِيُّ ﷺ الثِّيَابَ اليمانيَّة، وَكَسَاهَا الخلفاء الراشدون: أَبُو بكرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وعَلِيٌّ رضي الله عنهم.
وكُسِيَتْ فِي زمن الْمَأْمُونِ والمتوكِّلِ وَالْعَبَّاس، ثمَّ فِي زمن النَّاصِرِ العباسيِّ كُسِيَتِ السوَادَ مِن الْحَرِير، وَيُقال: إنَّ أَوَّلَ من كسا الْكَعْبَةَ الديباجَ: الحجَّاجُ، في عهد عبد الملك بن مَرْوان، وَقيل: بل عبد الله بن الزبير، وقيل غير ذلك.
وفي العصر الحديث، قام الملك عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ بإنشاء مصنع كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة عام ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م، وما زال أبناؤه على سيرته العَطِرة، في خدمة الحرمين الشريفين، حفظهم الله تعالى، ووفَّقهم لكل خير، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء. انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٤، ٢٥)، و«الروض الأنف» (١/ ٩٦)، و«السيرة الحلبية» (١/ ٢٥٠، ٢٥١) «شفاء الغرام» (١/ ١٦٤ ـ ١٧٣)، و«فتح الباري» (٣/ ٤٥٨ ـ ٤٦٠)، و«الجانب الديني في حياة الملك عبد العزيز وأثره في توحيد البلاد» لخالد محمد الصاعدي (١/ ١٥٨) ـ نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ و«الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل» للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي (١/ ١٤٨، ١٤٩) ـ نشر وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية.
=

. . . .

= قال الحافظ ابن حجرٍ في «فتح الباري» (٣/ ٤٦١): «وروى الفاكهيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عمر: أنه كان يكسو بُدْنَهُ القُباطي والحِبَرات يوم يقلِّدها، فإذا كان يومُ النحر نزعها، ثم أرسل بها إلى شيبةَ بنِ عثمان فناطها على الكعبة.

زاد في روايةٍ صحيحةٍ ـ أيضًا ـ: فلما كَست الأمراءُ الكعبةَ، جلَّلها القباطي، ثم تصدَّق بها».

قال الحافظ: «وهذا يدل على أنَّ الأمر كان مطلقًا للناس، ويؤيِّده: ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن علقمة بن أبي علقمة عن أمه قالت: سألْتُ عائشةَ: أنكسو الكعبة؟ قالت: الأمراء يكفونكم» اهـ.

والقُباطيُّ: جمع قُبطيَّةٍ، بالضم، وهو ثوبٌ مِن ثياب مصرَ رقيقٌ أبيض، كأنه منسوبٌ إلى القِبط وهم أهل مصر، والضم فيها مِن تغيير النسب، وهذا في الثياب، وأما في الناس فقِبطيٌّ بالكسر ليس غير.

وأما الحِبَرات: فجمع حِبَرَة، وهو ما كان من البرود مخطَّطًا، يقال له: بردٌ حِبَرةٌ، وبردُ حِبَرَةٍ؛ على الوصف وعلى الإضافة، وهو ثياب اليمن. «شفاء الغرام» (١/ ١٦٦).

وذكر الحافظ ابن حجرٍ ـ أيضًا ـ في «الفتح» (٣/ ٤٥٨): أنَّ الفاكهيَّ رَوَى في «كتاب مكة» من طريق علقمة بن أبي علقمة عن أمه عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ شيبةُ الحجبي، فقال: يا أمَّ المؤمنين! إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فتكثر، فننزعها ونحفر بئارًا فنعمقها وندفنها؛ لكي لا تَلبَسَها الحائض والجنب، قالت: بئسما صنعت، ولكن بِعْها فاجعل ثمنها في سبيل الله وفي المساكين، فإنها إذا نُزِعت عنها، لم يضرَّ مَن لبِسها مِن حائضٍ أو جنب. فكان شيبةُ يبعث بها إلى اليمن، فتباع له، فيضعها حيث أمرته، قال الحافظ: «وأخرجه البيهقي من هذا الوجه، لكن في إسناده راوٍ ضعيفٌ، وإسناد الفاكهي سالمٌ منه». =

فمِن قائلٍ بالتحريم بمجرد الرأي، وهو الغايةُ في التعويل، ومِن قائلٍ بالجواز بلا دليل ولا تعليل[1]، والدعوى بلا دليلٍ كلُّ أحدٍ يَقْدِرُ عليها، ويَنهض إليها، وإنما الدعوى المعتبرة ما كانت بدليل التصديق، وبرهان التحقيق.

إذا علمتَ هذا، فاعلمْ أنَّ الواجبَ عند الشارعِ هو ردُّ الأمور إلى كتاب الله وسنة رسول الله؛ لقول الله سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2]، فإن لم يوجَدْ ذلك فيهما صريحًا ـ كهذه المسألة ـ

= قال: «وأخرج الفاكهي ـ أيضًا ـ مِن طريق ابن خيثم: «حدثني رجلٌ من بني شيبة، قال: رأيت شيبة بن عثمان يقسم ما سقط من كسوة الكعبة على المساكين».

وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه: «أن عمر كان ينزع كسوة البيت كل سنةٍ، فيقسمها على الحاج» اهـ.

وقال العيني في شرح «باب كسوة الكعبة» مِن صحيح البخاري (٩/ ٢٣٦)، معلِّقًا على ما رواه البخاري بسنده عنْ أبي وَائِلٍ قال: «جلَسْتُ مَعَ شَيْبَةَ عَلى الكُرْسِيِّ فِي الكَعْبَةِ فقال: لَقَدْ جَلَسَ هذا المَجْلِسَ عُمَرُ رَضِي الله تعالى عنهُ فقال: لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ لا أدَعَ فيها صَفْراءَ ولَا بَيْضاءَ إلَّا قَسَمْتُهُ، قُلْتُ: إنَّ صاحِبَيْكَ لَمْ يَفْعَلا، قال: هُما المَرْآنِ أقْتَدِي بِهِما»، قال العيني: «ذكر ما يستفاد منه: فيه التنبيهُ على مشروعية الكسوة، وفيه ما يدلُّ من قول عمر أن صرف المال في الفقراء والمساكين آكدُ مِن صرفه في كسوة الكعبة، لكن الكسوة في هذه الأمة أهم؛ لأن الأمور المتقادمة تتأكد حرمتُها في النفوس، وقد صار ترك الكسوة في العرف غضا في الإسلام، وإضعافًا لقلوب المسلمين» اهـ.

(١) في الأصل: «التقليل» بالقاف، والصواب ما أثبتُّه كما هو ظاهر.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

فللفقهاء قياساتٌ يُرجَع إليها، وقواعدُ يُعتمَد عليها، فنقول:

قرَّر الفقهاءُ أنَّ استعمالَ الذهب والفضة حرامٌ[1]، وكذا الحريرُ

---

(١) أجمع العلماء على تحريم الشرب في أواني الذهب والفضة على الرجال والنساء؛ إلا في قولٍ قديم للشافعي رَجعَ عنه ـ كما قال النووي ـ: مِن أنه يُكره ولا يَحْرم، وإلَّا عَنْ مُعاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ أَحَدِ التَّابِعِينَ، ذكره الحافظ ابن حجرٍ في «فتح الباري» (١٠/ ٩٤)، وقال: «فَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ النَّهْيُ» اهـ.
والدليل على التحريم: أحاديث، منها: حديث حذيفةَ رضي الله عنه، أنه سمِع النبيَّ ﷺ يقول: «لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ ولا الدِّيباجَ، ولا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولا تَأْكُلُوا فِي صِحافِها، فإنَّها لَهُمْ فِي الدُّنْيا، ولَنا في الآخِرَة» رواه البخاري (٧/ ٧٧) (٥٤٢٦)، ومسلم (٢٠٦٧/ ٥).
وذهب جمهور العلماء إلى أنَّ سائر أنواع الاستعمال لأواني الذهب والفضةِ مِن الأكل والطِّيب والوضوء والاكتحال وغيرِ ذلك، حرامٌ، وقال داود: إنما يَحْرم الشرب خاصة. قال الشوكاني: «والحديث يَردُّ عليه، وكأنه لم يبْلُغْه النهيُ» اهـ «نيل الأوطار» (١/ ٨١). وقد نَقَل بعض العلماء ـ كالشافعية ـ الإجماعَ على تحريمِ جميع الاستعمالات في أواني الذهب والفضة، لكنْ في دعوى الإجماع نظرٌ؛ فقد خالف في ذلك داود، ولكنه قول الجمهور، كما قال القرطبي وغيره، ومِمَّن وافق الجمهورَ في ذلك: ابن حزم الظاهري، كما في «المحلى» (١/ ٢١٨).
كما اختلفوا في اتِّخاذِها دون استعمالها، فالجمهور على التحريم؛ لأنَّ اتِّخاذَها يُراد للاستعمال، وإذا حَرُمَ الاستعمال حَرُم الاتِّخاذ. وفي وجهٍ للشافعية: أنه لا يَحرم الاتِّخاذ، وإنما يَحرم الاستعمالُ فقط. انظر: «الإشراف على نكت مسائل الخلاف» للقاضي عبد الوهاب المالكي (ت٤٢٢)، و«الإفصاح» لابن هبيرة (١/ ٧١)، و«رحمة الأمة في اختلاف الأئمة» (ص٧) ـ ط قطر ـ و«فتح الباري» (١٠/ ٩٧، ٩٨).
ورجَّح الشوكاني في «النيل» (١/ ٨٢) جواز الاستعمال فيما عدا الأكل =

حرامٌ على الذُّكور[1]؛ كما ورد في الحديث الشريف[2]، فالشارع حرَّم الاستعمالَ ولم يُبَيِّنْه، وأحال بيانَ ذلك على العرف، كما هو شأن كثيرٍ مِن الأحكام، وكسقوط خيار المجلس بالتفرُّق عند القائلين به؛ فإنَّ الشارع لم يبيِّنْ مقدار التفرق؛ إحالةً على العرف، وقد تكلَّم الفقهاءُ على بيان التفرق عُرْفًا بما يُزيل اللَّبْسَ والخفاء.

ولم أَثُرْ منهم مَن تكلَّمَ على معنى الاستعمال وما كيفيَّتُه بما يزيل الخفاء، فهل لامِسُ أواني الذهب والفضة وثيابِ الحريرِ والمَحْمِلِ الشريف، يقال فيه: مستعمِلٌ لها، مرتكِبٌ للحرام؟ أو المراد بالاستعمال الأكلُ والشربُ فيها واللُّبْسُ ونحوُ ذلك؟

وكلا الأمرين لا يستقيم؛ لما فيه من الفساد والإبهام، ولذلك وقع في الوهم مَن قاس تقبيلَ الحَجَرِ الأسودِ والتمسُّحَ به على الدراهم والدنانير، فهو معذورٌ؛ لعدم تصريحِ بيانِ ذلك.

= والشرب؛ لأنَّ الأصل الحِلُّ، ولا دليل مسلمٌ على الحرمة، وهو اختيار الشيخ محمد العثيمين ـ رحمه الله ـ من المعاصرين، في «الشرح الممتع» (١/ ٦٢)، وذكر الحافظ ابن حجرٍ في «فتح الباري» (١٠/ ٣٥٣): أنه أجاز جماعةٌ مِن العلماء استعمالَ الإناء الصغير من الفضة في غير الأكل والشرب.

(١) في الأصل: «المذكور»، والظاهر ما أثبتُّه؛ فإنه الأنسب في المعنى.

(٢) كحديث عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: إنَّ نبيَّ الله ﷺ أخذ حريرًا فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا فجعله في شماله، ثم قال: «إنَّ هذينِ حرامٌ على ذُكورِ أُمَّتي» أخرجه أحمد (٧٥٠)، وأبو داود (٤٠٥٧)، والنسائي (٥١٤٤)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٣٤٢٢)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ «مسند أحمد» (٢/ ١٤٦): «صحيحٌ لشواهده» اهـ.

والحقُّ: أنه لا يُطلق القولُ في ذلك، بل استعمال كلِّ شيءٍ بحسَبه عرفًا فيما هو موضوعٌ له[1]، فآنية الذهب والفضة موضوعُ استعمالِها نحوُ الأكل والشرب فيها، فيَحْرُمُ ذلك، لا مَسْحُها باليد وحملُها بها، والمِيلُ من الذهب موضوعُ استعمالِهِ الاكتحالُ، فإذا لَمَسَه بيده لا يَحرم، فإن اكتحل به حَرُم، والدَّواةُ مِن الذهب[2] لو وضَعَها إنسانٌ في حزامه، لا يَحرم، فإذا كتب منها حَرُم، وكذلك المناطِق[3] المُحَلاَّة بالذهب والفضة، لو حَمَلها إنسانٌ بغير أن يتحزَّم بها، لا يَحْرم، فإذا تحزَّم بها حَرُم؛ لأنَّها موضوعُ استعمالِها.

وكذلك نحوُ الخَرَزَةِ مِن الذهب، لو لبِسَها على رأسِهِ حَرُم، ولو وَضَعَ على رأسِه نحوُ صحنٍ مِن ذهبٍ أو فضةٍ ليَحْمِلَه أو لِيُظِلَّه من الشمس، لا يَحْرم؛ لأنه ليس بموضوعِ استعمالِه، وكذلك

---

(١) وقد ذَكَرَ نحو هذه العبارة: الحافظُ ابن حجر، ونقَلها كذلك عن المُوَفَّق، فقال في ردِّه على السبكي إجازةَ تحلية المساجد بالذهب والفضة: «إن استعمال كلِّ شيءٍ بحسَبه، واستعمالُ قناديل الذهب هو تعليقها للزينة، وأما استعمالها للإيقاد فممكن على بعد». «فتح الباري» (٣/ ٤٥٧).
وفي «الشرح الكبير» للدردير (١/ ٦٥) ـ في الكلام على مساند الحرير: «والنَّامُوسِيَّةُ مِنْ قَبِيلِ السَّاتِرِ فلا تَحْرُمُ على الرِّجالِ إذا كانت مِنْ حَرِيرٍ ما لَمْ يَرْتَكِنْ إليها. وَفِي (المَدْخَلِ) ـ فِي فَصْلِ خُرُوجِ النِّساءِ لِلْمَحْمَلِ مَنْعُها ـ؛ لِأَنَّ اسْتِعْمالَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، وَهُوَ وَجِيهٌ» اهـ.

(٢) الدَّواة ـ بالفتح ـ: ما يُكتب منه، والجمع دَوًى، مثل نَواةٍ ونَوًى. «الصحاح» (٦/ ٢٣٤٣). وفي «المعجم الوسيط» (١/ ٣٠٦): «الدَّواة: المَحْبَرة».

(٣) جمع مِنْطَقَةٍ، وهي: ما يُنتَطَق به، كما في «القاموس المحيط» (ص١١٩٥)، أي: ما يُتَحَزَّمُ به.

المِنْجَرَةُ والمِجْمَرَةُ[1] والمِلْعقةُ، استعمالُها إنما هو بحسب ما وُضِعت له.

وكذلك ثوبُ الحرير، لو وَضَعه إنسانٌ على رأسه، لا يَحْرم، ولو لَفَّ عِمامةَ الحريرِ حَرُمَ؛ لأنَّ ذلك هو موضوعُ استعمالِها، وكذلك نَسْجُ الحرير وتفصيلُه لا يَحْرم، فإذا استُعمِل شيءٌ منه فيما هو موضوعٌ له، حَرُم، فلو اتَّخذتِ المرأةُ خرقةً مِن حريرٍ لمسح ذَكَرِهِ منها وفَعَلَه، حَرُم عليه، أو كيسًا مِن حريرٍ لِمُشْطِهِ أو مُكْحلتِه[2] ونحوِ ذلك.

ولو وضع يده على حَجَرٍ من ذهبٍ أو فضةٍ، لم يَحرمْ، ولو اتَّخذه لمسح يده من الزَّفَرِ أو الوسَخِ حَرُم؛ لأنَّ ذلك موضوعُ استعمالِه، وكذلك لو اتَّخَذَ أُسطُوانةً مِن ذهبٍ يجلس عليها أو يستند عليها[3]، فيَحرم؛ لأن ذلك هو موضوع استعمالِها.

إذا تقرَّر هذا وظهر أنه حقٌّ يُرجع إليه ويعوَّلُ عليه ـ لئلا تتناقضَ الأحكامُ وتلتبسَ على ذوي الأفهام ـ علمتَ أنَّ ما على الحَجَرِ الأسودِ من الذهب والفضة في الفرْض المذكور، موضوعُ استعمالِه إنما هو مجرد التقبيلِ والتمسُّحِ به، فيَحرم ذلك بلا ريبٍ؛ لأنه استعمالٌ له عرفًا بحسَب ما وُضِع له؛ لما تقرَّر مِن أنَّ استعمال كلِّ شيءٍ بحسَبه عرفًا، وهذا

---

(١) هي واحدة المجامر. «الصحاح» (٢/ ٦١٦).

(٢) المُكْحَلة: بضم الميم، ما فيه الكُحْل، وهو أحد ما جاء بالضمِّ مِن الأدوات. انظر: «القاموس المحيط» (ص١٣٦٠).

(٣) حروف الجر تتناوب كما هو معروف، والأصل أن يُعدَّى «استند» بعَلَى، تقول: **سَنَدْتُ إلى الشيء أسند سنودًا، واستندت بمعنى**. انظر: «الصحاح» (٢/ ٤٩٠)، و«القاموس المحيط» (ص٣٧٠).

استعمالُه إنما هو بالمسح والتقبيل، لا الأكلِ والشربِ والجلوس، ولأن علة التحريم موجودةٌ فيه، وهو تضيُّقُ النقد، وإنْ كان إرادةَ الخيلاء وكسرَ قلوب الفقراء لا يوجَدان هنا؛ فضِيق النقد كافٍ في التحريم(١).

---

(١) وهما ممّا عُلِّلَ بهما تحريمُ استعمال أواني الذهب والفضة. انظر: «نيل الأوطار» (١/ ٨٢)، وقد رَدَّ الشوكاني على هذه العلة: بجواز استعمال الأواني مِن الجواهر النفيسة وغالبُها أنفَسُ وأكثرُ قيمةً مِن الذهب والفضة.

وقد لَخَّص الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «زاد المعاد» (٤/ ٣٥١) ـ ط الرسالة ٧ ـ العِلَلَ التي قيلت في ذلك، ثم بيَّن قولَه في ذلك، فقال ـ رحمه الله ـ: «قيل: علَّة التحريم: تضييق النقود؛ فإنها إذا اتُّخِذت أوانيَ فاتتِ الحكمةُ التي وُضِعت لأجلها مِن قيام مصالح بني آدم، وقيل: العلة: الفخر والخيلاء، وقيل: العلة: كَسْرُ قلوب الفقراء والمساكين إذا رأَوْها وعاينُوها».

قال: «وهذه العلل فيها ما فيها؛ فإن التعليل بتضييق النقود يَمنع مِن التحلي بها وجعلِها سبائك ونحوَها مما ليس بآنيةٍ ولا نقد، والفخرُ والخيلاء حرامٌ بأيِّ شيءٍ كان، وكسرُ قلوب المساكين لا ضابط له؛ فإن قلوبهم تنكسر بالدور الواسعة والحدائق المعجِبة، والمراكب الفارهة، والملابس الفاخرة، والأطعمة اللذيذة، وغيرِ ذلك مِن المباحات، وكلُّ هذه عللٌ منتقضة؛ إذ توجد العلة ويتخلف معلولُها».

قال: «**فالصواب**: أنَّ العلة ـ والله أعلم ـ ما يُكسب استعمالُها القلبَ مِن الهيئةِ والحالةِ المنافية للعبودية منافاةً ظاهرة، ولهذا علَّل النبيُّ ﷺ بأنها للكفار في الدنيا؛ إذ ليس لهم نصيبٌ من العبودية التي ينالون بها في الآخرة نعيمَها، فلا يصلح استعمالُها لعبيد الله في الدنيا، وإنما يستعملها مَن خرج عن عبوديته، ورضي بالدنيا وعاجلِها مِن الآخرة» اهـ.

وأيضًا، فَطَلْيُ الحَجَرِ الأسودِ بالذهب أو الفضة تصفيحُه بهما منكَرٌ في الشرع، فالواجبُ عدمُ إقراره، وفي التقبيلِ أوالتمسُّحِ به ـ حينئذٍ ـ إقرارٌ على المنكر؛ لأنه يوجب بقاءه، بخلاف ما إذا تجنَّبه الناس قاطبةً؛ فإنه موجِبٌ لزواله، ولأن الفاعلَ لذلك إذا شاهد مِن الناس ذلك، أَحجم عنه بلا ريبٍ.

فإن قيل: إنَّ لامسَ الحَجَرِ الأسودِ المصفَّحِ بالذهب، لم يَقصدِ الاستعمالَ، وإنما قصد التبرُّكَ قطعًا.

قلنا: حيث تقرر أنَّ موضوعَ استعمالِهِ إنما هو المسح عليه لا غير[1]، فهو حرام؛ لأنَّ الاستعمالَ وُجِد بالفعل، فلا يَصرفُه قصدُ شيءٍ آخَرَ؛ إذْ هو بمنزلة مَن أكل مِن أواني الذهب وقال: لَمْ أقصدِ الاستعمالَ، وإنما قصدت مجردَ الأكل.

على أنَّ قصدَ التبرُّكِ باللَّمْسِ في هذه الحالةِ لاغٍ؛ إذْ هو مما لا وجهَ له؛ لأنَّ الحَجَرَ الأسودَ بينه وبينه حائلٌ، فالملموس إنما هو الحائل قطعًا، فلا تأثيرَ لقصد التبرُّك؛ أشبَهَ ما لو لَمَسَ المتوضئُ المرأةَ أو فرجَه

---

(١) الأَوْلَى أن يقول: «ليس غير»؛ كما هو لغة العرب، قال ابن هشام الأنصاري في «شرح شذور الذهب» (ص١٠٦): «ولا يجوز حذفُ ما أضيفت إليه (غير) إلا بعد «ليس» فقط، وأما ما يقع في عبارات العلماء مِن قولهم: «لا غير»، فلم تتكلم به العرب، فإما أنهم قاسوا «لا» على «ليس»، أو قالوا ذلك سهوًا عن شرط المسألة» اهـ. ومثال حذف ما أضيفت إليه «غير» قولُك: «قبضتُ عَشَرَةً ليس غيرُ»، والأصل: ليس المقبوضُ غيرَ ذلك، فأُضمِر اسم «ليس» فيها، وحُذِفَ ما أضيفت إليه «غير»، وبُنيت «غير» على الضمِّ تشبيهًا لها بـ «قبل» و«بعد»؛ لإبهامها. انظر: «شرح شذور الذهب» (ص١٠٦).

بحائلٍ وقال: قصدت اللمسَ ونَقْضَ الوضوء؛ فإنه لا يُلتفت لهذا اللَّمْسِ ولا لهذا القصد؛ لأن الملموس إنما هو الحائل.

فتدبَّرْ هذا التقريرَ بعين الإنصاف، مجانبًا للميل والاعتساف، تُرْشَدْ للحق والصواب إن شاء الله تعالى.

(تنبيه): ما مَرَّ تقريرُه فهو ما إذا استُعمِل ذلك عرفًا فيما هو موضوعٌ له، **فإن استَعمله في غير موضوعه، ففيه تفصيل**، وهو:

أنَّ ما كان موضوعُ استعمالِه حرامًا، ثم استُعمِل في جهةٍ أخرى غيرِ تلك الجهةِ الموضوعِ لها لا بقَصْدِ الاستعمال، لم يَحْرُمْ، كرِكَاب الذهب[1] لو جَلَس أو وَضَع رأسَه عليه، وكالسَّرْجِ لو وَضع رجلَه أو صعِد إلى شيءٍ عليه.

فإنْ قَصَدَ الاستعمالَ ـ أي: قَصَدَ بذلك أن يكون مستعملاً للذهب ـ فإنه يَحرم عليه، وإن لم يَقصِدْه لم يَحرم؛ لأنَّ ذلك ليس بموضوعِ استعماله، بل هو طارئٌ فلا يؤثر في التحريم بدون قصْد.

وما كان موضوعُ استعماله مباحًا، ثم استُعمِل في جهةٍ أخرى بقصد الاستعمال، فإنه يَحرم، وإلا فلا، كالثيابِ المُنْسَجِفَةِ بالحرير[2]، إذا ضَمَّ السجافَ وجلس أو نام عليه.

---

(١) الرِّكَاب للسَّرْج: مَا تُوضَع فِيهِ الرِّجْلُ، وهما رِكَابَان. «المعجم الوسيط» (١/ ٣٦٨).

(٢) السَّجْفُ والسِّجْفُ: السِّتْرُ، وأَسْجَفْتُ السِّتْر: أي أرسلته. «الصحاح» (٤/ ١٣٧١).

فإنْ قَصَد استعمالَ الحريرِ حَرُم، وإن لم يَقصِدْه لم يَحرم؛ لأنَّ موضوعَ[١] جهةِ استعمالِهِ إنما هو اللُّبسُ، وهو مباح[٢]، وهذا طارئٌ فلا يُلتفت إليه بدون قصدٍ.

وينبغي أن يقال: وكذا الدنانيرُ لو فرشها إنسانٌ وجلس أو نام عليها: إنْ قَصَد الاستعمالَ والخيلاء، حَرُم، وإلا فلا؛ لأن الجلوس عليه ليس هو بموضوع استعمالِها، بخلاف ما لو وُضِعت بمقاعدَ وجلس عليها، فإنه يَحرم بلا ريب؛ لأن ذلك صار موضوعَ استعمالِها.

(فائدة): نحوُ الأواني والملاعِقِ مِنَ الذهب أو الفضة: إذا غسلها أو مسحها أو حملها إنسانٌ، لا يَحرم عليه؛ لأن ذلك ليس باستعمالٍ لها عرفًا، وإن كان فعل ذلك لأجل الأكل فيها أو بها، فهو حرامٌ؛ لأنه إعانةٌ على المعصية، والإعانةُ على المعصيةِ حرامٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٣].

وكذا يقال في كل مَن صَنَعَ شيئًا لِمن يَحرم عليه تعاطيه، كنسج عمائمِ الحريرِ للرجال، وصانعِ السُّرُجِ واللُّجُمِ والسُّقوفِ بالذهب، بل ولا يستحق الأجرة[٤].

---

(١) في الأصل: «موضع»، والظاهر ما أثبتُّه؛ كما ستأتي عبارةٌ مشابهةٌ لها.

(٢) أي: للنساء.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢.

(٤) الأصل أن يقال: بل لا يستحق الأجرة، أي: بحذف الواو بعد «بل».

(**خاتمة**): التمسُّحُ بالمَحْمِلِ الشريفِ الحريرِ المنسوجِ بالذهب، وكسوةِ الكعبة المشرَّفة، ومستورِ قبورِ الأنبياء والصالحين: يَحتمل أن لا يَحْرُمَ؛ لأنها لم توضعْ للتمسح بها، وليس موضوعُ استعمالِها هذه الجهة، بل موضوعُ الاستعمالِ هنا إنما هو اللُّبسُ ونحوُه.

نَعَمْ، يحرمُ إنْ كان باعتقادِ أنَّ هذا قربةٌ أو بركةٌ؛ إذْ هو تشريعُ شيءٍ في الدين لم يكن منه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1].

وقياسُ قواعدِ الفقهاء حيث حرَّموا الجلوسَ مع ستر الجدران بالحريرِ لوجود المنكر، أنه يَحرم الجلوسُ عند قبرٍ مستورٍ بالحرير، خصوصًا المنسوجَ بالذهب؛ فإنه أشدُّ في التحريم، اللهم إلا أن يقال: إنَّ هذا مما عَمَّتْ به البلوى فيُغتفر الجلوس، ومع هذا فيجب أن يُنْكَرَ ذلك بقلبٍ؛ لأنه منكَرٌ، وإنكارُ المنكر واجبٌ بالقلب إذا عُجِزَ عن زوالِه باليد واللسان.

(**لطيفة**): نَصَّ الفقهاءُ على جواز ستر الكعبة المشرفة بالحرير، وحَكَى بعضُهم الاتفاقَ على ذلك[2]، فهل كذلك الحريرُ المنسوجُ بالذهب كبُرقُعِ الكعبةِ ونحوِه؟

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢١.

(٢) كالحافظ ابن حجرٍ في «فتح الباري» (٣/ ٤٥٧)، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «تجويز ستر الكعبة بالدِّيباج، قام الإجماع عليه».
وقال: «وأما التحلية بالذهب والفضة فلم يُنقَلْ عن فعلِ مَن يقتدى به...».
وقال: «صَحَّ النهيُ عن استعمال الحرير والذهب، فلما استَعمل السلف =

والذي يظهر ليَ التحريم؛ لأن الأصل في مثل ذلك المنعُ والحظرُ، لكنْ وَرَدَ الجوازُ بالحرير فاغتُفِر، فيبقى ما عداه على الأصل في بقاء التحريم، ولا يقاسُ على ما جاء على خلاف القياس، خصوصًا وهو سَرَفٌ وتضييعٌ للنقد فيما لا فائدة فيه، ولم يأذنْ به اللهُ ورسولُه.

وفي هذا القدر كفايةٌ لمَن نظر إليه بعين الرضا لا بعين السخط والعِدا.

وعَيْنُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدي المَساوِيا

ويرحمُ اللهُ تعالى القاضيَ أبا يوسُفَ ـ صاحبَ الإمام الأعظمِ أبي حنيفةَ ـ حيث قال: إقامةُ الحجة على الجاهل سهلةٌ، إنما الصعب قَبولُها.

= الحريرَ في الكعبة دون الذهب ـ مع عنايتِهم بها وتعظيمِهم ـ دلَّ على أنه بقِيَ عندهم على عموم النهي» اهـ.

وذكر في «السيرة الحلبية» (١/ ٢٥٠): أنه «سئل الإمام البُلقينيُّ: هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب، ويجوز إظهارها في دوران المحمل الشريف؟ فأجاب بجواز ذلك؛ قال: لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخرة التي ترجى بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والآخرة. ويجوز إظهارها في دوران المحمل الشريف؛ فإنَّ في ذلك المناسبةَ للحال المنيف» اهـ.

وانظر ـ أيضًا ـ في جواز كسوة الكعبة بالحرير: «أسنى المطالب في شرح روض الطالب» لزكريا الأنصاري (١/ ٣٨٠)، و«مغني المحتاج» للخطيب الشربيني (٢/ ١٠٠).

جعلنا الله ممن يقبل الحقَّ حيث كان ولا يأباه، ومِن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأزكاه، ولا يقفون عند حظوظ أنفُسهم، وجعلنا مِن عباده الصالحينَ بل مِن أنفَسهم، آمين.

تمَّتْ على نسخة خَطِّ مؤلِّفِه (١٢٨٥)

٩ ربيع الآخر (٨٥)[1]

❑ ❑ ❑

---

(١) أي: سنة (١٢٨٥هـ).

قيد المقابلة بالمسجد الحرام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه. **وبعد:**

بلَغ مقابلةً بقراءةِ محقِّقِها الدكتور الشيخ عبد الرؤوف الكمالي في المجلس، ومتابعة ومقابلة الشيخ راشد الغفيلي في مصوَّرة المخطوط، وكذا نسخة أخرى بيدي، ومتابعة وحضور المشايخ الفضلاء، والسادة العلماء: د. عبد الله المحارب، ومحمد بن ناصر العجمي، ود. سامي خياط، والشيخ عبد الله التوم، وعماد الجيزي، ويوسف الأوزبكي، والأستاذ حسن حمود الشمري، وشعبان الصليلي، ومحمد سالم الظفيري، فصحَّ وثبَتَ والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه خادم العلم:
نظام بن محمد صالح يعقوبي
بالمسجد الحرام،
٢١ رمضان المبارك ١٤٣٢هـ
تُجاه الركن الشامي مِن الكعبة المشرَّفة
حرسها الله وأهلَها، آمين



المحتوى

الجزء محقَّقاً

❑❑❑





لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨٢)

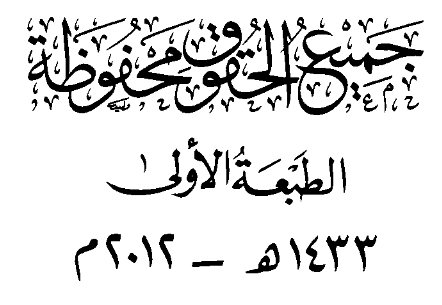
بغية الطلب
في
تصليح الأسنان وتلبيسها بالذهب

للعالم الشيخ
محمد بن محمد الخانجي البوسنوي
المتوفى سنة (١٣٦٥هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد بن أحمد الكمالي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٩٦١١/٧٠٢٨٥٧٠٠ فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣٠٠
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فما نزال ـ بحمد الله تعالى وفضله ومَنِّه ـ في بركات المسجد الحرام واللقاء فيه بالعشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، نُحيي علم علمائنا الأماجد، ونتذاكر فضلهم المتزايد، راجين من المولى الكريم، أن يعمَّنا بفضله العظيم، ويحشرنا مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ومِن ثمرات هذا اللقاء، ما جاد به أخونا المفضال ـ سجي الخصال، تفاحة الكويت وزينتها، الشيخ محمَّد بن ناصر العجمي، حفظه المولى العلي ـ ما جاد به مِن هذه الرسالة البديعة النافعة:

«بُغية الطَّلَب في تصليحِ الأسنان وتلبيسِها بالذَّهَب»

للعالِم الشيخ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الخانجي البوسنوي

وهو أحد العلماء الذين لا يكادون يُذكرون[1]، مع أنه صاحب علم راسخ، ومؤلفات رائقة، ذات موضوعات فائقة، وعباراتٍ متناسقة، ومنها هذه الرسالة التي أنا في صدد تحقيقها، **فرأيت أنَّ إخراجها أمرٌ مهمٌّ ومفيدٌ؛ وذلك للأسباب التالية:**

أوَّلها: جودة موضوعها وأهميته؛ فهي تتحدَّث عن موضوعٍ واقعي، يحتاج إليه عموم الناس في كل وقت ومكان.

فالموضوع نفسه جديرٌ بالنشر والقراءة، ولا سيما مع إتقان المؤلف لبحثه؛ فقد اتصف البحث بالشمول والدقة والتحقيق وكثرة المراجع.

وثانيها: أنَّ مؤلِّفها عالمٌ كبيرٌ، يتصف بسعة الاطلاع، وقوة الرأي، وحسن العبارة، إضافةً إلى الفضل في الدين والطاعة، ومع ذلك فلم يكن معروفًا عند أكثر المسلمين.

فكانت فرصةً طيبةً لأن نُحْيِيَ ذِكْر مؤلِّفِها؛ لنستفيد مما كتب وألف في هذه الرسالة التي تُنشر لأول مرة، وكذلك في غيرها من رسائله التي لم تُنشر، مع ما فيها من علمٍ وفائدة.

فنكون بذلك قد قمنا بشيءٍ من واجبنا تُجاه العلماء الذين رفع الله تعالى شأنهم في القرآن الكريم، وبَّين لنا رسولنا ﷺ فضلهم العظيم.

---

(١) وكلّ مَن ترجم له لم يزد في ترجمته على أسطرٍ قليلةٍ عنه؛ لشحِّ المصادر عنه، فأكرمنا الله عز وجل بمجموعه الذي بخطه، وفيه تفصيلاتٌ كثيرةٌ عن حياته وعلمه، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولهذا فقد قمت بترجمةٍ مناسبةٍ للمؤلف الذي لم تَزِدْ ترجمتُه عند كل من ترجم له على أسطرٍ قليلة؛ وذلك لشحِّ المصادر وقلَّة المعلومات، شأنُه في هذا شأنُ كثيرٍ من العلماء، ولكن الله تعالى وفقني للوقوف على مجموعٍ بخطِّه نفسه، فيه كثيرٌ من الأخبار عن حياته العلمية والعملية، واسمه ـ كما ورد على خلافه بخطِّ المؤلِّف نفسِه ـ: «كتاب الحاوي للرسائل والإجازات والمهمَّات والفتاوي»، وهو في (١٢٠) ورقةً[1]، ومِن هذا المجموع أخرجت هذه الرسالة، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

منهج المؤلف في رسالته:

تميَّز المؤلف ـ رحمه الله ـ في رسالته هذه بمميِّزاتٍ مهمةٍ، أَضْفَتْ على البحث قيمةً وفائدةً في المحتوى والمضمون، وحُسنًا وجمالاً في الشكل والأسلوب، أستطيع أن أوجزها في النقاط التالية:

١ ـ اختيار المؤلف لموضوعٍ عصريٍّ جديد، يوافق حاجة الناس في حياتِهم، وبحث ذلك بشكلٍ تفصيليٍّ، بحيث يؤدي الغرض مِن الوصول إلى حكمٍ شرعيٍّ يطمئن له القارئ.

٢ ـ اشتمال البحث على جانبين مهمين، يكمِّل أحدُهما الآخَر في الوصول إلى نتيجة البحث، وهما:

(أ) الآراء الفقهية وما ذكره الفقهاء فيما يتعلق بالموضوع وما يترتب عليه مِن نواحٍ مختلِفة، وذِكره للمذاهب الفقهية جميعِها،

(١) «مجموع (٦٩٦٩)/ غازي خُسروبك»، في (سراييفو).

مع التركيز أكثر على المذهب الحنفي الذي هو أصل مذهبه، ولكنَّه لم يُغْفِلْ ذِكْر قول أهل الحديث الذين تأثر بطريقتهم وأقوالهم، كمدرسةٍ علميَّة لها أثرها الواضح المفيد.

(ب) الأدلة الحديثية، وبحثها على طريقة أهل الحديث في بيان الروايات الواردة، ودراستها وذكر أحكامِها في الثبوتِ وعدمِه؛ مع بيان ما وقع في ذلك مِن الأوهام؛ للوصول إلى ما يمكن أن يُستدلَّ به فعلاً ويُحتجَّ به.

٣ ـ اهتمام المؤلف ـ رحمه الله ـ ببيان الألفاظ الغريبة التي تَحتاج إلى إيضاحٍ وبيان، واهتمامه أيضًا ببيان الفوائد الجانبية للموضوع وعدم إغفالها، كبيان ـ مثلاً ـ أن علم تصليح الأسنان وتركيبها وجراحاتها علمٌ قديمٌ ليس بحديث.

٤ ـ توثيق المؤلِّف لِمَا يَذكره مِن أقوالٍ وفوائد، ورجوعه إلى المصادر الأصيلة في ذلك، مما أعطى الرسالة قيمةً علميَّةً مهمة.

٥ ـ دقة المؤلف، وسهولة أسلوبه، وحسن ترتيبه للأبواب والفصول، بما يَشعر به القارئ بالراحة التامة، ويوصله إلى المطلوب بوضوح، مع شموله لما يَذكره في المسألة.

عملي في تحقيق المخطوط:

١ ـ قمت أوَّلاً بنسخ الرسالة، وذلك بطباعتها على الحاسوب.

٢ ـ عزوت الآيات الكريمة إلى سورها مع ترقيمها.

٣ ـ قمت بتخريج الأحاديث مِن مصادرها، والعزو إليها ببيان الكتاب والباب ورقم الحديث عند مخرِّجِه.

٤ ـ عزوت الأقوال إلى مصادرها التي نقل منها المؤلف، مع شيءٍ من الزيادة لزيادة التوثيق.

٥ ـ قمت بالتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، محاولاً الاختصار؛ حتى لا تَخرج الرسالة عن كونها نَصًّا محقَّقًا وبحثًا لغير المحقِّق.

٦ ـ شرحت ما يحتاج إلى شرحٍ مِن غريب الألفاظ والمصطلحات التي ذكرها المؤلف.

٧ ـ قمت بضبط النصوص التي نقلها المؤلف مِن مواقعها.

٨ ـ أضفت عناوينَ لبعض الفصول التي خلت منها؛ زيادةً في التوضيح للقارئ، وجعلتها بين معقوفين هكذا[ ].

٩ ـ ذيَّلت الرسالة بفهرسةٍ لمسائلها؛ لتسهيل الوصول إلى المراد منها، وبفهرسةٍ أخرى للمراجع التي رجعت إليها في مقدمة التحقيق وفي التحقيق نفسه، مع بيان الناشر وسنة الطبع.

نسأل الله تعالى أن يرحم المؤلف رحمةً واسعة، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يحشرنا معه في زمرة العلماء، آمين، وصلَّى الله على عبده ورسوله محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين.



ترجمة المؤلف[1]

اسمه ونسبه وولادته:

هو: محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن صالح بن صالح بن محمَّد بن صالح بن محمَّد بن صالح البوسنوي الحنفي، المشهور بالخانجي.

وأُمّه: فاطمة بنت الحاج صالح آغا صوّجوّقا.

وقد كتب المؤلِّف نسبه هذا في محرم الحرام سنة (١٣٥٢هـ)، وذكر أنَّ أباه حيٌّ الآن، وكان عمرُهُ ـ آنذاك ـ نحوَ خمسٍ وخمسين سنة.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكل أجدادي يُلقَبون بلقب الخانجي، وكان يشتغل أكثرهم بدباغة الجلود والتجارة بها، رحمهم الله تعالى» اهـ.

---

(١) معظم ما ذكرته في ترجمة المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هو من المجموع الذي للمؤلف نفسه وبخطه «كتاب الحاوي» الذي مرَّ ذكره.
ومِمن ترجم للمؤلف: عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (٣/ ٨٦٠)، وعزا ترجمته إلى فهرس المؤلفين بالظاهرية، و«الأعلام الشرقية» لزكي محمَّد مجاهد.

وُلِد المصنف ـ رحمه الله ـ في مدينة (سراي) التابعة لدولة (يوغسلافيا)، في سنة (١٣٣٠هـ ـ ١٩١٠م) تقريبًا[١].

منزلته وفضله:

قال عنه الشيخ عبد الله بن علي آل يابس النجدي الحنبلي في إجازته له: «إنه حضر لدينا العالم الفاضل، والأديب الكامل، طيب الأخلاق، زاكي الأعراق، الرحالة الشيخ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن صالح بن محمَّد البوسنوي المعروف بالخانجي. . .» إلى آخره[٢].

وقال عنه الشيخ الجليل مؤرخ حلب الشهباء، ومحدِّث تلك الديار ومسندها، الشيخ محمَّد راغب بن محمود بن الشيخ هاشم الطباخ الحلبي: «فقد تلقيت كتابًا من العالم الفاضل، والأديب الكامل، الشيخ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن صالح بن محمَّد الخانجي البوسنوي».

وفيها ـ أيضًا ـ: «وقد دلَّني انسجام عباراته، وبديعُ معانيه، على مزيد فضله، وغزارة علمه، وعظيم نبله. . .»[٣].

وقال عنه زكي محمَّد مجاهد: «كان آخذًا بمذهب ابن تيمية في المسائل الفقهية، وكان مِن نوابغ العلماء في عصره مع صغر سنه؛ (فقد توفي عن خمسةٍ وثلاثين سنةً من العمر تقريباً).

---

(١) انظر: «كتاب الحاوي» المخطوط، للمؤلف نفسه (ق٨٢/أ، ب).

(٢) «كتاب الحاوي» (ق٢٢/ب ـ ٢٣/أ).

(٣) «كتاب الحاوي» (ق٧٦/ب ـ ٧٧/أ).

قال: «تعرفت به أثناء طلبه العلمَ بالأزهر، وكان يسكن في تكية محمَّد بك أبو الذهب بالأزهر، ومن أوائل الأصدقاء الأحباب الأعزاء الذين تعرفت بهم في شبابي، وكان كثير الزيارة لنا في منزل والدي بيت القاضي القديم بالجمالية، وكنت أزوره كثيرًا في تكية محمَّد أبو الذهب، وكان يجتمع معنا في بعض مجالس شيخ إسلام تركيا فضيلة الشيخ مصطفى صبري.

وحضرت معه على الشيخ سيد المرصفي كتابه: «رغبة الآمِل شرح كتاب الكامِل» للمبرِّد.

وكانت بيننا مراسلاتٌ علمية وأدبية بعد سفره إلى سنة وفاته» اهـ[1].

وللمؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ صفاتٌ عديدة امتاز بها:

فمنها: اهتمامُه بتقييد الفوائد التي يجدها، سواء في الكتب أم الدروس أم غيرهما.

ومنها: دقَّته في الوصف، فإنه دقيقٌ في وصف رحلاته، فهو يقيد تواريخها، وما زار ورأى فيها، مع وصفٍ تامٍّ لذلك، حتى إنه يقيد ما كُتِب على المساجد وغيرها، وينشر ما عنده مِن صورٍ للأماكن كالمساجد.

---

(١) «الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية» لزكي محمَّد مجاهد (١/ ٣٩٦). وانظر ـ أيضًا ـ: «الأخبار التاريخية في السيرة الزكية» له ـ أيضًا ـ (ص١٢٧).

ومنها: جمالُ خطِّه، ووضوحُ عباراته، وتأديتُه الغرضَ بما لا يجعل مجالاً للَّبْسِ في الفهم.

تعلُّمه ومشايخه وتلاميذه:

ذكر المؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ أنه دخل أولاً في المكتب الابتدائي ومكث فيه ثلاث سنين، وكان معلِّمه في السنة الأولى: يوسف أفندي اماموويج، وفي السنة الثانية: عارف أفندي، وفي السنة الثالثة: حافظ سليمان أفندي جوجاق.

ثم انتقل إلى المدرسة الأولية (اوسنوونا شقولا)، وكان معلم العلوم الدينية فيها محمَّد أفندي حاجي ياماقوويج، وعليه قرأ من العلوم العربية الصرف، ومكث في هذه المدرسة ثلاث سنين (عن أربع سنين)[١].

ثم انتقل إلى المدرسة الثانوية، ومكث فيها ثماني سنوات، وكان معلم العلوم العربية في السنة الأولى: صالح أفندي مفتيج، ثم في السنين الباقية شاكر أفندي سيقيريج. وكان معلم العلوم الدينية فيها: محمَّد أفندي باشيج.

ثم رحل إلى الأزهر المعمور، ومكث فيه خمس سنين إلا أشهرًا قلائل، فأخذ عن عدة من المشايخ:

---

(١) هكذا قال المؤلف نفسه، وكأنه يريد: أنَّ أصل مدة الدراسة في هذه المدرسة أربع سنين، ولكنه اختصرها في ثلاث.

منهم: الشيخ علي شائب، والشيخ علي أبو ذرة، والشيخ علي محفوظ[1]، والشيخ محمَّد العِزَبيّ، والشيخ محمَّد أبو سلامة، والشيخ مُعَوَّض السخاوي، والشيخ حسن جبريل، والشيخ الحلبي، والشيخ محمَّد حبيب الله الشنقيطي صاحب «زاد المسلم»[2]، والشيخ عبد العزيز مكي، والشيخ حسنين مخلوف العدوي[3]،

---

(١) هو: علي محفوظ المصري، واعظ شافعيّ، تخرَّج بالأزهر، ثم كان من أعضاء كبار العلماء، وأستاذًا للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين. صنَّف كتبًا، منها: «سبيل الحكمة» في الوعظ، و«هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة» و«الإبداع في مضار الابتداع» و«الدرة البهية في الأخلاق الدينية». توفي سنة (١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م). انظر: «الأعلام» (٤/ ٣٢٣)، و«معجم المؤلفين» (٢/ ٤٩٠).

(٢) هو: محمَّد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، عالم بالحديث. وُلِد سنة (١٢٩٥هـ) بشنقيط وتعلَّم بها، وانتقل إلى مراكش، فالمدينة المنورة، واستوطن مكة. ثم استقر بالقاهرة مدرسًا في كلية أصول الدين، بالأزهر، وتوفي بها. من كتبه: «زاد المسلم، فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» ستة مجلدات، و«إيقاظ الأعلام» في رسم المصحف، و«دليل السالك إلى موطإ مالك» منظومة، وحاشية عليها، وغير ذلك كثير. توفي بالقاهرة سنة (١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م)، ودُفِن بمقابر الإمام الشافعي. انظر: «الأعلام» (٦/ ٧٩)، و«معجم المؤلفين» (٣/ ٢٠٩).

(٣) هو: شمس الدين، محمَّد حسنين بن محمّد مَخْلُوف العَدَوي المالكي، أول من بدأ في إنشاء مكتبة (الأزهر) وتنظيمها. فقيه عارف بالتفسير والأدب، مصري. ولد في قرية (بني عدي) من أعمال (منفلوط) سنة (١٢٧٧هـ)، وتخرَّج بالأزهر (سنة ١٣٠٥هـ)، ودرَّس فيه. ثم كان من أعضاء مجلس إدارته، فأنشأ مكتبته ونظمها، وعُيِّن شيخًا للجامع الأحمدي، فمديرًا عامًّا للمعاهد الدينية ووكيلًا للأزهر. له (٣٧) كتابًا، منها: «بلوغ السول»، في =

والشيخ العَشْري خطيب جامع الرفاعي، والشيخ سيد علي المرصفي[1] صاحب «رغبة الآمِل» شرحه على «الكامِل» للمبرد، والشيخ محمَّد سالم، وحضر للشيخ محمَّد بَخِيت المُطِيعي[2]، وغيرهم[3].

= مدخل أصول الفقه، و«القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق»، و«القول الجامع في الكشف عن شرح مقدمة جمع الجوامع» في أصول الفقه، و«رسالة في حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية»، و«عنوان البيان في علوم التبيان». توفي بالقاهرة سنة (١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م). انظر: «الأعلام» (٦/ ٩٦)، و«معجم المؤلفين» (٣/ ٢٤٤).

(١) هو: سيد بن علي المرصفي الأزهري، عالم بالأدب واللغة، مصري. كان من جماعة كبار العلماء في الأزهر، وتولى تدريس اللغة فيه إلى أن نالت منه الشيخوخة، وكسرت ساقه، فاعتكف في منزله بالقاهرة، وأقبل عليه طلاب الأدب، فكان يعقد لهم حلقات للدرس إلى أن توفي. وممّن أخذ عنه: طه حسين. له «رغبة الآمِل من كتاب الكامِل» ثمانية أجزاء، في شرح الكامل للمبرِّد، و«أسرار الحماسة» في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، وغير ذلك. توفي سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م). انظر: «الإعلام» (٣/ ١٤٧)، و«معجم المؤلفين» (١/ ٨٠٤، ٨٠٥).

(٢) هو: محمَّد بَخِيت بن حسين المُطِيعي، الحنفي، فقيه مشارك في علوم. ولد بناحية المطيعة بمديرية أسيوط في مصر سنة (١٢٧١هـ)، وتعلَّم بالأزهر ودرَّس فيه، ثم عمِل في القضاء الشرعي، واتصل بجمال الدين الأفغاني، وعُيِّن مفتيًا للديار المصرية. مِن تصانيفه الكثيرة: «حقيقة الإسلام وأصول الحكم»، و«القول الجامع في الطلاق البدعي والمتتابع»، و«تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية»، و«المدخل المنير في مقدمة علم التفسير». توفي بالقاهرة سنة (١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م). انظر: «الأعلام» (٩/ ٩٨)، و«معجم المؤلفين» (٣/ ١٥٩).

(٣) «كتاب الحاوي» (ق٩٨/ أ ـ ٩٩/ أ).

وذكر المؤلف عن الشيخ حسنين مخلوف العدوي فقال: «وحضر عندي في بيتي في بعض المرات، وأهديته بعض تآليفي، أتذكَّر منها: تعليقي على (الكلم الطيب)[1]، وأهدى إلَيَّ هو ـ رحمه الله تعالى ـ عدَّةً من تآليفه ورسائله، ثم قال لي مرة: أنا ألَّفت كتابًا يكون دليلاً للحجاج، وأوردت فيه بعض الأحاديث، فأُحب أن تخرِّجها لي وتذكر قيمتها؛ فإني أرى عندك من كتب الحديث جملةً طيبةً، وأرى أنَّ لك بعلم الحديث معرفة، فائتمرت بأمره مفتخرًا، وأعطيته الورقة التي كتبت الأحاديث المذكورة عليها، فرأيته بعدَ طبْعِ الكتاب أدرج فيه كلامي بالاختصار وقليلٍ من التصرف.

وكان ـ رحمه الله ـ ذا خلق حسن، وقد ذكرنا هذا ليكون وسيلةً لذكره والدعاء له بالرحمة والرضوان من الله تعالى» اهـ[2].

وذكر محقق كتاب «الجوهر الأسنى» سيد بن كسروي بن حسن، أن المؤلف التقى في مصر بالإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وأنه تأثر به، ولمَّا عاد إلى بلاده أسس مع زميله الشيخ قاسم دوبراجا جماعة «حركة الشبان المسلمين» التي كان من بين أفرادها المبرزين: الأستاذ علي عزت بيغوفيتش رئيس جمهورية البوسنة سابقًا، رحمه الله تعالى[3].

---

(١) يعني به كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية في الأذكار والأدعية المأثورة.

(٢) «كتاب الحاوي» (ق١١٠/أ).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق «الجوهر الأسنى» لسيد بن كسروي (ص٣٣).

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أسماء الطلبة الذين أجازهم برواية كتاب «الشمائل» للإمام الحافظ الترمذي؛ حيث قرؤوا عليه بعضَه وشيئًا من مصطلح الحديث، وذلك في سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة وألف، وهؤلاء الطلبة هم:

١ ـ أحمد بن إسماعيل عليجيك.

٢ ـ إسماعيل بن عثمان.

٣ ـ مصطفى بن إسماعيل.

٤ ـ عبد الله بن علي دره جا.

٥ ـ راشد بن مصطفى حيدروويك.

٦ ـ أيوب بن عمر قابل.

٧ ـ سعيد بن الحافظ إبراهيم قاريك.

٨ ـ أيوب بن إبراهيم محمَّدوويك.

٩ ـ أنور بن الحافظ خلوصي ملا خليلوويك.

١٠ ـ عصمت بن صالح إسماعيلبغوويك.

١١ ـ صالح بن عبد الله شابه تا.

١٢ ـ حازم بن مصطفى شعبانوويك.

١٣ ـ عصمت بن غالب رونيك.

كما ذكر المؤلف إجازةً أخرى منه لطلبة السنة الثامنة من مدرسة الغازي خُسْروبك[1] بعد ما قرؤوا عليه «الشمائل» وشيئًا من مصطلح

---

(١) خُسْروبك، هو: ابن بنت السلطان بابزيدخان، كان واليًا على بلاد (بوسنة) =

الحديث أيضاً، وهؤلاء الطلبة هم:

١ ـ علي بن درويش آصيج.

٢ ـ زفر بن الحافظ محمَّد أفندي بثليج.

٣ ـ صالح بن عمر حاجي عليج.

٤ ـ فيضو بن إسماعيل حاجي بايريج.

٥ ـ مصطفى بن علي أفندي حاجي موليج.

٦ ـ حسن بن محمَّد حسن أفنديج.

٧ ـ محمَّد بن الحافظ مصطفى موياقيج.

٨ ـ الحافظ إبراهيم بن محمَّد تره بيتاج.

٩ ـ الحافظ محمَّد بن محرم ظاهروويج[١].

رحلاته:

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ رحلاته المتعددة، ووصَفها وصفًا دقيقًا، وهي كالتالي:

= مدةً طويلةً، ،وأبوه فرهادبك، بوسنويُّ الأصل، واشتهر خُسْروبك هذا بكثرة الحروب، فأمضى عمره مجاهدًا في سبيل الله تعالى، وبنى جامعه من مال الغنيمة في مدينة (سراي) أشهر مدن بوسنة، وجعل له ولسائر أبنيته الخيرة أوقافًا كثيرةً يَصدر منها خيرٌ كثير. وتوجد في مدينة (سراي) ـ أيضًا ـ مدرسة الغازي خُسروبك. توفي ـ رحمه الله ـ تعالى في (٢٣ صفر ٩٤٧هـ). انظر: «الجوهر الأسنى» للمؤلف نفسه ـ الشيخ محمَّد الخانجي ـ (ص١٠، ١١)، و«كتاب الحاوي» ـ للخانجي أيضًا ـ (ق١٠٨/أ).

(١) «كتاب الحاوي» (ق١٠٠/أ).

ـ الرحلة إلى (جلبي بازار ـ روغاتيجا)[1]، في يوم السبت (٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ، الموافق لـ ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٣م)[2].

ـ الرحلة إلى (فوجا)[3] وضواحيها للوعظ والإرشاد، في يوم السبت (٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢هـ، الموافق لـ ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٣م)[4].

ـ السفر إلى (قرايينا) للوعظ والإرشاد في سنة (١٣٥٣هـ)، في يوم الجمعة (١٧ من شهر أغسطس سنة ١٩٣٤م)، ورجع منها في يوم الثلاثاء (٤ سبتمبر).

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: «وقد طُفتُ في هذا السفر أربعَ مديريات، وهي: (نووى)، و(قرويا)، و(جازين)، و(بهكه)،

---

(١) كان يقال لها في زمن حكومة الأتراك: (جلبي بازار)، وهي بلدةٌ متوسطةٌ، فيها سبعة مساجد، وكان فيها مدرسةٌ ولكنها احترقت وانهدمت، فهي غير موجودةٍ الآن. «كتاب الحاوي» (ق٨٤/ ب).

(٢) «كتاب الحاوي» (٨٤/ ب).

(٣) وهي بلدةٌ كبيرةٌ جميلةٌ، على مجتمع نهرَيْ (جه حؤتينا)، و(درينا)، وفيها سبعةَ عشرَ جامعًا، منها: جامع (آلاجه)، قال الخانجي: «وهو أحسن الجوامع، وما رأيت في بلاد (بوسنة) مثله في حسن منظره، وجميل صورته»، وبانيه: هو حسن يوسف. وقد بنى محمَّد باشا قوقاويجا في هذه البلدة تكيةً، ومصلًّى، وبرجًا للساعة، ومدرسةً، وجسراً، وكان فيها مدرسة القاضي عثمان التي انهدمت قديمًا، وكان فيها عدّة حمَّامات. انظر: «كتاب الحاوي» (ق٨٦/ ب ـ ٨٨/ أ).

(٤) «كتاب الحاوي» (ق٨٥/ ب ـ ٨٨/ أ).

فجملة ما وعظت: ثلاثة وعشرون وعظًا، جعلها الله... وتقبَّلها مني بقَبولٍ حسن، ونفع بها بمَنِّه وكرمه» اهـ[1].

شعره:

للمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ شعرٌ بالعربية وبغيرها، فمِن ذلك: قصيدةٌ في مدح الغازي (خُسْروبك)[2]:

قال المؤلِّف: «وقد نشرتها مطبوعةً في مجلة (غلاسنيق) مع شرحٍ لبعض كلماتها، وكتبت قبلها ما نصُّه: هذه قصيدةٌ نظمتُها في مدح الغازي (خسروبك) بمناسبة يوم ذكراه (٢٦ رجب، الموافق لـ ٤ نوفمبر من سنة ١٩٣٤م). وها أنا أنشرها مع معرفتي بأنها من سقط المتاع، ومما يَستوجب أن يباع ولا يُبتاع» اهـ[3].

وأوَّل أبيات القصيدة ـ وهي اثنان وعشرون بيتًا ـ:

أيا راكبًا ظهر القطار مسافرًا ... إلى قُطْرِ بوسْنا طيِّبِ الصيتِ والذكرِ

إلى البوسنةِ الحسنا التي أشبَهتْ ضِيا ... بِإسلامها الباقي لدى ظلمة الكفرِ

لكَ السَّعدُ إنْ وافيتَ في وسْطها إلى ... سَرَايَ المُذاعِ الصِّيتِ في البَرِّ والبحرِ

هو الدُّرُّ في عِقد البلاد مُوَسَّطٌ ... وما مِثلُه في الحُسنِ واسِطةُ الدُّرِّ

فيا ربِّ أَنزلْ سُحبَ عفوِك دائمًا ... على مَن كساها بالجلالةِ والفخرِ

إلى آخر الأبيات.

---

(١) «كتاب الحاوي» (ق١٠٢/أ، ب).

(٢) سبقت ترجمته في (ص١٥).

(٣) «كتاب الحاوي» (ق١٠٧/أ).

وقد أَلحق بها شرحًا لبعض كلمات القصيدة، وطُبِعت في ذيلها[1].

مؤلَّفاته:

١ ـ «الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بُوسنة»، طُبع أولاً بالقاهرة سنة (١٣٤٩هـ)، ثم بتحقيق الدكتور عبد الفتاح محمَّد الحلو، ط دار هجر بمصر، ط١، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ثم بتحقيق سيد بن كسروي بن حسن، ط دار الكتب العلمية ببيروت ـ ط١ ـ (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

وذكر المؤلف في مقدمة كتابه هذا خمسة فصول:

الفصل الأول: في تاريخ انتشار الإسلام في أوروبا.

الفصل الثاني: في تخطيط بلاد بوسنة وهِرسِك.

الفصل الثالث: في جنسية أهلها.

الفصل الرابع: في اعتناق أهالي بوسنة وهِرسِك الإسلام.

الفصل الخامس: في وصف مسلمي تلك البلاد وذِكْر حالتهم الدينية والعلمية.

وذكر في خاتمته أنه انتهى منه في المحرَّم، سنة (١٣٤٩هـ) بمصر القاهرة.

قال الخانجي ـ رحمه الله تعالى ـ: «كَتَبَت مجلة (الفتح) الصادرة بالقاهرة في العدد (٢٥٩)، في يوم الخميس (٣٠ صفر سنة ١٣٥٠هـ) في حق كتابي: (الجوهر الأسنى)...».

---

(١) «كتاب الحاوي» (ق١٠٧/أ ـ ١٠٩/أ).

وفيه: «ألَّفه بالعربية: حضرة العالم الفاضل الأستاذ الشيخ محمَّد الخانجي البوسنوي، من علماء الأزهر الشريف. . .

وهو كتابٌ نافعٌ جدًّا لكل من يهمه أن يحصل على معرفةٍ صحيحة لأحوال إخواننا مسلمي ذلك القطر، ومَن نبغ فيهم من العلماء والشعراء. وهو يُطلب من المكتبة السلفية، وثمنه ثلاثة قروش غير أجرة البريد» اهـ[1].

وقد ذكر المؤلف في كتابه «الجوهر الأسنى»[2] في ترجمة حسن كافي الأَقْحِصَاريِّ[3]: أنَّ له شرحًا على كتابه «أصول الحكم في نظام العالم» بالعربية أوسع من شرح المصنف الذي هو بالتركية.

٢ ـ شرحٌ وتعليقات على رسالة «حياة الأنبياء» لأبي بكرٍ البيهقي الشافعي.

٣ ـ شرحٌ وتعليقات على «الكلم الطيب» لابن تيمية[4].

٤ ـ «الحق الصحيح في إثبات نزول سيِّدنا المسيح، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام». تاريخ نسخها: سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٠م).

---

(١) «كتاب الحاوي» (ق٣٦/أ، ب).

(٢) (ص٦٩) ـ بتحقيق د. عبد الفتاح الحلو.

(٣) نسبةً إلى (أقحِصار)، بلدة من بلاد (بوسنة وهرسك). انظر: «كتاب الحاوي» (ق١١١/أ).

(٤) ذكر هاتين الرسالتين زكي محمَّد مجاهد في «الأعلام الشرقية» (١/ ٣٩٦)، و«الأخبار التاريخية» (ص١٢٨)، كما ذكر الثانية منهما: المؤلف نفسه عند ذكره للشيخ حسنين مخلوف.

وهي في (٦) ورقات، عدد الأسطر فيها (١٧) سطراً. وهي بخطٍّ نسخي واضح[١].

عَقَدَ فيها ثلاثة فصول في إثبات نزول سيِّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، بالقرآن والسنة وإجماع الأمة.

٥ ـ «صافي المرهم الشافي لقلب مَن يدعي موت عيسى ابن مريم».

وهي في (٨) ورقات، عدد الأسطر فيها (١٧) سطراً. وهي بخطٍّ نسخي واضح[٢].

بيَّن فيها أنَّ سيِّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لم يمتْ إلى الآن، بل رفعه الله تعالى حيًّا، وسينزل قربَ الساعة، كما دلَّ على ذلك القرآن والسنة والمتواترة والإجماع، ورَدَّ على المخالفين في استدلالهم بآية: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[٣]، وآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، وذلك مِن أربعة وجوه.

٦ ـ «بيان الأمناء في حكم الاستمناء».

وهي في (٢٥) ورقة، عدد الأسطر فيها (١٧) سطراً. وهي بخطٍّ نسخي واضح[٥].

---

(١) وهي في «كتاب الحاوي» (ق٣٨/ب ـ ٤٣/ب).

(٢) وهي في «كتاب الحاوي» (ق٤٣/ب ـ ٥٠/أ).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ١١٧.

(٥) وهي في «كتاب الحاوي» (ق٥٠/ب ـ ٧٥/أ).

جَمَع فيها المؤلف جمعًا وافيًا لحكم المسألة، مِن كتب التفسير والحديث والفقه واللغة، وذَكر أنَّ هذه النسخة التي في هذا «المجموع» هي النسخة الأخيرة التي كتبها في هذا الموضوع، فهي الأخيرة؛ لأنه قد زاد فيها زياداتٍ وغيَّر فيها أشياء على ما كان كتبه أوَّلاً.

وقد جعل رسالتَه هذه في مقدمةٍ في أسماء الاستمناء، وفي بابين: الأول: في حكمها الشرعي، وقد رجَّح المؤلف ـ رحمه الله ـ الحرمة لغير صاحب عذرٍ مِن الأعذار التي ذكرها الفقهاء. والباب الثاني: في نكتٍ أدبيةٍ وقِطَعٍ شعريةٍ تتعلق بالموضوع.

٧ ـ بغية الطلب في تصليح الأسنان وتلبيسها بالذهب. (وهو كتابنا هذا).

٨ ـ رسالةٌ في فضائل الصحابة وما يجب علينا في حقهم رضي الله عنهم.

٩ ـ تذييل على رسالة الإمام السيوطي: «المنحة في السبحة»[1]. وهذا التذييل ورقتان.

قال الخانجي ـ رحمه الله ـ بعد نسخه لرسالة السيوطي: «انتهى جزء المنحة في السبحة، وقد نقلته مِن نسخةٍ خطِّيَّةٍ رديئةٍ، فاجتهدت

---

(١) وهي في «كتاب الحاوي» (ق٩١/أ ـ ٩٤ ـ أ). والسيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ يرى أنَّ السبحة آلةٌ مباركةٌ، جُمِعَ فيها مِن خير الدنيا والآخِرة، وأنه لم يُنقل عن أحدٍ مِن السلف ولا مِن الخلف المنعُ مِن عَدِّ الذكر بها، بل كان أكثرهم يعدُّون بها ولا يرون ذلك مكروها.

لإصلاح الخطإ بقدر الوسع، وكان النقل في شعبان (١٣٥٢هـ) بـ (سراي بوسنة)، صانها الله تعالى» اهـ[١].

وقد نَقَل الخانجي في «تذييله» هذا نقولاتٍ في جواز السبحة وأنها ليست ببدعة، إلا إنِ اتُّخِذت على سبيل الشهرة والتزيُّنِ بها.

١٠ ـ الأحاديث الجوامع. وهي خمسون حديثًا، قيل: إن مدار الإسلام عليها. وهو في أول مجموع المؤلف «الحاوي للرسائل والإجازات والمهمات والفتاوي»[٢]، كتبه سنة (١٣٥٠هـ). وهي في (١٨) ورقة، عدد الأسطر فيها (١٧) سطراً. وهي بخطٍّ نسخي واضح.

١١ ـ «كتاب الحاوي للرسائل والإجازات والمهمات والفتاوي».

وهو المجموع الذي اشتمل على كثيرٍ مِن كتب المؤلف رحمه الله تعالى، وعلى جزءٍ كبيرٍ جدًّا مِن حياته، وهو بخطِّه نفسه، وهو خطٌّ نسخيٌّ جميل، وقد اشتمل هذا المجموع على (١٢٠) ورقة، عدد الأسطر فيها (١٧) سطراً.

وهذه الإجازات التي ذَكَرها في كتابه السابق «الحاوي» هي:

١ ـ إجازة الشيخ عبد الله بن علي آل يابس النجدي الحنبلي، وقد قرأ الحديث في الهند. وهي إجازةٌ فيما قرأه وأجازه به شيخُه محمَّد عبد الرحمن بن الحافظ عبد الرحيم، صاحب «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي»، وأجازه به، وأجازه ـ أيضًا ـ بعد القراءة عليه:

---

(١) «كتاب الحاوي» (ق٩٤/أ).

(٢) (ق٢/أ ـ ١٩/أ).

جميع «صحيح البخاري»، وجميع «صحيح مسلم»، وجميع «موطإ الإمام مالك»، وغيرها مِن كثيرٍ مِن كتب الحديث وأصوله وكتب التفسير[1].

٢ ـ إجازة العالم الشيخ السيد أحمد رافع بن السيد محمَّد رافع الحنفي الطهطاوي المصري، وهو مسند الديار المصرية في عصره، وصاحب التآليف العديدة المفيدة.

قال الخانجي: «أجازني قبيل توجهي إلى مكة للحج الشريف، شفاهًا بكل ما صح له روايته بشرط النقل من ثَبَتِهِ الذي سماه بـ (المسعى الحميد)»[2].

٣ ـ إجازة الشيخ الجليل مؤرخ حلب الشهباء، ومحدِّث تلك الديار ومسندها، الشيخ محمَّد راغب بن محمود بن الشيخ هاشم الطباخ الحلبي. كتب بها مِن حلب.

وفيها: «. . . فقد تلقيت كتابًا من العالم الفاضل، والأديب الكامل، الشيخ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن صالح بن محمَّد الخانجي البوسنوي، المتوطن في بلدة (سراي بوسنة) من أعمال دولة يوغسلافيا، مؤرَّخًا في أوائل جمادى الأولى من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية، يقول فيه:

إنه اطَّلع على كتابي (الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية)

---

(١) «كتاب الحاوي» (ق٢١/ ب ـ ٢٧/ ب) (ق٩٩/ ب).

(٢) «كتاب الحاوي» (ق٣٤/ ب ـ ٣٥/ ب) (ق٩٩/ ب).

المذيَّل بإجازاتي الكثيرة مِن مشايخي الأعلام. . . ويَطلب مِن هذا العاجز أن أُجيزَه بجميع مروياتي، وعموم مقروآتي ومسموعاتي. . .».

ثم ذَكَر إجازتَه له بذلك وما حواه كتابُه «الأنوار الجليَّة» إجازةً عامَّة. وقد جَمَعَ كتابُه هذا أسانيدَ الكتب الستة وغيرِها مِن كتب الحديث والفنون، واشتمل على أثباتٍ ومعاجمَ لا تُحصى، كما أجازه بما له من المؤلفات وأن يروِيَها عنه، خصوصًا كتابَ تاريخه الكبير الذي هو في سبع مجلداتٍ كبار: «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» اهـ(١).

٤ ـ إجازة الشيخ محمَّد زاهد الكوثري الجركسي الأصل(٢).

---

(١) «كتاب الحاوي» (ق٧٥/ب ـ ٧٩/أ) (ق٩٩/ب)، وقد طُبعت هذه الإجازة ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، المجلد الثاني عشر، (١٤٨)، بعناية محمَّد بن إبراهيم الحسين.

(٢) هو: محمَّد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، جركسي الأصل، فقيه حنفي، وصاحب فنونٍ متعدِّدة. والكوثري: نسبةً إلى قرية (الكواثرة) بضفة نهر (شبز) ببلاد القوقاز. له اشتغال بالأدب والسير. وُلِد سنة (١٢٩٦هـ)، ونشأ في قرية من أعمال (دوزجة) بشرقي الآستانة، وتفقه في جامع (الفاتح) بالآستانة، ودرَّس فيه، وتولى رئاسة مجلس التدريس. اضطهده (الاتحاديون) في خلال الحرب العامة الأولى؛ لمعارضته خطَّتَهم في إحلال العلوم الحديثة محلَّ العلوم الدينية، في أكثر حصص الدراسة، ولما ولي (الكماليون)، وجاهروا بالإلحاد، أريد اعتقاله، فركب إحدى البواخر إلى الإسكندرية (سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م). وتنقل زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة، موظفًا في (دار المحفوظات)؛ لترجمة ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية. وكان يجيد العربية والتركية والفارسية والجركسية. له تعليقات كثيرة على بعض المطبوعات في أيامه، في الفقه والحديث والرجال، وله تآليف، منها: «تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب»، و«الاستبصار في التحدث =

قال الخانجي ـ رحمه الله ـ في سنة (١٣٦٢هـ): «كتب إلَيَّ إجازةً طويلةَ الذيول، واسعةَ الأطراف: الشيخ محمَّد زاهد أفندي الكوثري، الجركسي الأصل، أعلمُ مَن لقِيتُ مِن علماء (استانبول)، وأكثرُهم اطِّلاعًا على الكتب النادرة، وأوسعُهم إحاطةً للعلوم الإسلامية، أطال الله بقاه؛ فلم يبلغْني أنه توفي، وإن كانت الحروب العالمية مَنَعت مِن معرفة حاله» اهـ[1].

٥ ـ قال الخانجي: «وشَمِلتني إجازةُ الشيخ محمَّد حبيب الله الشنقيطي العامة، ولم أتحصَّلْ على إجازةٍ منه خاصَّةٍ، وقد كان يُمكنُني ذلك» اهـ[2].

وفاته:

توفي المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة (١٣٦٥هـ) الموافق لـ (١٩٤٥م) تقريبًا، في (سراي بوسنة)، عن خمسٍ وثلاثين سنةً من العمر تقريباً[3].



= عن الجبر والاختيار»، وغير ذلك، وله نحو مِائةِ مقالةٍ جمعها السيد أحمد خيري في كتاب «مقالات الكوثري». توفي بالقاهرة سنة (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م). انظر: «الأعلام» (٦/ ١٢٩)، و«معجم المؤلفين» (٣/ ٣٠٢، ٣٠٣).

(١) «كتاب الحاوي» (ق٩٩/ ب).

(٢) «كتاب الحاوي» (ق٩٩/ ب).

(٣) انظر: «الأعلام الشرقية» (١/ ٣٩٦)، و«الأخبار التاريخية» (ص١٢٨).

وصف النسخة المخطوطة

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرِّسالة على مصوَّرة نسخةٍ خطيَّةٍ وحيدة، من مكتبة (غازي خُسروبك) بـ (سراييفو)، ضمن مجموعٍ برقم (٦٩٦٩)، وهي بخط المؤلف نفسِه النسخي الجميل، وتقع في (١١) ورقة (مِن ١٢٦ ـ ١٣٥)، وعدد الأسطر فيها (٢٠) سطراً.

❑❑❑

بغية الطلب في تصليح الاسنان وتلبيسها بالذهب

للفقير الى رحمة الله تعالى

محمد بن محمد التافلاتي أبو سنوسي

غفر الله له ولوالديه

آمين

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا بكتابه . واهلنا لفهم خطابه . وجعلنا
نميز بين خطأ القول وصوابه . والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله واصحابه . (اما بعد) فطالما سئلت عن تصليح الاسنان
التصليح المعروف في هذه الازمان وتلبيسها بالذهب وسد
ما عليها من الثقب بمادة جامدة تمنع وصول الرطوبات
الى باطنها تحفظ السن من التآكل فيما بعد فكنت اجيب
شفاها بما اعتقده حقا وصوابا الى ان دعا الحال الى
تصنيف هذه الرسالة في رمضان سنة خمسين وثلثمائة
والف فوجب تفصيل المسألة واعطاؤها حقها من البحث
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكان قد منع
من تصليح الاسنان المذكور طائفة من الناس واجازته
طائفة فاما الطائفة التي منعت فالعبد الفقير محمد الكافي
مؤلف هذه الرسالة وجد لهم شبهتين (الاولى) ان
السن اذا لبس ذهبا منع ذلك من وصول الماء الى السن
فلا تتم طهارة الرجل اذا كان جنبا لأن الواجب عندهم
وهم حنفية غسل جميع الفم عند الاغتسال . والمسألة هي
بعينها فيما اذا سد ثقب السن بمادة جامدة (والشبهة الثانية)

ان فيه التزين بالذهب وذلك لا يجوز للرجال وجاز للنساء
ولم اجد لهم في المنع من تصليح الاسنان المذكور الا هاتين
الشبهتين والشبهة الاولى اقوى منوعم واعم من الثانية
لأن الثانية لا توجد عند النساء . فلما رأيت هذا عزمت ان
اقسم الرسالة بابين الباب الاول يتعلق بالشبهة
الاولى والثاني بالشبهة الثانية وفي كل باب عدة فصول
وان اسميها بغية الطالب في تصليح الاسنان وتلبيسها
بالذهب وارجو من الله تعالى ان يسدد الخطى والحفظ من
الخطأ انه ولي التوفيق . يقول العبد الضعيف ثم لما الفت
الرسالة بقيت في المسودة حتى نسيتها وظننت اني لم اؤلفها
ثم وجدتها في اوراقي فاحببت تبييضها وانا في اشدة عظيمة
فرج الله عني وعنكم كل كرب بمنه وكرمه وذلك في شهر ذي
الحجة من سنة خمس وخمسين وثلثمائة والف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل صلاة وتسليم واكمل تحية

الباب الاول

في البحث عن الشبهة الاولى وهي وجوب غسل جميع الفم
والتصليح المذكور يمنع من ذلك فنقول (فصل) قد
اختلف اهل العلم في وجوب الاستنشاق والمضمضة في
الوضوء والغسل فمذهب ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم
سنيتهما في الوضوء ووجوبهما في الغسل . ومذهب مالك و

حكمك عليه بالوضع بمجرد ما ابديت حكم فيه نظر قال الحافظ ابن حجر
خبر الثنية لم ينفرد به ابان بن سفيان بل روي من ثلاثة اوجه اخر عن
هشام بن عروة اهـ واورد ابن حجر هذه الاوجه الثلاثة في ترجمة عاصم
ابن عمارة من لسان الميزان فقال قال ابو علي بن السكن مجهول يعني
عاصما واورد له عن هشام عن ابيه (عن عائشة) عن عبد الله بن عبد الله
(هذا يحذف)
ابن ابي بن سلول قال اندقت ثنيتي يوم احد فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبرته فامرني فاتخذت ثنية من ذهب قال ابو علي عروة لم
يلق عبد الله بن عبد الله قال الحافظ ابن حجر لم ينفرد به عاصم بن عمارة بل
رواه ايضا فطر بن طريفة عن هشام عن ابيه وزاد فيه عن عائشة . ورواه
البغوي في معجمه من طريق غياث بن عبد الرحمن عن هشام عن ابيه ان عبد الله
ابن عبد الله فذكره مرسلا لم يذكر عائشة ولا قال عن عبد الله اهـ راجع
الاصابة في ترجمة عبد الله بن عبد الله بن ابي ولسان الميزان في ترجمة
ابان بن سفيان وعاصم بن عمارة . (فصل) وههنا شيء وهو ان
النبي صلى الله عليه وسلم اجاز الانف من ذهب للضرورة فان الذهب
لا ينتن بخلاف الفضة فعلى هذا لو شد احد سنه الصحيحة بالذهب
لا للضرورة بل لمجرد الزينة والتحلي فالظاهر ان هذا لا يجوز والله
اعلم . وفي هذا كفاية ان شاء الله تعالى لمن كان له عقل سليم وفهم
مستقيم فان القرائح قد جمدت فلا تجد من يُفهم ولا من يَفهم ولا من
يُعلِّم ولا من يتعلم والى الله ترجع الامور . تمت الرسالة في رمضان
سنة ١٣٥٠ وتم تبييضها ونسخ هذه النسخة منها في اول ايام التشريق
سنة ١٣٥٠ والله اسأل نجاة قريبا بمنه وكرمه   وكتبه محمد الخانفي
عفا الله عنه وعن والديه

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٨٢)

بُغْيَةُ الطَّلَب فِي تَصْلِيحِ الأَسْنَانِ وَتَلْبِيسِهَا بِالذَّهَب

لِلعَالِمِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الخَانِجِيِّ البُوسْنَوِيِّ
المتوفى سَنَة (١٣٦٥هـ)
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

تحقيق
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد بن أحمد الكمالي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا بكتابه، وأهَّلنا لفهم خطابه، وجعلنا نميز بين خطإ القول وصوابه، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه.

(أمَّا بعد):

فطالما سئلت عن تصليح الأسنانِ التصليحَ المعروف في هذه الأزمان وتلبيسِها بالذهب، وسَدِّ ما عليها من الثَّقْبِ بمادةٍ جامدةٍ تمنع وصول الرطوبات إلى ما تحتها، فتحفظ السِّنَّ من التآكل فيما بعد.

فكنت أجيب شفاهًا بما أعتقده حقًّا وصوابًا، إلى أن دعا الحال إلى تصنيف هذه الرسالة في رمضان سنة خمسين وثلاثمائة وألف، فوجب تفصيل المسألة وإعطاؤها من حقها من البحث، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وكان قد مَنع من تصليح الأسنان المذكور طائفةٌ من الناس، وأجازته طائفة.

فأمَّا الطَّائفة التي منعت، فالعبد الفقير محمَّد الخانجي مؤلف هذه الرسالة وجد لهم شبهتين:

(الأولى): أنَّ السِّنَّ إذا أُلبِس ذهباً، منع ذلك من وصول الماء إلى

السِّن، فلا تتم طهارة الرجل إذا كان جُنُباً؛ لأن الواجب عندهم ـ وهم حنفية ـ غَسل جميع الفم عند الاغتسال.

والمسألة هي بعينها فيما إذا سُدَّ ثَقْبُ السِّنِّ بمادةٍ جامدة.

(والشبهة الثانية): أنَّ فيه التزينَ بالذهب، وذلك لا يجوز للرجال وجاز للنساء.

ولم أجد لهم في المنع من تصليح الأسنان المذكور إلا هاتين الشبهتين. والشبهة الأولى أقوى عندهم وأعمُّ من الثانية؛ لأن الثانية لا توجد عند النساء.

فلما رأيت هذا عزمت أن أقسم الرسالة بابين:

الباب الأول يتعلق بالشبهة الأولى، والثاني بالشبهة الثانية.

وفي كل باب عدة فصول، وأن أُسَمِّيَها:

«بُغية الطَّلَب في تصليحِ الأسنان وتلبيسِها بالذهب»

وأرجو من الله تعالى تسديد الخُطى، والحفظ عن الخَطا، إنه ولي التوفيق.

يقول العبد الضعيف: ثم لمَّا ألَّفت الرسالة بقيت في المسوَّدَةِ حتى نسيتُها وظننت أني لم أؤلِّفْها، ثم وجدتها في أوراقي، فأحببت تبييضها وأنا في شدة عظيمة فرَّج الله عني وعنكم كل كرب بمَنِّه وكرمه، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وثلاثمائةٍ وألفٍ من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل صلاةٍ وتسليمٍ وأكمل تحية.

❏❏❏

الباب الأوَّل

في البحث عن الشبهة الأولى

وهي: وجوبُ غَسل جميع الفم، والتصليحُ المذكور يَمنع من ذلك، فنقول:

فصل

[في اختلاف العلماء في وجوب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغُسل]

قد اختلف أهل العلم في وجوب الاستنشاق والمضمضة في الوضوء والغسل:

ـ فمذهب أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم: سُنِّيَّتُهما في الوضوء، ووجوبهما في الغسل[1].

---

(١) وهما في الغسل من الفرائض. انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ١٢٨، ١٢٩)، و«فتح القدير» لابن الهُمام (١/ ٢٥، ٥٦)، و«حاشية ابن عابدين» (١/ ٧٨، ٧٩، ١٠٢).

ـ ومذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما: سنيتهما في الوضوء والغسل[1].

ـ وعن الإمام أحمد رضي الله عنه روايات ثلاث:

إحداها: قولُ أبي حنيفة[2].

ثانيها: وجوبهما في الوضوء والغسل.

ثالثها: وجوب الاستنشاق فيهما، وسنية المضمضة كذلك.

والرواية الثانية هي الأشهر[3].

ـ ومذهب أهل الظاهر: وجوب الاستنشاق في الوضوء دون الغسل، وسنية المضمضة فيهما. كذا حكاه ابن حزم[4].

---

(١) انظر: للمالكية: «مواهب الجليل» (١/ ٢٤٥، ٣٠٥)، و«حاشية العدوي على شرح الرسالة» (١/ ١٦٠)، و«حاشية الدسوقي» (١/ ٩٧، ١٣٦)، وللشافعية: «المجموع» (١/ ٣٩٥)، و«مغني المحتاج» (١/ ٥٧، ٧٣)، و«نهاية المحتاج» للرملي (١/ ١٨٦، ٢٢٥).

(٢) أي: كقوله، وهو سُنيتهما في الوضوء، ووجوبهما في الغسل.

(٣) وعنه: أنهما واجبان في الوضوء دون الغسل. وعنه: وجوب الاستنشاق في الوضوء وحده. وعنه: وجوب الاستنشاق في الغسل وحده. وعنه: هما سنة مطلقًا. والمذهب مطلقًا ـ كما قال المَرْداوي ـ: وجوبهما في الوضوء والغسل. قال المرداوي: «وهو من مفردات المذهب» اهـ. انظر: «المغني» (١/ ١٦٦)، و«الإنصاف» (١/ ١٥٢، ١٥٣)، و«الروض المربع شرح زاد المستقنع» (١/ ١٨١).

(٤) انظر: «المحلى» (٢/ ٢٨، ٤٨، ٤٩).

وحكى النووي في «المجموع»[1]: أن مذهب أبي ثور وأبي عبيد وداودَ ورواية عن أحمد وقول ابن المنذر: وجوب الاستنشاق، وسنية المضمضة فيهما.

وحكى ابن حزم مثل قول أهل الظاهر عن أحمد أيضًا.

وذهب إلى قول أبي حنيفة في هذه المسألة: الثوريُّ[2].

وذهب إلى قول الشافعيِّ ومالكٍ: الحسنُ والحكم وحماد وقتادة وربيعة ويحيى الأنصاريُّ والليث والأوزاعي[3].

وذهب إلى المشهور من قول أحمد ـ وهي الرواية الثانية التي ذكرناها قبل ـ: ابنُ المبارك وابن أبي ليلى وإسحٰق، وحُكِيَ عن عطاء ومذهبِ أهل الظاهر، حكاه ابن حزم عن أحمد ـ كما ذكرنا ـ وعن داود، ورواه عن علي بن أبي طالب وحماد بن أبي سليمان والحكم بن عتيبة ومجاهد وابن أبي ليلى والزهري والحسن.

فعلى هذا، الأقوال خمسة:

أولها: وجوبهما فيهما.

ثانيها: سنيتهما فيهما.

ثالثها: وجوبهما في الغسل وسنيتهما في الوضوء.

---

(١) (١/ ٤٠٠).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ١٦٧)، و«الحاوي الكبير» للماوردي (١/ ١٠٣).

(٣) انظر: المصدرين أنفسهما.

رابعها: وجوب الاستنشاق في الوضوء والغسل، وسنية المضمضة فيهما.

وخامسها: وجوب الاستنشاق في الوضوء فقط، وسنية المضمضة فيهما.

واستدل أصحاب القول الأول بأحاديث:

ـ **منها**: حديث أبي هريرة: «**إذا توضأ أحدكم فلْيجعلْ في أنفه ماءً ثم لْينتثر**»[1] أخرجه البخاري ومسلم[2].

ـ **ومنها**: حديث سلمةَ بنِ قيسٍ: «**إذا توضأت فانتثر**» أخرجه الترمذي والنسائي[3].

ـ **ومنها**: مِن حديث لقيط بن صَبِرةَ في حديث طويل: «**إذا توضأت فمضمض**» أخرجه أبو داود[4].

---

(١) قال الفراء: يقال: نَثَر الرجلُ وانتثر واستنثر: إذا حرَّك النَّثْرة ـ وهي طرَف الأنف ـ في الطهارة. «فتح الباري» (١/ ٢٦٣). والاستنثار: استنشاق الماء، ثم استخراج ما في الأنف. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٥).

(٢) «صحيح البخاري» ـ كتاب الوضوء ـ باب الاستجمار وتراً (١٦٢)، و«صحيح مسلم» ـ كتاب الطهارة ـ باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار (٢٣٧).

(٣) «سنن الترمذي» ـ أبواب الطهارة ـ باب ما جاء في المضمضة والاستنشاق (٢٧) ـ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح ـ و«سنن النسائي» ـ كتاب الطهارة ـ باب الأمر بالاستنثار (١/ ٦٧) (٨٩).

(٤) «سنن أبي داود» ـ كتاب الطهارة ـ باب في الاستنثار (١٤٤).

قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح[1].

ـ **ومنها**: حديث أبي هريرة: «**أمر[2] رسول الله ﷺ بالمضمضة والاستنشاق**» رواه الدارقطني[3]، وذكر فيه علةً[4]، وردَّها صاحب «المنتقى»[5].

وتنضم إلى هذا: مواظبةُ رسول الله ﷺ على الاستنشاق والمضمضة، ولم يُحفظ عنه أنه أخلَّ بهما مرةً واحدة.

* **واستدل أصحاب القول الثاني**: بأنَّ إيجابهما في الوضوء، زيادةٌ على ما يلزم غسله مما ذكره الله تعالى في كتابه، وقد قال ﷺ للأعرابي: «**توضأ كما أمرك الله**»[6]؛ فلو كان الوضوء بدونهما ناقصًا، لبيَّن ﷺ

---

(١) أما في «التلخيص الحبير» (١/ ٨١) فقد سكت عنه، فلعل تصحيحه في «الفتح».

(٢) هو في «الدارقطني»: «أمرنا».

(٣) «سنن الدارقطني» ـ كتاب الطهارة ـ باب ما رُوِي في المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة (١/ ١١٦).

(٤) وهي: أنَّ الذي وصل الحديث عن حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، إنما هو هُدبة بن خالد وداود بن المحبَّر، وأما غيرهما فرواه مرسلاً ـ أي: منقطعًا ـ عن حماد، عن عمار، عن النبي ﷺ دون ذكر أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: «سنن الدارقطني» (١/ ١١٦).

(٥) أي: «منتقى الأخبار»، وهو المجد ابن تيمية، فقال: «وهذا لا يضر؛ لأن هُدبةَ ثقةٌ مخرَّجٌ عنه في الصحيحين، فيُقبل رفعُه وما يتفرد به» اهـ. «نيل الأوطار» (١/ ١٧٧).

(٦) هو جزءٌ من حديث المسيء صلاته من رواية رفاعةَ بن رافع رضي الله عنه، =

ذلك له، فلما لم يبين وأحاله على كتاب الله وهما ليسا فيه، دَلَّ على عدم وجوبهما في الوضوء[1].

واستدلوا بقوله ﷺ: «**عشر من الفطرة**»، ومنها: المضمضة والاستنشاق[2].

وذكروا هذا الحديث بلفظ: «**عشر من السنن**»، ولا يصح بهذا اللفظ.

= أخرجه أبو داود في: كتاب الصلاة ـ باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (٨٦١)، والترمذي في: أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في وصف الصلاة (٣٠٢)، وهو صحيح بمتابعاته.

(١) بل إنه قد ثبت في رواية لحديث المسيء صلاته، من رواية رفاعة بن رافع ـ عند أبي داود في: كتاب الصلاة ـ باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ـ (٨٥٨)، والنسائي في: كتاب التطبيق ـ باب الرخصة في ترك الذكر في السجود (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦)، وابن ماجه في: كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما جاء في الوضوء على ما أمر الله تعالى (٤٦٠) ـ تفصيل ما أمر الله عز وجل به؛ ففيها: «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يُسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل، فيغسلَ وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسحَ برأسه ورجليه إلى الكعبين. . .» الحديث، وإسناده صحيح.
وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، كما هو مقرَّرٌ عند الأصوليين.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: كتاب الطهارة ـ باب خصال الفطرة (٢٦٠)، ولفظه: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البَراجم، ونتف الإبِط، وحلق العانة، وانتقاص الماء». قال زكرياء: قال مصعبٌ: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة.

وقال الشافعي في «الأم»[1]: «قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ...﴾ الآية[2]، فلم أعلم مخالفًا في أنَّ الوجهَ المفروضَ غَسلُه في الوضوء: ما ظهر دون ما بطن، وأن ليس على الرجل أن يغسل عينيه ولا أن يَنْضِحَ فيهما[3]، فكانت المضمضة والاستنشاق أقربَ إلى الظهور من العينين، ولم أعلم المضمضة والاستنشاق على المتوضئ فرضًا، ولم أعلم اختلافًا في أن المتوضئ لو تركهما عامدًا أو ناسيًا وصلَّى، لم يُعِدْ[4].

وأَحَبُّ إِلَيَّ أن يبدأ المتوضئ بعد غسل يديه: أن[5] يتمضمض ويستنشق ثلاثًا؛ يأخذ بكفه غَرفةً لِفيه وأنفه، ويُدخل الماء أنفه، ويستبلغ بقدرِ ما يرى أنه يأخذ بخياشيمه.

---

(١) (١/ ٢٤، ٢٥).

(٢) سورة المائدة: الآية ٦.

(٣) أي: أن يرشَّ فيهما. انظر: «القاموس المحيط» (ص٣١٣).

(٤) لكن الظاهر أنَّ الخلاف موجود؛ فقد ذكر الإمام محمَّد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ) في كتابه «اختلاف العلماء» (ص٢٤) القولَ بوجوب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغُسل مِن الجنابة جميعًا، وقال: «يُروى هذا القولُ عن عطاء بن أبي رباح، وحماد بن أبي سليمان، وابن جريج، وكان ابن المبارك وإسحاق يَذهبان إليه».
قال: «وقالت طائفةٌ أخرى: الاستنشاق واجبٌ في الوضوء والغسل جميعًا، والمضمضة ليست بواجبةٍ في واحدٍ منهما، ومِمَّن قال ذلك: أحمد بن حنبل، أبو ثورٍ، وطائفةٌ مِن أصحاب الحديث» اهـ. وانظر ـ أيضًا ـ: «المحلى» لابن حزم (١/ ٥٠).

(٥) هكذا العبارة في «الأم».

ولا يزيد على ذلك، ولا يجعله كالسّعوط، وإن كان صائمًا رفق بالاستنشاق؛ لئلا يَدخل رأسَه.

وإنما أكدتُّ المضمضة والاستنشاق دون غسل العينين؛ للسُّنّة، وأنَّ الفم يتغير، وكذلك الأنف، وأنّ الماء يقطع من تغيرهما، وليست كذلك العينان.

وإنْ تَرَكَ متوضئٌ أو جُنُبٌ المضمضة والاستنشاق وصلَّى، لم تكن عليه إعادة؛ لما وصفت، وأَحَبُّ إلَيَّ أن لا يدعَهما، وإنْ تَرَكَهما: يتمضمض[1] ويستنشق» اهـ.

وقال الشافعي في «مختصر المزني»[2]: «وقد فرض الله تبارك وتعالى غسل الوجه من الحدث كما فرض غسله مع[3] سائر البدن من الجنابة، فكيف يجزئه ترك المضمضة والاستنشاق من أحدهما ولا يجزئه من الآخر؟!» اهـ.

* **واستدل أصحاب القول الثالث**: بأن الفم والأنف من ظاهر البدن، فوجب استيفاء غسل جميع ظاهر البدن في الغسل[4].

---

(١) في النسخة المطبوعة من «الأم»: «وإنْ تَرَكَهما أن يتمضمض»، وهو الأصح.

(٢) (ص٥) ـ باب غسل الجنابة.

(٣) في الأصل: «من»، والتصويب من «مختصر المزني».

(٤) ولأن الواجب في باب الجنابة: تطهير البدن؛ بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، أي: طهِّروا أبدانكم، فيجب غسل ما يمكن غسلُه من غير حرج، ظاهرًا كان أو باطنًا. «بدائع الصنائع» (١/ ١٢٩). وانظر: «فتح القدير» لابن الهُمام (١/ ٥٧).

* **واستدل أصحاب القول الرابع**: بورود الأوامر النبوية بالاستنشاق دون المضمضة.

وبأن الأنف لا يزال مفتوحًا وليس له غطاء يستره، بخلاف الفم.

* **واستدل أصحاب القول الخامس**: بأن حديثَ أبي هريرة السابقَ المتفقَ عليه مقيَّدٌ بالوضوء فقط دون الغسل، فلذلك قيل فيه: «**إذا توضأ أحدكم...**» إلخ.

وأمَّا المضمضة فقال ابن حزم: «لم يصح بها[1] عن رسول الله ﷺ أمر، وإنما هي فعل فعله عليه السلام، وأفعالُه ليست فرضًا، وإنما فيها الائتساء به عليه السلام»[2].

فصل

[في رأي أهل الحديث في حكم المضمضة والاستنشاق]

وكثير من أهل الحديث يختارون وجوب الاستنشاق والمضمضة في الوضوء والغسل.

قالوا: وهذا أقوى الأقوال؛ لما سبق ذكره من الأدلة والأوامر النبوية بهما، ومداومةُ النبي ﷺ عليهما فيهما إذا انضمت إلى أوامره ﷺ بهما، تأكد الوجوب.

وأما قوله ﷺ: «**توضأ كما أمرك الله**»، فمعناه: توضأ كما أمرك الله في حق الوضوء في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فقد قال تعالى:

---

(١) هكذا العبارة في «المحلى»، وهي صحيحة.

(٢) «المحلى» (٢/ ٤٩).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، وقال: ﴿مَن[2] يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3].

وقد صح عنه ﷺ الأمر بهما كما تقدم[4].

ولمَّا كان المهمُّ في رسالتنا هذه المضمضةَ، وجب تفسيرها فنقول:

فصل
[في بيان حقيقة المضمضة]

ذهبت الحنفية إلى أن المراد من المضمضة غسل جميع الفم، فلذلك عدل صاحب «الكنز» عند عدِّهِ سننَ الوضوء وفرائضَ الغُسل عن لفظ المضمضة إلى غسل الفم.

قال الزيلعي في شرح «الكنز»[5]: «عدل عن المضمضة

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) في الأصل: «ومن» بزيادة الواو، وهو خطأ.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٤) انظر: (ص٣٨) من هذه الرسالة.

(٥) «تبيين الحقائق» (١/ ٤). والزيلعي ـ صاحب «تبيين الحقائق» ـ هو: الإمام العلامة فخر الدين، أبو محمَّد، عثمان بن علي الزيلعي. درَّس وأفتى وصنَّف، وانتفع الناسُ به، كان فاضلاً في مذهبه، ووَلي مشيخة الخانقاه الطقزدمرية بالقرافة، وكان خيِّرًا صالحًا. توفي بالقاهرة سنة (٧٤٣هـ). انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٤٥)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٢٥٨). =

والاستنشاق إلى الغَسل؛ إما اختصارًا، أو لأن الغسل يشعر بالاستيعاب»[1].

وقالت الشافعية: «كمال المضمضة: أن يجعل الماء في فيه ويديرَه ثم يَمُجَّهُ[2]، وأقلُّها: أن يجعل الماء فيه ولا يُشترطُ المجّ.

وهل تشترط الإدارة؟ فيه وجهان: أصحهما: لا تشترط»[3].

وقال الماوردي: «المضمضة: إدخال الماء مقدَّمَ الفم، والمبالغةُ فيها: إدارته في جميع الفم».

قال: «والمبالغة سنة زائدة على المضمضة»[4].

= وأما الزيلعي صاحب «نصب الراية» فهو: جمال الدين، أبو محمَّد، عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزيلعي الحنفي. أخذ عن الأول فخر الدين الزيلعي، وعن القاضي علاء الدين ابن التركماني وغيرِ واحدٍ، وخرَّج «الهداية» وأحاديث «الكشاف» واستوعب ذلك استيعابًا بالغًا، وكان يترافق هو وزين الدين العراقي في مطالعة الكتب الحديثية. توفي بالقاهرة سنة (٧٦٢هـ). انظر: «الدرر الكامنة» (٣/ ٩٥)، و«البدر الطالع» (١/ ٤٠٢).

(١) وكذا في «الدر المختار» (١/ ٧٨): «(وغَسْلُ الفم) أي: استيعابه، ولذا عبَّر بالغسل». قال ابن عابدين في «حاشيته» عليه (١/ ٧٩) ـ بعد أن قرَّر دلالة لفظَي المضمضة والاستنشاق لغةً على الاستيعاب ـ: «فالأحسن أن يقال: إن التعبير بغسل الفم والأنف أدل على الاستيعاب من المضمضة والاستنشاق بالنظر إلى المعنى اللغوي» اهـ.

(٢) أي: يَرميه. انظر: «القاموس المحيط» (ص٢٦٢).

(٣) «المجموع» (١/ ٣٩٥). وانظر: «نهاية المحتاج» (١/ ١٨٦).

(٤) «الحاوي الكبير» (١/ ١٠٦)، وانظر: «المجموع» للنووي (١/ ٣٩٥).

وقالت المالكية: «المضمضة: إدخال الماء في الفم وطرحه»[1].

وقالت الحنابلة: «المضمضة: إدارة الماء في الفم».

قالوا: «ولا يجب إدارة الماء في جميع الفم، كما لا يجب إيصال الماء إلى جميع باطن الأنف عند الاستنشاق، وإنما ذلك مبالغة مستحبة في حق غير الصائم».

وإذا أدار الماء في فيه، فهو مخيَّرٌ بين مَجِّهِ وبلعه؛ لأن المقصود قد حصل به[2].

إذا عرفت هذا، تعلم أن الحنفية انفردوا بقولهم ـ إن المضمضة استيعاب غسل الفم ـ عن المذاهب الثلاثة.

ويمكن أن يقال هاهنا: فلما اختلفوا نظرنا، فوجدنا لفظَ المضمضةِ لفظةً لغوية، ولم يأتنا فيها عن الشارع تفصيلٌ لمعناها، فوجب الرجوع إلى اللغة، فوجدنا أهل اللغة قالوا ما نذكر عنهم:

قال صاحب «المصباح»[3]: «مضمضت الماء في فمي: حركته بالإدارة فيه، وتمضمضت بالماء: فعلت ذلك».

---

(١) انظر: «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ٩٧). لكن في اشتراط الطرح عندهم خلاف، تراه في «مواهب الجليل» (١/ ٢٤٥). وأما إدارة الماء، فمعظمهم على اشتراطها، وعبَّروا عنها بالخضخضة، وهذا الذي حقَّقه بوضوح: الحطاب في «مواهب الجليل» (١/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «المغني» (١/ ١٦٩).

(٣) «المصباح المنير» ـ مضض ـ (٢/ ٥٧٥).

وقال صاحب «لسان العرب»[1]: «المضمضة: تحريك الماء في الفم، ومضمض الماء في فيه: إذا حرك»[2].

وقال صاحب «القاموس»[3]: «المضمضة: تحريك الماء في الفم».

فلم نجد أحدًا منهم اشترط استيعاب غسل جميع [الفم][4] في المضمضة، بل قالوا: المضمضة: تحريك الماء في الفم فقط، فأخذنا بهذا.

وبناءً على ذلك، لا مانع من عدم وصول الماء إلى بعض أجزاء الفم كالسِّنِّ؛ لأنَّ الاستيعابَ غيرُ مشترط في أصل المضمضة.

فصـل

فيما قاله الحنفية مما يتعلق بالموضوع

ففي «التجنيس»[5]: «ولو كان سِنُّهُ مجوَّفًا أو بين أسنانه طعام أو درن رطب، يجزئه؛ لأن الماء لطيف يصل إلى كل موضع غالبًا».

ثم قال: «وذكر الصدرُ الشهيد حسامُ الدين في موضع آخر: إذا كان

---

(١) (٧/ ٢٣٤).

(٢) في «اللسان»: «ومضمض الماء في فيه: حرَّكه».

(٣) (ص٨٤٤).

(٤) ما بين المعقوفين ساقطٌ من الأصل، والسياق يقتضيه.

(٥) هو للمَرْغيناني، واسم الكتاب كاملًا: «التجنيس والمزيد، وهو لأهل الفتوى غير عتيد»، وهو في الفتاوى. انظر: «كشف الظنون» (١/ ٣٥٢، ٣٥٣).

في أسنانه كُوّاتٌ يبقى فيها الطعام، لا يجزئه ما لم يخرجْه ويُجري[1] الماء عليها. وفي فتاوى الفضلي والفقيه أبي الليث خلاف هذا، فالاحتياط أن يفعل» اهـ.

وقال في «تنوير الأبصار»: «لا يمنع»، يعني الطهارة، ثم قال: «طعامٌ بين أسنانه».

وقال في شرحه «الدر المختار»[2]: «أو في سِنِّهِ المجوف. به يُفتَى.

وقيل: إنْ صُلْبًا مَنَع، وهو الأصح» اهـ.

وفي «المنية» وشرحِها الكبير للشيخ إبراهيم الحلبي:

«(رجل اغتسل وبقي بين أسنانه طعام) من خبز أو غيره (قال بعضهم: إن كان زائدًا على قدر الحِمَّصَة لا يجوز غسله)، وإن كان قَدْرَ الحِمَّصَة أو أقل، يجوز؛ بناءً على فساد الصوم بالأول، فكان للفم ـ بالنظر إليه ـ حكمُ الظاهر دون الثاني على ما ذكره في «خزانة الأكمل»[3]: أن المفسد للصوم ما يزيد على مقدار الحِمَّصَة، وقَدْرُ الحِمَّصَة عفو، فكان له ـ بالنظر إليه ـ حكمُ الباطن.

---

(١) كذا في الأصل، والجادة حذف الياء؛ لأنه معطوفٌ على المجزوم.

(٢) (١/ ١٦٧).

(٣) قال في «كشف الظنون» (١/ ٧٠٢).: «ست مجلدات. لأبي يعقوب يوسف بن علي بن محمَّد الجرجاني، ذَكَر فيه أن هذا الكتاب محيطٌ بجل مصنفات الأصحاب...» اهـ. قال في «معجم المؤلفين» (٤/ ١٧٣): عن سنة وفاة مؤلِّفه: «كان حيًّا (٥٢٢هـ)» اهـ.

قال في (الخلاصة): إن كان كثيرًا يستبين للناظر ـ كما في سقوط السِّنِّ ـ يجب إيصال الماء، وإن كان قليلاً كان عفوًا.

ثم قال: (وقال بعضهم: إن كان صُلْبًا ممضوغًا) مضغًا (مؤكدًا) بحيث تداخلت أجزاؤه وصار له لزوجةٌ وعِلَاكَةٌ[1] كالعجين، (لا يجوز) غُسْلُه، قَلَّ أو كثر، وهو الأصح؛ لامتناع نفوذ الماء، مع عدم الضرورة والحرج، بخلاف الصوم؛ فإنَّ في التحرز عن بقائه في الأسنان وسبقِه إلى الحلق مع الريق حرجًا، ولا حرج في إزالته في الغسل فافترقا» اهـ.

وهذه الأقوال مفهومة ومبنية على القول بوجوب استيفاء غسل الفم عند المضمضة في الاغتسال.

ويمكن أن يُخَرَّجَ جوازُ تصليح الأسنان التصليحَ المعروف في هذه الأزمان ويكونَ موافقًا لمذهب الحنفية على وجهين:

(الأوَّل): أن يُلْحَقَ ما صُلِّحَ به السِّنُّ بأصل السِّن؛ فإن الزيادة لا يمكن فصلُها عن الأصل إلا بعد تعب شديد، بخلاف ما دخل في السن من الأكل.

(الثَّاني): أن يُبنى هذا على الضرورة، ويقاسَ على المسح على الجبيرة وقد أباحه الشرع، والله أعلم.



(١) «عِلَاكَة»: كأنه أراد بها مصدر: عَلَكَ الشيءَ، إذا مَضَغه ولاكه، والله أعلم.

الباب الثاني

في البحث عن الشبهة الثانية

وهي: عدم جواز التزين للرجال بالذهب، وقد ذكرنا أن هذه الشبهةَ غيرُ موجودةٍ في النساء ـ فنقول:

إن الشرع قد أباح في مثل هذه الحالة استعمالَ الذهب، فلْنوردْ أدلةَ الإباحة في فصل مستقل فنقول:

فصل

[في أدلة إباحةِ استعمال الذهب للرجال في حالة الضرورة كَشَدِّ الأسنان]

ـ **منها**: حديث عَرفجةَ بنِ أسعدَ رضي الله عنه:

قال أبو داود ـ في سننه[1] ـ: «باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب ـ:

حدثنا موسى بن إسمعيل ومحمَّد بن عبد الله الخزاعي، المعنى، قالا[2]: أنا أبو الأشهب، عن عبد الرحمن بن طرَفة، أن جده عرفجة بن

(١) في كتاب الخاتم (٤/ ٩٢).

(٢) في الأصل: «قال» بالإفراد، والتصويب من «سنن أبي داود» (٤/ ٩٢).

أسعد قُطِع أنفُه يومَ الكُلَاب[1]، فاتخذ أنفًا من ورِقٍ، فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ فاتخذ أنفًا من ذهب[2].

حدثنا الحسن بن علي، نا يزيد بن هرون وأبو عاصم قالا: أنا أبو الأشهب[3]، عن عبد الرحمن بن طرَفة، عن عرفجة بن أسعد بمعناه. قال يزيد: قلت لأبي الأشهب: أدرك عبدُ الرحمنِ بنُ طرَفة جدَّه عرفجة؟ قال: نعم[4].

حدثنا مؤمَّل بن هشام، نا إسمعيل، عن أبي الأشهب، عن عبد الرحمن بن طرَفة بن عرفجة بن أسعد، عن أبيه بمعناه[5].

وقال الترمذي في ـ «جامعه»[6]، باب ما جاء في شدِّ الأسنان بالذهب ـ:

حدثنا أحمد بن مَنِيع، ثنا علي بن هاشم بن البَرِيد[7] وأبو سعد

---

(١) سيأتي بيانُه في كلام المؤلف نفسه ـ رحمه الله ـ في فصلٍ مستقِلٍّ في (ص٥٨).

(٢) «سنن أبي داود» ـ كتاب الخاتم ـ باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب (٤٢٣٢).

(٣) في «سنن أبي داود»: «ثنا أبو الأشهب».

(٤) «سنن أبي داود» ـ في الكتاب والباب السابقين (٤٢٣٣).

(٥) «سنن أبي داود» ـ في الكتاب والباب السابقين (٤٢٣٤)، وهو فيه: «عن أبيه: أنّ عرفجة، بمعناه».

(٦) في كتاب اللباس ـ (٤/ ٢١١) (١٧٧٠).

(٧) قال في «تقريب التهذيب» (ص٤٠٦): «بفتح الموحدة، وبعد الراء تحتانيةٌ ساكنة» اهـ.

الصنعاني[1]، عن أبي الأشهب، عن عبد الرحمن بن طرَفة، عن عرفجة بن أسعدَ قال: «أصيب أنفي يومَ الكُلَاب في الجاهلية، فاتخذت أنفًا من ورِقٍ فأنتن علَيّ، فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفًا من ذهب».

حدثنا علي بن حُجْرٍ، ثنا الربيع بن بدر ومحمَّد بن يزيدَ الواسطي، عن أبي الأشهب نحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن[2]، إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن طرَفة، وقد روى سَلْم بن زَرِير[3]، عن عبد الرحمن بن طرَفة نحو حديث أبي الأشهب، عن عبد الرحمن بن طرَفة. وقال ابن مهدي: سَلْم بن زَرين[4]، وهو وهم، وزَرِير أصح[5].

وقال النسائي ـ في «سننه»[6] ـ: «باب من أصيب أنفه: هل يتخذ أنفًا من ذهب؟»:

---

(١) كذا في الأصل. وفي «سنن الترمذي»: «الصغاني»، وفي «تقريب التهذيب» (ص٥٠٩): «الصاغاني». واسمه: محمَّد بن ميسَّر.

(٢) هكذا هو في نسخة «تحفة الأحوذي» (٥/ ٤٦٤) ـ ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، وأما في «سنن الترمذي» ـ ط دار الفكر ـ ففيها: «حسن غريب».

(٣) قال في «تقريب التهذيب» (ص٢٤٤): «بفتح الزاي وراءين» اهـ.

(٤) وقال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٤/ ١٣١): «وفي «تاريخ البخاري»: قال ابن مهدي: سَلْم بن رزين، يعني بالنون وتقديم الراء. قال أبو أحمد الحاكم: وهو وهم. وقال أبو علي الجياني: وقع لبعض رواة الجامع: زُرير، بضم الزاي، وهو خطأ، والصواب الفتح» اهـ.

(٥) إلى هنا انتهى كلام الترمذي في «سننه» (٤/ ٢١١، ٢١٢).

(٦) في كتاب الزينة (٨/ ١٦٣).

أخبرنا محمَّد بن مَعْمَرٍ، قال: حدثنا حبّان، قال: حدثنا سَلْم بن زَرِير، قال: حدثنا عبد الرحمن بن طرَفة، عن جده عرفجةَ بنِ أسعد: «أنه أصيب أنفه يومَ الكُلَاب في الجاهلية، فاتخذ أنفًا من ورِقٍ، فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب»[1].

أخبرنا قُتيبة، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، عن أبي الأشهب، قال: حدثني عبد الرحمن بن طَرَفة، عن عرفجة بن أسعد بن كُرَيب[2]، قال: وكان جدُّه قال: حدثني أنه رأى جدَّه قال: «أصيب أنفه يومَ الكُلَاب في الجاهلية. قال: فاتخذ أنفًا من فضة، فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذه من ذهب»[3].

وقال الطحاوي في «شرح معاني الآثار»[4]: حدثنا محمَّد بن خزيمة، قال: حدثنا الحجاج بن المنهال، قال: حدثنا أبو الأشهب، ح وحدثنا أبو بشر الرَّقِّي، قال: حدثنا غسان بن عبيد المَوْصلي[5]، قال: حدثنا أبو الأشهب، ح وحدثنا ابن أبي داود، قال: حدثنا أحمد بن

---

(١) «سنن النسائي» ـ كتاب الزينة ـ باب مَن أُصيب أنفه (٥١٦١).
(٢) في الأصل: «كرب»، وفي المخطوط لحق عنده: «كذا»، والتصويب من «سنن النسائي» (٥١٦٢).
(٣) «سنن النسائي» ـ في الكتاب والباب السابقين ـ (٥١٦٢).
(٤) في: كتاب الكراهية ـ باب الرجل يتحرك سِنُّه، هل يشدها بالذهب أم لا؟ (٤/ ٢٥٧، ٢٥٨).
(٥) في الأصل وفي «شرح المعاني»: «المصلي»، والتصويب من «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٣٤)، و«كشف الأستار عن رجال معاني الآثار» (ص٨٢)، وغيرهما من كتب التراجم.

يونس، قال: ثنا أبو الأشهب، عن عبد الرحمن بن طرَفة، عن جده عرفجة بن أسعد: «أنه أصيب أنفه يومَ الكُلَاب في الجاهلية، فاتخذ أنفًا من ورِقٍ فأنتن عليه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فأمره أن يتخذ أنفًا من ذهب، ففعل».

حدثنا سليمان بن شعيب، قال: حدثنا عبدُ الرحمن بنُ زياد والخَصِيبُ بن ناصح وأسد بن موسى، قالوا: ثنا أبو الأشهب، عن عبد الرحمن بن طرَفة، عن عرفجة مثله[1].

قال العبد الفقير ـ مؤلِّف هذه الرِّسالة، فرَّج الله عنه ـ: فهذا الحديث سنده إلى عبد الرحمن بن طرَفة صحيح، وعبد الرحمن رجل ثقة، وثَّقه العِجلي[2]، وذكره ابن حبان في «الثقات»[3]، وقد أدرك جده كما سبق عن يزيدَ بنِ هارون.

وجدُّه: عرفجة بن أسعد بن كرز[4] بن صفوان التميمي السعدي. وقيل: العطاردي، صحابي[5]، وكان من الفرسان في الجاهلية[6].

ثم إنَّ هذا الحديث حسَّنه الترمذي، فهو حسن إن شاء الله تعالى.

---

(١) «شرح معاني الآثار» ـ كتاب الكراهية ـ باب الرجل يتحرّك سِنُّه (٤/ ٢٥٨).
(٢) «تاريخ الثقات» ـ بترتيب الهيثمي ـ للعِجلي (ص٢٩٣)
(٣) (٥/ ٩٣). وانظر: «تهذيب الكمال» (١٧/ ١٩١).
(٤) في هامش المخطوط لحق: «كذا» اهـ. وفي «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٧٦): «ابن كَرِب» بالباء.
(٥) في «تهذيب التهذيب» (٧/ ١٧٦): «له صحبة» اهـ.
(٦) انظر: «الإصابة» (٢/ ٤٦٧).

وقد شَغَبَ ابنُ القطان[1] فقال: «هذا حديث لا يصح؛ لأنه من رواية أبي الأشهب واختُلف عنه: فالأكثر يقولون: عن عبد الرحمن بن طرَفة بن عرفجة عن جده، وابن عُلَيَّةَ يقول: عنه، عن عبد الرحمن بن طرَفة، عن أبيه، عن عرفجة».

قال: «فعلى طريقة المُحَدِّثين ينبغي أن تكون رواية الأكثرين منقطعةً؛ لأنها معنعنة، وقد زاد فيها ابنُ عُلَيَّةَ واحدًا.

ولا يَرُدُّ[2] هذا قولُهم: إن عبد الرحمن بن طرَفة سمع جده[3]؛ فإن هذا الحديث لم يقل فيه: إنه سمع منه، وقد أدخل بينهما فيه الأب، وعبدُ الرحمنِ بنُ طرَفة المذكورُ لا يعرف بغير هذا الحديث، ولا يعرف رَوى عنه غيرُ أبي الأشهب، فإنِ احتيج فيه إلى أبيه طرفة ـ كما قاله ابن[4] عُلَيّة عن أبي الأشهب ـ زاد الحال[5]؛ لأنه ليس بمعروف الحال ولا مذكورٍ برواية الأخبار» اهـ[6].

---

(١) أصل معنى الشَّغْب: تحريك الشَّرِّ، كما في «القاموس المحيط» (ص١٣١)، لكن مراد العلماء حين يَذْكرون هذه الكلمة عن أحدهم: أنه رَدَّ القول أو أورد إشكالاً عليه ونحو ذلك بكلامٍ ضعيفٍ ليس عليه دليلٌ معتبر.

(٢) هكذا في الأصل، وفي «بيانِ الوهم والإيهام» لابن القطان: «ولا يَدرأ».

(٣) وفي «بيان الوهم» زيادة هنا: «وقولُ يزيد بن زريع: إنه سمع من جده».

(٤) في الأصل: «أبو»، وهو خطأ ظاهر.

(٥) في «بيان الوهم»: «كان الحال أشد».

(٦) «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام» (٤/٦٠٩، ٦١٠).

قال العبد الفقير: وهذا قول ساقط؛ فإنَّ الاعتماد على رواية الأكثر لا على ما شذَّ به إسمعيل ابن عُلَيَّة، وانظر رواية النسائي كيف صرح عبد الرحمن بأنه رأى جده؟

وليست روايةُ الأكثرين منقطعةً وإن كانت معنعنةً[1]؛ لأنه لا يلزم أن يصرَّح في كل حديث بالسماع، بل إذا لم يُعرف الرجل بالتدليس ولقي الذي يحدث الحديث عنه، فهذا عند المحَدِّثين متصل، وهو شرط مسلم، وزاد البخاري اشتراط السماع ولو في حديث واحد.

وأما قوله: إنه لا يُعرَف أنه روى عبد الرحمن بن طرَفة من غير طريق أبي الأشهب، فغير صحيح؛ فقد تابعه سَلْم بن زَرِير كما أشار إليه الترمذي[2]، ووصله النسائي، بل تابعهما ابن جابر كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم في «العلل»[3]، ورواه عن ابن جابر: محمدُ بن عمر بن الوليد بن لاحق التيمي[4]، وإن كانت هذه الطريقة ضعيفة.

ومن الأوهام في سند هذا الحديث: قول بعضهم: عبد الرحمن بن الضحاك بن عرفجة، فذَكَرَ الضحاك مكان طرَفة.

---

(١) أي: مرويةً بلفظة «عن» أو نحوِها مِن الصيغ التي ليس فيها التصريحُ بالسماع.
(٢) انظر: (ص٥٢) مِن هذه الرسالة.
(٣) لم أجده في النسخة المطبوعة من الكتاب، والله أعلم.
(٤) في الأصل: «التميمي»، وهو خطأ، والتصويب من «تقريب التهذيب» (ص٤٩٩)، وغيره من كتب التراجم.

وروى ابن منده من طريق عبد الله بن عواذة أو عرادة: أن الذي أصيب أنفه هو الضحاك، وهذا غلط، وانظر كتاب «الإصابة»[1] لابن حجر في ترجمة الضحاك بن عرفجة في القسم الأول والرابع.

ومن الأوهام: ما أخرجه ابن قانع[2] من رواية ثابت بن يزيد[3]، عن أبي الأشهب: أن الذي أصيب أنفه يوم الكُلاب: طرَفةُ بن عرفجة، وخالفه ابن المبارك وغيره فجعلوه لعرفجة وهو صحيح.

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[4] ـ بعد إيراده حديثَ عرفجة ـ: «قال الترمذي وغيره: هو حديث حسن» اهـ.

وقال النووي في «المجموع»[5]: «أما حديث عرفجة فحديث حسن، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم بإسناد جيد، قال الترمذي وغيره: هو حديث حسن».

ثم أنكر النووي على صاحب «المهذب» إيراده حديث عرفجة بصيغة التمريض؛ قال: لأنه حسن[6].

---

(١) (٢/ ٢١٧).

(٢) «معجم الصحابة لابن قانع» (٢/ ٢٨١).

(٣) الذي في «ابن قانع»: حدثنا محمَّد بن تميم النهشلي، حدثنا أبو شهاب العُطاردي عن عبد الرحمن بن طرفة. وبيَّن محققه: أنَّ الصواب أبو الأشهب العُطاردي.

(٤) (١/ ٧٥٧).

(٥) (١/ ٣١٠).

(٦) قوله: «قال: لأنه حسن»، هذا معنى كلام النووي.

فصـل

في شرح غريب هذا الحديث

قوله: «**يومَ الكُلَاب**»: بضم كافٍ وتخفيفِ لامٍ، اسم ماء بين الكوفة والبصرة، كانت فيه وقعةٌ مشهورةٌ من أيام العرب، وليست من غزواته ﷺ، بل كانت في الجاهلية.

ويوم الكُلاب يومان: الأول والثاني. راجع «العقد الفريد»[1].

وأملى يومًا حيان بن بشر القاضي، فرَوى أن عرفجة قُطع أنفه يومَ الكِلاب[2]، وكان مستمليه رجلاً يقال له: كَجَّةُ، فقال: أيها القاضي! إنما هو يومُ الكُلَاب[3]، فأَمر بحبسه، فدخل الناس إليه وقالوا: ما دهاك؟ فقال: قُطِع أنفُ عرفجةَ في الجاهلية، وامتُحنتُ أنا به في الإسلام. انظر: «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٨٥)[4].

قوله: «**من ورِق**»: هو بكسر الراء: الفضة.

وقد ورد بلفظ «الفضة» في بعض الروايات كما سبق، وهي تَرُدُّ على الأصمعي في ضبطه «الورق» بفتح الراء، أراد الرَّقّ[5] الذي يكتب

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (٥/ ٢٢٢، ٢٢٤).
وهما يومان كانا بين ملوك كِندة وبني تميم، كما قاله أبو عبيد. انظر: «لسان العرب» (١/ ٧٢٧). وانظر ـ أيضًا ـ: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٩٦).

(٢) يعني: بكسر الكاف.

(٣) يعني: بضم الكاف.

(٤) هذا العزو من المؤلف نفسه رحمه الله ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

(٥) الرَّقّ: بفتح الراء، ويُكْسر، جِلْدٌ رقيقٌ يُكتب فيه. «القاموس المحيط» (ص١١٤٥).

فيه[1]، زاعمًا أن الفضة لا تَنْتُن.

قال القُتَيْبِيُّ[2]: وكنت أحسب أن قول الأصمعي لا تَنْتُن صحيح، حتى أخبرني بعض أهل الخبرة أن الذهب لا يُبليه الثرى، ولا يُصدئه الندى، ولا تَنقصه الأرض، ولا تأكله النار، فأما الفضة فإنها تبلى وتصدأ ويعلوها السواد وتَنْتُن عليه[3].

فصل
[في دِقَّةِ الصنعة والإتقان عند الشرقيّ]

قال الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه «التراتيب الإدارية»[4] ـ بعد ما أورد حديث عرفجة ـ: «قلت: وهذا أعظم ما يدل على الشرقي في دقة الصنعة والإتقان؛ لأن صنع الأنف من ذهب وتركيبَه في محله، ليس مما يستطيعه كل عامل أو صانع».

---

(١) تكررت لفظة «فيه» في الأصل مرتين.

(٢) هو صاحب كتاب «غريب الحديث» وغيرِه من التصانيف الكثيرة، أبو محمَّد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينَوَري، نزيل بغداد، يقال في النسبة إليه: القُتَيبي، والقَتَبي، كما في «تبصير المنتبه» لابن حجر (٣/ ١١٦١). قال الخطيب: «كان ثقةً ديِّنًا فاضلاً. ولي قضاء الدينور، وكان رأسًا في اللغة والعربية والأخبار وأيام الناس. توفي سنة (٢٧٦هـ). انظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (١٧/ ٣٢٦)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٦٣).

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٧٥).

(٤) (٢/ ٦٥، ٦٦) ـ ذكره في: القسم التاسع: في ذكر حِرَفٍ وصناعاتٍ كانت في عهد رسول الله ﷺ. . . (صنع الأنف من ذهب). واسم كتاب الكتاني هذا: «نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية».

فصـل

في مذاهب العلماء في شَدِّ الأسنان بالذهب

قال أبو جعفرٍ الطحاوي في «شرح معاني الآثار»[1]: «قد اختلف الناس في الرجل يتحرك سِنُّهُ فيريدُ أن يشدَّه[2] بالذهب:

فقال أبوحنيفة: ليس له ذلك، [و][3] أن يشدَّها بالفضة كذلك.

حدثنا محمَّد بن العباس، قال: ثنا علي بن معبد، عن محمَّد بن الحسن، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة.

وقال أصحاب الإملاء ـ منهم: بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة: أنه لا بأس أن يشدها بالذهب.

وقال محمَّد بن الحسن: لا بأس أن يشدَّها بالذهب، كذلك.

وكان من الحجة لأبي حنيفة في قوله الذي رواه محمَّد عن أبي يوسف عنه: أنه قد نُهِيَ عن الذهب والحرير، فنُهِيَ عن استعمالهما، وكان ما نُهِيَ عنه من الحرير قد دخل فيه لباسُه وعَصْبُ الجراح به، فكذلك ما نُهِيَ[4] من استعمال الذهب، يدخل فيه شَدُّ السن به.

---

(١) (٤/٢٥٧، ٢٥٨).

(٢) في «شرح الآثار»: «أن يشدَّها».

(٣) ما بين المعقوفين زيادةٌ من «شرح معاني الآثار».

(٤) في «شرح المعاني»: «ما نُهِي عنه»، وهو أصح.

وكان من الحجة لمحمَّد ـ فيما ذهب إليه من ذلك على أبي حنيفة في روايته[1] عن أبي يوسف عنه[2]ـ: أن ما ذكر من تعصيب الجراح بالحرير: إن كان ما فعل لأنه علاج للجراح، فلا بأس به؛ لأن ذلك دواء؛ كما أباح رسول الله ﷺ للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف لبس الحرير من الحِكّة التي كانت بهما، كذلك العصائب الحرير[3] إن كانت علاجًا للجرح لتقل مدته، كما أنَّ الثوب الحرير علاج للحِكَّة، فلا بأس بهما، وإن لم يكن علاجًا للجرح فكانت هي وسائر العصائب في ذلك سواء، فهي مكروهة.

فكذلك ما ذكرنا من الذهب: إن كان يراد منه أن لا ينتن كما تَنتُن الفضة، فلا بأس به، وقد أباح رسول الله ﷺ لعرفجةَ بنِ أسعد أن يتخذ أنفًا من ذهب».

ثم أورد الطحاوي الحديث ثم قال: «فقد أباح رسول الله ﷺ لعرفجةَ بنِ أسعد أن يتخذ أنفًا من ذهب إذ[4] كان تنتن الفضة، فلما كان ذلك كذلك في الأنف، كان كذلك السِّن، لا بأس بشدها بالذهب إذ كان لا ينتن[5]، فيكون النتن الذي من الفضة مبيحًا لاستعمال الذهب،

---

(١) أي: في رواية محمَّد.

(٢) أي: عن أبي حنيفة.

(٣) في «شرح المعاني»: «عصائب الحرير».

(٤) في «شرح المعاني»: «إذا».

(٥) العبارة التي ذكرها المصنف هنا متجهة، ولكن الذي في «شرح المعاني» بخلافها؛ ففيه (٤/ ٢٥٨): «كان كذلك السن، لا يشدها بالذهب إذا كان (أي: غيره لا ينتن)» اهـ.

كما كان النتن الذي يكون منها في الأنف مبيحًا لاستعمال الذهب مكانها، فهذه حجة.

وفي ذلك حجةٌ أُخرى: أنَّا رأينا استعمال الفضة مكروهًا كما استعمال الذهب مكروهًا، فلما كانا مستويين في الكراهة وقد عمَّهما النهي جميعًا، وكان شَدُّ السن بالفضة خارجًا من الاستعمال المكروه، كان كذلك شدها بالذهب ـ أيضًا ـ خارجًا من الاستعمال المكروه.

فإنْ قال قائل: فقد رأينا خاتم الفضة أبيح للرجال ومُنِعوا من خاتم الذهب، فقد أبيح لهم من الفضة ما لم يُبَحْ لهم من الذهب.

قيل له: قد كان النظر ما حكينا، وهو إباحة خاتم الذهب للرجال كخاتم الفضة، ولكن[1] مُنِعْنا من ذلك وجاء النهي عن خاتم الذهب نصًّا[2]، فقلنا به وتركنا له النظر، ولولا ذلك لجعلناه في الإباحة كخاتم الفضة.

فكذلك شد السن لما أبيح بالفضة، ثبت أنّ شدها بالذهب كذلك، حتى يأتيَ بالتفرقة بين ذلك سُنّةٌ يجب بها ترك النظر، كما جاء في خاتم

---

(١) في «شرح المعاني»: «ولكنا».

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: **«يَعمِدُ أحدُكم إلى جمرةٍ من نار فيجعلها في يده»**، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله! لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم في: كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم خاتم الذهب على الرجال. . . (٣/ ١٦٥٥) (٢٠٩٠).

الذهب سُنّةٌ نهت عنه، فتمت بها الحجة، ووجب لها ترك النظر، فثبت بما ذكرنا ما قال محمَّد» اهـ.

واعتمد في «الهداية»[1]، و«الكنز»[2] على قول أبي حنيفة الذي فيه المنع من شد الأسنان بالذهب.

وعن أبي يوسف قولان كما عن أبي حنيفة، فقد ذَكَر المنعَ عنه الكرخيُّ، والجوازُ في «الأمالي»[3].

وقال أبو إسحق الشيرازي الشافعي في «المهذب»[4]: إن اضطر إلى الذهب جاز استعماله.

قال النووي: قال أصحابنا: فيباح له الأنف والسن من الذهب ومن الفضة، وكذا شد السن العليلة بذهب وفضةٍ جائز.

ويباح ـ أيضًا ـ الأنملة منهما[5].

وفي جواز الإصبَع واليد منهما وجهان ـ حكاهما المتولي ـ:

---

(١) «الهداية» (١٠/ ٢٣).

(٢) انظر: «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» (٦/ ١٦).

(٣) انظر: «تكملة فتح القدير» لابن قودر (١٠/ ٢٣).

(٤) انظر: «المهذب» (١/ ٣١٠) ـ مع «المجموع».

(٥) هي واحدة الأنامل، وهي بتثليث الميم والهمزة، وهي رؤوس الأصابع. انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٣٦)، و«القاموس المحيط» (ص١٣٧٦). وقال الخطيب الشربيني في «مغني المحتاج» (١/ ٣٩١): «وأفصحها: فتح الهمزة وضم الميم... قال جمهور أهل اللغة: الأنامل: أطراف الأصابع، أي: مِن اليدين والرجلين» اهـ.

أحدهما: يجوز كالأنملة. وبه قطع القاضي حسين في تعليقه.

وأشهرهما: لا يجوز. وبه قطع الفُوراني[1] والرُّوياني[2] وصاحبا «العدة»[3] و«البيان»[4]؛ لأن الإصبَع واليد منهما لا تعمل عمل الأصلية، بخلاف الأنملة، والله أعلم» اهـ[5].

---

(١) هو: أبو القاسم، عبد الرحمن بن محمَّد بن أحمد بن فُوران الفُوراني، المروزي، الفقيه الشافعي. كان مقدَّم الشافعية بمرو. وُلِد سنة (٣٨٨هـ). أخذ الفقه عن القفال الشاشي، وانتهت إليه رئاسة الشافعية، وطبق الأرض بالتلامذة، منهم: أبو سعدٍ المتولي. وله في المذهب الوجوه الجيدة. صنف التصانيف الكثيرة، وله في المذهب: «الإبانة». توفي بمَرْو سنة (٤٦١هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ١٣٢)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٠٩).

(٢) هو: فخر الإسلام، القاضي أبو المحاسن، عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الرُّوياني، الفقيه الشافعي. والرُّوياني: نسبةً إلى «رويان» مدينة بنواحي طبرستان. كان له الجاه العظيم والحرمة الوافرة في تلك الديار. وُلِد سنة (٤١٥هـ). سمع أبا الحسين عبد الغافر الفارسي، وتفقه الفقه الشافعي على محمَّد بن بيان الكازروني. وَلِي قضاء طبرستان، وبنى مدرسة بآمُل (مدينة بها). له: «بحر المذهب» ـ وهو من أطول كتب الشافعيين ـ و«مناصيص الإمام الشافعي». قُتِل بآمُل سنة (٥٠٢هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ١٩٨، ١٩٩)، و«شذرات الذهب» (٤/ ٤).

(٣) صاحب «العُدة»: هو أبو عبد الله، الحسين بن عبد الله الطبري، المتوفى سنة (٤٩٨هـ). انظر: «طبقات الشافعية» لابن هداية الله الحسيني (ص١٨٦).

(٤) انظر: «البيان» للعمراني (١/ ٨٦).

(٥) «المجموع» (١/ ٣١٢).

وحكى الزمخشري في «الفائق»[1] عن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه كتب في اليد إذا قُطِعت، أَنْ تُحسمَ بالذهب؛ فإنه لا يقيح.

وفي «مختصر خليل»[2] المالكي: «وحَرُمَ استعمال ذَكَرٍ مُحَلًّى ولو مِنطقةً وآلةَ حربٍ إلا المصحفَ والسيفَ والأنفَ وربطَ سِنٍّ مطلقاً» اهـ.

ومعنى «مطلقاً»: سواء كان من الذهب أو الفضة.

وفي «المعتصر من المختصر من مشكل الآثار»[3] ـ بعد أن ذكر شد الأسنان بالذهب ـ قال: «ولا نعلم فيه خلافًا إلا ما ذكرناه عن أبي حنيفة، وقولُه في الإباحة أولى» اهـ.

فصل
في ذكر مَن شَدَّ أسنانه بالذهب من السلف

منهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه، ذكره عنه المحب الطبري في «الرياض النضرة»[4]، ورواه ابن سعد في «الطبقات»[5] وعبد الله بن

---

(١) (٣/ ٢٧٥).
(٢) (ص٦). وانظر: «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ٦٣).
(٣) (٢/ ٢٨٧). و«المعتصر» للقاضي أبي المحاسن، يوسف بن موسى الحنفي، لخّصه مِن مختصر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي لـ «مشكل الآثار» للطحاوي.
(٤) لم أهتد إلى موضعه فيه، والله أعلم.
(٥) (٣/ ٥٨) ـ في ذِكْرِ لباس عثمان. والأثر عنده من طريق محمَّد بن عمر =

الإمام أحمد في زوائده على مسند أبيه[1].

وقال الطحاوي في «شرح معاني الآثار»[2]: «وقد رُوِيَ عن جماعة من المتقدمين إباحةُ شَدِّ الأسنان بالذهب:

فمن ذلك: ما حدثنا فهد، قال: ثنا أبو غسان وموسى بن داود، قالا: حدثنا طعمة بن عمرو، قال: رأيت صفرةَ الذهبِ بين ثنايا ـ أو قال: بين ثنيَّتَيْ ـ موسى بن طلحة.

حدثنا ابن أبي داود، قال: ثنا سعيد بن سليمان، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل، قال: رأيت الحسن شد أسنانه بالذهب.

حدثنا سليمان بن شعيب، قال: ثنا أسد، قال: ثنا أبو الأشهب، عن حماد، قال: رأيت المغيرة بن عبد الله أمير الكوفة قد ضَبَّبَ أسنانه بالذهب[3]، فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: لا بأس به.

= ـ وهو الواقدي، متروك مع سعة علمه، كما في «تقريب التهذيب» (ص٤٩٨) ـ قال: أخبرنا واقد بن أبي ياسر: «أن عثمان كان يشد أسنانه بالذهب».

(١) «مسند أحمد» (٥٣٧) بتحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة. والأثر عنده من طريق واقد بن عبد الله التميمي، عمَّن رأى عثمان بن عفان ضبَّب أسنانه بالذهب. قال محققو «مسند أحمد» (١/ ٥٥٣): «إسناده ضعيف؛ لإبهام الراوي الذي رأى عثمان» اهـ.

(٢) في: كتاب الكراهية ـ باب الرجل يتحرك سِنُّه: هل يَشدُّها بالذهب أم لا؟ (٤/ ٢٥٩).

(٣) أي: عمِل لها ضَبَّةً. والضَّبَّة: ما يُشعَبُ به الإناءُ مِن حديدٍ أو صُفْرٍ أو نحوِه. انظر: «المصباح المنير» (٢/ ٣٥٧).

حدثنا سليمان بن شعيب، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شعبة، قال: رأيت أبا التياح وأبا حمزة وأبا نوفل بنَ أبي عقرب قد ضببوا أسنانهم بالذهب.

حدثنا سليمان بن شعيب، قال: حدثنا الخَصِيب، قال: رأيت عبيد الله بن الحسن قاضيَ البصرة قد شدَّ أسنانه بالذهب.

وزاد الطحاوي على هؤلاء في «مشكل الآثار»[1]: يزيدَ الرِّشْك[2]، ثم قال: «وغيرهم»[3].

وقال الترمذي في «جامعه» ـ بعد إخراجه حديث عرفجة ـ: «وقد رُوِيَ عن غير واحد من أهل العلم أنهم شدُّوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجةٌ لهم» اهـ[4].

قلت: وذكر المؤرخون أنَّ عبد الملك بن مروان شدَّ أسنانه بالذهب[5].

---

(١) في: باب بيان مشكل ما رُوِي عن رسول الله ﷺ في أمره الذي أُصيب أنفُه أن يَتَّخذ مكانَه أنفًا مِن ذهب (٤/ ٣٨).

(٢) ٱختُلِف في معان «الرِّشْك» وسبب تسميته به، فقال المِزِّي في «تهذيب الكمال» (٨/ ١٥٨): «هو القسَّام بلغة أهل البصرة، وقيل: كان غيورًا، والغيور يُسمى بالفارسية: أرشك، فقيل: الرِّشْك». ثم قال المزي (٨/ ١٥٩): «وقال أبو الفرج ابن الجوزي: الرِّشْك بالفارسية: الكبير اللحية، وبذلك لُقِّب؛ لِكِبَرِ لحيته...» اهـ.

(٣) لم أجد هذه الجملة في «مشكل الآثار».

(٤) (٤/ ٢١١، ٢١٢).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ـ في ذِكْرِ عبد الملك بن مروان (٥/ ٢٣٥).

ومَرَّ لي في مطالعاتي كثيرٌ من العلماء شَدُّوا أسنانهم بالذهب، ولا أستحضر أسماءهم الآن.

فصل

[في أنَّ علمَ جراحةِ الأسنانِ وتركيبِها علمٌ قديم]

قال الشيخ عبد الحي الكتاني في «التراتيب الإدارية»[(١)] ـ بعد ذِكرِهِ أن عثمان شدَّ أسنانه بالذهب ـ:

«وبذلك تعلم ما في عَدِّ بعضهم علمَ جراحةِ الأسنانِ وتركيبِها من الاكتشافات الحديثة، كما حكاه البستاني في حرف السين من «دائرة المعارف» (صفحه ١٢٥ الجزء ١٠)[(٢)]، وهو مردود كما[(٣)] ذُكِر، [و][(٤)] بأنه ورد في قصائد شعراء اليونان واللاتين ذكرُ الأسنان الاصطناعية» اهـ.

---

(١) (٢/٦٦).

(٢) هذا العزو مثبَتٌ في الأصل، وهو كذلك في «دائرة المعارف» لبطرس البستاني ـ ط دار المعرفة ـ بيروت. لكن ينبغي أن يُنتبه إلى أن مراد المؤلف من هذا العزو: أن البستاني حكى أن بعضهم يحسب فنَّ جراحة الأسنان من الاكتشافات الحديثة، لا أنه يتبناه؛ فقد رجَّح خلافه وقال: «والراجح: أن المصريين كانوا خبيرين بصناعتها وجراحتها، وإنما لم يَذكر التاريخ مبلغهم في هذا الفن المهم» اهـ.

(٣) كذا في «الأصل»، وفي «التراتيب الإدارية»: «بما»، وهو الأصح.

(٤) ما بين المعقوفين من «التراتيب الإدارية».

فصـل

[فيما يَلزمِ مِن القول بإباحةِ ضَبَّةِ الذهب على السِّنِّ]

ولا يُعقل أن تكون ضَبَّةُ الذهب على السن وما شُدَّ به غيرَ مانعةٍ وصولَ الماء إلى ما تحتها، وهذا مما يدل ـ أيضًا ـ على عدم وجوب استيفاء غَسل جميع الفم عند المضمضة، وعلى جواز سَدِّ ثَقْبِ السن بمادةٍ جامدة، والله أعلم بالصواب.

فصـل

[فيما رُوِي عن النبي ﷺ
مِن الرخصة في اتِّخاذ السِّنِّ مِن ذهب]

وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ الرخصةُ في اتخاذ السن من ذهب، كما رُوِيَ ذلك في الأنف:

فرَوى محمَّد بن غالب الأنطاكي[١]، عن أبانَ بنِ سفيانَ المقدسي، عن الفضيل بن عياض، عن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ: «أنه أصيبت ثنِيَّتُهُ[٢] يوم أُحُدٍ، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ ثنيةً من ذهب».

قال ابن حبان ما معناه: هذا حديث موضوع، وكيف يأمر المصطفى ﷺ باتخاذ الثنية من الذهب، وقد قال: إن الذهب والحرير مُحَرَّمان على ذكور أمتي؟!

---

(١) ذكره ابن حبان. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٧).

(٢) الثَّنِيَّةُ مِن الأضراس: الأربع التي في مقدَّم الفم: ثِنتان مِن فوق، وثِنتان مِن أسفل. «القاموس المحيط» (ص١٦٣٧).

قال الحافظ الذهبي: «حكمك عليه بالوضع بمجرد ما أبديتَ، حكمٌ فيه نظر»[1].

قال الحافظ ابن حجر: «خبر الثنية لم ينفرد به أبَان بن سفيان، بل رُوِيَ من ثلاثة أوجهٍ أُخَرَ عن هشام بن عروة» اهـ[2].

وأورد ابن حجرٍ هذه الأوجهَ الثلاثةَ في ترجمة عاصم بن عُمَارة من «لسان الميزان»[3]، فقال: «قال أبو علي بن السَّكَن: مجهول (يعني عاصماً)».

وأورد[4] له عن هشام عن أبيه، عن عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ بن سَلُول قال: «اندقَّت ثنيَّتي يوم أحد، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأمرني فاتخذت ثنيةً من ذهب».

قال أبو علي: عروة لم يلقَ عبد الله بن عبد الله.

قال الحافظ ابن حجر: «لم ينفرد به عاصم بن عُمَارة، بل رواه ـ أيضًا ـ فِطْر بن طريفة[5]، عن هشام، عن أبيه، وزاد فيه: عن عائشة.

ورواه البغوي في «معجمه»، من طريق غياث بن عبد الرحمن، عن هشام، عن أبيه: «أنَّ عبد الله بن عبد الله» فذكره مرسلاً، ولم يذكر عائشة ولا قال: عن عبد الله» اهـ.

---

(١) «ميزان الاعتدال» (١/ ٧).

(٢) «لسان الميزان» لابن حجر (١/ ٢٢٤).

(٣) (٤/ ٣٧٣).

(٤) ما زال الكلام للحافظ ابن حجر. وقوله: «وأورد» يعني: ابن السَّكَن.

(٥) هكذا في الأصل، والذي في «لسان الميزان» (٤/ ٣٧٣): «نصر بن طريف».

راجع «الإصابة» في ترجمة عبد الله بن عبد الله بن أُبَيٍّ، و«لسان الميزان» في ترجمة أبانَ بنِ سفيانَ[1] وعاصمِ بنِ عُمَارة[2].

فصل

[في تقييد جواز شَدِّ السِّنِّ بالذهب بالضرورة]

وهاهنا شيء، وهو أنَّ النبي ﷺ أجاز الأنف من الذهب للضرورة؛ فإنَّ الذهب لا ينتن، بخلاف الفضة.

فعلى هذا، لو شد أحد سِنَّهُ الصحيحةَ بالذهب لا للضرورة، بل لمجرد الزينة والتحلي، فالظاهر أنَّ هذا لا يجوز، والله أعلم[3].

---

(١) «الإصابة» (١/ ٢٢٢).

(٢) «الإصابة» (٤/ ٣٧٣).

(٣) (تتمة): وههنا مسألة تطرأ، وهي: ما حكم تصليح الأسنان وتلبيسه بالذهب، مع وجود موادَّ أخرى اليوم كـ (البورسلان) مثلاً، هل يبقى الحكم بالجواز أيضًا؟
فأقول ـ وبالله تعالى مستعينًا ـ: أمّا مَن منع أصلاً مِن استخدام الذهب فيما ذُكِر، فلا يَرِد كلامُه هنا؛ لأنه مَنَع مِن الذهب مطلقًا، فلَأن يَمنع مع وجود ما ذُكِر هو مِن باب أولى، ولكن الكلام فيمَن أجاز التصليح بالذهب، والذي يدل عليه كلامُهم هو الجواز ـ أيضًا ـ ولو مع وجود ما ذُكِر، فقد صَرَّح أكثرُهم بجواز اتخاذ الذهب مع وجود الفضة؛ لتميز الذهب بعدم الصدإ، فمقتضى وجود هذه الميزة في الذهب مع قوَّته وتحمُّلِه، أنه جائزٌ ولو مع وجود غيرِه كـ (البورسلان)، ونحوه، قال النووي ـ رحمه الله تعالى في «روضة الطالبين» (٢/ ٢٦٢): «يجوز لمَن قُطِع أنفُه اتِّخاذُ أنفٍ مِن ذهبٍ وإن تمكَّن مِن اتِّخاذه فضةً». قال: «وفي معنى الأنف: السن والأنملة...» اهـ. وانظر ـ أيضًا ـ: «مغني المحتاج» (٣٩٢)، وقال فيه: «والحكمة في =

. . . .

= الذهب: أنه لا يَصدأ إذا كان خالصًا، بخلاف الفضة» اهـ. وعلى هذا نَصَّ الحنابلة أيضًا، كما في «المبدع في شرح المقنع» لابن مفلح (٢/ ٣٧٤). وهو ظاهر كلام المالكية حيث أطلقوا القول بالجواز، كما في «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ٦٣).

والذي وقفت عليه من كلام المعاصرين في ذلك: أنهم أجازوا الذهب للضرورة، وظاهر كلامهم أنَّ كونه أقوى وأفضل كافٍ للجواز، ومِن أصرح ما وقفت عليه في هذا: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء بالسعودية، برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وعضوية كلٍّ مِن: الشيخ عبد الله بن قعود، والشيخ عبد الله بن غديان، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، رحمهم الله تعالى جميعًا، وهذا نص السؤال مع الفتوى: «س: لَدَيَّ بعض الأسنان تالفة، وقد أردت تركيبها من (مرمر)، ونصحني الطبيب بتركيبها من ذهب؛ لأن تركيبها من غير الذهب يسبب أضرارًا فيما بعد حسب كلام الطبيب، وأنا أسمع من الناس كثيرًا بأن الذهب لا يجوز تركيبه، لذا فإنني أرفع هذا الموضوع لله ثم لكم؛ لإعطائي الصحيح عن هذا الموضوع، وهل الإنسان إذا توفي وبه أسنان ذهب تدفن معه في القبر؟ أفيدونا وفقكم الله لما فيه الخير آمين.

ج: إذا كان الطبيب ماهرًا في طب الأسنان، ورأى أن الأصلح لك تركيب السن من الذهب دون غيره ـ جاز لك، وإلا فلا، وإذا مات انتزعت منه، محافظة على المال، واجتنابًا لما نهى النبي ﷺ من إضاعته، إلا إذا أضر نزعه بجسمه أو شق، فتدفن معه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمَّد وآله وصحبه وسلم. فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤/ ٧٥) ـ الفتوى رقم (١٦٢٠٥). وفي فتوى أخرى لهذه اللجنة، برئاسة الشيخ ابن باز ـ أيضًا ـ رحمه الله، وعضوية كلٍّ مِن: الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد الله بن غديان رحمه الله، =

وفي هذا كفاية إن شاء الله تعالى لمن كان له عقل سليم، وفهم مستقيم؛ فإن القرائح قد جمدت فلا تجد من يُفهِم ولا من يَفهَم، ولا من يُعَلِّمُ ولا من يتعلم، وإلى الله ترجع الأمور.

تمَّت الرسالة في (رمضان سنة ١٣٥٠)، وتم تبييضها ونسخ هذه النسخةِ منها في أول أيام التشريق (سنة ١٣٥٥)، واللهَ نسأل فرجًا قريبًا بمَنِّه وكرمه.

وكتبه

مُحَمَّد الخَانجي

عفا الله عنه وعن والديه[1]

= والشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله، جاء فيها: «لا بأس على الرجل بتلبيس السن المصاب بالذهب، إذا كان هذا للحاجة لا للزينة؛ لأن الذهب له خاصيَّةٌ، وهو أنه لا يصدأ مع طول البقاء، وقد رخص النبي ﷺ لأحد الصحابة لما قُطِع أنفُه أن يتخذ أنفًا من الذهب، وكان بعض السلف يربطون أسنانهم بالذهب، فدل ذلك على الجواز للحاجة، فما فعلتَه من باب الحاجة لا بأس به إن شاء الله، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم» اهـ.

(١) **قيد القراءة والسماع بالمسجد الحرام:**
قال أخونا وحبيبنا المكرَّم عبد الله التوم ـ حفظه الله ورعاه ـ:
«الحمد لله وحده.
بلَغ مقابلةً لهذه الرسالة «بغية الطلب في تصليح الأسنان بالذهب» للخانجي، بقراءة محقِّقها الشيخ الفاضل عبد الرؤوف الكمالي والأصل المخطوط بيد صاحب الخط، وحضر القراءة المشايخ الفضلاء: محمد بن ناصر العجمي، وعبد الله بن عبد الحميد، وزيد الإسلام البريطاني، وداود الحرازي، =

. . . .

❑❑❑

= والمنذر بن محمد بن ناصر السحيباني، وابنه يعلى، والأستاذ محمد بن سالم الظفيري، والأستاذ حين بن حمود الشمري، وعماد الجيزي، وعبد الرحمن الفقيه، ونور الدين طالب، والأخيران بفوت.

وكتب الفقير إلى عفو ربه: عبد الله بن أحمد التوم، تجاه الكعبة المعظَّمة، ليلة السبت ٢٥/ ٩/ ١٤٣١هـ» اهـ.

هذا، وكان حق هذه الرسالة أن تكون في المجموعة الثالثة عشر من اللقاء ولكن لأسباب عدة جُعلت في هذه المجموعة.

خلاصة رسالة المؤلف
رحمه الله تعالى

ـ بحث المؤلِّف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه الرسالة مسألةً معاصرةً يحتاج إليها كثيرٌ من الناس، وهي مسألة تصليح الأسنان وتلبيسها بالذهب، وسَدِّ ما عليها من الثَّقْبِ بمادةٍ جامدةٍ تمنع وصول الرطوبات إلى ما تحتها، وتحفظ السِّن من التآكل.

ـ بيَّن المؤلف بأن هناك قولين في المسألة: المنع والجواز، وأن المانعين كانت لهم شبهتان في المنع:

الأولى: منعه من وصول الماء إلى السن إذا كان جنباً، فلا تتم الطهارة.

والثانية: أنَّ فيه التزينَ بالذهب، وذلك لا يجوز للرجال.

ولهذا قسَم المؤلف الرسالة إلى قسمين تتعلقان بالشبهتين، وذكر في كل بابٍ عدةَ فصول.

ـ ذكر في الباب الأول: اختلاف العلماء في وجوب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل، وأدلتهم في ذلك. وذكر في فصلٍ ـ يلي ذلك ـ أنَّ كثيرًا من أهل الحديث يختارون وجوب الاستنشاق والمضمضة في الوضوء والغسل. ولكنه عقد فصلاً بعده حقَّق فيه: أنه لا مانع من عدم وصول الماء إلى بعض أجزاء الفم كالسِّنِّ؛ لأنَّ الاستيعابَ غيرُ مشترط في أصل المضمضة. ثم ذكر في فصلٍ آخَر أنه يمكن أن يُخَرَّجَ جوازُ تصليح الأسنان التصليحَ المعروف في هذه

الأزمان، ويكونَ موافقًا لمذهب الحنفية ـ الذين يرون أنَّ المضمضة غسل جميع الفم ـ على وجهين:

(**الأوَّل**): أن يُلْحَقَ ما صُلِّحَ به السِّنُّ بأصل السِّن؛ فإن الزيادة لا يمكن فصلُها عن الأصل إلا بعد تعبٍ شديد، بخلاف ما دخل في السن من الأكل.

(**الثَّاني**): أن يُبنى هذا على الضرورة، ويقاسَ على المسح على الجبيرة وقد أباحه الشرع.

ـ فصَّل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في الباب الثاني من الرسالة، في أنَّ الشرع قد أباح في مثل هذه الحالة استعمالَ الذهب، وأورد أدلةَ الإباحة، وأشهرها:

حديث عرفجةَ بنِ أسعد: أنه قُطِع أنفُه يومَ الكُلَاب، فاتخذ أنفًا من ورِقٍ، فأنتن عليه، فأمره النبي ﷺ فاتخذ أنفًا من ذهب» (رواه أبو داود والترمذي والنسائي).

ـ ذَكَرَ مذاهب العلماء في شَدِّ الأسنان بالذهب في فصلٍ مستقل، وبَيَّن أنَّ الجواز هو قول محمَّد بن الحسن والمالكية والشافعية، وأما المنع فهو قول أبي حنيفة، وعن أبي يوسف قولان.

ثم عقد فصلاً ذكر فيه مَن شد أسنانه بالذهب من السلف.

وذَكَرَ فصلاً بعد ذلك بيَّن فيه بأنه قد رُوِيَ عن النبي ﷺ الرخصةُ في اتخاذ السن من ذهب، كما رُوِيَ ذلك في الأنف.

ـ ختم المؤلف ـ رحمه الله ـ الرسالة بفصلٍ بيَّن فيه أنَّ النبي ﷺ أجاز الأنف من الذهب للضرورة؛ لأنه لا ينتن، فأما إن كان لمجرد الزينة والتحلي فلا يجوز.

❑❑❑

فهرس مراجع المقدمة والتحقيق

١ ـ **إجازتان لمحدث حلب الشهباء**: العلامة الشيخ محمَّد راغب الطباخ الحلبي ـ (ومنها: إجازته للشيخ محمَّد الخانجي) ـ طُبِعت ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام ـ المجلد الثاني عشر ـ (١٤٨) ـ بعناية محمَّد بن إبراهيم الحسين.

٢ ـ **الأخبار التاريخية في السيرة الزكية**: زكي محمَّد مجاهد ـ دار الطباعة المحمَّدية بالقاهرة.

٣ ـ **اختلاف العلماء**: الإمام أبو عبد الله محمَّد بن نصر المروزي ـ حقَّقه: السيد صبحي السامرائي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمَّد الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (ت٨٥٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥ ـ **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية**: زكي محمَّد مجاهد ـ دار الغرب الإسلامي.

٦ ـ **الأم**: الإمام محمَّد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ) ـ أشرف على طبعه وباشر تصحيحه: محمَّد زهري النجار، دار المعرفة، ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٧ ـ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل**: شيخ الإسلام العلامة الفقيه المحقق علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المَرْداوي (ت٨٨٥هـ) ـ صححه وحققه: محمَّد حامد الفقي ـ مطبعة السنة المحمَّدية ـ ط١ ـ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

٨ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**: العلامة الفقيه علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني (ت٥٨٧هـ)، قدم له وخرج أحاديثه: الأستاذ أحمد مختار عثمان ـ الناشر زكريا علي يوسف ـ مصر.

٩ ـ **البداية والنهاية**: أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ـ تحقيق مجموعة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠ ـ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: العلامة محمَّد بن علي ابن محمَّد الشوكاني (ت١٢٥٥هـ) ـ دار المعرفة ـ بيروت.

١١ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ـ تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ لبنان ـ صيدا.

١٢ ـ **البيان**: أبو الخير ـ أو أبو الحسين يحيى بن سالم العمراني (ت٥٥٨هـ) ـ باعتناء قاسم محمَّد النوري ـ دار المنهاج ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٣ ـ **بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام**: الحافظ أبو الحسن علي بن محمَّد بن عبد الملك ابن القطان الفاسي (ت٦٢٨هـ) ـ تحقيق: د. الحسين آيت سعيد ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٤ ـ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

١٥ ـ **تاريخ الثقات**: الحافظ أحمد بن عبد الله العِجْلي (ت٢٦١هـ) ـ بترتيب الهيثمي ـ تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٦ ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**: الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ـ تحقيق: محمَّد علي النجار ـ مراجعة: علي محمَّد البجاوي ـ المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٧ ـ **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**: فخر الدين، عثمان بن علي الزيلعي، (ت٧٤٣هـ) ـ دار الكتاب الإسلامي ـ ط٢.

١٨ ـ **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**: الإمام الحافظ أبو العلى محمَّد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، تصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٩ ـ **تقريب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق: محمَّد عوامة ـ دار الرشيد ـ سوريا ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠ ـ **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: ابن حجر العسقلاني ـ تصحيح وتعليق السيد: عبد الله هاشم اليماني المدني ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٢١ ـ **تهذيب الأسماء واللغات**: الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرِي النووي (ت٦٧٦هـ) ـ تحقيق: عبده علي كوشك ـ دار الفيحاء ودار المنهل بدمشق ـ ط١ ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٢٢ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: الحافظ المتقن جمال الدين أبو الحجاج يوسف المِزِّي (ت٧٤٢هـ) ـ تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٣ ـ **جامع الترمذي**: أبو عيسى محمَّد بن عيسى بن سَوْرة (ت٢٧٩هـ) ـ ط أحمد شاكر ـ دار الكتب العلمية.

٢٤ ـ **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ**: الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ـ مطبوع مع «فتح الباري» ـ تحقيق: العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.

٢٥ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: أبو محمَّد، محيي الدين الحنفي، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ـ (ت٧٧٥هـ) ـ الناشر: مير محمَّد كتب خانة ـ كراتشي.

٢٦ ـ **الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بُوسنة**: تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمَّد الحلو ـ دار هجر بمصر ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
وكذلك بتحقيق سيد بن كسروي بن حسن ـ دار الكتب العلمية ببيروت ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٧ ـ **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير**: العلامة الشيخ شمس الدين محمَّد عرفة الدسوقي (ت١٢٣٠هـ)، دار الفكر.

٢٨ ـ **حاشية العدوي على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد القيرواني**: العلامة الشيخ علي الصعيدي العدوي (ت١١٨٩هـ) ـ دار الفكر.

٢٩ ـ **الحاوي الكبير**: أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن حبيب البصري، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ) ـ تحقيق: الشيخ علي محمَّد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٠ ـ **الحاوي للرسائل والإجازات والمهمّات والفتاوي (مخطوط)**: لمؤلف هذه الرسالة نفسه ـ الشيخ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الخانجي البوسنوي (ت١٣٦٥هـ) ـ المخطوط في مجموع (٦٩٦٩)/ غازي خُسروبك»، في (سراييفو).

٣١ ـ **دائرة المعارف**: بطرس البستاني ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٣٢ ـ **الدر المختار شرح تنوير الأبصار**: علاء الدين محمَّد بن علي بن محمَّد الحَصْكَفي (ت١٠٨٨هـ) ـ (مطبوع مع حاشية ابن عابدين).

٣٣ ـ **الرَّوْض المُرْبع بشرح زاد المستقنِع ـ «الروض»**: للشيخ منصور بن يونس البَهُوتي (ت١٠٥١هـ)، و«الزاد»: للشيخ موسى بن أحمد الحجاوي

(ت٩٦٨هـ) ـ (مطبوع مع حاشية الشيخ عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم) ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ.

٣٤ ـ **سنن ابن ماجه**: الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر.

٣٥ ـ **سنن أبي داود**: الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) ـ مراجعة وضبط وتعليق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الفكر.

٣٦ ـ **سنن الدارقطني**: مطبوع مع «التعليق المغني» ـ حديث أكادمي ـ باكستان.

٣٧ ـ **سنن النسائي**: الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ) ـ اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه: عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله (ت١٤١٧هـ) ـ الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٨ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٣٩ ـ **شرح مشكل الآثار**: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمَّد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي (ت٣٢١هـ) ـ حققه: شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٠ ـ **شرح معاني الآثار**: حققه وعلق عليه: محمَّد سيد جاد الحق ـ الناشر مطبعة الأنوار المحمَّدية ـ القاهرة ـ ١٣٨٦هـ.

٤١ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) ـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٤٢ ـ **طبقات الشافعية**: أبو بكر بن هداية الله الحسيني (ت١٠١٤هـ).

٤٣ ـ **الطبقات الكبرى**: أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع، المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ تحقيق: إحسان عباس ـ ط١ ـ ١٩٦٨م.

٤٤ ـ **العقد الفريد**: أبو عمر أحمد بن محمَّد ابن عبدِ ربِّه الأندلسي (ت٣٢٨هـ) ـ تحقيق مجموعة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤٥ ـ **غريب الحديث**: أبو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَري (ت٢٧٦هـ) ـ تحقيق: د. عبد الله الجبوري ـ مطبعة العاني ـ بغداد ـ ط١ ـ ١٣٩٧هـ.

٤٦ ـ **الفائق في غريب الحديث**: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمَّد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ـ تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمَّد البجاوي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط٢.

٤٧ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة**: المجموعة الأولى ـ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ـ جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش ـ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ـ الإدارة العامة للطبع ـ الرياض.

٤٨ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ تصحيح: الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله ـ نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالسعودية.

٤٩ ـ **فتح القدير**: الإمام كمال الدين محمَّد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري، المعروف بابن الهُمَام الحنفي (ت٨٦١هـ)، (على «الهداية شرح بداية المبتدي»، للمَرْغِنياني) ـ ط١ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م ـ مصطفى البابي الحلبي.

٥٠ ـ **القاموس المحيط**: العلامة اللغوي مجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت.

٥١ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: العالم مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي (ت١٠٦٧هـ) ـ دار العلوم الحديثة، بيروت.

٥٢ ـ **لسان العرب**: العلامة أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) ـ دار صادر ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٣ ـ **لسان الميزان**: ابن حجر العسقلاني ـ اعتنى به: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٤ ـ **المبدع في شرح المقنع**: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن مفلح (ت٨٨٤) ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ بيروت.

٥٥ ـ **المجموع شرح المهذب**: النووي ـ تحقيق محمَّد نجيب المطيعي ـ مكتبة الإرشاد ـ جدّة.

٥٦ ـ **مجموع مخطوط** بخط مؤلف هذه الرسالة الشيخ محمَّد الخانجي في مكتبة (غازي خُسروبك) بـ (سراييفو) ـ رقم (٦٩٦٩).

٥٧ ـ **المحلى**: الإمام أبو محمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦هـ) ـ دار الفكر.

٥٨ ـ **مختصر خليل**: الشيخ ضياء الدين خليل بن إسحاق الجُندي المالكي (ت٧٧٦هـ) ـ مصطفى البابي الحلبي ـ ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٢م.

٥٩ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ـ ط مؤسسة الرسالة ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط ومجموعة ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٦٠ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: أحمد بن محمَّد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) ـ دار الفكر.

٦١ ـ **المعتصر من المختصر من مشكل الآثار**: القاضي جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن موسى بن محمَّد الحنفي، المعروف بالجمال الملطي (ت٨٠٣هـ) ـ لخّصه مِن مختصر القاضي أبي الوليد الباجي المالكي لـ «مشكل الآثار» للطحاوي ـ عالم الكتب ببيروت.

٦٢ ـ **معجم الصحابة**: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي (ت٣٥١هـ) ـ مكتبة الغرباء ـ تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٦٣ ـ **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٤ ـ **المغني**: موفق الدين أبو محمَّد عبد الله بن أحمد ابن قدامة (ت٦٢٠هـ) ـ تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمَّد الحلو ـ هجر للطباعة والنشر ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٥ ـ **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**: شمس الدين الشيخ محمَّد بن محمَّد الشربيني الخطيب (ت٩٧٧هـ) ـ مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.

٦٦ ـ **المهذب**: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي (ت٤٧٦هـ) ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

٦٧ ـ **مواهب الجليل لشرح مختصر خليل**: أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب (ت٩٥٤هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٦٨ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: الذهبي ـ تحقيق: علي محمَّد البجاوي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٦٩ ـ **نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار ـ (وهو تكملة «فتح القدير» لابن الهُمام)**: شمس الدين أحمد بن قودر المعروف بقاضي زاده أفندي ـ مصطفى البابي الحلبي ـ ط١ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٧٠ ـ **نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية**: الشيخ عبد الحي الكتاني ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧١ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمَّد بن محمَّد ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) ـ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمَّد الطناحي ـ دار الفكر ـ بيروت.

٧٢ ـ **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**: شمس الدين أبو العباس أحمد بن حمزة الرملي، الشهير بالشافعي الصغير (ت١٠٠٤هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٧٣ ـ **نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**: العلامة محمَّد بن علي ابن محمَّد الشوكاني (ت١٢٥٥هـ) [«المنتقى»: للإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحراني (ت٦٥٢هـ)] ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٤ ـ **الهداية شرح بداية المبتدي**: شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المَرْغيناني (ت٥٩٣هـ) (مطبوع مع فتح القدير) ـ مصطفى البابي الحلبي ـ ط١ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٧٥ ـ **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ) ـ تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٧٦ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ) ـ حققه: الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت.



فهرس مواضيع المقدمة والرسالة

الموضوع | **الصفحة**

الباب الأوَّل: في البحث عن الشبهة الأولى

الباب الثاني: في البحث عن الشبهة الثانية

❑❑❑



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨٣)

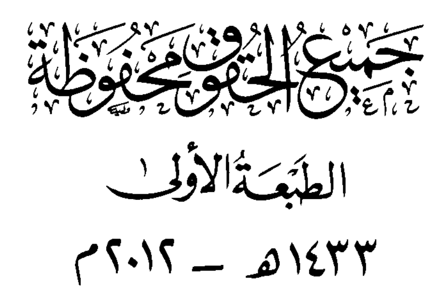
فتح الرحيم الصمد
بحكم
صحبة النساء والأمرد

تأليف
أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي
المتوفى سنة (١١٩٧ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فهذه رسالة لطيفة عنوانها:

«فَتْحُ الرَّحِيمِ الصَّمَدِ، بِحُكْمِ صُحْبَةِ النِّسَاءِ وَالْأَمْرَدِ»

تأليف الشيخ المكْثِر من التأليف: أحمد بن أحمد السُّجاعي (ت١١٩٧هـ) رحمه الله تعالى.

وهي تعليقات على منظومة له.

قمتُ بتحقيقها والتعليق عليها وتخريج أحاديثها لمسيس الحاجة إليها، لا سيِّما في زمننا هذا.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يغفر لناظمها وشارحها وناسخها ومحققها وناشرها، إنه سميع قريب مجيب.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

١٠/ ١١/ ١٤٣٢هـ

ترجَمَة المؤلِّف[1]

هو أحمد بن أحمد بن محمد السُّجاعي البدراوي الشافعي الأزهري.

عالِمٌ مشارك في كثير من العلوم.

وُلِد بالسُّجاعية (بضم السين المهملة وفتح الجيم بعدها ألفٌ فَعَيْنٌ مهملة مكسورة فتحتية مشدَّدة فهاء تأنيث)[2].

توفي بالقاهرة في شهر صفر من العام (١١٩٧هـ).

*** مصنَّفاته:**

هي ـ كما ذكرتُ ـ كثيرة، ومنها:

١ ـ الدُّرَر في إعراب أوائل السُّوَر.

٢ ـ فتح المنّان في بيان مشاهير الرُّسل في القرآن[3].

---

(١) ترجمته في: عجائب الآثار للجبرتي (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١ ط. دار الجيل)، وهدية العارفين (١/ ١٧٩ـ ١٨٠)، والأعلام (١/ ٩٣)، ومعجم المؤلفين (١/ ١٥٤)، والخطط التوفيقية لعلي مبارك (١٢/ ٩ ـ ١٢). ولتلميذه علي بن سعد البسيوسي رسالة في ترجمته كما في الخطط.

(٢) وبهذا ضبطها علي باشا مبارك في الخطط (١٢/ ٩).

(٣) حقَّقته ونُشِر ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام. دار البشائر الإسلامية (رسالة رقم ١٢٨).

٣ ـ حاشية على شرح الخطيب على من أبي شجاع.

٤ ـ شرح لاميّة السَّمَوْأل.

٥ ـ حاشية على شرح قطر النّدى لابن هشام.

٦ ـ حاشية على شرح المناوي على الشمائل.

٧ ـ فتح المنّان بشرح ما يُذَكَّر ويُؤَنَّثْ مِن أعضاء الإنسان[١].

٨ ـ شرح نظم في أشراط السّاعة للأخنائي.

❑❑❑

---

(١) أعمل على تحقيقه، يسَّر الله إتمامه ونشره.

النسخة الخطية التي تمّ الاعتماد عليها

اعتمدتُ على نسخة خَطِّية:

ـ خطها نسخ واضح ومقروء.

ـ تقع في (٥) ورقات، والأسطر (٢٥).

ـ في أولها أُثبتت المنظومة، وما قيل في الثناء عليها، ثم بعض الفوائد، ورمزها [أ].

ـ وعلى أخرى تتضمّن المنظومة فقط في (٣) ورقات.

وفي صفحة العنوان بعض الفوائد والأبيات أثبتُّها، ورمزها [ب].

*** شكر وتقدير:**

أشكر أخي الحبيب الفاضل: أبو مالك، محمد كُلَّاب من فلسطين الحبيبة، على تفضله بصور للنسختين فجزاه الله خيراً.

❑ ❑ ❑

فتح الرحيم الصمد
بحكم صحبة النسا
والأمرد للفاضل أحمد
ابن أحمد السجاعي
الأزهري لطف الله
به آمين

للفاضل الشيخ عبد الكبير المغربي التونسي مورخا هذه المنظومة

لك منظومة رجزية ... جلت عقود الدر عقد نظامها
مشنوفة أمست تشوا بابها ... مذ أرشفتني من عتيق مدامها
حسنا ذات محاسن فلأجل ذا ... ببراعة فاقت وحسن ختامها
إنشا حبر فاضل ذي همة ... رفعت من العليا فوق سنامها
لو لم تكن راقت لنا ورد الما ... قد قلت أرخ راق عذب كلامها

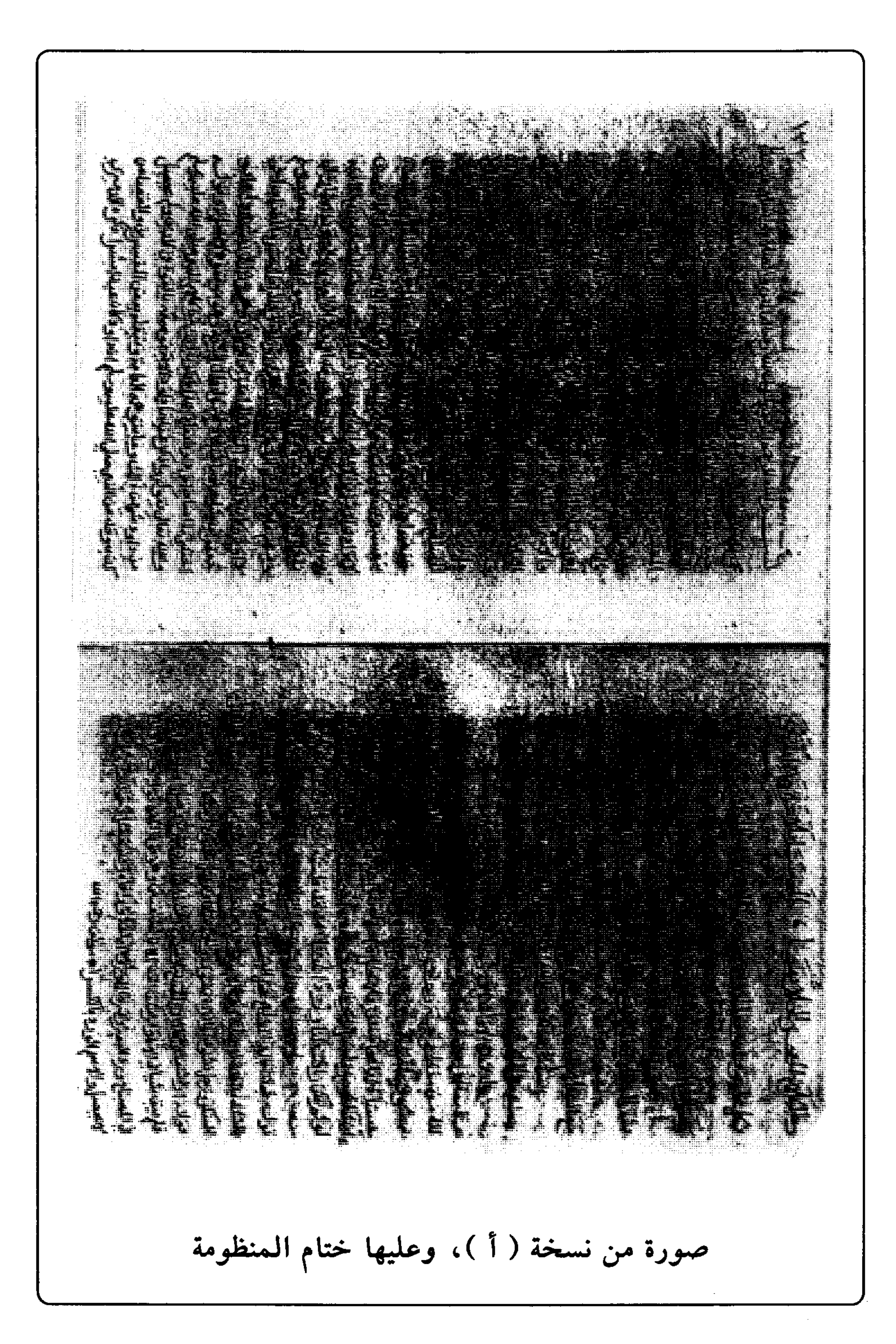
١١٧٠

فائدة

قال الفارضي في شرحه على الألفية وقالوا في جمل أجمل ثم أجمال ثم جامل ثم جمال ثم جماله ثم جمالات قال الجلال السيوطي في كتابه المزهر فهو جمع جمع جمع جمع جمع الجمع وعن يعقوب أنه قرأ جمالات بضم الجيم وبعضهم ذكر جمايل وجملان انتهى بحروفه

ما أحسن محبوبي وما أجمله
ما أعدل قده وما أحمله
لا يسمح بالوصال إلا غلطا
في النادر والنادر لا حكم له

صورة غلاف المنظومة، النسخة (ب)

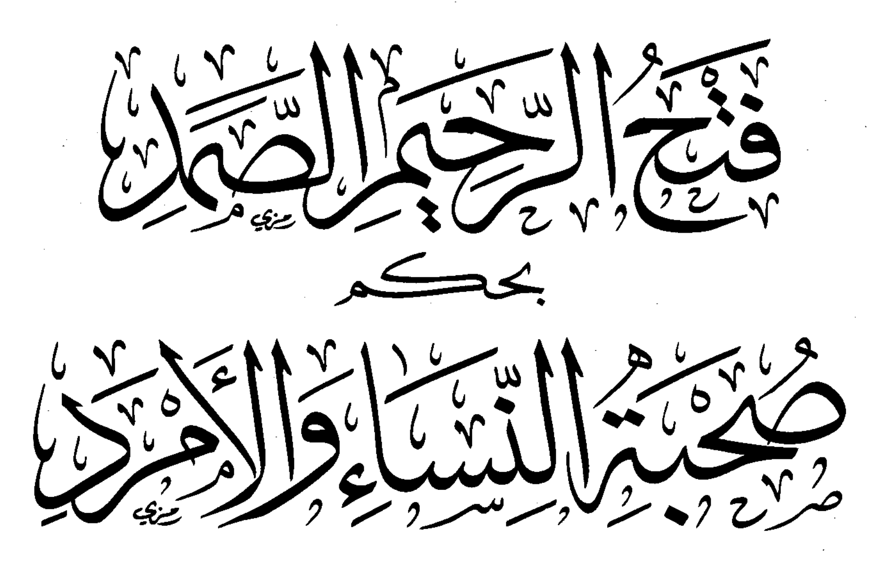


صورة من نسخة (أ)، وعليها ختام المنظومة

صورة الصفحة الأخيرة من التعليقات (النسخة أ)



لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٨٣)



تأليف

أَحْمَد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد السِّجَاعِيّ
المتوفى سنة (١١٩٧ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق

راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي



نصّ المنظومة

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـقُـولُ راجـي ربِّـه وَداعـي — أَحمدُ نجلُ الفاضل السُّجاعي

لـربِّـنـا حَـمـدٌ مَـع الـصَّـلاةِ — لـلـمُـصْـطـفـى وآلِـه الـثِّـقـاتِ

وصَـحْـبِـه كَـذا الـسَّـلامُ دائـمـا — عـلـيْـهـمُ ومَـنْ لَـهُـم قـد انْـتـمىٰ

وبَعْدُ فالمقصودُ نظمُ بعضِ ما — في صُحبةِ الأولاد جَاء فافْهَما

سَمّيْتُها فتحَ الرّحيم الصَّمَدِ — بحكم صُحبة النِّسا والأمْردِ

إعـلَـمْ هَـدَاكَ اللهُ ربِّـي أنَّـهـا — خسِّيسةٌ قَدْ ذمَّها أولو النُّهى

وَقَـدْ أتـىٰ أمْـرٌ بِـغَـضٍّ لـلـبَـصَـرْ — في النُّورِ[1] حقّاً يا فتىٰ قد اشتَهَرْ

فَـحِـفْـظُـهُ فَـرضٌ وأنَّ الـنَّـظَـرا — سَـهْـمٌ من إبليس رَوَوْهُ خَبَرا[2]

وَقَـد أتـىٰ قـومٌ إلـى الـعَـدْنـانِ — وَمَـعَـهـم فـتًـى مـن الـحِـسَـانِ

فَـقَـال طَـه[3] خَـلْـفـي اجْـعَـلُـوهُ — لِـيَـعْـلَـمُـوا الأمْـرَ فَـيَـتَّـقُـوهُ

---

(١) أي في سورة النور، الآية رقم ٣٠.

(٢) إشارة إلى ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ١٩٥)، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً: **«النظر سهمٌ مسموم من سهام إبليس...»**.
وفي إسناده عبد الرحمن الواسطي، ضعيف، وانظر: السلسلة الضعيفة رقم (١٠٦٥).

(٣) لم يثبت أنَّ (طه) من أسماء النبي ﷺ.

وَجاَء عن عِيسى عَلَيه سَلَّما | إلَهُنَا مُصَلِّياً وكَرَّمَا
إيّاكُمُ ونَظْرةً فإنّها | تَبُثُّ حَسْرةً بقلبٍ يَا لَها
وقِيلَ شَهْوةٌ ومبدأُ الزِّنا | تَمَتُّعٌ بِنَظْرةٍ فيها العَنَا
وَقَال بَعضُ الأنبياء لابنِهِ | وعْظاً له يا صاحبي فانْتَبِهِ
وَذَاكَ يا بُنَيَّ خَلْفَ الأسَدِ | كُنْ ماشياً لامْرأةٍ وأمْرَدِ
وَقَال بعضٌ في رِسَالةٍ إذا | أَرَاد مولانا هَوَاناً وأَذَا
بِعَبْدِهِ أَلْقاهُ للإنْتَانِ | يَعْني بذلك صُحْبةَ المُرْدانِ
وَقال بَعْضُهم صَحِبْتُ أَلْفَا | مِن الشُّيوخِ للهدي قَدْ أَلِفَا
جَميعُهُم عن صُحْبةِ المُرْدانِ | يَنْهىٰ فأتْقِنْ يا أخا العِرفانِ
وَحرَّمَ الحَبْرُ النَّواويُّ النَّظَرْ | لَهُمْ تَعمُّداً[1] وذاك مُعْتَبرْ
فكَيْفَ بالمَسِّ وبالمُصافَحهْ | فنسألُ الله لَنَا المُسَامَحهْ
وأجْمَعَتْ مَشَايخٌ عَلى الَّذي | قَدْ قَالَه فاحْفَظْه حقّاً تحتذي
إلَيْه قَدْ أتىٰ فَتىً مُخْتَبِرا | في خَلوةٍ له عَسَى الشيْخُ يرَى
لَمَّا رآهُ لَحْمُ وجْهِهِ سَقَطْ | حَقّاً وذا جزاؤُهُ بلا شَطَطْ
قَال القُشَيْري مَنْ بذاك ابتُلِي | فَذَاكَ عَبْدٌ قَدْ أهانَهُ العَلي
وعَنْ مَصالِحِ لِنَفْسِهِ شَغَلْ | وَلَوْ يكونُ بالكراماتِ احْتَفَلْ
هَذَا ومَنْ لِطَرْفِهِ قد أطْلَقَا | فَهَالِكٌ وسَالِكٌ طُرْقَ الشَّقَا
ويُفْسِدُ القُلُوبَ رأيٌ للنِّسَا | وخَلْوةٌ ثُمَّ اسْتِماعٌ أَسَّسَا

---

(١) قال في «الأذكار» بابٌ في مسائل تتفرّع على السلام:
بل النظر إليه بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبي، اهـ.

بـالـجِسْـمِ كُـلَّ شَـهْـوةٍ وَفِـتْـنَـةِ والـخِزْيَ في الـدّنْيا مع الـقيامـةِ

كَـذَا مُـجَـاراةٌ لأحْـمـقٍ وَذَرْ مَجَالِسَ الموتىٰ وخُذْ منها الحَذَرْ

أعْـني بـذا شَـخْصاً غِـنَاهُ أبْـطَرَهْ وجـائِـراً أفـعـالُـهُ مُـسْـتَـنْـكَـرهْ

وفـي وَصِـيّـةٍ يـقـولُ مُـصْـطـفـى أعْـنـي بـه الـبـكـريُّ حَـاز الـشَّـرَفَـا

ولـيـحْـذَرِ الـمُـريـدُ مـن جُـلُـوسِ مَـعْ أمْـرَدٍ إلّا لَـدَى الـدُّرُوسِ

مَـعَ غَـضِّـهِ لِـطَـرْفِـهِ مـا أمْـكَـنَـا كَـذا الـنِّـسـا فـكُـنْ لـهـذا مُـتْـقِـنَـا

واسْـتَـثْـنِ وعْـظَـهُـنَّ مَـعْ نـصيحـةِ فَـذَاكَ جـائـزٌ بـغـيـر مِـرْيَـةِ

ومَـنْ يَـكُـفَّ طَـرْفَـهُ عـن أمْـرَدِ وَمَـرْأةٍ يُـكْـفَـىٰ عـذابَ الـصَّـمـدِ

حَلَاوةَ الإيمانِ[1] في القَلْبِ يَجِدْ ومِـنْ هَـدِي مـولاه قَـطْـعاً يَـسْـتَـمِـدْ

واعْـلَـم بـأنَّ الـقَـوْمَ فـي ذا أَلَّـفُـوا رَسَـائـلاً[2] لـهـا الـقُـلُـوبُ تَـأْلَـفُ

---

(١) إشارة إلى ما ذكره ابن عدي (٥/ ١٨٠٠)، عن أبي أمامة، قال قال رسول الله ﷺ: «**من نظر إلى محاسن امرأةٍ فغضَّ طرفه في أول نظرة، رزقه الله عبادة يجد حلاوتها في قلبه**».
وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» بلفظ: «**ما مِن مسلم ينظر إلى...**»، وقال: رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: «**ينظر إلى امرأةٍ أوَّل رمْقةٍ**»، والبيهقي وقال: إنما أراد إنْ صحَّ ـ والله أعلم ـ أن يقع بصرُهُ عليها من غير قصدٍ فيصرف بصره عنها تورُّعاً، اهـ. وقال الهيثمي (مجمع الزوائد ٨/ ٦٣): رواه أحمد والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك، اهـ.

(٢) وقَفْت على بعض الرسائل في أحكام النظر عامة، وبعضها في حكم النظر إلى الأمرد، أو مصاحبة المردان (والأخيرة غالبها معاصرة) ومن ذلك: =

إنْ كُنْتَ تَبْغي أن تَرُوم المَقْصدا فانْظُرْ بها لكَ الإلهُ أيَّدا
وقُلْ إلَهي طَهِّرَنْ فُؤَادِيا مِن الهَوىٰ وبَلِّغَنْ مُرَادِيا
واحْفَظْهُ من نَفْسٍ وشَيْطانٍ حَسَدْ عُجْبٍ رِيآءٍ سُمْعةٍ مع النكدْ
كَذاكَ كُلُّ خَصْلةٍ ذَمِيْمهْ كالكِبْرِ مَعْ حِقْدٍ ومَعْ نميمهْ

= ١ ـ «أحكام النظر إلى المحرَّمات وما فيه من الخطر والآفات، والردّ على من استباح حِلَّه وادّعىٰ العصمة فيه من الفتنة»، للحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري (ت٥٣٠هـ). (ط).

٢ ـ «كتاب النظر في أحكام النظر بحاسَّة البصر»، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن القطَّان الفاسي (ت٦٢٨هـ). (ط).

٣ ـ مختصره، لأبي العباس أحمد القبَّاب الفاسي (ت٧٧٨هـ). (ط).

٤ ـ «عرائس الغُرر وغرائس الفِكَر في أحكام النظر»، لعلي بن عطية بن الحسن الهِيتي الحموي الشافعي (ت٩٣٦هـ). (ط).

٥ ـ «النظر وأحكامه في الفقه الإسلامي»، للدكتور عبد الله بن عبد المحسن الطريقي. (ط).

٦ ـ «أحكام العورة والنظر بدليل النص والنظر»، للدكتور مساعد الفالح. (ط).

٧ ـ «فقه النظر في الإسلام»، محمد أديب كلكل. (ط).

٨ ـ «القول الأحمد في حكم النظر إلى الأمرد»، للدكتور رياض بن محمد المسيميري. [على الشبكة العنكبوتية].

٩ ـ «تحذير أهل الإيمان من مصاحبة المردان»، تأليف: سعود بن ملّوح العنزي. (ط).

١٠ ـ أفردت إحدى دور النشر كلام العلّامة ابن القيم في الموضوع، وطُبع بعنوان: «حكم النظر إلى النساء». وفيه كلام عن النظر إلى الأمرد. وأظنه من كتابه «روضة المحبين». (ط).

وأدْخِلَنِّي يا كريمُ الجنّهْ وكُنْ إلهي حَافِظاً من جِنّهْ

بِرؤيةٍ لِوَجْهِكَ الكريمِ مَتِّعْ كَذا بخيْرِك العميمِ

ومَن يُحبُّني ومَنْ ألُوذُ بِهْ كَذا وكُلُّ مُسْلِمٍ ومُنْتَبِهْ

بالمصطفى شفيعِنَا مُحَمَّدِ رَسُولِكَ الهادي السِّراجِ المُرشِدِ

مَنْ اجْتَبَيْتَهُ وقَطْعاً قَدْ رَقَا فَوق الطِّباقِ فَضْلُهُ تُحَقِّقَا

أدَّبَهُ المَوْلى فأحْسَنَ الأَدَبْ(١) ولِلمُنَىٰ أعْطاهُ حَقّاً والأرَبْ

مُشَفَّعٌ طَه حَبِيْبٌ فَاضِلُ مَاحٍ ضلالاتٍ بِهَدْيٍ عَادِلُ

نَبِيءُ آخِرِ الزَّمَانِ المصطفى حَبَاهُ خَالِقي مقامَ الاصْطِفَا

والأنْبِيَا جَمِيعَهُمْ والأوْلِيَا وتَابِعاً ومَنْ لهم قَدْ وَلِيَا

وبالكَلَامِ المُعْجِزِ الخلائِقَا إلى سَمَا بَلاغةٍ قد ارْتَقى

بكل مَحْبُوبٍ وصَالِحٍ ومَنْ بالرُّشْدِ والفَلاحِ حَقّاً اقترنْ

وتَمَّ ما أرَدتُّهُ لِربِّنَا حَمْدٌ به يَزُولُ عَنٌّ وعَنَا

ثُمَّ الصَّلاةُ للنّبيِّ وآلِهِ وصَحْبِهِ الكِرامِ ثُمَّ حِزْبِهِ

مَعَ السَّلامِ دائِمَيْنِ أبَدَا ما قَامَ عَبْدٌ في الدُّجا وعَبَدَا

والله أعلم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله [وصحبه وسلَّم]

---

(١) إشارة إلى حديث: «أدّبني رَبِّي فأحسن تأديبي».

لبعض الأفاضل[1] مُؤرِّخاً هذه المنظومة

لله مـن مَـنْـظُـومـةٍ رَجَـزيّـةٍ	خَـجِلَتْ عُقُودُ الدُّرِّ عِنْدَ نِظَامِهَا
ممشوقةٍ أمْسَيْتُ نَشْواناً بـهـا	مُذْ أرْشَفَتْني من عَتيقِ مُدَامِهَا
حَسْناءَ ذاتِ مَحاسِنٍ فلأجل ذا	بِبَراعةٍ فاقَتْ وحُسْنِ ختامِهَا
إنْشاءُ حَبْرٍ فاضِلٍ ذي حقة	أضْحَتْ من العليا فوق سَنَامِها
لَوْ لم تَكُنْ راقَتْ لنا وِرْداً لَما	قَد قلتُ أرِّخْ رَاقَ عَذْبُ كَلامِها

سنة ١١٧٠

تمت بحمد الله

قوله: «خَجِلَتْ»:

قال في «المصباح»[2]: خجل الشخص خجلاً فهو خَجِلٌ، من باب تعب، وأخجلته أنا، وخجَّلته بالتشديد قلتُ له: خَجِلْتَ، وهو: الاستحياء.

قوله: «نشواناً»، أي: سكراناً:

قال في «المصباح»[3]: النشوة السُّكْر، ورَجُل نشوان وامرأة نشْوى، والجمع نشاوىٰ مثل سَكْرىٰ وسُكَارىٰ، وزناً ومعنىً.

قوله: «أرْشَفَتْني»:

قال في «المصباح»[4]: رَشَفَ رَشْفاً، من بابي ضَرَبَ وقَتَل،

---

(١) هكذا جاء في نسخة (أ) بعد المنظومة مع شرح غريبه. وفي نسخة (ب) على الغلاف، من غير شرح أنه للشيخ عبد الكبير المغربي التونسي.

(٢) المصباح المنير (خ ج ل) ص١٤٠.

(٣) المصباح المنير (ن ش ا) ص٤٩٦.

(٤) المصباح المنير (ر ش ف) ص١٨٩.

استقصىٰ في شُرْبه فلم يُبْقِ شيئاً في الإناء، والرَّشْفُ: أخْذ الماء بالشفتين، وهو فوق المصّ.

قوله: «وِرْداً»:

قال في «المصباح»[1]: وَرَدَ البعيرُ وغيرُهُ الماءَ [يَردُه][2] وُرُوداً: بَلَغه وَوَافاهُ، وقد يحصل دخولٌ فيه وقد لا يحصل. والاسم: الوِرْد بالكسر، اهـ. مؤلِّف، رحمه الله.

فائدة[3]

قال الفارضي في شرحه على الألفية:

وقالوا في جَمَل: أجْمُل ثم أجْمَال ثم جامل ثم جمال ثم جمالة ثم جمالات.

قال الجلال السيوطي في كتابه «المزهر»[4]:

فهو جَمْعُ جَمعِ جمعِ جمعِ الجمع.

وعن يعقوب أنه قرأ ﴿جِمَلَتٌ﴾ [المرسلات: ٣٣] بضم الجيم.

وبعضهم ذَكَر: جمايل وجُمْلان. انتهى بحروفه.

❏❏❏

---

(١) المصباح المنير (وَ رَ دَ) ص٥٣٧.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) مرقومة على غلاف النسخة الخطية (أ).

(٤) ٢/ ٨٩.



التعليقات على المنظومة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد، سيِّد المرسلين، وعلى آله[1] وصحبه أجمعين، وبعدُ[2]:

فهذه حواشٍ[3] وتقييداتٍ جُرِّدَتْ من تعليق العلَّامة[4] الفاضل

---

(١) في معنى الآل واشتقاقه، والمراد بـ«آل النبي ﷺ» انظر: «جِلاء الأفهام» لابن قيِّم الجوزية (ص٣١٦) وما بعدها، ولمحمد موسى البازي كتاب «النهج السهل إلى مباحث الآل والأهل» وهو كتابٌ قيِّم استوفى فيه الأقوال بأدلتها. والله يتولانا وإياك برعايته.
فائدة: ذكر ابن خالويه في شرح مقصورة ابن دُريد (ص٢١٣) أنَّ للآل خمسة وعشرين وجْهاً، وأنه أفرد لها كتاباً خاصاً اسم (كتاب الآل) وقد ذكره ياقوت في «معجم الأدباء» (٩/ ٣٠٤).

(٢) انظر رسالة: نتيجة أفكار ذوي المجد في أبحاث (وبعد)، لمحمد الزهار العزيزي. وقد انتهيتُ من تحقيق رسالة «إحراز السَّعد بإنجاز الوعد» للجوهري، وتصدر بعون الله تعالى عن مكتبة نظام يعقوبي الخاصة ـ البحرين ـ، ودار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ.

(٣) جمع حاشية. وَحشَّىٰ الكتاب: جعل له حاشية، والمراد: ما عُلِّق على الكتاب من زياداتٍ وإيضاح. واللفظة مُوَلَّدة [المعجم الوسيط ١/ ١٧٧].

(٤) أصلها: العَلَّام: من عَلِم للمبالغة، وزيدت التاء لتأكيد المبالغة، تقول: فلانٌ علَّامة. [المعجم الوسيط ١/ ٦٢٤].

الشيخ أحمد، نجل[1] السُّجاعي[2]، على منظومته المسماة بـ«فتح الرحيم الصَّمَد بحكم صُحبة النساء والأمرد».

(قوله: رَبّه):

قال في «المصباح»[3]: وقد استُعْمِلَ ـ أي الرب ـ بمعنى السيِّد مضافاً إلى العاقل، ومنه قوله عليه [الصلاة] والسلام[4]: «**حتى[5] تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَهَا**»[6] [7].

---

(١) النَّجْل: بفتح النون وسكون الجيم المعجمة، بمعنى النسل وبمعنى الولد.
والنَّجْل: الوالد أيضاً، ضِدٌّ. (اللسان: نَجَل).
ويقال: هو كريم النَّجل: طيِّب الأصل والطبع، والجمع: أنْجال. [المعجم الوسيط ٢/ ٩٠٤].

(٢) بضم السين المهملة وفتح الجيم، بعدها أَلِفٌ فعَيْنٌ مُهملة مكسورة فتحتية مُشدَّدةٌ. (الخِطط التوفيقية ١٢/ ٩) منسوبٌ إلى السُّجاعية وهي بلدة بمصر.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيُّومي (نحو عام ٧٧٠هـ).
وهو معجم لُغَوي يعتني فيه مؤلِّفه بما ورد من الألفاظ الغريبة والعبارات المُشْكلةِ التي وَقَعَتْ في كتاب الإمام الرافعي «فتح العزيز على كتاب الوجيز» جَمَعَهُ من نحو سبعين مُصنَّفاً (أي الأصل) ثم اختصره في «المصباح المنير».

(٤) في المصباح: ﷺ.

(٥) هكذا وَرد في النسخة الخطية.
والذي ورد بلفظ «أنْ تلِدَ. . .» وفي رواية: «**إذا ولَدَتْ الأمةُ رَبَّها**».

(٦) أخرجه البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب سؤال جبريل، ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.

(٧) لأهل العلم في معنى الحديث أقوال، **أشهرها** ما نقله النووي عن أكثر أهل العلم أن المراد: أن يتَّسع الإسلام ويكثر السبي ويستولد الناس أمهات =

ثم قال: وبعضهم يمنع أن يُقال: هذا ربُّ العبد، وأن يقول العبدُ: هذا ربِّي[1].

وقوله عليه [الصلاة و] السلام: «**حتى تلد الأمةُ ربَّتها**» حجة عليه، اهـ[2].

(قوله: انتمى): أي انتسب[3].

(قوله: الأولاد):

جمع وَلَد ـ بفتحتين[4] ـ، يُطلق على الذكر

= الأولاد، فتكون ابنة الرجل من أَمَته في معنى السيِّدة لأمِّها إذا كانت مملوكة لأبيها.

وتعقَّبه الحافظ ابن حجر وقال: لكن في كونه المراد نَظَر، لأن استيلاد الإماء كان موجوداً حين المقالة.. إلخ.

وذكر **النووي**: أن معناه أنه تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان، فيكثر ترددها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدري.

انظر: معالم السنن للخطابي (٥/ ٧١)، فتح الباري (١/ ١٢٢)، شرح مسلم للنووي (١/ ١٣٤)، الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة للعدوي (ص٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(١) ورد في صحيح مسلم (رقم ٢٢٤٩): «**أن النبي ﷺ نهى أن يقول العبد لسيِّده: رَبِّي**». وقد جمع النووي بين النهي الوارد وبين الحديث الذي ذكره المصنِّف، بأن النهي في الحديث للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم، أو أن المراد: النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة.

(٢) المصباح المنير (رَ بَ بَ) (ص١٧٩).

(٣) مختار الصحاح (ن م ى).

(٤) على المشهور. =

والأنثىٰ[1] والمثنَّىٰ والمجموع، كما في «المصباح»[2].

(قوله: وأمْرد):

قال في «المصباح»: مَرِدَ الغلامُ مَرَداً، إذا أبطأ إنبات[3] وجهه، وقيل: إذا لم تَنْبُت لحيتهُ، فهو أمردُ، انتهى[4].

(قوله: في النُّور):

مُتعلِّق بـ(أتىٰ)، أي أتىٰ في النُّور[5] أمْرٌ بغَضِّ البَصَر، وهو قوله

= أو بضمٍّ فسكون (وُلْد) على وزن (قُفْل) وهي لغة فيه، وقيْسٌ تجعل المضموم جَمْع المفتوح مثل: أُسْدٍ جَمعُ: أَسَدٍ. [المصباح المنير وَ لَ د].

(١) قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: الآية ١١].

(٢) المصباح المنير (وَ لَ دَ) (ص٥٥١).

(٣) في المصباح: نباتُ.

(٤) المصباح المنير (مَ رَ دَ) (ص٤٦٤).

(٥) أي في سورة النور.

مسألة: اختلف العلماء هل يُقال: سورة البقرة، وسورة آل عمران وسورة النساء... وهكذا.

فالجمهور على جواز ذلك، ويؤيِّده حديث ابن مسعود أنه قال: «**هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورة البقرة**».

وذهب جماعة إلى أنه لا يُقال ذلك، بل السورة التي يُذْكر فيها كذا. لحديث أنس مرفوعاً: «**لا تقولوا سورة البقرة، ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء، وكذلك القرآن كله، ولكن قولوا: السورة التي يُذكر فيها البقرة...**». أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في «شعب الإيمان». قال ابن كثير: لا يصح رفعه، وقال البيهقي: إنما يصح موقوفاً على ابن عمر.

انظر: التحبير في علم التفسير (ص٣٦٨)، والإتقان (٢/ ٣٤٧).

تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[1]، يكفّوها عن النظر إلى ما لا يحلّ.

قال في «المصباح»: غَضَّ الرَّجلُ صَوْته وطَرْفه، ومن صوته ومن طَرْفه، غَضّاً، من باب قَتَل: خَفَضَه، اهـ[2].

وبِهِ يُعلم أنَّ (مِنْ) في الآية ليْسَت زائدة؛ بل هي صلة[3] للفعل؛ لأنه يتعدَّىٰ بنفسه وبـ(مِنْ) كما علمت من كلام «المصباح»[4]، فلا حاجة إلى الاستشكال بأنَّ (مِنْ) لا تُزاد في الإثبات[5] إلا على رأي الأخفش[6].

---

(١) سورة النور: الآية ٣٠.

(٢) المصباح المنير (غ ض ض) (ص٣٦٥).

(٣) انظر: رمو الكنوز للرسعني (٥/ ٢٣٣).

(٤) كما في قوله: غَضَّ طَرْفَه، ومِنْ طَرْفِهِ.

(٥) مذهب سيبويه وجمهور البصريين أنَّ «مِنْ» لا تُزاد إلا بشرطين:
أ ـ أن يكون ما قبلها غير مُوجَبْ (يعني النفي أو النهي أو الاستفهام) وأجاز بعضهم زيادتها في الشرط.
ب ـ أن يكون مجرورها نكرة. [الجنى الداني للمرادي ص٣١٧ ـ ٣١٨].

(٦) سعيد بن مسعدة المجاشعي ـ بالولاء ـ البلخي ثم البصري (ت٢١٥هـ) نحوي، عالم باللغة والأدب.
من مصنفاته: معاني القرآن، الاشتقاق [الأعلام ٣/ ١٠٢].
فائدة: المعروفون بـ(الأخفش) كثير، أشهرهم ثلاثة:
١ ـ الأخفش الأكبر: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (ت١٧٧هـ).
٢ ـ الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة. وهو المقصود عند الإطلاق.
٣ ـ الأخفش الصغير: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل (ت٣١٥هـ)، اهـ.

والجواب: بأنَّ (مِنْ) للتبعيض[1] مع ما فيه من التأمُّل كما لا يخفى. تدبَّر.

(قوله: وقد أتىٰ قومٌ إلى العَذْنانِ. . .) إلخ:

هذا إشارة إلى ما ذكره الرافعي[2] وغيره، من: «**أنَّ وفداً قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم غلامٌ حَسَنُ الوجه، فأجلسه من ورائه وقال: «أنا أخشى[3] ما أصاب أخي داود**»، وكان ذلك بمرأى من الحاضرين»، انتهى.

وهذا الحديث رواه أبو جعفر[4] بن شاهين[5]

---

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيَّان (٦/ ٤٤٧).

(٢) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم، القزويني (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ) فقيه، من كبار الشافعية.
من مصنفاته: فتح العزيز شرح الوجيز للغزالي، شرح مسند الشافعي. [الأعلام ٤/ ٥٥].

(٣) كذا في النسخة الخطية. والوارد: «**كان خطيئة داود النظر**»، «**إنما كان فتنة داود النظر**».
وذكره ابن القيم بلفظ: «**كانت خطيئة من مضى من النظر**»، وليس فيه ذِكْر لداود عليه السلام.
وذكره الغزالي في «الوسيط» بلفظ: «**ألا أخاف على نفسي ما أصاب أخي داود**».

(٤) كذا في النسخة الخطية، والصواب (أبو حفصٍ) كما في كتاب الدميري، وكما في مصادر التخريج الآتية.

(٥) أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد (٢٩٧ـ ٣٨٥هـ).
إمام، حافظ، مفسِّر، مؤرخ، محدِّث، ثقة مأمون. =

بإسنادٍ[1] مجهول.

قال الشيخ: وهو موضوعٌ لا أصل له[2].

وقوله: «أخشى ما أصاب أخي داود»! معاذَ الله أن يكون ذلك من كلام النبي ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ الآية[3].. فَوَصَفَه بالقوة في الدين[4]. ولم يحصل من داود شيء من ذلك، وما يتوهّمه

= له مصنفات كثيرة في الحديث وعلومه، والتفسير، والعقائد. [مقدمة كتابه الترغيب].

(١) في كتابه «الأفراد» كما في التلخيص الحبير (٣/٣٠٨)، من طريق مجالد عن الشعبي.

(٢) وهو كما قال.
والحديث أخرجه: ابن أبي الدنيا في «الورع» موقوفاً على سعيد بن جبير، وفي إسناده محمد بن حسَّان السمتي، صدوق فيه لين.
وقال ابن الصلاح: والحديث ضعيف غير صحيح!
وقال الزركشي: حديث منكر، في ضعفاء ومجاهيل، وانقطاع.
وقال ابن حجر: إسناده واهٍ.
وقال الشوكاني: لا أصل له، وفي إسناده مجاهيل.
انظر: الورع لابن أبي الدنيا (ص٦٣)، شرح مشكل الوسيط لابن الصلاح (ص٣٠)، التلخيص الحبير (٣/٣٠٨)، والفوائد المجموعة للشوكاني (ص٢٠٦)، السلسلة الضعيفة (١/ ٣٨٤)، وأحكام النظر لابن القطان (ص٢٧٨)، وروضة المحبين (ص١٦٥).

(٣) سورة صٓ: الآية ١٧.

(٤) ذهب كثيرٌ من المفسرين إلى أنَّ معنى قوله تعالى: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [سورة صٓ: الآية ١٧]، أي: القوة في العمل في طاعة الله تعالى، والقوة في العبادة .=

العامة وينقله بعض المفسرين والقُصَّاص كذبٌ[1].

وقد [صحَّ][2] عن النبي ﷺ «أنَّ داود كان أعْبَد البَشَر»[3]، ذَكَره الدميري[4] في «شرح المنهاج»[5] في كتاب النكاح[6].

= وعن قتادة في الآية، قال: أُعطي قوةً في العبادة وفقهاً في الإسلام. انظر: جامع البيان لابن جرير (٢٠/ ٤١)، والدر المنثور للسيوطي (١٢/ ٥١٢).

(١) يعني قصة افتتان داود عليه السلام بنظره إلى امرأة الجندي أوريا. وهي مشهورة يذكرها بعض المفسرين في كتبهم، وفي كتب قصص الأنبياء.
قال الألباني ـ رحمه الله ـ: ولا يشكُّ مسلم عاقل ببطلانها، لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. إلخ [السلسلة الضعيفة ١/ ٣٢٥].

(٢) ما بين المعكوفتين ساقطة من المخطوطة، واستدركتها من «المنهاج» للدميري.

(٣) أخرجه البخاري في «التاريخ» (١/ ٨٩، ٥/ ٢٢٩)، والترمذي (٣٤٩٠)، وقال: حسن غريب، والحاكم (٢/ ٤٣٣) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) محمد بن موسى بن عيسىٰ الدَّميري، أبو البقاء، كمال الدين (٧٤٢ ـ ٨٠٨هـ) بَرَع في الفقه والحديث والتفسير والعربية.
من مصنفاته: «حياة الحيوان الكبرى» وبه اشْتُهر الدميري، و«النجم الوهاج في شرح المنهاج»، «الديباجة شرح سنن ابن ماجه»، «شرح لامية العجم». [الضوء اللامع ١٠/ ٥٩].

(٥) سمَّاه: «النجم الوهَّاج في شرح المنهاج»، شرح فيه كتاب: «منهاج الطالبين» للإمام النووي.
وهو شرح بديع مُلىء بالفوائد، وقد طبع في (١٠) مجلدات.

(٦) انظر: النجم الوهاج (٧/ ٢٧ ـ ٢٨).

(قوله: العَدْنانِ):

جَدٌّ أعلى للنبي[1] ﷺ، وهو ابنَ أُدٍّ بنِ أُدَدَ، اهـ (شيخ الإسلام[2] على البيضاوي).

(قوله: يَا لَهاٰ):

هذه كلمة تعجّب، أي: يا لها حسرة عظيمة، فالنداء فيه للتعجب، إذْ لا يُنادى إلا العاقل أو المنزَّل منزلته، والعربُ إذا استعظمتْ شيئاً نادَتْه على سبيل التعجب وهذا فيه مجازُ التشبيه؛ لتشبيه ما تُعُجبَ منه لعظمته بمنادىً يسمع ويعقل.

وزَعْمُ أنَّ (يا) للتنبيه مردودٌ بأنهم لم يذكروا هذا من محالِّها[3]. والتقدير: يا متعجّباً؛ تأمَّل حسرةً وهي التلهف والتأسّف.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٧ ـ ٨)، والإنباه لابن عبد البرّ (ص٤٩ ـ ٥٠)، والبداية لابن كثير (٣/ ٢٠٦).
وفي قصيدة مشهورة منسوبة لأبي العباس عبد الله بن محمد الناشِىء، ومطلعها:
مَدَحْتُ رسول الله أبغي بِمَدْحِهِ ... وُفُورَ حُظُوظي من كريم المآرِبِ
إلى قوله:
وما زال عدنانُ إذا عُدَّ فَضْلُهُ ... توحَّد فيه عن قرينٍ وصاحِبِ
وأُدٌّ تأدّى الفضل منه بغايةٍ ... وإرْثٍ حواه عن قُروم أشايبِ
وفي أُدَدٍ حِلْمٌ تزيَّنَ بالحِجا ... إذا الحِلْم أزهاهُ قطوبُ الحواجب
[البداية ٣/ ٢٠٧، تهذيب الكمال ١/ ١٧٧].
(٢) يعني حاشية زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) على تفسير البيضاوي.
(٣) انظر: الجنى الداني للمرادي (ص٣٥٥ ـ ٣٥٨).

أفاد ذلك ابن حجر[1] في «شرح الهمزية[2]»[3].

وفي هذا البيت من أنواع البديع: الاكتفاء، وهو أن يأتي الشاعر ببيتٍ من الشِّعر وقافيته متعلقة بمحذوف، فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفي بما هو معلوم في الذهن مما يقتضي تمام المعنىٰ[4]، ومن ذلك قول الشاعر:

[لا أنثني][5] لا أَنْتَهي، لا أرْعَوي   ما دُمْتُ في قَيْد الحياةِ ولا إذا[6]

فمن المعلوم أن يأتي الكلام: ولا إذا مِتُّ، لما تقدَّم من قوله: الحياة.

ومتى ذُكِرَ تمامه في البيت الثاني كان عَيْباً من عيوب الشِّعر، مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولُطفه وحُسْنِ موقعه في الأذهان، اهـ «شرح البديعية لابن حجة الحموي».

---

(١) أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) عالم، مشارك في فنون عدَّة.
من مصنفاته: «الفتح المبين بشرح الأربعين النووية»، «تحفة المحتاج بشرح المنهاج»، «الفتاوى الفقهية الكبرىٰ»، وغيرها [الأعلام ١/ ٢٣٤].

(٢) المنح المكية في شرح الهمزية. ويسمَّى: «أفضل القِرىٰ لقُراء أم القرى»، شَرَحَ به همزية البوصيري.

(٣) المنح المكية (ص١٤٠).

(٤) انظر: شرح الكافية البديعية للحلِّي (ص١٠٥).

(٥) ساقطة من المخطوطة وأثبتُّها من شرح الكافية.

(٦) في شرح الكافية: وفي رواية وهي الأصح:
واللهِ ما خَطَر السُّلُّو بخاطري   مَا دُمْتُ في قَيْدِ الحياةِ ولا إذا
وقد جآء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١].

(قوله: إذا أراد):

بينه وبين «أذا» التي في آخر البيت الجناس المحرَّف، وهو ما اتفق رُكناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات[1].

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[2].

والمراد بالأول الفاعلون وبالثاني المفعولون.

وكقوله ﷺ: «**اللَّهمَّ كما حسَّنْتَ خَلْقي فحسِّن خُلُقي**»[3].

وكقول الشاعر:

بثينة تزري بالغزالة في الضُّحىٰ إذا برزتْ لم يَبق يوماً بِها بَها

اهـ (حموي).

(قوله: المردان):

جمع أمْردٍ، وليحرر هل هو بضم الميم أو كسرها[4]؟ وهل هو جمعٌ قياسي أوْ لا؟.

---

(١) شرح الكافية البديعية للحلِّي (ص٦٥).

(٢) سورة الصافات: الآيتان ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٠٣)، وابن حبان (رقم٩٥٩). قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح غير عوسجة بن الرماح وهو ثقة، اهـ. (مجمع ١٠/ ١٧٣).

(٤) انظر: لسان العرب (مَرَدَ).

(قوله: أَلِفَا):

بينه وبين (أَلْفا) الجناس المحرَّف المتقدِّم بيانه.

تنبيه[1]: روىٰ أبو أمامة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا ربِّ أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً، فاجعل لي بَيْتاً. قال: الحمَّام. قال: اجعل لي مجلساً. قال: الأسواق ومجامع الطرق. قال: اجعل لي طعاماً. قال: ما لم يُذكر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شراباً. قال: كل مُسْكر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: المزامير. [قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشِّعر][2]. قال: اجعل لي كتاباً. قال: الوشم[3]. قال: اجعل لي حديثاً. قال: الكذب. قال: اجعل لي مصائد. قال: النساء**»[4]، اهـ (من الإحياء للإمام الغزالي، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين).

(قوله: مشايخ):

بالياء لا بالهمز[5]؛ لأنَّ الياء فيه أصلية، وإنّما تُقْلبُ همزة في الجمع إذا كانت زائدة في المفرد كصحيفة وصحائف. تأمّل.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٥/ ٥١٨).

(٢) ساقطة من المخطوطة، والاستدراك من مصادر التخريج.

(٣) هو: غرز الجلد بالإبرة ثم يُذَرُّ عليه النؤر ـ وهو دخان الشحم ـ حتى يخضرّ، وقد وشمت المرأة يدها وشماً إذا فعلت ذلك، وهو من فعل الجاهلية، اهـ (من إتحاف السادة المتقين).

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٤٥ رقم ٧٨٣٧).
قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١٩): وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف.
وقال العراقي: رواه الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جداً.

(٥) ومن لطيف أقوالهم: المشايخ لا يُهْمَزون.
ومشايخ: جمع مَشْيَخَة. =

(قوله: بلا شطط):

الأصل: لا بِشَطَطٍ، بتقديم حرف النفي على حرف الجر لأنَّ حرف النفي أصله التصدير، فزُحْلِقَتْ عن محلها تزييناً للفظ، اهـ (من شرح الملوي[1] على السُّلّم[2])[3].

وكتَب أيضاً: (قوله: بلا شططٍ)، أي: بلا جَوْرٍ وظلم، يقال: شطط[4] فلانٌ في حكمه شطوطاً وشَطَطاً: جارَ وظلمَ.

= قال في «المصباح»: والمَشْيخة: اسمُ جمعٍ للشيخ، وجَمعها: مشايخ.
قلتُ: قال الجوهري: جمع الشيخ شُيُوخٌ وأشْيَاخٌ وشِيَخةٌ وشِيخَانٌ ومَشْيَخَةٌ ومَشَايخُ ومَشْيُوخَاءُ. والمرأة: شَيْخَةٌ.
وتصغير الشَّيْخ: شُيَيْخٌ وشِيَيْخٌ أيضاً بالكسر، ولا تَقُلْ شُوَيْخٌ، اهـ.
وقد نظم هذه الجموع المؤلِّف رحمه الله بقوله:
ـ مَشَايِخُ مَشْيُوخَاءُ مَشْيَخَةٌ كذا   شُيُوخٌ وأَشْيَاخٌ وشيخَانُ فاعْلَمَا
وَمَعْ شِيخَةٍ جَمْعٌ لِشَيْخٍ وصُغِّرا   بضمٍّ وكسرٍ في شُيَيْخٍ لِتَفْهَمَا
انظر: مقدمة حاشية السجاعي على قطر الندى [بواسطة السير الحثيث لمحمود فجال ١/ ٩٠].

(١) أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر، أبو العباس، شهاب الدين (١٠٨٨ ـ ١١٨١هـ) حموي الأصل، مولده ووفاته بالقاهرة.
من مصنفاته: شرحان لمتن السُّلّم، حاشية على شرح المكودي للألفية.
[الأعلام ١/ ١٥٢].

(٢) السُّلّم المُنَوْرق في علم المَنْطق.
أُرجوزة وَضَعها عبد الرحمن بن محمد الأخضري (٩١٨ـ ٩٨٣هـ) وهو من أهل بَسْكرة في الجزائر.
وعليها شروح وحواشٍ كثيرة. [انظر: جامع الشروح والحواشي ٢/ ١٢٠٨].

(٣) انظر: شرح الأخضري على سُلَّمِهِ (ص١٢٧).

(٤) كذا في النسخة الخطية، وفي المصباح: شَطَّ.

وهو من باب[1]: ضَرَبَ وقَتَل، كما في «المصباح»[2].

(قوله: ولو يكون بالكراماتِ احتفل):

بالفاء، أي: امتلأ، مأخوذ من قولهم: احتفل الوادي إذا سال وامتلأ، كما في «المصباح»[3].

(قوله: لِطَرْفِهِ):

فيه مع (طُرْق) الجناس المصحَّف؛ وهو: ما اختلف رُكْناه بالنَّقْطِ[4]، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾[5]، وكقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «قصِّر ثوبك فإنه أنقى ـ أو: أتقى ـ وأبقىٰ»، اهـ[6].

---

(١) في المصباح: بَابَي.

(٢) المصباح المنير (ش ط ط) (ص٢٥٧).

(٣) المصباح المنير (ح ف ل) (ص١٢٥).

(٤) شرح الكافية للحلِّي (ص٦٥)، وفيه: والمصحَّف: ما خالف أحدُ رُكنيه الآخر بإبدال حرفٍ على صُورة المُبْدلِ منه في الخطِ، ليكون النَّقْطُ فارقاً بينهما في تغايره غالباً، اهـ.

(٥) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

(٦) لم أجده من حديث علي رضي الله عنه.
وإنما أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٦٤)، والطيالسي (رقم ١١٩٠) من حديث الأشعث عن عمته عن عمها.
وعمها هو عبيد الله بن خالد المحاربي رضي الله عنه.
وعمة الأشعث هي: رهم بنت الأسود.
ورجال إسناده ثقات غير عمة الأشعث فإنها لا تُعرف.

(قوله: الحَذَرْ):

فيه مع (ذَرْ) الجناس المُطرَّف، وهو: ما زاد أحدُ رُكنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول[1]، وهذا هو الفرق بينه وبين المذيَّل[2]، فإن الزيادة في المذيَّل تكون في آخره، فهي له كالذيل، كهم وهَمَل[3]. ومثال ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[4].

وكقول الشاعر:

والله ما هَبَّ النسيم الحاجري   إلا تعثَّر مدمعي بمحاجري

(قوله: أبْطَرَه):

قال في «المصباح»: بَطَر بَطْراً فهو بطر، من باب (تعب)، بمعنى أَشِرَ أشْراً، اهـ[5].

وقال في مادة الألف مع الشين: أشر أشراً فهو أَشِرٌ من باب (تعب): بَطر وكفر النعمة فلم يشكرها، اهـ[6].

---

(١) ويُسَمَّىٰ أيضاً: «المُردَّف» و«الناقص»، وفي تسميته اختلافٌ كثير، اهـ من شرح الكافية للحلّي (ص٦٤).

(٢) المذيَّل: ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في آخره، وكان له كالذَّيْل، كقولهم: «العَارُ ذُلُّ العارِفِ».

(٣) في شرح الكافية للحلي: هامٍ وهامِلٌ.

(٤) سورة القيامة: ٢٩، ٣٠.

(٥) المصباح المنير (ب ط ر) (ص٥٢).

(٦) المصباح المنير (أ ش ر) (ص٢٤).

رُوي: **«أن إبليس لعنه الله قال لموسى عليه السلام: إياك أن تجلس إلى امرأةٍ ليست بذات محرمٍ؛ فإني رسولها إليك ورسولك إليها»**، اهـ (من الإحياء للغزالي)[1].

(قوله: حلاوةَ):

بالنصب بقوله (يجد) أي: ويجد حلاوة الإيمان إلخ.

(قوله: فانظر بها):

أي فيها على حَدِّ: ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾[2]، و﴿نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[3].

وإن شئتَ أبدلت ذلك فقلتَ: واعمل بها.

(قوله: [كذاك كلّ خَصْلةٍ ذميمة] كالكِبْرِ):

أي: والعُجْب والظلم والبغي والحرابة والغش والخديعة واللهو واللَّعب وحب الشهرة والمحمْدةِ وترك الصلاة ومنع الزكاة وعقوق الوالدين والكذب لغير مصلحة شرعية[4] وترك الاشتغال بالعلوم الواجبة، وغير ذلك.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٨/ ٥٠٩).

(٢) سورة القمر: الآية ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(٤) عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها قالت: **«رَخَّصَ النبي ﷺ من الكذب في ثلاثٍ: في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وقول الرجل لامرأته»** [المسند ٤٥/ ٢٤٩].
وعنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس فينْمي خيراً أو يقول خيراً»** متفق عليه. =

(قوله: ذميمة):

أي مذمومة شرعاً.

(قوله: كالكبر):

هو: بَطَرُ الحقِّ وغَمْصُ النَّاس، كما في حديث مسلم: «**لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرةٍ من الكبر**، فقالوا: يا رسول الله: إنَّ أحدنا يحب أن يكون ثوبه حَسَناً، فقال: **إن الله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر بَطَرُ الحق وغمص الناس**»، أو «**وغَمْطُ الناس**»[1].

بالصاد والطاء المهملتين، وبَطر الحق: ردّه على قائله وغمص الناس[2]: احتقارهم.

= قال القرطبي: فهذه الأحاديث أفادت أن الكذب كلّه محرم، لا يحلّ منه شيء إلا هذه الثلاثة، فإنه رخَّص فيها لما يحصل بذلك من المصالح، ويندفع به من المفاسد، **والأَوْلى** أن لا يكذب في هذه الثلاثة إذا وَجَد عنه مندوحة، فإن لم تُوجد مندوحة أُعْمِلت الرخصة، اهـ [المفهم ٦/ ٥٩٢].

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان ـ باب: لا يدخل الجنة مَنْ في قلبه كِبْرٌ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (رقم ٧٢). والترمذي في «سننه» كتاب البرّ والصّلة ـ باب ما جاء في الكِبْر (رقم ١٩٩٩) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) يُقال: غمط الناس وغَمَصهم، إذا احتقرهم. قال النووي رحمه الله: وغمط الناس بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم وبالطاء المهملة، هكذا هو في نُسَخ صحيح مسلم رحمه الله. قال القاضي عياض رحمه الله: لم نَرْوِ هذا الحديث عن جميع شيوخنا هنا وفي البخاري إلا بالطاء، قال: وبالطاء ذكره أبو داود في مُصنَّفه، وذَكره أبو عيسى الترمذي وغيره: غمص، بالصاد وهما بمعنى واحد، ومعناه: احتقارهم، يقال في الفعل منه: غَمَطه بفتح الميم، يَغْمِطه =

قاله اللقاني[1] في «شرح الجوهرة»[2].

(قوله: أي من الجن):

ومنه الجنون، إذ الجِنّة ـ بالكسر ـ تطلق عليهما كما في كتب اللغة[3]، وبينه وبين الجنة الجناس المحرّف[4].

قال ابن حجر[5] في «شرح الهمزية»: والجن أجسامٌ نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة[6].

(قوله: قد رقا):

بفتح القاف، أي ارتفع ـ كما يؤخذ من «المصباح». ورقا الطائر يرقوا: ارتفع من طيرانه، اهـ[7].

(قوله: ارتقىٰ):

أي: صَعَد إلى سماء البلاغة.

= بكسرها، وغَمِطه بكسر الميم يغمطَه بفتحها، اهـ (من شرح النووي على مسلم ٢/ ٩٠).

(١) إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد القدوس، برهان الدين (ت١٠٤١هـ) [خلاصة الأثر ١/ ٦].

(٢) هداية المريد شرح جوهرة التوحيد.

(٣) انظر: لسان العرب (جَنَن)، والمصباح المنير (ج ن ن)، ومختار الصِّحاح (ج ن ن).

(٤) تقدَّم تعريفه.

(٥) الهيتمي، المكي، وتقدمت ترجمته.

(٦) المنح المكية في شرح الهمزية (ص١٦١).

(٧) المصباح المنير (ر ق ا) (ص١٩٦).

يقال: رَقِيْتُ في السُّلّم وغيره أرقى ـ من باب (تعب) ـ رُقِّيا على فعول، ورقيا مثل فَلِس، وارتقيتُ وترقيتُ مثله.

والحاصل: أنَّ رَقَا ـ بفتح القافِ بلا همز ـ يُطلق على معنيين:

التعوّذ، يقال: رقيته من باب (رمى): عوَّذته بالله.

والارتفاع، ومنه: رقا الطائر يرقو: ارتفع في طيرانه.

وبالهمز: قطع الدمع والدم، يقال: رقأ الدم والدمع رقاءً ـ مهموز ـ من باب نفع، ورقوا على فَعُول: انقطع بعد جريانه.

وبكسر القاف، من باب (تعب)، معناه: الصعود. أفاده في «المصباح»[1].

(قوله: وعَبَدا):

فيه مع عبد الجناس المذيَّل، وهو: ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في آخره[2]، نحو: (هم) و(همل) كما أشار إليه ابن حجة بقوله: وذيل الهم همل الدمع.. إلخ.

وبينهما أيضاً شبه الاشتقاق فليتأمَّل، اهـ.

تَمَّ وكَمُل ما جُرِّد من منظومة المؤلِّف بخطه، ولله الحمد والمِنّة.

تـمّ.

فائدة

التحقيق: إثباتُ شيء بدليله.

والتدقيق: إثبات الدليل بدليلٍ آخر.

---

(١) المصباح المنير (ر ق ا) (ص١٩٦).

(٢) تقدَّم، وانظر شرح الكافية البديعية (ص٦٣).

والتنميق: الإتيان بعبارة سهلةٍ مراعًى فيها المعاني والبيان.

والترقيق ـ بالراء ـ: الإتيان بعبارةٍ حسنةٍ حلوة فائقة.

والتوفيق: السلامة من اعتراض الشارع.

ذَكَرَهُ الشيخ عبد البرّ الأجهوري[1].

وقد نَظَمتُ ذلك فقلتُ:

ذِكْر الدليلِ سَمِّ تحقيقاً وإن ... أتى دليلُ ذا فتدقيقٌ زُكِنْ

وَما المعاني والبيان رُوعِيَا ... فيه فتنميقٌ فكُنْ لي راعيا

وَحُسْنُ تعبير بترقيق عُلِم ... وِفاق شرعٍ قل بتوفيق وُسِمْ

تمَّ[2].

❑❑❑

---

(١) عبد البرّ بن عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف (توفي ١٠٧٠هـ) فقيه، مشارك في بعض العلوم. له حواشٍ في الفقه الشافعي. [معجم المؤلفين ٢/ ٤٥].

(٢) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لا إله إلا الله عدة للقائه.

وبعدُ: فقد قرأ الشيخ الجليل راشد بن عامر الغفيلي هذه المنظومة وشرحها لمصنفها. وقد سمع ذلك: الشيخ يوسف الأوزبكي المقدسي، وعماد الجيزي، وإبراهيم بن أحمد التوم. ثم أتم سماع الشرح معنا الشيوخ الأجلاء: نظام محمد صالح يعقوبي، والدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي، وعبد الله بن أحمد التوم، وذلك تجاه الركن الشامي من الكعبة المشرّفة عصر يوم الأحد (٢١ رمضان المبارك ١٤٣٢هـ).



فهرس الآيات القرآنية[1]

❑❑❑

(١) على حسب ترتيبها في الرسالة، شاملة ما في المتن والتعليق.

فهرس الأحاديث والآثار[1]

(١) على حسب ترتيبها في الرسالة، شاملة ما في المتن والتعليق.



فهرس الأعلام المترجم لهم[1]

❑❑❑

(١) على حسب ترتيبها في الرسالة، شاملة ما في المتن والتعليق.

فهرس الفوائد

❑❑❑

المحتوى

❑❑❑

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٨٤)

مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد

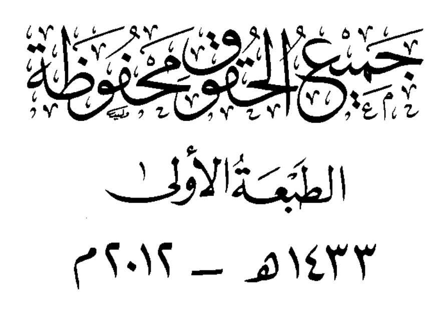
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
فيصل بن عبد العزيز آل مبارك
المتوفى سنة (١٣٧٦هـ)
رحمه الله تعالى

يحقق لأول مرة عن نسخة بخط مؤلفه

اعتنى به وعلق عليه
محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

تقريظ فضيلة الشيخ الفقيه القاضي
محمد بن سليمان آل سليمان
حفظه الله

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد..**

فقد قرأ عليَّ تلميذي محمد بن يوسف الجوراني ـ جزاه الله خيراً ـ مؤلَّف فضيلة الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك رحمه الله، الموسوم «**مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد**»، وقرأ عليَّ ما همّش وما حشّى عليه من تعليقات نافعة، أو تخريج للأحاديث، أو إيضاح ما غمض منها، أو ضبط نصٍّ، فوجدته قد اجتهد في ذلك فأفاد وأجاد، نفع الله به.

والشيخ فيصل رحمه الله ممن أدركته قبل وفاته والتقيت به في الرياض، فهو معروفٌ بالاجتهاد بالعلم والجد فيه وتعليمه للناس، وعلمت عنه الفقه والفهم والاستنباط الطيب، ورسالته هذه «مقام الرشد» مفيدة في بابها، ولا سيّما للعلماء والقضاة والفقهاء.

ولقد كان الشيخ رحمه الله مشهوراً بالورع والزهد والصبر على تعليم الناس غفر الله له ورحمه ورَفَع درجته.

فأسأل الله العلي القدير أن يجزي الشيخ فيصل على ما نفع به الأمة، وأن يجزي المحقق على ما بذل فيها لإخراجها بشكل طيب، وأن ينفع بها، وهذا ما أحببت بيانه، والله أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه

محمد بن سليمان آل سليمان

قاضي تمييز بالمحكمة الكبرى بالدمام سابقاً

ورئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم

بالمنطقة الشرقية حاليًّا

١٠/٨/١٤٢٢هـ

الختم



بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ / محمد بن سليمان آل سليمان
تلفون ٨٤٢٧٧٤٤ - فاكس ٨٤٢٨٣٣٢
ص. ب ٧٥٦١ الدمام ٣١٤٧٢
شارع الافراح - خطط ٧٥
الدمام - المملكة العربية السعودية

التاريخ ١٠ / ٨ / ١٤٢٢هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ..

فقد قرأ عليّ تلميذي محمد بن يوسف الجوراني جزاه الله خير مؤلَّف فضيلة الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك رحمه الله الموسوم "مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد" وقرأ عليّ ما هَمَّش وما حشّى عليه من تعليقات نافعة ، أو تخريج للأحاديث ، أو إيضاح ما غمض منها ، أو ضبط نصٍ ، فوجدته قد اجتهد في ذلك فأفاد وأجاد نفع الله به .

والشيخ فيصل رحمه الله ممن أدركته قبل وفاته والتقيت به في الرياض ، فهو معروفٌ بالاجتهاد بالعلم والجد فيه وتعليمه للناس ، وعلمت عنه الفقه والفهم والاستنباط الطيب ، ورسالته هذه مقام الرشاد مفيدة في بابها ، سيّما للعلماء والقضاة والفقهاء .

ولقد كان الشيخ رحمه الله مشهوراً بالورع والزهد والصبر على تعليم الناس غفر الله له ورحمه ورفع درجته .

فأسأل الله العلي القدير أن يجزي الشيخ فيصل على ما نفع به الأمة ، وأن يجزي المحقق على ما بذل فيها لإخراجها بشكل طيب ، وأن ينفع بها ، هذا ما أحببت بيانه والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أملاه

محمد بن سليمان آل سليمان

قاضي تمييز بالمحكمة الكبرى بالدمام سابقاً

ورئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم

بالمنطقة الشرقية حالياً

١٠ / ٨ / ١٤٢٢هـ

صورة تقريظ الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان

تقريظ فضيلة الشَّيخ العلَّامة المحدِّث
شُعَيْب الأرنؤوط

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

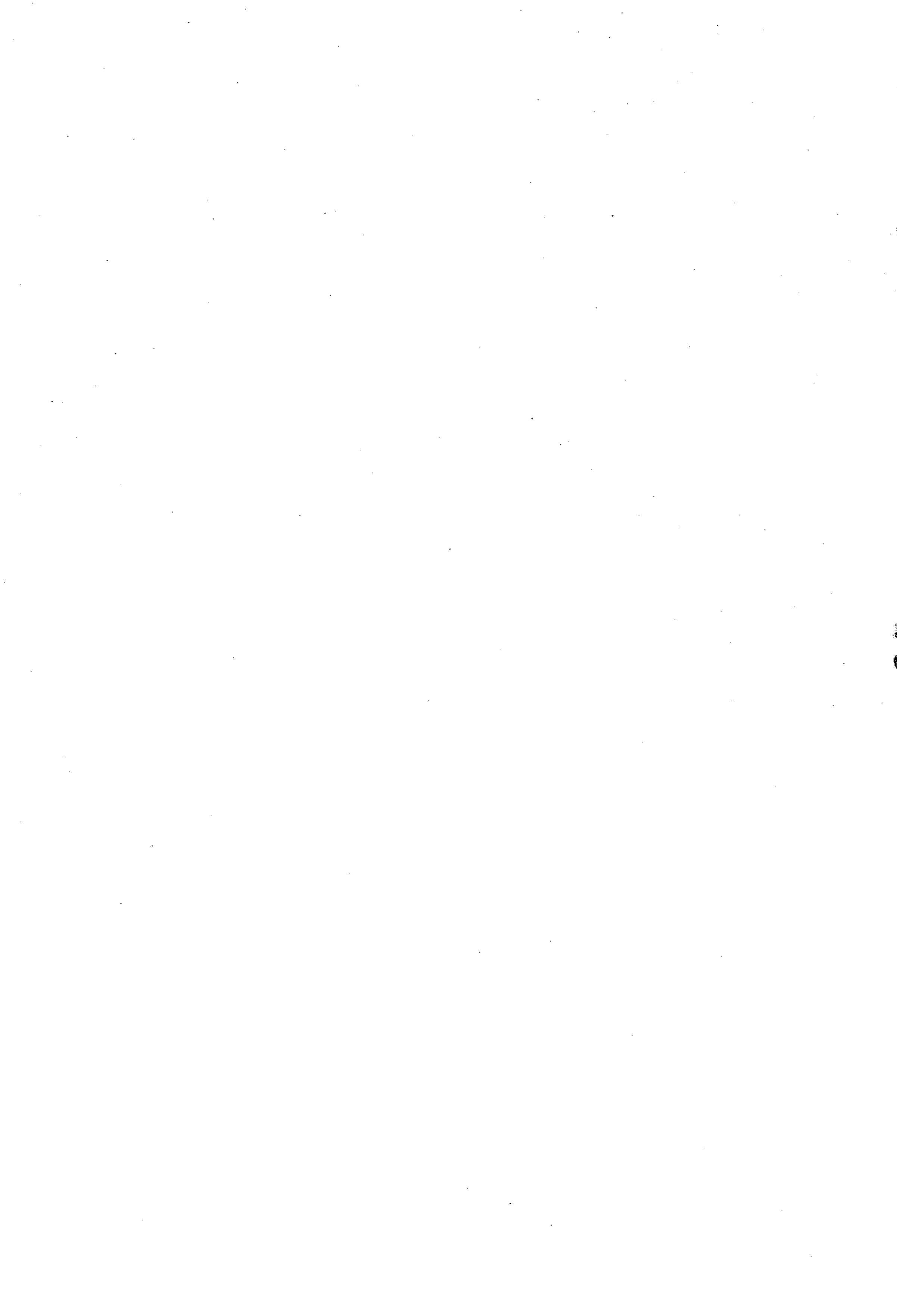
فهذه رسالةٌ نافعة في بحث التَّقليد والاجتهاد، من تأليف الشَّيخ العلَّامة فيصل آل مبارك رحمه الله. ويجدر بطالب العلم أن يقرأها وينتفع بها؛ لما فيها من الفوائد العلمية، المشفوعة بأسلوبٍ سهل بعيد عن العصبيَّة والهوى، وسيجد فيها الباحث الحُجج القويَّة الدَّافعة في التنفير من التَّقليد، والتَّرغيب في الانتقال إلى الاتِّباع، وهو أخذ قول المُجتهد بدليله، فهي في الجملة رسالة لطيفة نافعة.

وقد قرأها عليَّ محققُها صاحبنا الفاضل الشَّيخ محمَّد بن يوسف الجوراني في مجلسين، قراءة مُدارسة وبحث، وعلَّقنا عليها في مواضع تستدعي ذلك، والله أرجو أن يجزي المؤلِّف والمُحقِّق خير الجزاء.

وصَلَّى الله وسلَّم على نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب





المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ _ ٧١].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدَثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

فإنَّ من أجلِّ القُرَب والطَّاعات التي ينبغي للمسلم السَّعي فيها، والمسارعة إليها والازدياد منها؛ الاشتغال بعلوم الشريعة الغرَّاء، مع حُسن النِّية، سائراً في ذلك على منهاج النُّبوة المحمَّدية، ومقتفياً آثار السلف العليَّة.

قال الحقُّ جلّ في علاه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال الحافظ ابنُ حجر رحمه الله: «واضح الدَّلالة في فضل العلم؛ لأنَّ الله تعالى لم يأمر نبيَّه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلَّا من العلم، والمراد بالعلم؛ العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من أمر عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتَنْزِيهه عن النَّقائص، ومدار ذلك على التَّفسير والحديث والفقه»[(١)].

ولأجل هذا وذاك، تطلَّعت همة الشيخ فيصل رحمه الله بالمشاركة ـ ولو بالقليل ـ في هذا الفنِّ الجدير بالاهتمام؛ فأخرج لنا هذه الدُّرة، وهاته الرَّائعة من روائع تصانيفه؛ فاستلَّ هذه الرسالة استلال العالم النِّحرير، والنَّاقد البصير، من بين موضوعات الاجتهاد والتقليد وأبحاثهما المتشعِّبة؛ فرفع لواء الاجتهاد وأهميته، وحثَّ العلماء وطلبة العلم المتَّقِين إليه، وأنْ يدوروا مع الدَّليل الصحيح حيث دار، ويتركوا أقوال العلماء إنْ خالفته مع كبير الحبِّ والإجلال لهم؛ **فمحبة الحقِّ أحبُّ من محبة الخلق؛ وحِراسة العلم أولى من حراسة العالِم**، فساق هذه الرسالة ببراعة أسلوبه،

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٨٧).

وجمال رَوْنقِهِ؛ مما جعلها سهلة يسيرة بعيدة عن التعقيد والتنظير؛ كعادة أصحاب الأصول.

فجاءت رسالتُه ماتعة في بابها؛ نافعة لطلابها؛ فجزاه الله خير الجزاء على ما نفع به الإسلام والمسلمين.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فقد نشطت الهمة، وقويت العزيمة، وحسنت النيَّة ـ إن شاء الله ـ في إخراج هذه الرسالة اللطيفة، في ثوب جديد متقن ـ إن شاء الله ـ علَّني أدخل في صفوف أولئك النَّفر الذين يخدمون ميراث العلماء؛ ليستفيد منه من خَلْفهم، وليقفوا على أرائهم في تصانيفهم؛ فيذكرونا بالجميل، بعد وقت الرحيل؛ فاللَّهم أنت بكلّ جميل كفيل، وأنت حسبنا ونعم الوكيل.

ومن المناسب أن تُبيَّن خطة العمل في هذه الرسالة؛ فيقال بعد عون الله وتوفيقه:

أوَّلاً: قدَّم المعتني مقدِّمة يسيرة بين يدي الرسالة كتمهيد، واحتوت على:

١ ـ ترجمة المؤلف رَحِمَهُ الله مختصرة، وبيان مصادر ترجمته.

٢ ـ دراسة الرسالة، من حيث موضوعها، وصحة نسبتها للمؤلِّف، ووصف النسخ المطبوعة، والنسخة المعتمدة في التحقيق.

ثانياً: توثيق النص.

واعلم أيها القارئ الكريم أنَّ «نتائج الأفكار على اختلاف القرائح لا تتناهى، وإنما يُنفق كلّ أحد على قدر سَعتِه، لا يكلِّف الله نفساً إلَّا ما آتاها، ورَحِم الله من وقف فيه على سهوٍ أو خطأ؛ فأصلَحهُ عاذِراً

لا عاذلاً، ومُنِيلاً لا نائلاً؛ فليس المبرأُ من الخطَل إلَّا من وقَى الله وعصم، وقد قيل: الكتاب كالمكلَّف؛ لا يَسْلَم من المؤاخذة ولا يرتفع عنه القلم، والله تعالى يُقرِنه بالتوفيق، ويرشد فيه إلى أوضح طريق، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»[1].

وصَلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قَالهُ مُقيِّدُه

محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني

---

(١) «صبح الأعشى» للقلقشندي (١/ ٣٦).

ترجمةٌ مُوجزةٌ
للشَّيخ العلَّامة فيصل بن عبد العزيز آل مبارك
رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

*** اسمه ونسبه:**

هو الشَّيخ العالم المفسِّر الفقيه القاضي فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد بن مبارك آل حمد النَّجدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) **مصادر ترجمته:**
«الأعلام» للزركلي (٥/ ١٦٨)، و«مشاهير علماء نجد» لآل الشيخ (٣٩٨)، و«علماء نجد خلال ثمانية قرون» للبسام (٥/ ٣٩٢)، و«روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» للقاضي (٢/ ١٥٩)، و«معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٧/ ٢٦)، و«موسوعة آسبار» (٣/ ٩٣٦)، **وممن أفرده بالترجمة:**
أبو بكر فيصل البديوي في «**العلامة المحقق والسلفي المدقق**»، ومحمَّد بن حسن آل مبارك في «**المُتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك**»، وترجم له الشيخ حماد بن عبد الله الحماد في مجلة العدل (١٠/ ٢٠٣)، وكذا علي جواد الطاهر في مجلة العرب (٩/ ٩٠٩)، وغيرهم من الذين ترجموا له في بداية كتبه سواء من تلاميذه أو محققي كتبه، وأحسنها ترجمة الشيخ عبد العزيز الزير في تحقيقه لتفسيره «توفيق الرحمن»، ثم أحسن =

* مولده ونشأته:

ولد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في بيت علم وفضل، عام ١٣١٣هـ في حريملاء.

درس الشيخ رَحِمَهُ اللهُ القرآن على يد الشيخ عبد العزيز الخيَّال رَحِمَهُ اللهُ في الرياض.

* طلبه للعلم:

حرص الشيخ رَحِمَهُ اللهُ منذ نعومة أظفاره على تلقي العلم والجِدِّ في تحصيله، فبفضل الله عَزَّ وَجَلَّ حفظ القرآن الكريم وهو في سنّ الثامنة عشر من عمره، ثم بعد ذلك حرص على تلقِّي الأهمِّ فالمُهِمِّ من العلم: فبدأ بـ «الأصول الثلاثة»، ثم «كتاب التوحيد»، ثم «العقيدة الواسطية»، ثم أخذ يتعلم الفقه والنَّحو والفرائض، حتى أصبح بفضل الله على إلمام كبير بكثير من علوم الدين.

وتلقَّى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ العلم عن علماء أهل بلده حريملاء، ثم انتقل إلى الرياض ليكمل مشواره الذي قطعه في تحصيل العلم؛ فأخذ عن علمائها الأجلاء ورجالها النبلاء.

وبعد أن تمَّ فتح بلاد الأحساء عام ١٣٣١هـ ارتحل إليها للاستزادة من العلم؛ فدرس على الشيخ عيسى بن عكاس رَحِمَهُ اللهُ،

= هذه الكتب المفردة؛ كتاب: **«معالم الوسطية والتيسير والاعتدال في سيرة الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك»**، فقد جاء شاملاً عن حياته، وهو لسبطه الشيخ محمَّد بن حسن آل مبارك جزاه الله خيراً كثيراً ونفع به. والله أعلم.

والشيخ عبد العزيز بن بشر رحمه الله، ثم ارتحل إلى قطر، حيث درس على الشيخ محمَّد بن مانع رحمه الله: ضروب العلم وفنونه[1].

*** شيوخه:**

تلقَّى الشيخ رحمه الله العلم على أيدي علماء عُرفوا بالصلاح، وصفاء العقيدة وكان من أبرزهم:

١ ـ الشيخ عبد العزيز الخيَّال رحمه الله.

٢ ـ الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف مفتي الدِّيار السعودية رحمه الله.

٣ ـ الشيخ محمَّد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله.

٤ ـ سماحة الشيخ محمَّد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة السابق رحمه الله.

٥ ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله.

٦ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله.

٧ ـ الشيخ حمد بن فارس رحمه الله.

٨ ـ الشيخ محمَّد بن فيصل رحمه الله وهو عمُّه.

٩ ـ الشيخ ناصر بن ناصر بن محمَّد بن ناصر رحمه الله وهو جدُّه لأمه.

---

(١) قال الشيخ عبد العزيز الزَّير حفظه الله في ترجمته: «كان الشيخ رحمه الله ينوي الرحيل إلى الهند؛ لدراسة الحديث هناك، فلما وصل إلى قطر؛ وجد الشيخ محمَّد بن مانع رحمه الله بها، وكان متضلعاً من علم الحديث؛ فآثر الجلوس عنده. أفاده الشيخ ناصر بن حمد الراشد» «توفيق الرحمن» (١/ ١٧).

١٠ ـ الشيخ محمَّد بن عبد العزيز بن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ.

١١ ـ الشيخ عيسى بن عكاس رَحِمَهُ اللَّهُ.

١٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن بشر رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرهم.

*** مصنَّفاته:**

لقد أثرى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ المكتبة الإسلامية بمصنَّفاته الزاخرة؛ فترك لنا العديد من المؤلَّفات في فنون العلم: في التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، والفرائض، والنحو، والرقائق وغيرها؛ وهو يُعدُّ من أكثر علماء نجد تصنيفاً وتأليفاً، ومن هذه المصنفات العلمية النافعة:

١ ـ **القصد السَّديد شرح كتاب التوحيد**: طبع في مجلد عن دار الصميعي بالرياض، بتحقيق الشيخ عبد الإله الشايع وفقه الله.

٢ ـ **التعليقات السَّنية على العقيدة الواسطية**: طبع في مجلد عن دار الصميعي بالرياض، بتحقيق الشيخ عبد الإله الشايع وفقه الله.

٣ ـ **توفيق الرحمن في دروس القرآن**: طبع في أربع مجلدات مبسوطاً، ثم طبع في مجلدين طبعة جديدة مُنقَّحة عن دار العاصمة بالرياض، باعتناء الشيخ الدكتور عبد العزيز الزَّير حفظه الله.

٤ ـ **القول في الكرة الجسيمة الموافق للفطرة السليمة**: مخطوط في مجلد، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد.

٥ ـ **لذَّة القاري مختصر فتح الباري**: مخطوط في ثمانية مجلدات، وهو مفقود.

٦ ـ **نقع الأُوام بشرح أحاديث عمدة الأحكام**: مخطوط، وهو الشرح الكبير على عمدة الأحكام، خمسة أجزاء كبار، في إحدى عشرة مجلدة، ومنه مخطوطة كاملة بخط الشيخ فيصل رحمه الله في مكتبة الملك فهد بالرياض.

٧ ـ **أقوال العلماء الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام**: مخطوط في مجلدين ضخمين، في سبعة ملازم. ويقوم بخدمته بعض طلبة العلم.

٨ ـ **خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام**: اعتنيت به بحمد الله تعالى عن أصلٍ خطيٍّ بخط الشيخ رحمه الله، وطبع في مجلدين بإدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية جزاهم الله خيراً.

٩ ـ **مختصر الكلام شرح بلوغ المرام**: طبع عن دار كنوز إشبيليا، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد ضمن مجموع «زبدة الكلام»، ولي عناية خاصة به.

١٠ ـ **بُستان الأحبار باختصار نيل الأوطار**: طبع عن دار كنوز إشبيليا في مجلدين.

١١ ـ **تجارة المؤمنين في المرابحة مع ربّ العالمين**: طبع في مجلد مرتين؛ آخرهما على نفقة تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن عطا الشايع عام ١٤٠٤هـ.

١٢ ـ **تطريز رياض الصالحين**: طبع عن دار العاصمة بالرياض، بتحقيق الشيخ الدكتور عبد العزيز الزَّير حفظه الله.

١٣ ـ **محاسن الدين بشرح الأربعين النووية**: طبع عن دار إشبيليا بالرياض.

١٤ ـ **تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب**: طبع ضمن «المختصرات النافعة»، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد ضمن مجموع «زبدة الكلام».

١٥ ـ **نصيحة المسلمين = نصيحة دينية**: طبعت بتحقيق الشيخ الدكتور عبد العزيز الزَّير حفظه الله.

١٦ ـ **وصية لطلبة العلم**: طبعت بتحقيق الشيخ الدكتور عبد العزيز الزَّير حفظه الله.

١٧ ـ **غذاء القلوب ومفرج الكروب**: وقد طبع قديماً ضمن مجموع «المختصرات النافعة»، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد ضمن مجموع «زبدة الكلام».

١٨ ـ **مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد**: وهو كتابنا هذا.

١٩ ـ **كلمات السداد على متن الزاد**: طبع في مجلد عدة مرات عن مكتبة النهضة، وصدر مؤخراً محققاً عن دار إشبيليا.

٢٠ ـ **المرتع المشبع شرح مواضع من الروض المربع**: مخطوط في أربعة أجزاء، وستة مجلدات كبيرة، ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد، وعنها مصورة بدارة الملك عبد العزيز، وطبع قريباً بعناية الشيخ عبد العزيز القاسم حفظه الله.

٢١ ـ **الوابل المُمرع على الروض المربع**: مخطوط غير مكتمل، منه نسخة في مكتبة الملك فهد إلى كتاب الجنائز، وعنها مصورة بدارة الملك عبد العزيز.

٢٢ ـ **مجمع الجواد حاشية شرح الزاد**: مخطوط غير مكتمل، وهو شرح كبير مطوَّل على «الروض المربع» وذلك أن الشيخ رحمه الله في الشرحين السابقين انتقى مسائل خلافية معينة؛ فشرحها، أمّا في هذا المطول؛ فقد وجَّه عنايته إلى غالب المسائل الخلافية فيه.

وله: «**زبدة المراد فهرس مجمع الجواد**»: مخطوط، في تسع وعشرين ورقة، بخط الشيخ إسماعيل البلال أحد تلامذة الشيخ، وكان المخطوط لديه رحمه الله، وعنه مصورة بدارة الملك عبد العزيز.

٢٣ ـ **القول الصائب في حكم بيع اللحم بالتمر الغائب**: مخطوط في مكتبة الملك فهد.

٢٤ ـ **الغُرر النَّقية شرح الدرر البهية**: طبعت باعتناء الشيخ محمَّد بن حسن آل مبارك وفقه الله وسدّده، عن دار إشبيليا.

٢٥ ـ **الحجج القاطعة في المواريث الواقعة**: طبعت باعتناء الشيخ محمَّد بن حسن آل مبارك وفقه الله وسدّده. عن دار إشبيليا.

٢٦ ـ **السَّبيكة الذهبية على متن الرحبية**: طبعت طبعتين، آخرها باعتناء الشيخ محمَّد بن حسن آل مبارك وفقه الله وسدّده. عن دار إشبيليا.

٢٧ ـ **صِلة الأحباب شرح ملحة الإعراب**: مفقود.

٢٨ ـ **مفاتيح العربية على متن الآجرومية**: مطبوع عن دار الصميعي بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن سعد الدغيثر وفقه الله.

٢٩ ـ **لُباب الإعراب في تيسير علم النحو لعامة الطلاب**: طبعت بتحقيق الشيخ محمَّد بن حسن آل مبارك وفقه الله وسدّده.

*** وفاته:**

توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمر ناهز ٦٣هـ سنة، قضاها في الدعوة إلى الله تعالى، وإلى تعليم الناس أمور دينهم.

واختلف المترجمون في تحديد يوم وسنة وفاته، والصواب أنه توفي في الثلث الأخير من ليلة الجمعة الموافق السادس عشر من شهر ذي القعدة عام ١٣٧٦هـ. والله أعلم.

*** عقبه:**

لم يُرزق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكور، وإنما وُهب ستّاً من البنات، جعلهنَّ الله من المؤمنات الصالحات.

وصَلَّى الله على نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الحديث عن الرسالة

*** موضوعها:**

موضوع الرسالة هو التَّقليد والاجتهاد، وهما موضوعان يختصَّان بعلم أصول الفقه.

وهما من المواضيع الهامَّة جداً لكلِّ مُفتٍ وفقيه؛ فإنَّ حاجات الناس لا تتناهى، والنَّوازل لا تنقطع، وأدلة الشريعة الغرَّاء صالحة ومناسبة بل ومصلحة لمقاصد المُكلَّفين من ضروريات، وحاجِيَّات، وتحسينيَّات، وتلك آلة الاجتهاد عند الفقيه المجتهد الذي يُحسن التَّعامل مع الأدلة؛ لِيُبيِّن للناس حرص الشريعة على مصالح العباد واستجلاب منافعهم من غير حَرَج أو ضيق فيما يمرُّ بهم من ضروريات في أحوال الناس ومعاشهم، يُمليها الواقع عليهم في بلاد المسلمين أو غيرها، من مسائل ليس فيها نصٌّ شرعي؛ «**وإنَّما يعرفُ ذلك من كان خبيراً بأسرار الشَّرْع ومقاصده؛ وما اشتملت عليه شريعة الإسلام من المحاسن التي تفوق التعداد؛ وما تضمَّنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد، وما فيها من الحكمة البالغة، والرحمة السابغة، والعدل التامِّ**»[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/ ٥٨٣).

ومن هنا اعتنى المتقدِّمون بموضوع الاجتهاد والتقليد؛ واعتنوا بمسائلهما، ومنهم الأئمة الأربعة، وهم الفقهاء المجتهدون في أزهى عصور الفقه الإسلامي.

وكان ممن أسهم في هذا الموضوع الشيخ العلَّامة فيصل آل مبارك ﵀ بهذه الرسالة اللطيفة الماتعة، فجزاه الله خيراً وجعلها في ميزان حسناته.

*** نسبتها:**

نسبتها للمؤلف ثابتة والحمد لله؛ فقد أثبتها له كلّ من ترجم للشيخ، بَلْه أنها بخطه ومكتوب اسمه على طُرَّتها[١].

*** نسخها:**

أما المطبوعة؛ ففي بداية اهتمامي بالرِّسالة، كنت قد اعتنيت بها من خلال طبعة «المجموعة الجليلة» والتي تضم الرسائل التالية:

الأولى: مختصر الكلام شرح بلوغ المرام، وطبعت مفردة عن دار كنوز إشبيليا بالرياض.

الثَّانية: محاسن الدين بشرح الأربعين النووية، وطبعت عن دار كنوز إشبيليا.

الثَّالثة: مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد، وهي التي قيد ناظريك.

---

(١) انظر: مصادر ترجمته ص٥.

وبَيْنا كنت مشتغلاً بالاعتناء بها، أوقفني أحد الإخوة الفضلاء على طبعة مفردة لها عن دار السلف بالرياض؛ باعتناء الشيخ راشد الغفيلي وفقه الله.

فلما وقفت عليها تركت العمل بإكمالها؛ لاعتقادي أني قد سُبقت بذلك؛ فتوجهت للمشاريع العلمية الأخرى، سيمَّا «خلاصة الكلام على عمدة الأحكام» للشيخ فيصل رحمه الله.

وبعد حين من الزمن قرأتها كاملة وأبنت بعض الأمور فيها وقيَّدتها على نسختي؛ من سقط، أو تخريج؛ أو عزو.

وحينما كنت أبحث عن مخطوطة كتاب «خلاصة الكلام» لم آل جهداً في البحث والتنقيب والسؤال عنها من أقرباء الشيخ رحمه الله أو تلامذته ومحبِّيه، حتى وقف السؤال عند الشيخ الفاضل عبد العزيز الزَّير حفظه الله وسدّد خطاه؛ فسألته عن مخطوط شرح العمدة؛ فلم أظفر به، ثم عرجت بالحديث على «مقام الرشاد»؛ فأخبرني بأنه يقتني نسخة منها؛ ففرحت ورغبت بمصورتها، فأرسلها إليَّ مشكوراً مع تحقيقه لكتاب «محجَّة القُرب في فضل العرب» للعراقي رحمه الله، وحين وصلتني سارعت بمقابلتها على طبعة الشيخ الغفيلي ـ ولم تكن عن أصل خطي كذلك ـ فوجدت الدَّاعي لإعادة تحقيقها مُتحقِّق؛ فعدت على ما بدأته سابقاً حتى أنهيتها، وهاهي بين يديك، وأمام ناظريك، والحمد لله على توفيقه أوَّلاً وآخراً.

وأما النسخة الخطية المعتمدة:

فقد اعتمدتُ في ضبط النَّص على المخطوط وحده؛ لأنَّها بخط المؤلِّف نفسه وهي حاكمة على غيرها[1]، ولم ألتفت إلى الفروق بين النُّسخ المطبوعة وما كان فيها من فروقات أو تغيير أو سقط أو غيره؛ إذ أعدُّه من ضروب العبث بالتراث، وما أكثر صُوَرِه اليوم والله المستعان.

فهاك وصف النسخة الخطية:

١ ـ عنوانها كما هو مدوَّن على طُرَّتها: «مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد».

٢ ـ المؤلف: فيصل بن عبد العزيز آل مبارك رحمه الله.

٣ ـ اسم الناسخ: المؤلف نفسه رحمه الله.

٤ ـ تاريخها: القرن الرابع عشر الهجري.

٥ ـ عدد الأوراق: (١٣)، ورقة مع ورقة العنوان. وفي كلّ ورقة صفحتان، وفي كلّ صفحة (١٣) سطر.

٦ ـ مصدرها: جامعة الرياض، ورقمها: (١١٥٦).

٧ ـ الخط: كتبت بخط الرقعة، وتميزت بالتَّقييدة[2]؛ وهي كلمة توضع في أسفل الصفحة الأولى تحت أخر كلمة من السطر الأخير، وتكون هي الكلمة الأولى في نص الصفحة الثانية؛ في أول سطر منها؛ دلالة على تتابع الصفحات وهذا عند القدماء.

---

(١) وقد تفضَّل بها عليَّ لتحقيقها فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز الزَّير حفظه الله ونفع به، فله مني وافر الشكر والجزاء والدعاء.

(٢) وتسمى أيضاً: التَّعقِيبة والوَصْلة. ينظر: «معجم مصطلحات المخطوط العربي» لأحمد شوقي بنبين (٩٩).

منهج العمل عليها:

عمل المعتني اشتمل على ما يلي:

(أ) ضبط النَّص وشكْلِه، وتوزيع فقراته.

(ب) عزو الآيات القرآنية، وجعلها عقب الآية في النص المحقَّق.

(ج) تخريج الأحاديث النبوية، والآثار من مصادرها الأصيلة؛ فما كان في «الصحيحين» أو أحدهما اكتُفي بذلك، وما عداهما توسع فيه بعض الشيء، مع بيان الحكم من أقوال المحققين من أهل الحديث صحةً أو ضعفاً.

(د) عزو النقول لأصحابها.

ومن باب قول المصطفى ﷺ: «**لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناسَ**»(١).

فالشكر لشيخي الكريم القاضي المفضال **محمَّد بن سليمان آل سليمان**؛ الذي لازمته ستّ سنوات أنهل من معين عِلْمه وخلقه وفضله، حفظه الله وأمدَّ في عمره وختم له ولنا على خير.

وكذا لشيخي العلَّامة الفقيه المحدِّث **شعيب الأرنؤوط** الذي منحني وقتاً من وقته الثمين لأقرأ عليه، فجزاه الله خير الجزاء ولا حرمني خير علمه وفضله.

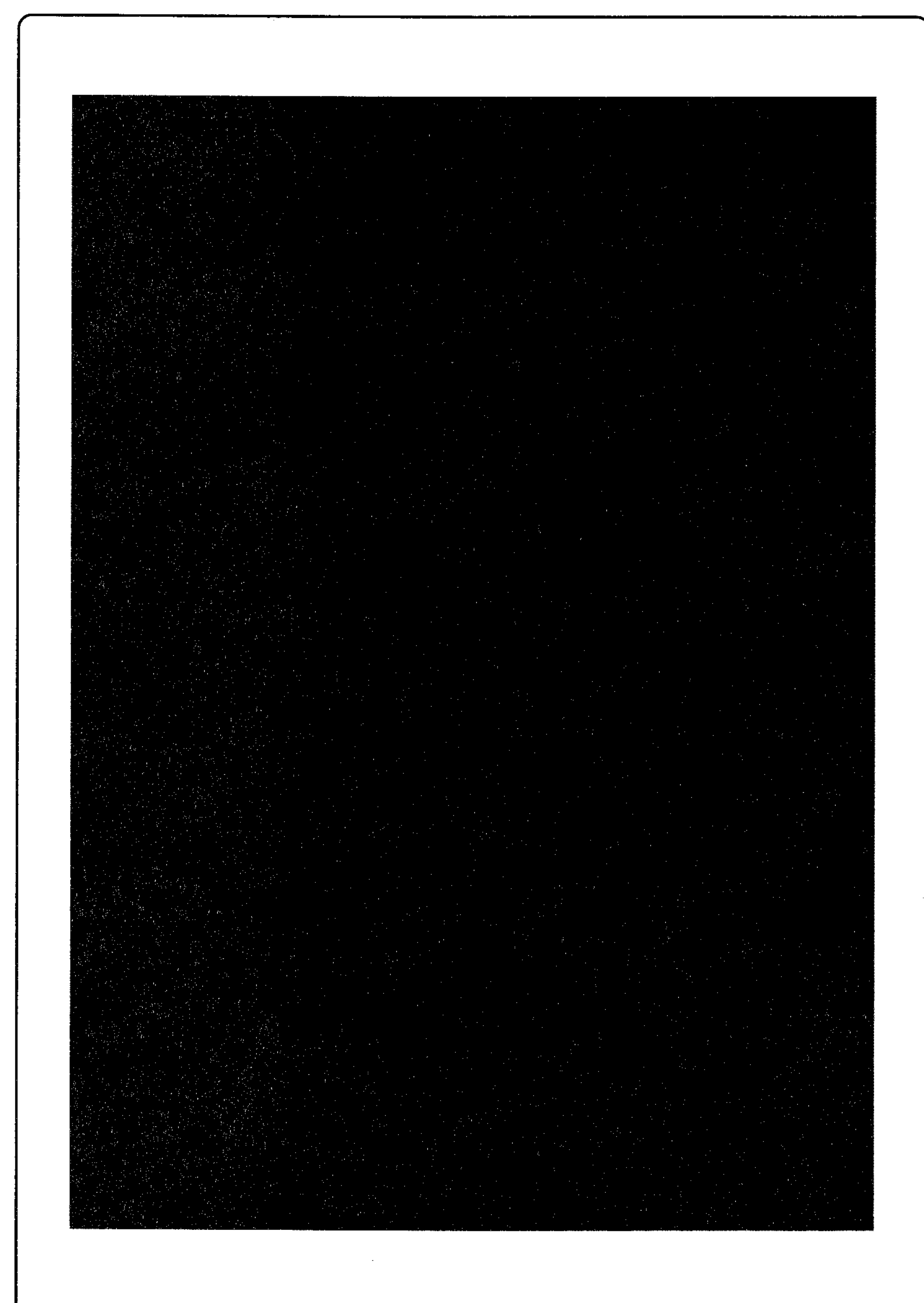
---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وأحمد في «المسند» (٧٩٣٩)، وإسناده صحيح.

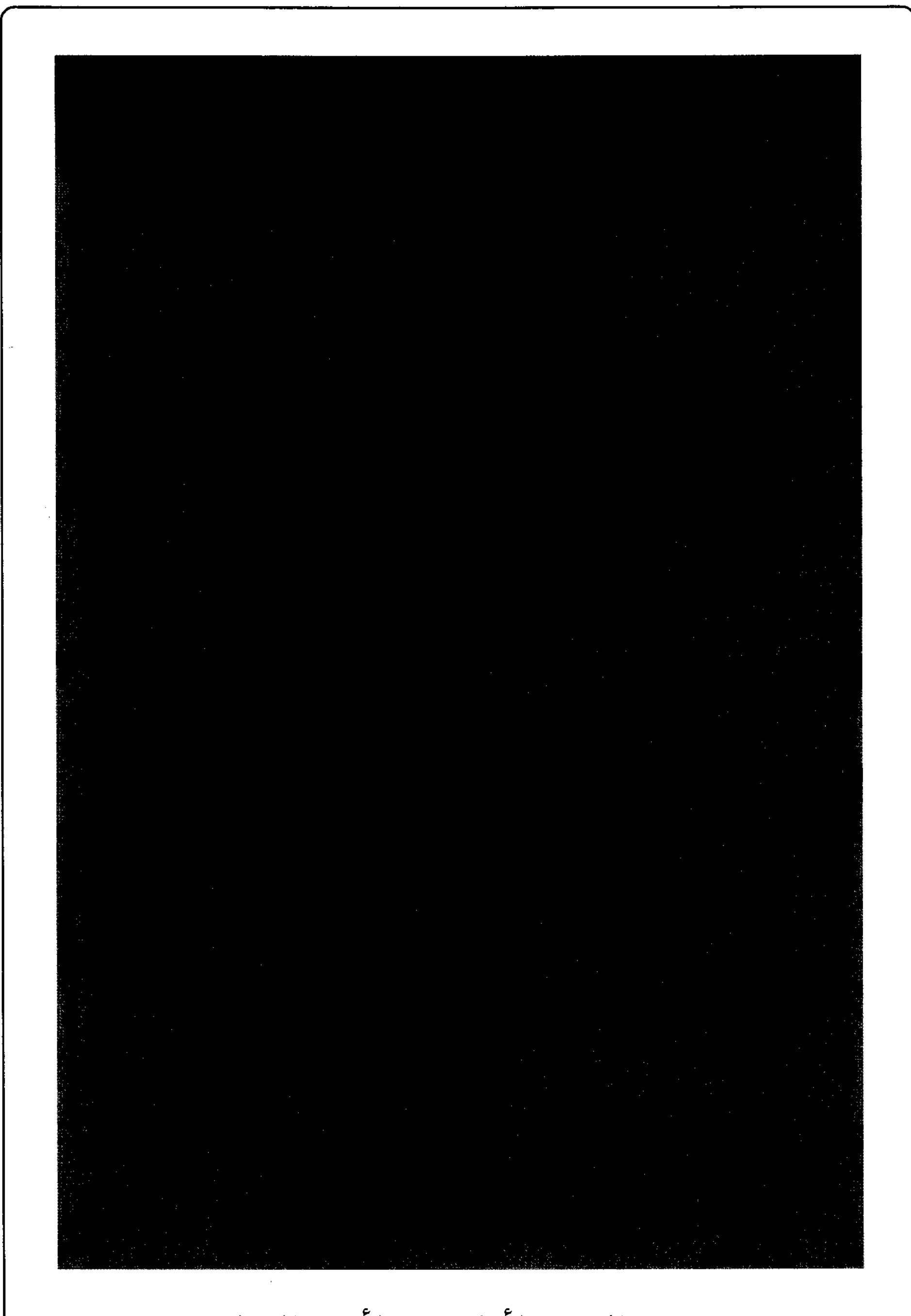
وكذا كلٌّ من أعانني بنصح، أو فائدة، أو دلالة، أسأل الله العلي القدير أن يثيبهم خيراً كثيراً؛ فهو سبحانه خير مسؤول.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالحات.

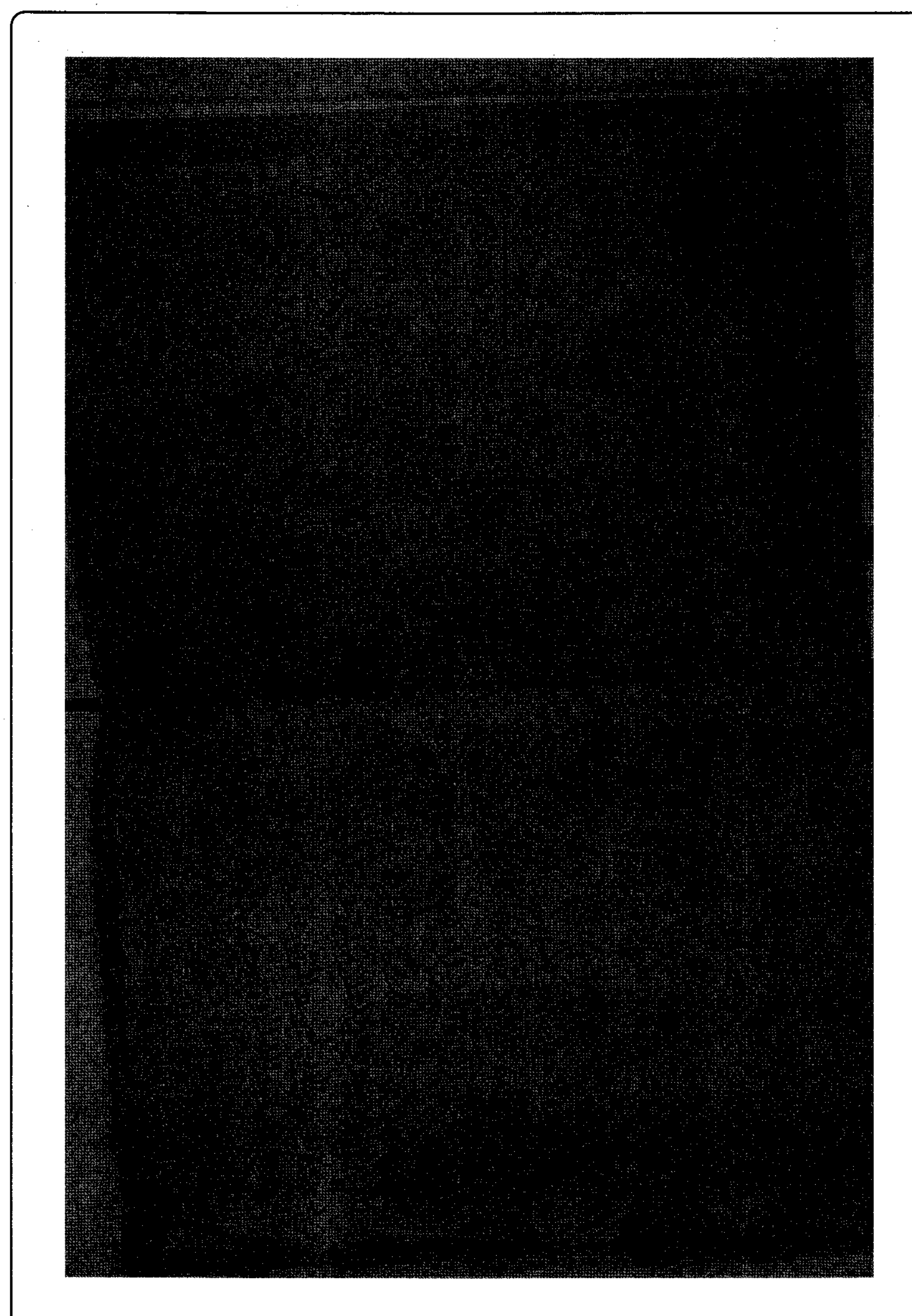
❑❑❑



صورة عنوان الأصل الخطي



صورة الورقة الأولى من الأصل الخطي



صورة الورقة الأخيرة من الأصل الخطي



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨٤)



مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
فيصل بن عبد العزيز آل مبارك
المتوفى سنة (١٣٧٦ هـ)
رحمه الله تعالى

يحقق لأول مرة عن نسخة بخط مؤلفه

اعتنى به وعلق عليه
محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذِهِ نُبذَةٌ في مَعْرفةِ أُصُولِ الفِقْهِ.

[١ ـ تعريف الفقه][١]

* [والفِقْهُ][٢] هُوَ العِلمُ بالأَحْكامِ الشَّرْعِيَّة[٣].

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[٤].

---

(١) من باب التقريب، وضعتُ عناوين بين معقوفين، توضِّح المقصود في تسلسل الرسالة.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هذا تعريفٌ مختصرٌ للفقه، والتعريف المشهور له هو: «**العلم بالأحكام الشرعية العَمليَّة من أدلَّتها التفصيلية**». ومصطلح (الفِقْه) يختلف بين المتقدمين والمتأخرين. وانظر في بيان ذلك: «البحر المحيط» للزَّرْكشي (١/ ١٩) وما بعده، و«تاريخ الفقه الإسلامي» لشيخنا العلامة أ. د. عمر الأشقر (١١ ـ ١٧) في بيانٍ لطيفٍ، و«المدخل الفقهي العام» للعلامة مصطفى الزرقا رحمه الله (١/ ٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (٢٣٨٩) من حديث معاوية رضي الله عنه.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فكلُّ من أراد الله به خيراً فلا بُدَّ أن يفقهه في الدِّين، فمن لم يفقهه في الدِّين لم يرِد به خيراً، وليس كل مَن فقَّهه في الدِّين قد أراد به خيراً، بل **لا بُدَّ مع الفقه في الدِّين من العمل به**، فالفقه في =

* **وأُصُولُ الأَدِلَّةِ**: الكِتَابُ، والسُّنَّةُ، والإجْمَاعُ، وشَرْعُ مَنْ قَبْلَنا شَرْعٌ لنَا إذَا قَصَّهُ اللهُ عَلَيْنا ورَسُولُهُ ولَمْ يُنْسخْ؛ لِقَولِ اللهِ تَعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠][1].

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ السَّمْنِ وَالجُبْنِ وَالفِرَاءِ[2]؟ فَقَالَ: **«الحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللهُ في كِتَابِهِ، وَالحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللهُ في كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ»**[3].

= الدِّين شرطٌ في حصول الفلاحِ، فلا بد من معرفة الربِّ تعالى، ولا بُدَّ مع معرفته من عبادته، والنَّعيم واللذَّة حاصلٌ بذلك» اهـ. «الصفدية» (٢/ ٢٦٦)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢١٢).

(١) يُضاف للأصول الثلاثة الأولى القياس؛ لتكون أصول الأدلة الأساسية.
وأما الأدلة الفرعية: فهي: الاستحسان، والمصالح المُرسَلة، وسدِّ الذرائع، والعُرْف، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والاستصحاب.
انظر: «المستصفى» للغزالي (١/ ١٨٩)، و«المدخل الفقهي العام» للعلامة مصطفى الزرقا رحمه الله (١/ ٧٣)، و«تيسير الوصول إلى قواعد الأصول» للفوزان (١/ ١٠٢)، وما بعدها، و«معالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة» للجيزاني (٦٨).

(٢) الفِرَاء: جلد حمار الوحش. «تحفة الأحوذي» (٥/ ٣٢٤)، وانظر: «المعجم الوسيط» (٦٧٨) مادة (الفَرَأُ).

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٢٣)، وابن ماجه (٣٣٦٧)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ حديث ٧١١٥)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٩/ ٣٢٠)، و(١٠/ ١٢). وإسناده حسن. وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: «الحديث الثلاثين».

[٢ ـ تعريفُ السُّنَّة]

* والسُّنَّةُ: مَا وَرَدَ عنِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ قَولٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ(١).

قالَ إمَامُ الحَرَمَيْن: «والأَحْكامُ سَبعةٌ: الوَاجِبُ، والمَنْدُوبُ، والمُبَاحُ، والمَحْظُورُ، والمكرُوهُ، والصَّحيحُ، والفَاسِدُ»(٢).

---

(١) تعريف السُّنَّة يُقابل تعريف الحديث، وبعض أهل الحديث يُفرِّق بينها من حيث العموم والخصوص، والتعريف هنا خاصٌّ بالأصوليين؛ إذ يقتصرون في تعريفهم على ما يكون محلًّا للتشريع بخلاف أهل الحديث؛ فهم يَبحثون كل ما أضيف للنبي ﷺ ويضيفون الصِّفات الخَلْقية والخُلُقية. انظر: «معالم في أصول الفقه» للجيزاني (١١٨)، و«منهج النقد في علوم الحديث» للدكتور نور الدين عتر (٢٦ ـ ٣٠).

(٢) متن الورقات (٤٩٧) من «الجامع للمتون العلمية» للشمراني، وفيه (الباطل) بدل الفاسد.

لطيفة: كثيرٌ من النسخ الخطية والمطبوعة فيها (الفاسد) بدل (الباطل)، وأيًّا كان؛ فإنَّ جمهور الأصوليين لم يفرِّقوا بين الباطل والفاسد، سواء كان ذلك في العبادات أو في المعاملات، وأما الحنفيَّة ففرَّقوا بينهما في المعاملات، وأما في العبادات فوافقوا الجمهور في عدم التفريق بين الباطل والفاسد. انظر: «شرح الورقات» للمَحلِّي (٨٦)، و(٩٤)، و«شرح الورقات» للفوزان (٤٨)، و«المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة» لشيخنا الدكتور أحمد سعيد حوى (١٥٣)، وفي ذلك يقول صاحب «مراقي السعود»:

والصِّحَّة القَبول فيه يدخل ... وبعضهم للاستواء ينقل
وخَصِّص الإجزاء بالمطلوب ... وقيل بل يختص بالمكتوب
وقابل الصحة بالبطلان ... وهو الفساد عند أهل الشان
خالف النُّعمان فالفساد ... ما نهيه للوصف يُستفاد

انظر: «نثر الورود» للعلامة الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي رحمه الله (١/ ٦٤).

[٣ ـ تعريفُ التَّقليد والاجتِهاد]

قَالَ: **والتَّقليدُ**: قَبولُ قَوْلِ القَائِلِ بِلا حُجَّةٍ.

والاجْتِهادُ: بَذْلُ الوُسْعِ في بُلُوغِ الغَرَضِ[١].

وَقالَ مَالكٌ: يَجِبُ على العَوَامِ تَقْليدُ المُجْتَهِدِينَ في الأَحْكامِ، كَمَا يَجِبُ على المُجْتَهِدِينَ الاجْتِهادُ في أَعْيَانِ الأَدِلَّةِ[٢].

قَالَ شَيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمِيَّةَ: «النَّبِيهُ الَّذِي سَمِعَ اخْتَلافَ العُلَمَاءِ وأَدِلَّتَهُم؛ في الجُمْلةِ عِنْدَهُ مَا يَعْرِفُ بِهِ رُجْحَانَ القَوْلِ»[٣].

قَالَ: «وأَكثرُ مَنْ يُميِّزُ في العِلمِ من المتَوسِّطِينَ إِذَا نَظَرَ وتَأَمَّلَ أَدِلَّةَ الفَرِيقَيْنِ بقَصْدٍ حَسَنٍ، ونَظَرٍ تَامٍ، تَرَجَّحَ عِنْدَهُ أَحَدُهما، لكِنْ قَدْ لا يَثِقُ بِنَظَرِهِ، بَل يَحْتَمِلُ أَنَّ عِنْدَهُ مَا لا يَعْرِفُ جَوَابَهُ، والوَاجِبُ عَلى مِثْلِ هَذَا مُوافَقَتُهُ القَوْلَ الَّذِي تَرَجَّحَ عِنْدهُ بِلا دَعْوَى مِنْهُ لِلاجْتِهَادِ»[٤]. انْتَهَى.

---

(١) «الورقات» (٥٠٨) باختصار. وانظر: «معجم أصول الفقه» (٩١)، و(٢١)، و«معالم في أصول الفقه» للجيزاني (٤٦٣)، و(٤٨٩) فهو نفيس، و«التقليد» للدكتور سعد الشثري (١٦) ففيه مناقشة لتعريف التقليد نافعة.
قال شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله: ويُزاد هنا «الاتباع» وهي مرحلة بين التقليد والاجتهاد، وهي أخذ قول الفقيه بدليله، وهذا فرضٌ على كل طالب علم تأهَّل للخروج من مرتبة التقليد، وصارت عنده مَلَكة تخوِّله لأن يعرف الصواب في مسائل العلم.

(٢) هذا ما فهمه ابنُ القصَّار رَحِمَهُ اللهُ من مذهب مالك، في فتواه ونظره في الفقه. وانظر: «تنقيح الفصول» للقرافي (٤٣٠) في حكم الاجتهاد.

(٣) «الاختيارات مع الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام» (٥/ ٥٥٥).

(٤) المصدر السابق (٥/ ٥٥٦).

[٤ ـ طبقاتُ النَّاسِ في العِلْم]

وقَالَ الشَّافِعيُّ في «الرِّسَالةِ»: «فكلُّ مَا أَنْزَلَ اللهُ في كِتَابِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ رَحمةٌ وحُجَّةٌ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ. وَالنَّاسُ طَبَقاتٌ في العِلمِ مَوقِعُهُم منَ العِلمِ بِقَدْرِ دَرَجَاتِهِم فِيْهِ؛ فَحَقٌّ عَلى طَلَبَةِ العِلمِ بُلُوغُ غَايَةِ جَهْدِهِم في الاسْتِكْثَارِ مِنْ عِلمِهِ، والصَّبرُ عَلى كُلِّ عَارِضٍ دُونَ طَلَبِهِ، وإخْلاصُ النِّيَّةِ للهِ في اسْتِدْرَاكِ عِلمِهِ نَصًّا واستِنْبَاطاً، وَالرَّغبَةُ إلى اللهِ في العَوْنِ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لا يُدْرَكُ خَيرٌ إلَّا بِعَوْنِهِ، فَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَ عِلمَ أَحْكَامِ اللهِ مِنْ كِتَابِهِ نَصَّاً واسْتِدْلالاً، وَوَفَّقَهُ اللهُ لِلقَوْلِ والعَمَلِ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ، فَازَ بِالفَضِيلَةِ في دِيْنِهِ ودُنْياهُ؛ فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا فَهْمَاً في كِتَابِهِ، ثُمَّ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ»[1].

قَالَ: «وَإِنَّمَا خَاطبَ اللهُ بِكِتَابِهِ العَرَبَ بِلِسَانِهَا عَلى مَا تَعْرِفُ مِنْ مَعَانِيْهَا»[2].

[٥ ـ الحاجَةُ لِلقِياس]

وَقَالَ أَيْضاً: «القِيَاسُ أَنْ يُحَرِّمَ اللهُ في كِتَابِهِ، أَوْ يُحَرِّمَ رَسُولُهُ القَلِيلَ منَ الشَّيءِ؛ فيُعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَهُ إذَا حُرِّمَ كَانَ كَثيرُهُ مِثلَ قَلِيلِهِ في التَّحْرِيم أَوْ أَكثرَ، وكَذَلِك إذا حُمِدَ على يَسيرٍ منَ الطاعَةِ كانَ مَا هُوَ أكثرُ مِنها أَوْلَى أَنْ يُحْمَدَ عَليهِ، وَكذَلِك إذَا أَبَاحَ كثيرَ شَيءٍ كانَ الأَقَلُّ مِنْهُ أَوْلَى أَنْ يَكونَ مُباحاً»[3].

---

(١) «الرسالة» (٣٤).

(٢) المصدر السابق (٥١).

(٣) المصدر السابق (٥١٣).

وقال أيضاً: «القِيَاسُ مَنْزِلَةُ ضَرُورةٍ؛ لأَنَّهُ لا يَحِلُّ القِياسُ والخَبرُ مَوجُودٌ، كَما يكونَ التَّيَمُّمُ طَهارةً في السَّفَرِ عِنْدَ الإعْوَازِ منَ الماءِ».

انْتَهى مُلَخَّصاً[1].

[٦ ـ حديث معاذٍ في القياس]

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِيْنَ بَعَثَهُ إلى اليَمَنِ: **«بِمَ تَقْضِي؟»**.

فَقَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللهِ.

قَالَ: **«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ في كِتَابِ اللهِ؟»**.

قَالَ: أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ.

قَالَ: **«فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»**.

قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي.

فَقَالَ: **«الحَمْدُ لله الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ»**[2].

---

(١) «الرسالة» (٥٩٩) بتلخيصٍ وتصرُّفٍ لما سبق من المؤلف رحمه الله كما ذكر. وانظر: «إعلام الموقعين» (٤/ ٤٣).

(٢) أخرجه: أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، وأحمد في «المسند» (٢٢٠٠٧)، والدَّارمي في «مسنده» (١/ ٢٦٧/ رقم ١٧٠)، وأبو داود الطَّيالسي في «مسنده» رقم (٥٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، (٤/ ٥٤٤/ ٢٢٩٧٩)، وابن عبد البرِّ في «جامعه» (٢/ رقم ١٥٩٢، ١٥٩٣)، والعُقَيْلي في «الضعفاء» في ترجمة =

. . . .

= الحارث بن عمرو (١/ ٢٣٤/ رقم ٢٦٣)، والدَّارقطني في «العلل» (٦/ ٨٨/ رقم ١٠٠١)، وغيرهم، من طرق عن شعبة، عن أبي العون محمَّد بن عبيد الله الثقفي، عن الحارث بن عمرو ـ أخي المغيرة بن شعبة ـ عن معاذ، وتارة عن أصحاب معاذ، عن معاذ.

وهذا إسنادٌ ضعيف؛ لجهالة أصحاب معاذ، والحارث بن عمرو.

قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ١٧٥): «عن رجال عن معاذ بحديث الاجتهاد. قال البخاري: لا يصح حديثه». وانظر: «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ٣٠٤).

وقال الحافظ: «مجهول»، وقال البخاري: «لا يصح حديثه»، وقال الذهبي: «تفرَّد به أبو عون محمَّد بن عبيد الله الثقفي، عن الحارث بن عمرو الثقفي ابن أخي المغيرة، وما روى عن الحارث غير أبي عون، فهو مجهول». وانظر: «التهذيب» (١/ ٤٧٤).

وقال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل». وانظر «تحفة الأحوذي» (٣/ ٤٤٩).

وقال ابن الجوزي في «العلل» (٢/ ٧٥٨): «لا يصح وإنْ كان الفقهاء كلُّهم يذكرونه في كتبهم ويعتمدون عليه، وإن كان معناه صحيحاً».

وقال ابن المُلقِّن في «خلاصة البدر المنير» (٢/ ٤٢٤): «رواه أبو داود، والترمذي بإسناد ضعيف، وقال البخاري: مرسل، وقال ابن حزم: لا يصح، وقال عبد الحق: لا يُسند ولا يوجد من وجه صحيح».

وقال الحافظ: في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٨٢) فيما نقله عن محمَّد بن طاهر المقدسي: «اعلم أنني فحصت عن هذا الحديث في المسانيد الكبار والصغار، وسألت عنه من لقيته من أهل العلم بالنقل؛ فلم أجد له غير طريقين؛ إحداهما طريق شعبة؛ والأخرى عن محمَّد بن جابر، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن رجل من ثقيف، عن معاذ؛ وكلاهما لا يصح» اهـ. =

= وقد أطال الشيخ ناصر الدين الألباني ﷺ في «الضعيفة» (٢/ ٢٧٣) في تضعيفه وذكر كلاماً لابن حزم فقال: «هذا حديث ساقط، لم يروه أحد من هذا الطريق، وأول سقوطه أنه عن قوم مجهولين لم يُسمّوا، فلا حجة فيمن لا يعرف من هو؟ وفيه الحارث بن عمرو، وهو مجهول لا يعرف من هو؟ ولم يأت هذا الحديث من غير طريقه».

وقال في موضع آخر بعد أن نقل قول البخاري فيه: «لا يصح»، ثم قال: «وهذا حديث باطل لا أصل له» اهـ.

وعليه فالجمهور على تضعيف إسناده، وعدم ثبوته عن النبي ﷺ؛ لأجل الاختلاف في وصله وإرساله، والجهالة في موضعين، كما مرَّ آنفاً، ولا يُقوِّي ضعفه أن كان مشهوراً ومعناه صحيحاً.

بيْدَ أنَّ ثمَّة علماء من أهل التَّحقيق ذهبوا إلى تصحيحه، منهم: الإمام الجويني في «البرهان»، وابن العربي في «عارضة الأحوذي»، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «المجموع» (١٣/ ٣٦٤)، وتلميذَيْه ابن القيم، وابن كثير، وكذا الشوكاني في جزء له مفرد، ، وشيخنا شعيب الأرنؤوط، فإنهم مالوا إلى القول بصحَّتِه وأجابوا عن العلل التي قدحت في صحَّته.

قال الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠): إنَّ أهل العلم قد تقبَّلوه واحتجُّوا به، فوقَفْنا بذلك على صحته عندهم كما وقفنا على صحة قول رسول الله ﷺ: «لا وصية لوارث»، وقوله في البحر: «هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتته» وقوله: «إذا اختلف المتبايعان في الثمن والسلعةُ قائمة، تحالفا وترادا البيع»، وقوله: «الدِّية على العاقلة»، وإنْ كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد، لكن لما تلقَّتها الكافة عن الكافة غَنُوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها فكذلك حديث معاذ لما احتَّجوا به جميعاً غَنُوا عن طلب الإسناد له. =

* وقالَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ في كِتَابِهِ إلى أَبِي مُوسَى: «ثُمَّ الفَهْمَ الفَهْمَ فِيمَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ مِمَّا وَرَدَ عَلَيْكَ مِمَّا لَيْسَ في قُرْآنٍ وَلا سُنَّة، ثُمَّ قَايِسِ الأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَاعْرِفِ الأَمْثَالَ، ثُمَّ اعْمَدْ فِيْما تَرَى إِلَى أَحَبِّهَا إِلَى اللهِ وَأَشْبَهِهَا بِالحَقِّ»[1].

= وقال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ١٥٨): فهذا حديث وإن كانَ عن غير مُسَمَّيْنَ فهم أصحاب معاذ، فلا يضرُّه ذلك؛ لأنَّه يدل على شهرة الحديث وأنَّ الذي حدَّث به الحارث بن عمرو، جماعة من أصحاب معاذ، لا واحد منهم، وهذا أبلغ في الشهرة من أن يكون عن واحد منهم لو سُمِّي، كيف وشهرة أصحاب معاذ بالعلم والدِّين والفضل والصدق بالمحلِّ الذي لا يخفىٰ! ولا يُعرف في أصحابه مُتَّهم ولا كذاب ولا مجروح، بل أصحابه من أفاضل المسلمين وخيارهم، ولا يشك أهل النقل في ذلك.

وقد خرَّج البخاري في «الصحيح» (٣٦٤٢) حديث عروة البارقي: سمعت الحيَّ يحدثون عن عروة، ولم يكن ذلك الحديث في المجهولات.

وفي «صحيح مسلم»(٩٤٥)(٥٢) عن ابن شهاب، حدثني رجال عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، به.

وقال العظيم أبادي في «عون المعبود» (٩/ ٣٦٩)، وللحديث شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس، أخرجها البيهقي في «السنن الكبرى» عقب تخريج الحديث تقوية له.

فهذان رأيان لأهل العلم في الحديث، والقول إلى الضعف أقعَدُ، والله أعلم.

انتهى من مدارسة مع شيخنا العلامة المحدِّث شعيب الأرنؤوط حفظه الله، وطالع ما حرَّره شيخنا في «العواصم والقواصم» لابن الوزير (١/ ٢٥٨).

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٥/ ٣٦٧/ رقم ٤٤٧١)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٥٠)، و«المعرفة» (٧/ ٣٦٦)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٣٠٠ رقم ١٥٢٩٠)، ووكيع في «أخبار القضاة» (١/ ٧٠)، وخرَّجه الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٦٣)، وضعَّفه ابنُ حزم في «الإحكام» (٢/ ١٠٠٢)، ووصفه في =

* وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: «أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ»[1].

[٧ ـ الفَرْقُ في مَبادِىءِ المَعْلومات]

قَالَ في الوَرَقَاتِ: «وَالفِقْهُ أَخَصُّ منَ العِلمِ».

والعِلمُ: مَعْرفةُ المَعْلُومِ عَلى مَا هُوَ بِهِ في الوَاقِعِ.

= «المحلّى» (١/ ٥٩) بأنه مكذوب موضوع على عمر! ففنَّد ذلك العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه وانتهى إلى ثبوته بعد أنْ جمع طرقه وأسانيده. (أفدته من بحث شيخنا العلامة أ. د. عمر الأشقر حفظه الله من كتابه: «نظرات في أصول الفقه» (١١٧) حاشية)، وكذا الشيخ الألباني رحمه الله في «الإرواء» (٨/ ٢٤١/ رقم ٢٦١٩) فقد صحَّحهُ، فانظرْه إنْ رُمْتَ فائدةً.
وانظر مزيداً: تحقيق صحة هذا الكتاب في مجلة الشريعة العدد (٤) من جامعة الإمام محمَّد بن سعود بالرياض (١٤٠٢هـ) للشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله بعنوان: «تحقيق ثبوت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري في شأن القضاء، وفيه العمل بالقياس» ص٢٩٩، وبحثاً للشيخ سعود الدريب في مجلة البحوث الإسلامية العدد (٧) ص٢٦٩، وكذا تحقيق رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما للدكتور ناصر بن عقيل الطريقي في العدد (١٧) ص١٩٥، حيث أثبت صحتها وردَّ الشُّبَه عنها.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» (٦/ ٧١): «ورسالة عمر المشهورة في القضاء إلى أبي موسى الأشعري تداولها الفقهاء وبَنَوْا عليها واعتمدوا على ما فيها من الفقه وأصول الفقه». وانظر «إعلام الموقعين» (٢/ ١٥٨)، وشرَحها ابن القيم فيه (٢/ ١٦٣)، وانظر «الفتح» لابن حجر رحمه الله (١٣/ ٢٦٤).

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ١١).

والجَهْلُ: تَصوُّرُ الشَّيءِ عَلى خِلافِ مَا هُوَ بِهِ في الوَاقِعِ.

والعِلمُ الضَّرُوريُّ: مَا لا يَقَعُ عَنْ نَظَرٍ واسْتِدْلَالٍ؛ كَالعِلمِ الوَاقعِ بِإحْدَى الحوَاسِّ الخَمْسِ[1].

وأمَّا العِلمُ المُكْتَسبُ؛ فَهُوَ: الموقُوفُ عَلى النَّظرِ والاسْتِدْلَالِ.

والنَّظرُ: هُوَ الفِكْرُ في حَالِ المنْظُورِ فِيْهِ.

والاسْتِدْلَالُ: هُوَ طَلبُ الدَّليلِ. والدَّليلُ: هُوَ المُرْشِدُ إلى المطْلُوبِ.

والظَّنُّ: تَجْويزُ أَمْرَين أحدُهُما أظهرُ من الآخر.

والشَّكُّ: تَجْويزُ أَمْرَينِ لا مَزيَّةَ لأحدِهِما عنِ الآخَر» انتهَى[2].

---

(١) **قال شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله**: ثمَّة فرقٌ بين ما يدخل في العلم من خلال الحواس، إذ العلم قسمان: غيبيٌّ: والتعويل فيه بالنقل عن المعصوم ﷺ، وإنْ لم يخضع له العقل، وهذا يشمل الغيبيَّات، وكَسْبيٌّ: ويمكن للعقل أنْ يتصوَّر أحكامه ـ وقد لا يدرك ـ وهذا مقصورٌ على الحواس الخمس، وليس بلازمٍ فيه التَّسليم. اهـ.
وانظر قول شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٣/ ٨) في بيان طريق العلم الحقيقي المبني على الوحي.

(٢) «الورقات» (٤٩٨). وانظر: «الفروق في أصول الفقه» للحمد (٩١ وما بعدها).

[٨ ـ ذمّ الفُرْقة بَيْن أهل العِلْم]

قَالَ الخَطَّابِيُّ: «ورَأَيْتُ أَهْلَ العِلم في زَمَانِنَا قَدْ حَصَلُوا حِزْبَيْنِ، وانقَسَمُوا إلى فِرْقَتَيْنِ: أَصْحَابُ حَدِيثٍ وأَثَرٍ، وَأَهْلُ فِقْهٍ وَنَظَرٍ.

وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا لا تَتَمَيَّزُ عَنْ أُخْتِهَا في الحَاجَةِ، ولا تَسْتَغنِي عَنْهَا في دَرَكِ مَا تَنْحُوهُ منَ البُغْيَةِ والإِرَادَةِ؛ لأَنَّ الحدِيثَ بِمَنْزِلَةِ الأَسَاسِ الَّذِي هُوَ الأَصْلُ، وَالفِقْهُ بِمَنْزِلَةِ البِنَاءِ الَّذِي هُوَ لَهُ كَالفَرْعِ.

وَكُلُّ بِنَاءٍ لَمْ يُوضَعْ عَلى قَاعِدَةٍ وأَسَاسٍ؛ فَهُوَ مُنْهَارٌ، وَكُلُّ أَسَاسٍ خَلا عَنْ بِنَاءٍ وعِمَارَةٍ؛ فَهُوَ قَفْرٌ وخَرَابٌ.

قَالَ: وَوَجدْتُ هَذَيْنِ الفَرِيقَيْنِ عَلى مَا بَيْنَهُمْ منَ التَّدَانِي؛ إِخْوَانَاً مُتَهَاجِرِينَ.

فأَمَّا هَذِهِ الطَّبَقَةُ ـ الَّذِين هُم أَصْحَابُ الأَثَرِ والحَدِيثِ ـ: فَإِنَّ الأَكْثَرِينَ مِنْهُم إنَّما وَكْدُهُمُ[1] الرِّوَايَاتِ، وَجَمْعُ الطُّرُقِ، وَطَلَبُ الغَرِيبِ والشَّاذِّ منَ الحَدِيثِ الَّذِي أَكْثرهُ مَوْضُوعٌ أَوْ مَقْلُوبٌ لا يُرَاعُونَ المُتُونَ، ولا يَتَفَهَّمُونَ المَعَانِي، ولا يَسْتَنْبِطُونَ سِيَرَهَا، ولا يَسْتَخْرِجُونَ رِكَازَهَا وَفِقْهَهَا، وَرُبَّمَا عَابُوا الفُقَهَاءَ وتَنَاوَلُوهُم بِالطَّعْنِ، وادَّعَوْا عَلَيْهِمْ مُخَالَفَةَ السُّنَنِ، ولايَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ عَنْ مَبْلَغِ مَا أُوتُوهُ منَ العِلمِ قَاصِرُونَ، وبِسُوءِ القَوْلِ فِيْهِمْ آثِمُونَ.

---

(١) (وَكْدُهم) قال ابن فارس في «مقاييسه»: «وَكَدَ» الواو والكاف والدال: كلمةٌ تدل على شَدٍّ وإحكام، وقال: وَكَدَ وَكْدَه: إذا أَمَّه وعُنِيَ به» اهـ، فيكون المعنى: أن وَكْدهم أي؛ قصدهم الروايات في مظانِّها واستخراجها وجمعها. وانظر «لسان العرب» (٦/ ٤٨٢) مادة: (وكد).

وأَمَّا الطَّبَقةُ الأُخْرَى ـ وَهُم أَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ ـ: فإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يُعَرِّجُونَ منَ الحَدِيثِ إِلَّا عَلى أَقلِّهِ، ولا يَكادُونَ يُمَيِّزُونَ صَحِيْحَهُ مِنْ سَقِيْمِهِ، وَلا يَعْرِفُونَ جَيِّدَهُ مِنْ رَدِيْئِهِ، ولا يَعْبَؤُونَ بِمَا بَلَغَهُمْ مِنْهُ أَنْ يَحْتَجُّوا بِهِ عَلى خُصُومِهِمُ إِذَا وَافَقَ مَذَاهِبَهُم الَّتِي يِنْتَحِلُونَهَا، ووَافَقَ آراءَهُمُ الَّتِي يَعْتَقِدُونَها، وقَدْ اصْطَلَحُوا عَلى مَوَاضِعةٍ بَيْنَهُمْ في قَبُولِ الخَبَرِ الضَّعِيْفِ، والحَدِيثِ المُنْقَطِعِ، إذَا كانَ ذَلِك قَدْ اشْتُهِرَ عِنْدَهُم.

إلى أَنْ قَالَ: وَلكِنَّ أَقْوَامَاً عَسَاهُم اسْتَوْعَرُوا طَرِيقَ الحَقِّ، واسْتَطَالُوا المُدَّةَ في دَرَكِ الحَظِّ، وأَحَبُّوا عُجَالَةَ النَّيْلِ؛ فاخْتَصَرُوا طَرِيقَ العِلم، واقْتَصَرُوا على نُتَفٍ وحُرُوفٍ مُنْتَزَعَةٍ مِنْ مَعَانِي أُصُولِ الفِقْهِ سَمَّوْهَا عِلَلاً، وجَعَلُوهَا شِعَاراً لِأَنْفُسِهِم في التَّرَسُّم بِرَسْمِ العِلم، واتَّخَذُوهَا جُنَّةً عِنْدَ لِقَاءِ خُصُومِهِم، ونَصَبُوهَا دَرِيْئَةً للخَوْضِ والجِدَالِ، يَتناظَرُونَ بِهَا، ويَتَلاطَمُونَ عَلَيْهَا، وعِنْدَ التَّصَادُرِ عَنْهَا قَدْ حُكِمَ لِلغَالِبِ بالحَذْقِ والتَّبْرِيزِ؛ فَهُوَ الفَقِيْهُ المذْكُورُ في عَصْرِهِ، والرَّئِيسُ المعَظَّمُ في بَلَدِهِ ومِصْرِهِ.

هَذا وقَدْ دَسَّ لَهُمُ الشَّيطَانُ حِيْلَةً لَطِيفَةً، وبَلَغَ مِنْهُم مَكِيدَةً بَلِيغَةً؛ فَقَالَ لَهُم: هَذَا الَّذِي في أَيْدِيكُم عِلمٌ قَصِيرٌ، وبِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ لا يَفي بِمَبْلَغِ الحَاجَةِ والكِفَايةِ؛ فَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِالكَلام، وَصِلُوُه بِمَقْطَعَاتٍ مِنْهُ، واسْتَظْهِرُوا بِأُصُولِ المتَكَلِّمِينَ[1]، يَتَّسِعُ لَكُمُ مَذْهَبُ الخَوضِ ومَجَالُ النَّظَرِ؛ فَصَدَّقَ عَلَيْهِمُ ظَنَّهُ، وأَطَاعَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمُ واتَّبَعُوهُ إلَّا فَرِيقَاً مِنَ المُؤْمِنِيْنَ.

---

(١) فانظر إلى خطر الكلام وأهله على العلم الشريف، وقد أحسن الإمام ابنُ أبي العزِّ الحنفي: حين نقل في «شرح الطحاوي» (١/ ١٧) عن أبي يوسف =

فَيَا لِلرِّجَالِ والعُقُولِ! أَنَّى يُذْهَبُ بِهِم! وأَنَّى يَخْتَدِعَهُمُ الشَّيْطَانُ عَنْ حَظِّهِم وَمَوْضِعِ رُشْدِهِم، وَاللهُ المُسْتَعَانُ»[1] انْتَهَى.

= ﷺ: أنه قال لبشر المَرِيسي: **العلمُ بالكلام هو الجَهلُ، والجهلُ بالكلام هو العلم**، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل: زنديقٌ، أو رُمِي بالزَّندقة. أراد بالجهل به اعتقادَ عدمِ صحَّته، فإنَّ ذلك علمٌ نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو تَرْكَ الالتفات إلى اعتباره، فإنَّ ذلك يَصونُ علم الرجل وعقلَه، فيكون عِلماً بهذا الاعتبار.

وقال الإمام الشافعي ﷺ: حُكْمي في أهل الكلام أنْ يُضربوا بالجريد والنِّعال، ويُطاف بهم في العَشائر والقبائل، ويُقال: **هذا جزاءُ مَن ترك الكتاب والسُّنة وأقبل على الكلام**.

(١) «معالم السنن» للخطابي (١/ ٣ ـ ٥) بتصرف.

قال شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط حفظه الله: وفي كلام الإمام الخطابي ﷺ: نظر، وهو محصور على طائفة وزمن معيَّن، فلم يزل العالِم المحدِّث فقيهاً، وكذا الفقيه محدِّثاً، فهما صنوان، وهل الحديث وحده يكفي ليكون المحدِّث فقيهاً، وهل الفقه وحده يكفي لأن يكون محدِّثاً بمعزل عن الحديث، فكم في تاريخ علمائنا الأفذاذ من محدِّثين وهم فقهاء، وفقهاء وهم محدِّثون، فأين الإمام البخاري، والإمام الترمذي، والحافظ ابن رجب، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، والإمام النووي، والكمال ابن الهمام، والزَّيلعي، وابن قدامة، والشَّوكاني رحمهم الله جميعاً، وغيرهم كثير، كانوا أهل حديثٍ وفقهاء، فالعلم رِزقٌ، يختص العالِم في علم واحد ويَتفنَّن فيه، ويُلمُّ بطرف كبير من باقي العلوم، فالعلوم كلها شجرة واحدة، يسقي بعضها بعضاً.

[٩ ـ العِنَايَةُ بِمُتَابَعَةِ نُصوصِ الوَحْيِ]

واعْلَم أَنَّ بَعْضَ الكَلامِ في هَذا الفَنِّ تَعَبٌ عَاجِلٌ في تَحْصِيلِ حَاصِلٍ.

وَالمقْصُودُ: العَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، واتِّبَاعِ الحَقِّ والعَدْلِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

قَالَ ابْنُ القَيِّم: «فَأَمَرَ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَعَادَ الفِعْلَ إعْلَاماً بِأَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ تَجِبُ اسْتِقْلَالاً مِنْ غَيْرِ عَرْضِ مَا أَمَرَ بِهِ عَلَى الكِتَابِ، بَل إِذَا أَمَرَ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ مُطْلَقاً، سَوَاءٌ كَانَ مَا أَمَرَ بِهِ في الكِتَابِ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ أُوتِيَ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِطَاعَةِ أُولِي الأَمْرِ اسْتِقْلَالاً، بَل حَذَفَ الفِعْلَ وَجَعَلَ طَاعَتَهُم في ضِمْنِ طَاعَةِ الرَّسُولِ؛ إِيذَاناً بِأَنَّهُم إِنَّمَا يُطَاعُونَ تَبَعاً لِطَاعَةِ الرَّسُولِ؛ فَمَنْ أَمَرَ مِنْهُم بِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ، وَمَنْ أَمَرَ بِخِلَافِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛ فَلَا سَمْعَ لَهُ وَلَا طَاعَةَ.

ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى بِرَدِّ مَا تَنَازَعَ فِيهِ المُؤْمِنُونَ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُم أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُم في العَاجِلِ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً في العَاقِبَةِ، **وَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا أُمُوراً**:

مِنْهَا: أَنَّ أَهْلَ الإِيمَانِ قَدْ يَتَنَازَعُونَ في بَعْضِ الأَحْكَامِ وَلَا يَخْرُجُونَ بِذَلِكَ عَنِ الإِيمَانِ، إِذَا رَدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللهِ وإِلَى رَسُولِهِ.

إِلَى أَنْ قَالَ:

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ تَحَاكَمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَدْ حَكَّمَ الطَّاغُوتَ وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ.

وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

ثُمَّ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ عَلَى نَفْيِ الإِيمَانِ عَنِ العِبَادِ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ بَيْنَهُم، وَيَنْقَادُوا»(1). انْتَهَى مُلَخَّصاً.

* **وعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ زَيدٍ، عنِ ابنِ مَسعُودٍ قال**: «أَكْثَرُوا عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ؛ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ وَلَسْنَا نَقْضِي، وَلَسْنَا هُنَالِكَ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ بَلَّغَنَا مَا تَرَوْنَ؛ فَمَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْكُم قَضَاءٌ بَعْدَ اليَوْمِ؛ فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَإِنْ جَاءَهُ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ؛ فَإِنْ جَاءَهُ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا قَضَى بِهِ؛ فَلْيَقْضِ بِمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ؛ فَإِنْ جَاءَهُ أَمْرٌ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا قَضَى بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ وَلَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ؛ فَلْيَجْتَهِدْ رَأْيَهُ؛ فَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ فَلْيَقُمْ وَلا يَسْتَحْي»(2).

---

(1) «إعلام الموقعين» (٢/ ٨٩ ـ ٩٣).

(2) أخرجه النسائي (٥٤١٢)، والدارمي (١٧٢)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ١٠٦/ رقم ٧٠٣٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٤٥٥/ ٢٢٩٧٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٨/ ٣٠١/ رقم ١٥٢٩٥)، ووكيع في «أخبار القضاة» (١/ ٧٦)، وابن عبد البر في «جامعه» (٢/ ٨٧٤/ رقم ١٥٩٧)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٢١٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١/ ٢٣٩/ رقم ١٣٣). وأطال ابن حزم في «الإحكام» (٥/ ٢٠٥) في ذكر طرقه وشواهده؛ فانظره.

وقال أيضاً: «إنَّ اللهَ اطَّلَعَ في قُلُوبِ العِبَادِ فَرَأَى قَلبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَاخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ في قُلُوبِ العِبَادِ بَعْدَهُ فَرَأَى قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَاخْتَارَهُم لِصُحْبَتِهِ؛ فَمَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَآهُ المُؤْمِنُونَ قَبِيحاً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ قَبِيحٌ»[1].

وَقَالَ بَعْضُهُم:

العِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيْهِ

مَا العِلْمُ نَصْبُكَ لِلخِلافِ سَفَاهةً ... بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ سَفِيْهِ

كَلَّا وَلا نَصْبُ الخِلافِ جَهَالَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيْهِ

وقال النسائي: «وهذا الحديث جيدٌ جيد» وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٠١): «وأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن ابن مسعود نحو حديث عمر من رواية الشيباني»، وقال الحاكم في «المستدرك»: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وانظر سياقه عند ابن القيم رحمه الله في «الإعلام» (٢/ ١١٦ و١١٨).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦٠٠)، والبزار في «الزوائد» (١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٢رقم ٨٥٨٢)، والطيالسي في «مسنده» (٣٣)، والحاكم في «مستدركه» (١/ ١٧٧)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤/ رقم ١٠٥)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٤٢٨/ رقم ٨٣٢)، وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثقون». وإسناده حسن موقوفاً على ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ؛ لأجل عاصم بن أبي النَّجود.

وانظر: في «الضعيفة» (٢/ رقم ٥٣٢) للشيخ الألباني رحمه الله، والله أعلم.

كَـلَّا وَلا رَدُّ الـنُّـصُـوصِ تَـعَـمُّـدَاً   حَذَرَاً مِنَ التَّجْسِيمِ والتَّشْبِيْهِ[1]
حَاشَا النُّصُوصَ مِنَ الذِي رُمِيتْ بِهِ   مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْوِيْهِ[2]

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى شُرَيْحٍ: «إِذَا حَضَرَكَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ؛ فَانْظُرْ مَا فِي كِتَابِ اللهِ فَاقْضِ بِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَفِيمَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَفِيمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ وَأَئِمَّةُ العَدْلِ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَأَنْتَ بِالخِيَارِ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْتَهِدَ رَأْيَكَ فَاجْتَهِدْ رَأْيَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤَامِرَنِي، وَلَا أَرَى مُؤَامَرَتَكَ إِيَّايَ إِلَّا خَيْراً لَكَ، وَالسَّلَامُ»[3].

---

(١) يقول ابنُ أبي العزِّ رحمه الله في «شرح الطحاوية» (١/ ٦٠): «فإنَّ من نفى صفةً من صفاته التي وصَف اللهُ به نفسَه؛ كالرِّضا والغضبِ، والمحبَّةِ والبُغضِ، ونحو ذلك، وزَعَم أنَّ ذلك يَستلزِمُ التَّشبيهَ والتَّجسيمَ! قيل له: فأنتَ تُثبتُ له الإرادةَ، والكلام، والسَّمع، والبصر، مع أنَّ ما تُثبتُه له ليس مِثْلَ صفات المخلوقين فقُلْ فيما نَفيْتَه، وأثبتَهُ اللهُ ورسولُهُ مِثْلَ قولِك فيما أثبتَّهُ؛ إذْ لا فَرْق بينهُما». وانظر: «مختصر الصواعق المُرسلة» (١/ ٤٢ ـ ٥٠)، و(١/ ١٢١ ـ ١٢٥)، و(٣/ ١٢٢٩) فهو نفيس.

(٢) نسبها إلى الذهبي رحمه الله ابن الوزير رحمه الله في «الروض الباسم» (١/ ١١) مع تغاير، وابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (٣١)، والشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله في «مؤلفاته» (٣/ قسم الرسائل الخاصة/ ١٤٤)، والقنوجي في «أبجد العلوم» (٣/ ٩٨)، وكذا الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله في تقديمه لتخريج كتاب «الجهاد» لابن أبي عاصم (١/ ٨)، ولم أقف عليه في مؤلفاته الآن، وبعضهم نسبها إلى ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه «عناية النساء بالحديث النبوي» (٢٠)، وأظنه وهماً؛ فقد أوردها ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ١٤٩)، وقال: ولبعض أهل العلم، ولو كانت له لنسبها لنفسه، والله أعلم.

(٣) أخرجه النسائي (٨/ ٢٣١/ رقم ٥٤١٤)، والدارمي في «مسنده» =

وَعَنِ الشَّعْبِي أَيْضاً قَالَ: «أَخَذَ عُمَرُ فَرَساً مِنْ رَجُل عَلى سَوْم[1]؛ فحَمَلَ عَلَيْهِ فَعُطِبَ؛ فَخَاصَمَهُ الرَّجُلُ، فقالَ عُمَرُ: اجْعَل بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلاً.

فَقَالَ الرَّجُلُ: إنِّي أَرْضَى بِشُرَيح العِرَاقِي؛ فَقَالَ شُرَيْحٌ: أَخَذْتَهُ صَحِيْحَاً سَلِيْماً؛ فأَنْتَ لَهُ ضَامِنٌ حَتَّى تَرُدَّهُ صَحِيْحَاً سَلِيْمَاً. قَالَ: فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ؛ فَبَعَثَهُ قَاضِياً، وقَالَ: مَا اسْتَبَانَ لَكَ مِنْ كِتَابِ الله؛ فَلا تَسْأَل عَنْهُ؛ فَإنْ لَمْ يَسْتَبِنْ في كِتَابِ الله؛ فَمِنَ السُّنَّةِ؛ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ في السُّنَّةِ؛ فَاجْتَهِدْ رَأْيَك»[2].

[١٠ ـ أقْسَامُ الرَّأي]

قَالَ ابنُ القَيِّمِ: «فَالرَّأْيُ ثَلاثَةُ أَقْسَامٍ:

رَأْيٌ بَاطِلٌ بِلَا رَيْبٍ، وَهُوَ الرَّأْيُ المُخَالِفُ لِلنَّصِّ، والكَلَامُ في الدِّينِ بِالخَرْصِ.

ـ وَرَأْيٌ صَحِيحٌ، وهُوَ الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ السَّلَفُ وَعَمِلُوا بِهِ.

= (١/ ٢٦٥/ ١٦٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٩)، ووكيع في «أخبار القضاة» (١/ ١٨٩)، وهو في «تحفة الإشراف» (٨/ ٢٩/ رقم ١٠٤٦٣)، و«الفقيه والمتفقه» باسنادٍ صحيح (٢/ ٩٩/ برقم ٥٢٧)، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٥٢)، وسكت عنه. وصحَّحه في «موافقة الخُبر الخَبر» (١/ ١٢٠).

(١) السَّوْم: المُجاذَبَة بين البائع والمشتري على السّلعةِ وفَصلُ ثَمنِها يقال سَام يَسُوم سَوْماً. انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٢٥) مادة (سوم).

(٢) أورده الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٨٨ برقم ٥٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٩)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣/ ٣٧٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٣٢/ ترجمة ١٤٥٨).

ـ وَالقِسْمُ الثَّالِثُ: سَوَّغُوا العَمَلَ وَالفُتْيَا وَالقَضَاءَ بِهِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ إِلَيْهِ حَيْثُ لَا يُوجَدُ مِنْهُ بُدٌّ، وَلَمْ يُلزِمُوا أَحَداً العَمَلَ بِهِ، وَلَمْ يُحَرِّمُوا مُخَالَفَتَهُ، وَلَا جَعَلُوا مُخَالِفَهُ مُخَالِفاً لِلدِّينِ». انْتَهَى مُلَخَّصاً مَعْ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ[1].

وَقَالَ أَيْضاً: «لَفْظُ القِيَاسِ لَفْظٌ مُجْمَلٌ، يَدْخُلُ فِيهِ القِيَاسُ الصَّحِيحُ وَالفَاسِدُ، وَالصَّحِيحُ هُوَ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، وَهُوَ الجَمْعُ بَيْنَ المُتَمَاثِلَيْنِ وَالفَرْقُ بَيْنَ المخْتَلِفَيْنِ، فَالأَوَّلُ قِيَاسُ الطَّرْدِ، وَالثَّانِي قِيَاسُ العَكْسِ، وَهُوَ منَ العَدْلِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، وَحَيْثُ عَلِمْنَا أَنَّ النَّصَّ وَرَدَ بِخِلَافِ قِيَاسٍ عَلِمْنَا قَطْعاً أَنَّهُ قِيَاسٌ فَاسِدٌ»[2].

[١١ ـ أَنْوَاعُ التَّقْلِيدِ الضَّار]

وَقَالَ أَيْضاً: «ذِكْرُ تَفْصِيلِ القَوْلِ فِي التَّقْلِيدِ وَانْقِسَامِهِ إِلَى مَا يَحْرُمُ القَوْلُ فِيهِ وَالإِفْتَاءُ بِهِ، وَإِلَى مَا يَجِبُ المَصِيرُ إِلَيْهِ، وَإِلَى مَا يَسُوغُ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ.

فَأَمَّا النَّوْعُ الأَوَّلُ؛ فَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: الإِعْرَاضُ عَمَّا أَنْزَلَ اللهُ وَعَدَمُ الِالتِفَاتِ إِلَيْهِ اكْتِفَاءً بِتَقْلِيدِ الآبَاءِ.

الثَّانِي: تَقْلِيدُ مَنْ لَا يَعْلَمُ المُقَلِّدُ أَنَّهُ أَهْلٌ لَأَنْ يُؤْخَذَ بِقَوْلِهِ.

الثَّالِثُ: التَّقْلِيدُ بَعْدَ قِيَامِ الحُجَّةِ وَظُهُورِ الدَّلِيلِ عَلَى خِلَافِ قَوْلِ المُقَلَّدِ»[3].

---

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٢٥).

(٢) «الإعلام» (٣/ ١٦٥).

(٣) «الإعلام» (٣/ ٤٤٧).

إلى أن قال: «وَالمُقَلِّدُ لَا يَعْرِفُ الحَقَّ منَ البَاطِلِ، وَقَدْ نَهَاهُمْ أَئِمَّتُهُم عَنْ تَقْلِيْدِهِم، وَأَوْصَوْهُمْ إِذَا ظَهَرَ الدَّلِيلُ أَنْ يَتْرُكُوا أَقْوَالَهُمْ وَيَتَّبِعُوهُ، فَخَالَفُوهُمْ في ذَلِكَ كُلِّهِ!

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ مُصَرِّحُونَ في كُتُبِهِمْ بِبُطْلَانِ التَّقْلِيدِ وَتَحْرِيمِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ القَوْلُ بِهِ في دِينِ الله، وَلَوْ اشْتَرَطَ الإِمَامُ عَلَى الحَاكِمِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ لَمْ يَصِحَّ شَرْطُهُ وَلَا تَوْلِيَتُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَحَّحَ التَّوْلِيَةَ وَأَبْطَلَ الشَّرْطَ[(١)].

وَكَذَلِكَ المُفْتِي يَحْرُمُ عَلَيْهِ الإِفْتَاءُ بِمَا لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ، وَالمُقَلِّدُ لَا عِلمَ لَهُ بِصِحَّةِ القَوْلِ وَفَسَادِهِ؛ إِذْ طَرِيقُ ذَلِكَ مَسْدُودَةٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ كُلٌّ مِنْهُمْ يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُقَلِّدٌ لِمَتْبُوعِهِ لَا يُفَارِقُ قَوْلَهُ، وَيَتْرُكُ لَهُ كُلَّ مَا خَالَفَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ قَوْلِ صَاحِبٍ أَوْ قَوْلِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ مَتْبُوعِهِ أَوْ نَظِيرِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ». انْتَهَى مُلَخَّصاً[(٢)].

---

(١) **قال شيخنا شعيب الأرنؤوط حفظه الله**: وقد اشترط جمهور أهل العلم في تولية المفتي والقاضي أن لا يكون مُقلِّداً؛ لأنَّ المفتي أو القاضي مخبرٌ عن حكم الله، ومن كان مخبراً فيَلْزمه العلم والاجتهاد فيما يحكم به ويُفتي، ثم هذا الاجتهاد له شرائط تنظر في بابها.

قال ابن يوسف ـ عفا الله عنهما ـ:

وانظر ما سطَّره شيخنا العلامة الدكتور محمَّد الأشقر رحمه الله في كتابه النفيس: «الفُتيا ومناهج الإفتاء»، و«آداب العالِم والُمتعلِّم والمُفتي والمُستفتي» لجمال الدين القاسمي رحمه الله بتحقيقي.

(٢) «الإعلام» (٣/ ٤٨٤).

[١٢ ـ الاخْتِلافُ فِي الْفُرُوعِ رَحْمَةٌ واسِعَةٌ إِنْ تَنَازَعَتْها الأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ]

وَقَالَ الأَمِيرُ مُحَمَّدُ بِنُ إِسْمَاعِيل الصَّنْعَانِي في قَصِيْدَتِهِ المشْهُورَةِ:

وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بَالقَبُولِ مُقَابَلٌ وَمَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الرَّدِّ والطَّرْدِ

سِوَى مَا أَتَى عَنْ رَبِّنَا ورَسُولِهِ فَذَلِك قَوْلٌ جَلَّ يَا ذَا عنِ الرَّدِّ

وَأَمَّا أَقَاوِيلُ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا تَدُورُ عَلى حَسْبِ الأَدِلَّةِ في النَّقْدِ

فَمُقْتَدِياً كُنْ في الهُدَى لا مُقَلِّدَاً وَخَلِّ أَخَا التَّقْلِيدِ في الأَسْرِ بِالقَدِ[١]

* **وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلامِ مُحَمَّدُ بِنُ عَبْدِ الوَهَّابِ في بَعْضِ رَسَائِلِهِ:** «وأَمَّا هَذَا الخَيَالُ الشَّيْطَانِي الَّذِي اصْطَادَ بِهِ النَّاسَ، أَنَّ مَنْ سَلَكَ هَذا المسْلَكَ فقَدْ نَسَبَ نَفْسَهُ لِلاجْتِهَادِ، وَترَكَ الاقْتِدَاءَ بِأَهْلِ العِلمِ، وَزَخْرَفَهُ بِأَنْوَاعِ الزَّخَارِفِ؛ فَلَيْسَ هَذا بِكَثيرٍ منَ الشَّيْطَانِ وزَخَارِفِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

فَإِنَّ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وأَدْعُوكُم إِلَيْهِ هُوَ في الحَقِيْقَةِ، الاقْتِدَاءُ بِأَهْلِ العِلمِ فَإِنَّهُم قَدْ وَصَّوا النَّاسَ بِذَلِك، وَمِنْ أَشْهَرِهِم كَلاماً في ذَلِكَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: «لا بُدَّ أَنْ تَجِدُوا عَنِّي مَا يُخَالِفُ الحَدِيثَ؛ فَكُلُّ مَا خَالَفَهُ فَأُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ عَنْهُ»[٢].

---

(١) «ديوان الصنعاني» (١٢٨).

(٢) **قال شيخنا شعيب الأرنؤوط حفظه الله:** ولا بدَّ من التنويه أنَّ هذا الحديث يجب أنْ يَسلَم من المعارِض، فإنَّ الإمام الشافعي رحمه الله لم يأخذ بأحاديث صحيحة لوُجود ما يعارضها، وانظر رسالته في «اختلاف الحديث» لتَتبيَّن بجلاء منهجه في ذلك، وهذا حتَّى لا يتسرَّع طالب العلم فيُخطِّأ الإمام رحمه الله.

وَأَيْضاً: «أَنَا في مُخَالَفَتِي هَذَا العَالِمَ[1] لَمْ أُخَالِفْهُ وَحْدِي؛ فَإِذَا اخْتَلَفْتُ أَنَا وَشَافِعِيٌّ مَثَلاً في أَبْوَالِ مَأكُولِ اللَّحْم، وقُلتُ القَوْلَ بِنَجَاسَتِهِ يُخَالِفُ حَدِيثَ العُرَنِيِّينَ[2]، وَيُخَالِفُ حَدِيثَ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: صَلَّى في مَرَابِضِ الغَنَم؛ فَقَالَ هَذَا الجَاهِلُ الظَّالِمُ أَنْتَ أَعْلَمُ بِالحَدِيثِ من الشَّافِعِيِّ؟

قُلتُ: أَنَا لَمْ أُخَالِفُ الشَّافِعِيَّ مِنْ غَيْرِ إِمَامٍ اتَّبَعْتُهُ، بَل اتَّبَعْتُ مَنْ هُوَ مِثْلَ الشَّافِعِيِّ، أَوْ أَعْلَمَ مِنْهُ قَدْ خَالَفَهُ واسْتَدَلَّ بِالأَحَادِيثِ.

فَإِذَا قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ منَ الشَّافِعِيِّ؟

قُلتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ مِنْ مَالِكَ وَأَحْمَدَ؟

فَقَدْ عَارَضْتُهُ بِمِثْلِ مَا عَارَضَنِي بِهِ، وسَلِمَ الدَّلِيلُ منَ المعَارِضِ، واتَّبَعْتُ قَولَ الله تَعَالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. انْتَهى[3].

* **وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ في «إِرْشَادِ الفُحُولِ»**: «وَعِنْدِي أَنَّ مَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْ تَتَبُّعِ الآيَاتِ القُرْآنيّةِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وجَعَلَ ذَلِكَ دَأْبَهُ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِ هِمَّتَهُ، واسْتَعَانَ اللهَ عَزَّ وجَلّ، واسْتَمَدَّ مِنْهُ التَّوْفِيقَ، كَانَ مُعْظَمُ هَمِّهِ ومَرْمَى قَصْدِهِ الوُقُوفَ عَلى الحَقِّ، والعُثُورَ عَلى الصَّوابِ، مِنْ دُونِ

---

(١) في المخطوط (العلم)، والتصحيح من «الرسائل الشخصية» للشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله (٣/ ١٤٢).

(٢) حديث العُرنيِّين أخرجه الشيخان في «صحيحيهما» البخاري (٣٠١٨)، ومسلم (١٦٧١).

(٣) «الرسائل الشخصية» (٣/ ١٤٢، ١٤٣).

تَعَصُّبٍ لِمَذْهَبٍ منَ المَذَاهِبِ، وَجَدَ فِيْهِمَا مَا يَطْلبُهُ؛ فَإِنَّهُمَا الكَثِيرُ الطَّيبُ، والبَحْرُ الَّذِي لا يَنْزِفُ، والنَّهْرُ الَّذِي يَشْرَبُ مِنهُ كُلُّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَالعَذْبُ الزُّلَالُ، والمُعْتَصَمُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيهِ كُلُّ خَائِفٍ؛ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ عَلى هَذا؛ فَإِنَّكَ إنْ قَبلتَهُ بِصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ، وَقَلبٍ مُوَفَّقٍ، وَعَقْلٍ قَدْ حَلَّتْ بِهِ الهِدَايَةُ، وَجَدْتَ فِيْهِمَا كُلَّ مَا تَطْلُبُهُ مِنْ أَدِلَّةِ الأَحْكَامِ الَّتِي تُرِيدُ الوُقُوفَ عَلى دَلَائِلِهَا كَائِناً مَا كَان»[1].

وَقَالَ أَيْضاً: «التَّقْلِيدُ: العَمَلُ بِقَوْلِ الغَيْرِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ؛ فَيَخْرُجُ العَمَلُ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ، والعَمَلُ بِالإجْمَاعِ، ورُجُوعُ العَامِّيِّ إلى المُفْتِي، ورُجُوعُ القَاضِي إلى شَهَادَةِ العُدُولِ؛ فَإِنَّها قَدْ قَامَتْ الحُجَّةُ في ذَلِك» انْتَهَى[2].

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ**»[3].

* **وَقَالَ البُخَارِيُّ**: «بَابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ القِيَاسِ».

﴿وَلَا تَقْفُ﴾: ولَا تَقُل، ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وسَاقَ حَدِيثَ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إنَّ اللهَ لَا يَنْزِعُ العِلمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعاً، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُم مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِم فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِم،**

---

(١) «إرشاد الفحول» (٢/ ١٠٥٩) بتصرف.

(٢) «إرشاد الفحول» (٢/ ١٠٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»[1].

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: «التَّوْفِيقُ بَيْنَ الآيَةِ وَالحَدِيثِ في ذَمِّ العَمَلِ بِالرَّأْيِ وَبَيْنَ مَا فَعَلَهُ السَّلَفُ مِن اسْتِنْبَاط الأَحْكَام، أَنَّ نَصَّ الآيَةِ ذَمُّ القَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَخَصَّ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِرَأْيٍ مُجَرَّدٍ عَن اسْتِنَادٍ إِلَى أَصْلٍ.

وَمَعْنَى الحَدِيثَ: ذَمُّ مَنْ أَفْتَى مَعَ الجَهْل، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُم بِالضَّلَالِ وَالإِضْلَال، وَإِلَّا فَقَدْ مَدَحَ مَنِ اسْتَنْبَطَ مِنَ الأَصْل لِقَوْلِه: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣].

فَالرَّأْيُ إِذَا كَانَ مُسْتَنِداً إِلَى أَصْلٍ مِنَ الكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ أَوِ الإِجْمَاعِ؛ فَهُوَ المَحْمُودُ، وَإِذَا كَانَ لَا يَسْتَنِد إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا؛ فَهُوَ المَذْمُومُ»[2].

* **قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ**: «وَالحَاصِلُ أَنَّ المَصِيرَ إِلَى الرَّأْيِ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ فَقْدِ النَّصِّ، وَإِلَى هَذَا يُومِئُ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ فِيمَا أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيح إِلَى أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُول: «القِيَاسُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ» وَمَعْ ذَلِكَ فَلَيْسَ العَامِلُ بِرَأْيِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُ وَقَعَ عَلَى المُرَادِ مِنَ الحُكْمِ في نَفْسِ الأَمْرِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ بَذْلُ الوُسْعِ في الِاجْتِهَادِ؛ لِيُؤْجَرَ وَلَوْ أَخْطَأَ. وبالله التَّوْفِيقُ.

وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ في «المَدْخَلِ»، وَابْنُ عَبْدِ البَرِّ في «بَيَان العِلم» عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ كَالحَسَنِ، وَابْن سِيرِينَ، وَشُرَيْحٍ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالنَّخَعِيِّ،

---

(١) البخاري (٧٣٠٧)، وفي المخطوط: «أعطاكموه»، والتصويب من «الصحيح».

(٢) «الفتح» (١٣/ ٣٥٤). ونص ابن بطال ذكره بنحوه عن المهلب في «شرح البخاري» (١٠/ ٣٥١).

بِأَسَانِيدَ جِيَادٍ، ذَمّ القَوْلِ بِالرَّأْيِ المُجَرَّدِ، وَيَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُون هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[1].

أَخْرَجَهُ الحَسَنُ بْن سُفْيَانَ وَغَيْره، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٍ وَقَدْ صَحَّحَهُ النَّوَوِي فِي آخِرِ «الأَرْبَعِينَ».

وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَمْرو بْن حُرَيْث، عَنْ عُمَرَ قَالَ: «إِيَّاكُم وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ؛ فَإِنَّهُم أَعْدَاءُ السُّنَنِ، أَعْيَتْهُم الأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا؛ فَقَالُوا بِالرَّأْيِ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، فَظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ أَرَادَ ذَمَّ مَنْ قَالَ بِالرَّأْيِ مَعَ وُجُودِ النَّصِّ من الحَدِيثِ لِإِغْفَالِهِ التَّنْقِيب عَلَيْهِ فَهَذَا يُلَامُ، وَأَوْلَى مِنْهُ بِاللَّوْمِ مَنْ عَرَفَ النَّصَّ وَعَمِلَ بِمَا عَارَضَهُ مِن الرَّأْيِ، وَتَكَلَّفَ لِرَدِّهِ بِالتَّأْوِيلِ وَإِلَى ذَلِكَ الإِشَارَةَ بِقَوْلِهِ فِي التَّرْجَمَة «وَتَكَلُّفَ القِيَاس» وَاللهُ أَعْلَم»[2]. انْتَهَى.

* **قَالَ فِي «الاخْتِيَارَاتِ» لِشَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيمِيَّةَ**: «وَأَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ الحُكْمِ والفُتْيَا بِالهَوَى، وَبِقَوْلٍ، أَوْ وَجْهٍ مِنْ غيرِ نَظَرٍ فِي التَّرْجِيحِ، وَيَجِبُ العَمَلُ بِمُوجِبِ اعْتِقَادِهِ فِيْمَا لَهُ وعَلَيْهِ إِجْمَاعاً.

وَالوِلَايَةُ لَهَا رُكْنَانِ: القُوَّةُ والأَمَانَةُ.

فَالقُوَّةُ فِي الحُكْمِ؛ تَرْجِعُ إِلى العِلمِ بِالعَدْلِ بِتَنْفِيذِ الحُكْمِ.

---

(١) انظر في بيان ضَعْفِه من وجوه: ما قيَّده الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ في «جامع العلوم والحكم» الحديث الحادي والأربعين.

(٢) «إرشاد الفحول» (٢/ ١٠٨١).

والأَمَانَةُ تَرْجِعُ إلى خَشْيَةِ الله تَعَالى، وَلا يَجُوزُ الاسْتِفْتَاءُ إلَّا مِمَّنْ يُفْتِي بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ.

وشُروطُ القَضَاءِ تُعْتبرُ حَسْبَ الإمْكَانِ. وَيَجِبُ تَوْلِيةُ الأَمْثَلِ فَالأَمْثَلُ.

وعَلى هَذَا يَدُلُّ كَلامُ أَحْمَدَ وَغَيرُهُ، فَيُوَلَّى لِعَدَمِهِ أَنْفَعُ الفَاسِقِينَ، وأَقَلُّهُمَا شَرّاً، وأَعَدَلُ المُقَلِّدِينَ، وأَعْرَفُهُمَا بِالتَّقْلِيدِ، وَإنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَعْلَمُ والآخَرُ أَوْرَعُ قَدَّمَ فِيمَا يَظْهَرُ حُكْمُهُ ويَخَافُ الهَوَى فِيْهِ الأَوْرَعَ، وفِيْمَا يَنْدُرُ حُكْمُهُ ويَخَافُ منَ الاشْتِبَاهِ الأَعْلَمُ.

وَيَجِبُ أَنْ يَنْصِبَ عَلى الحُكْمِ دَلِيلاً، وأَدِلَّةُ الأَحْكَامِ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ والإجْمِاعِ، وما تَكَلَّمَ الصَّحَابَةُ فِيْهِ إلى اليَوْمِ بِقَصْدٍ حَسَنٍ.

وَالنَّبِيهُ الَّذِي سَمِعَ اخْتَلافَ العُلَمَاءِ وأَدِلَّتَهُم؛ في الجُمْلَةِ عنده مَا يَعْرِفُ بِهِ رُجْحَانَ القَوْلِ، ومَنْ كَانَ مُتَّبِعَاً لإمامٍ فَخَالَفَهُ في بَعْضِ المَسَائِلِ لِقُوَّةِ الدَّلِيلِ أَوْ لِكَوْنِ أَحَدُهُمَا أَعْلَمُ وأَتْقَى فَقَدْ أَحْسَنَ، ولَمْ يَقْدَحْ ذَلِك في عَدَالَتِهِ بِلَا نِزَاعٍ.

وَكَرِهَ العُلَمَاءُ الأَخْذَ بِالرُّخَصِ.

ولا يَجُوزُ التَّقْلِيدُ مَعْ مَعْرِفَةِ الحُكْمِ اتِّفَاقاً، وقَبْلُهُ يَجُوزُ عَلى المشْهُورِ إلَّا أَنْ يَضِيقَ الوَقْتُ؛ فَفِيْهِ وَجْهَان، أَوْ يَعْجزُ عَنْ مَعْرِفَةِ الحَقِّ؛ لِتَعَارُضِ الأَدِلَّةِ؛ فَفِيْهِ وَجْهَان؛ فَهَذِهِ أَرْبَعُ مَسَائِلٍ.

والعَجْزُ قَدْ يُعْنَى بِهِ العَجزُ الحَقِيْقِيُّ، وَقَدْ يُعْنَى بِهِ المَشَقَّةَ العَظِيْمَةَ، والصَّحِيْحُ الجَوَازُ فَي هَذَيْنِ الموْضِعَيْنِ» انْتَهَى مُلَخَّصاً[1].

* **قَالَ البُخَارِيُّ**: «بَابُ الاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ الله ﷺ وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قَالَ: أَئمّةٌ نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا، وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.

وَعَنْ ابْنِ عَوْنٍ: ثَلَاثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي:

هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا.

وَالقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ.

وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، انتهى[2].

قَالَ الكِرْمَانِيُّ: «قَالَ في القُرْآن «يَتَفَهَّمُوهُ» وَفي السُّنَّة «يَتَعَلَّمُوهَا»؛ لأَنَّ الغَالِبَ أَنَّ المُسْلِمَ يَتَعَلَّمُ القُرْآنَ في أَوَّلِ أَمْرِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الوَصِيَّةِ بِتَعَلُّمِهِ؛ فَلِهَذَا أَوْصَى بِتَفَهُّمِ مَعْنَاهُ وَإِدْرَاكِ مَنْطُوقِهِ، انْتَهَى»[3].

قَالَ الحَافِظُ: «وَلَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ في أَنَّ مَدَارَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ عَلى كِتَابِ الله، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَأَنَّ بَاقِي العُلُومِ، إِمَّا آلَاتٌ

---

(١) «الاختيارات» (٥/ ٥٥٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٩/ ١٠٠)، و«الفتح» (١٣/ ٣٠٥).

(٣) «الكواكب الدراري» (٢٥/ ٣١).

لِفَهْمِهَا وَهِيَ الضَّالَّةُ المطْلُوبَةُ، أَوْ أَجْنَبِيَّةٌ عَنْهَا وَهِيَ الضَّارَّةُ المغْلُوبَةُ»[1].

انتهَى وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ

وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ[2].

❑❑❑

---

(١) «هدي الساري» (١/ ٣).

(٢) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

بلغ بقراءة الشَّيخ المُسنِد الأصولي عبد الله التوم، على محقِّقه **الشَّيخ محمَّد بن يوسف الجوراني العسقلاني**، مهاتفةً وهو في عمَّان الأردن، وبحضور السَّادة الفضلاء، والمشايخ الأَجلَّاء: محمَّد بن ناصر العَجْمي، والسَّيِّد الشَّريف إبراهيم الأمير الهاشمي، ود. عبد الله المحارب، والشَّيخ عماد الجيزي، وكاتب السُّطور نظام محمَّد بن صالح يعقوبي العباسي.

وصَلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه خادم العلم بالبحرين

نظام بن محمد صالح يعقوبي

بصحن المسجد الحرام ـ تجاه الركن الشامي

٢٠ رمضان ١٤٣٢هـ

قيد قراءتها على شيخنا وإثبات صحة ذلك بخطه وتوقيعه

قال الحافظ: «ولا يرتاب عاقل في أن مدار العلوم الشرعية على كتاب الله وسنة نبيه، وأن باقي العلوم إما آلات لفهمهما وهي الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنهما وهي الضارة المغلوبة»(١). انتهى.

والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

□ □ □

(١) فتح الباري (١/ ٣٢).

- ٤١ -

المحتوى

النص المحقَّق

❑❑❑



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨٥)

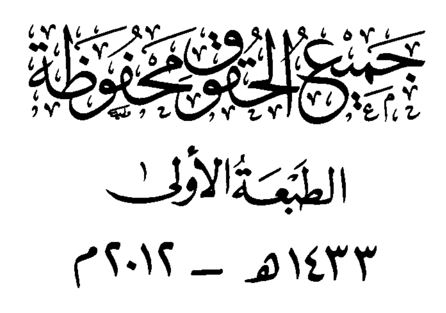
الضابطية للشاطبية اللامية

للعلامة الشيخ
علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي
(٩٣٠ تقريباً بهراة - ١٠١٤ بمكة)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الحكيم الأنيس

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ مِن علوم القرآن الكريم علمَ قراءاته، وقد ألَّف العلماءُ في ذلك كتبًا يصعب إحصاؤها، ومن أشهرها منظومةُ الإمام الكبير القاسم بن فِيرُّه الشاطبي الرُّعَيني الأندلسي الضَّرير، المولود سنة ٥٣٨هـ بشاطبة، والمتوفَّى سنة ٥٩٠هـ بالقاهرة[١]، وتسمَّى منظومته «حرز الأماني ووجه التهاني»، نظم فيها كتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني.

وقد كتب اللهُ القبول لهذه المنظومة، فشرَّقت وغرَّبت، وقرأها وحفظها مَن لا يحصى، وشرحها كثيرون.

وكان من جهود العلماء في خدمتها التعليقُ على عدد من أبياتها، استكمالاً لمقاصد ناظمها، وذلك ضمن شروحهم، إلى أن جاء العلامة الشيخ علي القاري فأفرد في ذلك هذه الرسالة التي سماها: «الضابطية

---

(١) وقبره في القرافة، قريب من السادة الوفائية.

للشاطبية **اللامية**»، وكان للقاري عنايةٌ بآثار الشاطبي، فقد شرح هذه المنظومة، وشرح قصيدته الرائية في الرسم أيضًا.

وترجع صلتي بالقاري ـ كما قلتُ في تقديمي لرسالته «**موعظة الحبيب وتحفة الخطيب**»[1]ـ، إلى بداية طلبي للعلم حين قرأت كتابيه: «**المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**»، والجزء الأول من «**فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية**» اللذين حققهما وعلَّق عليهما العلامة الجليل المحقق الكبير الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة[2].

ومن ذلك الوقت وأنا أتابع كتبه، وأسعى إلى الحصول عليها، والإفادة منها، وصوَّرت عددًا منها من مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، والجامعة الإسلامية، ومكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، ونقلتُ بعضها بخطي، ومنها رسالته: «أربعون حديثًا من جوامع الكلم» في ورقة واحدة، نقلتُها من نسخة في مكتبة المتحف العراقي.

ومن هذه المصوَّرات هذه الرسالة التي حصلتُ على نسختين منها من مكتبة عارف حكمت سنة ١٤٢٣هـ[3].

---

(١) نشرتها دائرةُ الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي سنة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، وهي تجمع قدرًا من خطب النبي ﷺ والخلفاء الرَّاشدين.

(٢) توفي سنة (١٤١٧هـ) في مدينة الرياض، ودفن في البقيع، رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم والدين خير الجزاء.

(٣) وفي هذه المناسبة يطيب لي أن أتوجَّه بعاطر الثَّناء وصادق الشُّكر إلى فضيلة الدكتور عبد الرحمن المزيني، مدير عام مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة ـ التي ضمت المكتبات الخطية كلها ـ على حسن تعاونه ومزيد إكرامه ولطف لقائه.

وإحدى هاتين النسختين قُوبلت على نسخة بخط المؤلف، وقد نسختُها وقابلتُها بالأخرى، وهيأتُها للنشر، وشاركتُ بها في لقاء العشر الأواخر في المسجد الحرام سنة ١٤٢٥هـ.

ومن اللطائف أنَّ هذه الرسالة فرغ منها مؤلفُها قبالة الكعبة المعظمة في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ١٠١١هـ ـ أي قبل وفاته بثلاث سنوات ـ.

وكُتبت النسخة المشار إليها قبالة الكعبة أيضًا في أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٦هـ، وقُوبلت بتمامها على خط مؤلفها ـ والظاهر أن النقل منه أيضًا ـ قبالة الكعبة في أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٦هـ.

وقدَّر الله لنا أن نقرأها قبالة الكعبة أيضًا في ٢٦ من شهر رمضان سنة ١٤٢٥هـ.

وقد شاركتُ في هذه السنة كذلك بقراءة «تحقيق النظر في حكم البصر» المنسوب إلى برهان الدين ابن تقي الدين السبكي، ويسَّر اللهُ إتمام العناية به ونشره سنة ١٤٢٨هـ، وشُغلت عن إتمام النظر في هذه الرسالة إلى هذه الأيام، ولكل كتابٍ أجل، ولكل أجلٍ كتاب.

وفي هذه الأثناء نُشر في مجلة البحوث والدراسات القرآنية بحثٌ قيِّم للدكتور عبد القيوم بن عبد الغفور السندي بعنوان: «تعديلات بعض شراح الشاطبية وتقييداتهم في أبياتها»، جمع فيه التعديلات التي قام بها ثمانيةُ شراح، وهم: السخاوي (ت٦٤٣هـ)، والمقدسي (ت٦٦٥هـ)، وشعلة الموصلي (ت٦٥٦هـ)، والفاسي (ت٦٥٦هـ)، والجعبري (ت٧٣٢هـ)، والسيوطي (ت٩١١هـ)، والقاري (ت١٠١٤هـ).

ومن منهجه ألا يتعرَّض لنقل أبيات التحريرات من كتبها، لكنه

خالف شرطه بخصوص القاري وقال: (خالفتُ فيما نقلتُه من تعديلات للإمام القاري، إذ أوردت نصوصه من رسالته «الضابطية» لكون أغلبها مستخلصة ومستخرجة من شرحه للشاطبية «حدث الأماني»، وهي أوضح عبارة من الأصل)[1].

وفي هذا إشارة إلى أهميتها.

وقبل الدخول إلى الرسالة أقدم للرسالة بمقدِّمتين، وهما:

ـ ترجمة للمؤلف باختصار، وهي الترجمة التي كتبتها في صدر رسالة المؤلف «موعظة الحبيب وتحفة الخطيب»، ولم يتسع الوقت للإضافة عليها، فمعذرة.

ـ هذه الرسالة: موضوعها، ونُسخها، وتوثيق نسبتها، وعنوانها، وتاريخ تأليفها، ومصادرها، وخطة التحقيق.

وفي الختام: أسألُ اللهَ أن ينفع بهذا العمل، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله فاتحةً لإصدار أعمال الشيخ علي القاري القرآنية كاملة، والحمد لله رب العالمين.

عبد الحكيم الأنيس

دبي في ٩ من ربيع الآخر ١٤٣٢هـ

الموافق ١٦/ ٣/ ٢٠١١م

---

(١) تعديلات بعض شراح الشاطبية ص٢٦.
وقد اعتمد على النسخة الثانية من الرسالة، ضمن المجموع المرقم بـ (٧٥)، وفاته الاعتماد على النسخة الأولى وهي أصح وأوثق. ثم إن قوله يُشعر أنَّ الشرح أسبقُ من الضابطية، والصواب العكس كما سيأتي.

ترجمة المؤلف باختصار

تَرجم للإمام الشيخ علي القاري كثيرون[1]، وكُتبت عنه رسائل علمية متخصصة بالعربية وغيرها[2]، لذلك سأكتفي هنا بنبذةٍ عنه، ومَن أراد التوسع فعليه بالرسالة المذكورة في الحاشية، أقول:

---

(١) أورد الباحث محمَّد بن عبد الرحمن الشمّاع في بحثه (الملا علي القاري: فهرس مؤلَّفاته وما كتب عنه) ـ المنشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الأول، (ص٩٣ ـ ٩٥) ـ أربعاً وخمسين ترجمة له كتبها قدماء ومحدثون، وفاته أن يذكر ما كتبه:

* المحبي (ت١١١١هـ) في «خلاصة الأثر» (٣/ ١٨٥).
* القادري (ت١١٨٧هـ) في «التقاط الدرر» (ص٢٤٢).
* الآلوسي (ت١٣١٧هـ) في «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» (ص٤١).
* المراغي (ق١٤هـ) في «الفتح المبين في طبقات الأصوليين» (٣/ ٨٩).
* أبو غدة في مقدمة تحقيق «فتح باب العناية».

كما يضاف ما كتبه:

* أ. د. محمَّد الحبيب الهيلة في كتابه «التأريخ والمؤرخون بمكة» ص٢٧٠.
* أصحاب «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط: التفسير وعلوم القرآن» (٢/ ٦٦٢ ـ ٦٦٦).

وغيرهم من محققي كتبه.

ويستدرك على الشمّاع ما ذكره من ترجمة اللكنوي له في «الفوائد البهية»، وهذا غير صحيح، وإنما ترجم له في «التعليقات السنية»، وهو ما ذكره الباحث مفرداً.

(٢) منها: (الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث) كتبها الباحث خليل =

* هو العلامة المتفنِّن علي بن سلطان محمَّد[1] الهروي المكي الحنفي، المشهور بالقاري[2].

* وُلد في هراة سنة ٩٣٠هـ تقريباً[3] وبدأ بطلب العلم فيها، ثم رحل إلى مكة واستكمل فيها تحصيله، وأقام بها إلى حين وفاته يعلِّم، ويصنف، ويفتي، ويحيا حياة الكفاف[4]، ويبتعد عن الأضواء[5].

= إبراهيم قوتلاي، وقد نوقشت بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٦هـ، وطبعت سنة ١٤٠٨هـ، ولا شك أن معلومات وجهوداً ظهرت بعد هذا التاريخ.

(١) اسم أبيه مركب، وقد جاء في عدد من المواضع: سلطان بن محمَّد، منها في «عقود الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر» (ص١١١) وهو خطأ قطعاً، وكنت تناولت هذا الخطأ في مقال بعنوان: (ابن بين الزيادة والنقصان) نشر في جريدة العراق بتاريخ ٦/ ٧/ ١٩٨٧م.

(٢) في معجم تفاسير القرآن الكريم (١/ ٧٠٥): «الطائي»، وهو تحريف طباعي.

(٣) هذا ما استنتجه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة من وفاة بعض شيوخه المكيين. انظر تقديمه لـ: (شرح شرح نخبة الفكر) للمؤلف (ص: ب). وأُرخ لولادته في دليل المطبوعات العربية في روسيا ص١٧٥ بـ ٩٦٨هـ وهو خطأ قطعاً.

(٤) جاء في ترجمته في مقدمة المصنوع ص١٠: «وذكر أنه كان يكتب كلَّ عام مصحفاً بخطه الجميل، وعليه طرر من القراءات والتفسير، فيبيعه ويكفيه قوته من العام إلى العام».
وبمناسبة هذا الخبر أقول: جاء في طبعة للقرآن الكريم في اصطنبول قامت بها (بايتان كتاب آوي) سنة ١٣٩٤هـ قول طابعيه (ص٦١٣) منه: «وموافقاً لخط علي القاري».

(٥) اقرأ ـ إن شئت ـ كتابه «تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء»، وقد أخرجه إخراجاً مؤسفاً الدكتور محمَّد علي المرصفي في عالم الكتب - القاهرة (١٩٩٠م).

* أخذ عن عدد من علماء مكة، وأقدمهم وفاة ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ)، وآخرهم يوسف الأماسي (ت١٠٠٠هـ)، وأخذ عنه كثيرون.

* كان له اهتمامٌ بتحقيق المسائل العلمية، ومَنْ قرأ مقدمته لكتابه الكبير «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[١] أدرك هذا.

وكان له مواقف من عدد من المسائل العلمية الخلافية أَدَّتْ ببعض العلماء إلى انتقاده، بينما رآها آخرون علامة على تميزه واجتهاده[٢].

* اعتنى بالتأليف وترك بعده ثروةً علمية كبيرة وقفها وشرط ألا يمنع مِن استنساخها، وقد تفاوت عددها لدى المترجمين:

فقد ذَكَرَ له الحاج خليفة (٣٣) كتاباً[٣]، وذكر البغدادي (١٠٥) كتاب[٤]، وذكر جميل العظم (١٢٨) كتاب[٥]، وذكر بروكلمان (١٧٠) كتاب[٦]، وعدَّ الصباغ (١٢٥) كتاب[٧]،

---

(١) انظر: (١/ ٢ ـ ٣)، وهذا الكتاب أكبر كتبه وأجلها كما قال المحبي في خلاصة الأثر (٣/ ١٨٥).

(٢) انظر: خلاصة الأثر (٣/ ١٨٥)، وما قاله الشوكاني في البدر الطالع (ص٤٤٩)، وقد نقله القنوجي في التاج المكلل (ص٤٠٦)، وللاستزادة انظر: عقود الجوهر (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦)، والإمام علي القاري (ص٩٦ ـ ١١٤).

(٣) ينظر: كشف الظنون في مواضع كثيرة.

(٤) انظر: هدية العارفين (١/ ٧٥١ ـ ٧٥٣).

(٥) انظر: عقود الجوهر (١/ ٢٦٦ ـ ٢٧٣).

(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي: العصر العثماني (ق٩/ ٨٦ ـ ١٠١).

(٧) انظر: مقدمة تحقيق (الأسرار المرفوعة) (ص٢٣ ـ ٣٢).

وقوتلاي (١٤٨) كتاب[1]، وأوصلها الشماع إلى (٢٦٣) كتاب[2].

والواقع أنَّ مؤلفات القاري ما زالت بحاجة إلى إفرادها بالجمع والبحث والدراسة المتأنية المتعمقة، وتحقيق عناوينها ونسبتها، والاطلاع عليها قدر الإمكان ـ وقد تيسر الوصولُ إلى الكثير منها ـ ذلك أن تكراراً كثيراً حصل في بعض القوائم كقائمة الشماع فقد تكرَّر عنده الكثير، واستوقفني ثلاثون كتاباً مكرراً.

ولعلَّ الباحثين الأخيرين يتابعان جهودهما في هذا المجال، ويقدِّمان لنا دراسة جامعة مستوعبة، يُعَرَّف فيها بهذه الكتب تعريفاً كاملاً. وقد طبع منها الكثير، وما من مكتبة تخلو منها مطبوعة ومخطوطة.

* تلقى العلماءُ مؤلَّفات القاري[3] بالقبول، وحظي هو وهي بالثناء، وأكتفي هنا بذكر الأقوال الآتية:

---

(١) انظر: الإمام علي القاري (ص١١٥ ـ ١٦٦)، وهذا غير ما انفرد بذكره بروكلمان، أو رجح الباحث أنه أجزاء من كتب. فإذا أضفنا هذه أصبح العدد (١٦٦).

(٢) الملا علي القاري. البحث السابق (ص٦٤ ـ ٩٣).

(٣) للتدليل على اشتهار مؤلفاته أذكر هنا أن الباحث المحقق السيد محمَّد فاتح قايا أحصى (٢٧) نسخة لرسالته (رسالة في بيان إفراد الصلاة عن السلام هل يكره أم لا؟)، المطبوعة ضمن المجموعة العاشرة من (لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام) ١٤٢٩هـ، وقد اعتمد الباحث المذكور على (١٣) نسخة منها.

قال المحبِّي عنه: (أحد صدور العلم، فرد عصره، الباهر السمت في التحقيق، وتنقيح العبارات، وشهرته كافية عن الإطراء في وصفه... اشتهر ذكره وطار صيته، وألَّف التآليف الكثيرة اللطيفة التأدية، المحتوية على الفوائد الجليلة)[1].

وقال اللكنوي بعد أن ذكر له مجموعة من الكتب وأنه طالعها كلها: (وغير ذلك من رسائل لا تعد ولا تحصى، وكلها مفيدةٌ بلَّغته إلى مرتبة المجدِّدية على رأس الألف)[2].

لكن ليته ـ رحمه الله ـ لم يقيِّد نفسه بالسجع، وترك قلمه على سجيته، فإنَّ ذلك يكون أجمل في أسلوبه وأفضل، وقد يقوده السجعُ إلى تكلُّف، انظر إلى قوله في مقدمة «مرقاة المفاتيح» وهو يذكرُ سنداً عالياً حصل عليه في رواية «مشكاة المصابيح» قال: (وهذا أعلى ما يوجد من السند المعتمَد، في هذا الزمان المكدّر المنكّد)[3]، فالمقصود ينتهي عند قوله: في هذا الزمان، وليس السياق سياق شكوى منه.

حظي بعضُ كتبه بشروح متعددة ككتابه «الحزب الأعظم والورد الأفخم»[4].

---

(١) خلاصة الأثر (٣/ ١٨٥).

(٢) التعليقات السنية (ص٩) وفيها: بلغت. وفي قوله: (لا تعد ولا تحصى) مبالغة ظاهرة!

(٣) مرقاة المفاتيح (١/ ٣)، وفيه: (على)، فصححتها.

(٤) انظر: جامع الشروح والحواشي (٢/ ٩٣٩ ـ ٩٤٠).

طُبع له في قزان وقصبة مياس بروسيا ثمانية كتب هي: تزيين العبارة، والحزب الأعظم، ورسالة في الخضر، وشرح عين العلم، وشرح الفقه الأكبر، وشرح مختصر الوقاية «فتح باب العناية»، وشرح مسند الإمام الأعظم، والمنح الفكرية. طُبعت ما بين ١٨٤٥ ـ ١٩١١م، وطُبع الحزب الأعظم إحدى عشرة طبعة[١].

* تُوفي ـ رحمه الله ـ في شوال سنة ١٠١٤هـ[٢]، ودفن بالمعلاة، ولما بلغ خبرُ وفاته علماءَ مصر صلوا عليه بالجامع الأزهر صلاة الغيبة في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر[٣].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: دليل المطبوعات العربية في روسيا من ١٧٨٧ إلى ١٩١٧م (ص١٧٠ ـ ١٧٥ و٢٨٨).

(٢) جاء في دليل المطبوعات العربية في روسيا (ص١٧٠) أنه توفي سنة ١٠٢٣هـ، وهو مخالف لما ذكره المؤلف نفسه في سائر المواضع!

(٣) خلاصة الأثر (٣/ ١٨٦).

هذه الرسالة

* موضوعها:

اهتمَّ العلماء بالشاطبية، ودرسوها وحفظوها، ودرّسوها وشرحوها، وظهرت لهم في هذه المصاحبة ملحوظاتٌ على عدد من أبياتها، فأبدوها في شروحهم ومجالس درسهم، وهذه الرسالةُ في هذا الشأن، وقد أفردها العلامةُ الشيخ علي القاري لملحوظاته هو، وهي في (١١٢) فقرة، وقد يكون في الفقرة الواحدة أكثر من ملحوظة، وتعود هذه الملحوظات إلى دفع توهُّم[١]، ورفع مشكل، وحلِّ معضل، وتقييد مطلق، وتفصيل مجمل، وزيادة بيان، وتقريب بعيد، وتتمة فائدة، وإضافة توضيح، واقتراحٍ بتغيير ترتيب، والإتيان بمثال لما لم يمثل له.

ويَدخل هذا كلُّه في باب التحسينات، واستكمالِ مقاصد الناظم، وقد قال المؤلفُ على شرحه لها: (وهذه القصيدة لم يُوجد فيها خلل في العبارة، وإنما غايته إجمالٌ أو إطلاقٌ، أو فواتُ أولية في مقام الإشارة)[٢].

---

(١) كرر المؤلف كلمة «توهم» ٢٠ مرة، وكلمة «يتوهم» ٣٩ مرة.

(٢) حدث الأماني (ص٢٥ ـ ٢٦)، عن تعديلات بعض شراح الشاطبية (ص١٤٩).

وقد قدَّم المؤلفُ لرسالته بمقدمة جميلة فيها علمٌ وأدبٌ، وتوجيهٌ وإرشادٌ، ومن المهم قراءتُها وتأمُّلها والإفادةُ منها ولا سيما قوله فيها: «فهذه الفوائد لُفاظة من ألفاظ تلك العوائد، ولُقاطة من حوالي تلك الموائد».

قلتُ: إنَّ المؤلف خصص تلك الرسالة لملحوظاته هو، وقد ينقل عمن سبقه، مؤيدًا أو مناقشًا أو مستدركًا، وقد يبدي أكثر من صيغة للتعديل، وقد يزيد على الشاطبي.

ورتَّب ملحوظاته على حسب ترتيب المنظومة إلا في موضعين، فقد قدَّم البيت (١٨٠) على (١٧٦)، والبيت (٥٢٣) على (٥٢٠).

ويلحظ أنه وَصَفَ أكثرَ من واحد بـ «المرحوم».

*** نُسخها:**

لهذه الرسالة ثلاث نسخ، نسختان في المدينة المنورة، وأخرى في القدس، وقد وقفتُ على نسختي المدينة، وهذا وصفها:

ـ **النسخة الأولى**: في مكتبة عارف حكمت (وهي الآن ضمن مكتبة الملك عبد العزيز) ضمن مجموع برقم (٢٨٩)، وتقع في (١٢)، ورقة، وهي مقابلة على نسخة المؤلف، ولعلها نُقلت من خطه أيضًا. وقد رُقِّمت فيها الفقرات دون الأبيات فبلغت (١١٢) فقرة.

ـ **النسخة الثانية**: في مكتبة عارف حكمت أيضًا، وهي ضمن مجموع برقم (٧٥)، وتقع في (١٠) أوراق، وليس في آخرها تاريخ نسخ، وفي هذه النسخة بياض وسقط، وأخطاء، وتحريف، وعدم تنقيط، وقد رُقِّمت فيها الفقرات دون الأبيات أيضًا، فبلغت (١١٠) لخطأ الناسخ في فقرتين.

ـ **النسخة الثالثة**: في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي في القدس، نسخها محمَّد طاهر الحسيني سنة ١٢٤٠ تقريبًا، قال عنها المفهرسُ: «شرح موجز على منظومة الشاطبي في القراءات»[١]. وليس الأمر كذلك، وهذه النسخة ضمن مجموع برقم (٨/ ١٨٤م ـ ي ا) من (١٥٧/أ ـ ١٦١/ب)، بخط فارسي صغير رديء.

* توثيق نسبتها:

لم أقف على مَن نسبها إلى المؤلف في مصادر ترجمته التي رجعت إليها، بما في ذلك تاريخ الأدب العربي، والفهرس الشامل[٢]، وقد وصل إلينا منها ثلاثُ نسخ، صرَّح المؤلفُ في مقدمتها باسمه المعروف.

* عنوانها:

سُمِّيت على غلاف النسخ الثلاث: «الضابطية للشاطبية اللامية».

* تاريخ تأليفها:

صرَّح المؤلفُ في آخرها كما في النسخ الثلاث: أنه فرغ منها في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٠١١هـ.

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب (٨/١).

(٢) انفرد بذكرها الباحث محمَّد بن عبد الرحمن الشماع في بحثه «الملا علي القاري: فهرس مؤلفاته وما كتب عنه» (ص٢٦) اعتمادًا على نسختي عارف حكمت.

*** مصادرها:**

صرَّح المؤلفُ بعددٍ من مصادره، وأبهم أخرى.

فالمصرَّح به:

١ ـ سنن أبي داود (ت٢٧٥هـ).

٢ ـ المستدرك للحاكم (ت٤٠٥هـ).

٣ ـ التيسير لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ). ذكره في الفقرة (٩٤).

٤ ـ شُعب الإيمان للبيهقي (ت٤٥٨هـ). ولم أجد الحديث المعزو إليه فيه، ووجدته في كتابه «معرفة السنن والآثار».

٥ ـ المصنِّف (الشاطبي) (ت٥٩٠هـ). ولم يذكر مصدرًا، انظر: الفقرة (٦٠)، و(٩٤)، ولعل النقل بواسطة.

٦ ـ الشيخ الجزري. كذا في الفقرة (٢٠)، والنقل عن هذا الشيخ جاء في كنز المعاني لشعلة (ت٦٥٦هـ). والظاهر أن المصنف أخذه منه، والله أعلم.

٧ ـ الفاسي (ت٦٥٦هـ). ويريد كتابه: «اللآلىء الفريدة في شرح القصيدة»، وقد ذكره مرة واحدة في الفقرة (٣٤).

٨ ـ أبو شامة (ت٦٦٥هـ). ذكره في المقدمة والفقرات: (١٥)، و(١٨)، و(١٩)، و(٤٥)، و(٥١)، و(٧٢)، و(٨٦)، ويريد كتابه «إبراز المعاني من حرز الأماني».

٩ ـ الإمام مالك. كذا في النسختين، والصواب: ابن مالك (ت٦٧٢هـ)، والنقل عنه موجود في أول كتابه «تسهيل الفوائد».

١٠ ـ الخراز: محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم (ت٧١٨هـ). ذكره في الفقرة (٦٥)، ويريد منظومته «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن».

١١ ـ الجعبري (ت٧٣٢هـ). ذكره في المقدمة والفقرات: (١٥)، و(١٨)، و(٢١)، و(٢٤)، و(٣٤)، و(٥١)، و(٦٥)، و(٦٩)، و(٧٣)، و(٩٤)، ويريد كتابه: «كنز المعاني في شرح حرز الأماني».

١٢ ـ الجزري (ت٨٣٣هـ). ذكره في الفقرات: (٢٢)، و(٢٥)، و(١١١)، ويريد كتابه «النشر».

١٣ ـ طاهر الأصبهاني (٧٨٦ ـ كان حياً سنة ٨٥٧ هـ)[١]. ذكره في الفقرة (٢٢)، وهو أكبر تلامذة الإمام ابن الجزري شأنًا، وله ترجمة في «غاية النهاية»، كتبتها سلمى بنت الشيخ، وجُعِلَتْ سنة ولادته في «هدية العارفين» و«الأعلام» سنة وفاته! ولم يذكر المؤلفُ الشيخ علي القاري مصدره في النقل عنه، وقد قالت سلمى في ترجمته: (نظم قصيدة في القراءات العشر على وزن الشاطبية ورويها، استحسنها الوالد، وطالعها، وسماها بـ «الطاهرة»[٢].

وقال الطهراني: «وله أيضاً شرح الشاطبية كما ينقل عنه في بعض كتب التجويد»[٣]، فلعل النقل عن أحدهما.

وأما المبهم، فهو قوله:

١ ـ قيَّده بعض العلماء من مشايخ القراء. في الفقرة (٣).

---

(١) انظر: الذريعة (٨/ ٦٨).

(٢) غاية النهاية (١/ ٣٤٠).

(٣) الذريعة (٨/ ٦٩).

٢ ـ رُوي عن بعضهم. في الفقرة (٧).

٣ ـ قال بعضهم. في الفقرة (١٤).

٤ ـ قيل. في الفقرة (١٥).

٥ ـ بعض أصحابنا المرحوم في أثناء درس الإقراء. في الفقرة (١٨).

٦ ـ ذهب جماعةٌ من القراء. في الفقرة (٢٣).

٧ ـ ذهب إليه بعضُهم. في الفقرة (٣٧).

٨ ـ بعض المقرئين. في الفقرة (٩٦).

❑❑❑

خطة التحقيق

١ ـ اتخذتُ النسخة المقابلة على خط المؤلف أصلاً، فنسختُها مرتَّباً لها، مفصَّلاً مبيِّناً النظم من النثر، بعد أن كانت مكتوبةً درجاً، لتسهيل قراءتها بأيسر نظرة كما ترى.

٢ ـ قابلتُها بالنسخة الثانية ـ ورمزها (ب) ـ وبينتُ بعض الفروق، وأعرضتُ عن إثبات أخطاء الناسخ ـ وهي ليس بالقليلة ـ لعدم الفائدة من ذلك.

٣ ـ رقَّمتُ ملحوظات ومناقشات المؤلف ـ تبعاً للنسختين ـ وهي (١١٢) فقرة، وقد يكون في الفقرة أكثر من ملحوظة ووقفة.

٤ ـ رقَّمتُ الأبيات المذكورة من الشاطبية سواء ذُكر البيت كله أم ذُكر أحد مصراعيه.

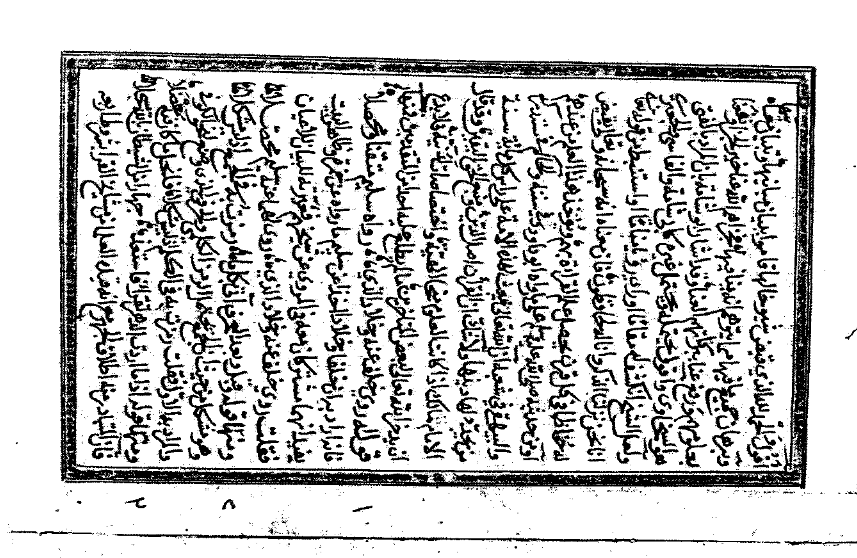
٥ ـ أضفتُ العناوين التي ذكرها الشاطبي، ليُعرف بسرعة موضوع الأبيات التي سيناقشها المؤلف، ووضعتها بين معكوفين.

٦ ـ ضبطتُ الأبيات الأصلية والمعدلة بالشكل، وعزوتُ النقول إلى مصادرها، وترجمتُ لعلمين اثنين، لشهرة الباقين.

٧ ـ لم أتعرض لمناقشة المؤلف فيما عسى أن يَرِدَ عليه، وهذا متروكٌ لدراسة متخصصة بذلك.

والله نسألُ التوفيق والقبول.

❑ ❑ ❑



الصفحة الأولى من الأصل

الصفحة الأخيرة من الأصل

الضابطية للشاطبية
اللامية لملا علي القاري
رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي اوجد الاشياء ودبر وقضى بما شاء في ازاله وقدر
وغير ما اراد ولم يتغير والصلوة والسلام على سيد البشر
المبعوث الى الاسود والاحمر وعلى آله واصحابه الشفعاء في المحشر
والشهداء في ذلك المحضر اما بعد فيقول المفتقر الى بر ربه الباري
علي بن سلطان محمد القاري ان اللامية الشاطبية لما كانت فيها
مواضع يصعب كشف حلها باعتبار قلة فهم اكثر اهلها فاختلج
بالبال ان يخص تلك المحال ويرفع حجاب النقاب عنها بعون
الملك المتعال لما في كلام الناظم وهو ولي الله في جميع الاحوال
اشارة الى جواز ذلك حيث قال هنالك وان كان خرق فادركه
بفضله من الحلم وليصلحه من جاد مقولا ولا شك ان هذه
الفضيلة والحالة الجزيلة لنا انما حصلت بفضلة من علمه
وبخصلة من حلمه فان الفضل كل الفضل للمتقدم في كل فصل
من الفرع والاصل كما اشار الى هذا المعنى بقوله والفاقها زادت
بنشر فوائد فلفت حياء وجهها ان تفضلا هذه الفوائد لفاظة
من الفاظ تلك الفوائد ولقاطة من حوالي تلك الفوائد التي عمت
البلاد وصولا وخصت علماء العباد حصولا فجزي الله صاحبها
عنا خير الجزاء في دار البقاء واللقاء وجمع بيننا وبينه تحت اللواء
لسيد الانبياء عليهم التحية والثناء ثم رايت العلامة الامام ابو شامة
قال سمعت شيخنا ابا الحسن علي بن محمد السخاوي يحكي عن ناظمها
شيخه الشاطبي رحمهما الله مرارا انه قال كلاما ما معناه لو كان
في اصحابي خيرا وبركة لاستنبطوا من هذه القصيدة معاني لم
تخطر لي ثم قال وحكى لنا بعض اصحابنا انه سمع بعض الشيوخ
المعاصرين للشاطبي يقول لمته في نظمه لها القصور الافهام
عن دركها فقال لي يا سيدي هذه تقيض الله لها فتى يبينها
او كما قال اقول والحمد لله الذي قيض شيوخا لها قاموا ببيانها

الصفحة الأولى من (ب)

١٠٦ الكل خلف لا ومنها قوله فسحقا سعه كونا ضم مع عيب تعلمون
من رض معي بالياء واهلكني انجلي فانه قد يتوهم منه ان يكون
ميم من رضي اوليس كذلك فان الشيخ اتى به احترازا من قوله
فستعلمون كيف نذير فدفعت الوهم فقلت فسحقا اسكون
١٠٧ الضم مع ثان يعلمون راض معي بالياء واهلكني انجلا ومنها قوله
ومن قبله فاكسر وحرك رواحلا فانه قد يتوهم ان المراد به
١٠٨ كسر الميم والحال ان المراد كسر القاف فقلت وفي قبله ومنها
ويذكرون يؤمنون مقاله بخلف له داع ويعرج رتلا فانه
قد يتبادر ان لا امر له لبس برمز لهشام وعائد الضمير المرموز
١٠٩ بالميم هو ابن ذكوان فقلت بخلف لدى داع ومنها قوله اذا كبروا
في اخر الناس اردفوا مع الحمد حتى المفلحون توسلا فان
المستفاد منه ان يكبر في اخر الحمد ولم يقل به احد فقلت
اذا كبروا في اخر الناس بادروا الى الحمد حتى المفلحون توسلا
١١٠ ومنها قوله فلا تصلن هاء الضمير لتوصلا لانه يوهم انه اذا
كان هاء الضمير في آخر سورة لا يجوز وصله فقلت فلا تشبعن
١١١ هاء الضمير لتوصلا ومنها قوله وما بين رخو والشديد لن عمر
فانه قد يتوهم منه ان الواو ايضا من الحروف البينية فقلت
١١٢ تبعا للشيخ الجزري وما بين رخو والشديد لن عمر ومنها ١١٣
قوله وقل رحم الرحمن حيا وميتا فتى كان للانصاف والحلم
معقلا فانه قد يتبادر الى الوهم لا يليق لارباب الفهم لا سيما
حال الوقف على اخر المصراع الاول
فقلت وقل رحم الرحمن كل فتى
يكون للحلم والانصاف والعفو
معقلا فرغ المؤلف
بمكة المكرمة قبالة الكعبة
المعظمة في اواخر
شهر جمادى الاخرة
سنة [illegible]

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من (ب)

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨٥)

الضابطية للشاطبية اللامية

للعلامة الشيخ
علي بن سلطان محمد القاري الهروي المكي
(٩٣٠ تقريباً بهراة - ١٠١٤ بمكة)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الحكيم الأنيس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجد الأشياءَ ودبَّر، وقضى بما شاء في آجاله وقدَّر، وغيَّر ما أراد بما أراد ولم يتغيَّر، والصلاة والسلام على سيد البشر، المبعوث إلى الأسود والأحمر، وعلى آله وأصحابه الشفعاء في المحشر، والشهداء في ذلك المحضر.

أمَّا بعد:

فيقول الفقيرُ إلى بِرِّ ربِّه الباري، علي بن سلطان محمَّد القاري:

إنَّ «اللامية الشاطبية» لما كان فيها مواضع يصعب كشفُ حلها، باعتبار قلة فهم أكثر أهلها، سنح بالبال أن يخُصَّ تلك المحال، ويرفع حجاب النقاب عنها بعون الملك المتعال، لِما في كلام الناظم ـ وهو وليُّ الله ـ في جميع الأقوال، إشارة إلى جواز ذلك، حيث قال هنالك:

٧٨ـ وإنْ كانَ خَرْقٌ فادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ مِنَ الْحِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلا

ولا شك أن هذه الفضيلة والحالة الجزيلة لنا إنما حصلت بفضلةٍ من علمه، وبخصلة من حلمه، فإن الفضل كلَّ الفضل، للمتقدِّم في كل فصل، من الفرع والأصل، كما أشار إلى هذا المعنى بقوله:

٦٩ـ وأَلْفافُها زادَتْ بِنَشْرِ فوائِدٍ فَلَفَّتْ حَياءً وَجْهَها أنْ تُفَضَّلا

فهذه الفوائد لُفاظة من ألفاظ تلك العوائد، ولُقاطة من حوالي تلك الموائد، التي عمَّت البلاد وصولاً، وخصَّت علماء البلاد[1] حصولاً، فجزى الله صاحبها عنَّا خير الجزاء، في دار البقاء واللقاء، وجمع بيننا وبينه تحت اللواء لسيد الأنبياء، عليهم التحية والثناء[2].

ثم رأيتُ العلامةَ الإمام أبا[3] شامة قال: سمعت شيخنا أبا الحسن علي بن محمَّد السخاوي يحكي عن ناظمها شيخه الشاطبي رحمهما الله مرارًا أنه قال كلامًا ما معناه: لو كان في أصحابي خيرٌ أو بركةٌ لاستنبطوا من هذه القصيدة معاني لم تخطر لي.

ثم قال: وحكى لنا بعضُ أصحابنا أنه سمع بعض الشيوخ المعاصرين للشاطبي يقول: لمته في نظمه لها لقصور الأفهام عن دركها، فقال لي: يا سيدي هذه يقيِّض الله لها فتى يبينها. أو كما قال[4].

أقول: الحمد لله الذي قيَّض شيوخًا لها قاموا ببيان مبانيها، وتبيان معانيها، وبرهان جمع ما فيها، مما يُتَوَهَّمُ أنه ينافيها، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، ونفعنا بعلومهم، ورفع عنا ببركاتهم العناء. وقد أشار أبو شامة بأن المراد بـ «الفتى» هو السخاوي[5].

---

(١) في (ب): «العباد».
(٢) انظر ما في كلام المؤلف من أدب رفيع، وسمو وبهاء، رحم الله علماء الإسلام، وأجزل لهم المثوبة، وأكرمهم برضاه ورضوانه.
(٣) في النسختين: «أبو».
(٤) إبراز المعاني (١/ ٨).
(٥) إبراز المعاني (١/ ٨).

وأقول: يحتمله ويحتمل غيرَه كأبي شامة، والفاسي، والجعبري.
ولعل الشيخ انكشف له مقامًا، أو رأى رؤيا منامًا، أو استنبط من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، فإنَّ معناه أنه سبحانه وتعالى يقيِّض له حفاظًا في كل قرن يحصل علمُ القراءة بهم، ويُؤخذ هذا العلم من عندهم، أو من حديثه ﷺ على ما رواه أبو داود في «سننه» والحاكم في «مستدركه» والبيهقي في «شُعبه»: «**إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَن يجدِّد لها دينها**»[2]، ولا شك أنَّ القرآن أصل الدين، ومنبع الحق اليقين، وقد قال الإمام [ابنُ][3] مالك: إذا كانت العلوم منحًا إلهية، واختصاصات لدنية، فلا بدع أنْ يدَّخر اللهُ لبعض المتأخرين، ما لم يُطلع عليه أحدًا من المتقدمين[4].

١ ـ فمنها قوله:

٣٨ـ رَوَى خَلَفٌ عنهُ وَخَلَّادُ الذي رواهُ سُلَيْمٌ متقَنًا ومُحَصَّلاً

فإنَّه أراد به أنَّ خلفًا وخلادًا أخذا عن سليم ما رواه عن حمزة.

---

(١) من سورة الحجر: الآية ٩.
(٢) انظر: سنن أبي داود (٢/ ٥١٢)، والمستدرك (٤/ ٥٦٧)، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤)، وإلى هؤلاء عزاه السيوطي كما في كنز العمال (١٢/ ١٩٣)، وذكر المعرفة ولم يذكر الشعب.
(٣) زيادة مني على النسختين لا بد منها.
(٤) الكلمة لابن مالك في مقدمة كتابه تسهيل الفوائد، ونصها: (وإذا كانت العلوم منحًا إلهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين، ما عَسُرَ على كثير من المتقدمين...).

وظاهر البيت يفيد أنهما مشتركان معه في المروي عن شيخهم، فغيرتُهُ للبيان للأعيان فقلتُ:

رَوَى خَلَفٌ عنهُ وَخَلَّادٌ الذي   روى لهما عنهُ سُلَيمٌ مُحَصَّلا

٢ ـ ومنها قوله:

٦٤ ـ وقَبْلَ وبَعْدَ الحرفِ آتي بكُلِّ ما   رمزتُ به في الجَمْع إذْ لَيْسَ مُشْكِلا

وهو مشكل من حيث إنَّ الجمع يحتمل الرمز الكلمي والحرفي الذي وضع لنحو الكوفي، والمراد به الأول، فقلتُ:

. . . .   رمزتُ بهِ في الكِلْم إذْ ليس مُشْكِلا

فانحلَّ ما كان فيه معضِلاً.

[باب الاستعاذة]

٣ ـ ومنها قوله:

٩٥ ـ إذا ما أردتَ الدهرَ تَقْرَأُ فاسْتَعِذْ   جِهارًا من الشيطانِ باللهِ مُسْجَلا

فإنَّ المتبادر منه إطلاق الجهر، مع أنه قيَّده العلماءُ من مشايخ القرَّاء بشروطٍ أربعة وهي:

١ ـ أن يكون بحضرة القارئ مستمع.

٢ ـ وألا يكون في أثناء دور المدارسة.

٣ ـ وأن يُريد أن يجهر بالقراءة.

٤ ـ وألا يكون في الصلاة إجماعًا بين الأئمة.

فألحقتها في بيت فقلتُ:

بشرط استماعٍ وابتداءِ دراسةٍ   وجَهرٍ بها لا في الصلاة فَفُصِّلا

[باب البسملة]

٤ ـ ومنها قوله:

١٠٦ ـ ولا بُدَّ مِنْها في ابتدائِكَ سُورَةً   سِواها وفي الأَجْزاءِ خُيِّرَ مَنْ تَلا

فإنَّه يتبادر إلى فهم أرباب الوهم أنه أراد الأجزاء المتعارف، وليس كذلك، فأبدلتُ «الأجزاء» بقولي: «الأثناء» الشامل لجميع الأجزاء.

[سورة أم القرآن]

٥ ـ ومنها قوله:

١٠٨ ـ . . . .   وَعِنْدَ سِرَاطٍ والسِّرَاطِ لـ قُنْبُلا

١٠٩ ـ بحيثُ أَتَى والصادَ زايًا أَشِمَّها   لدى خَلَفٍ واشْمِمْ لخَلَّادِ الاوَّلا

فإنَّه رحمه الله اكتفى باللفظ عن القيد، وشرطُهُ ـ كما هو معلومٌ عند أهله ـ أنَّه لا يتأتى النظم بغيره كقوله:

١٠٨ ـ ومالكِ يومِ الدينِ راويهِ ناصرٌ   . . . .

وهذا ليس كذلك، فإنه يمكن النطق بالصاد فيهما مع اتزان البيت.

وفيه إشكالٌ آخر أيضًا: وهو أنْ يتبادر إلى الفهم أن المراد بالأول هو المجرَّد عن اللام المذكور أولاً في البيت السابق. وليس كذلك، بل أراد به الأول المذكور في القرآن، وهو الصراط المعرّف باللام.

وفيه أيضًا: ما يُوهِمُ أنَّ الصراط المعرف باللام. وليس كذلك، بل المراد ما في الفاتحة فقط، فالمراد بالأول الشخصي لا الجنسي.

وأيضًا: المعرَّف باللام ذُكر في القرآن قبل ذكر غيره، فالأولى مراعاة الترتيب الوارد كما لا يخفى على أهل النهى، فقلتُ:

.... وسينِ السراطِ مع سراطِ لـ قنبلا

وأيضًا: لو قيل «أشمِم» بدون العاطف لما احتاج[1] إلى حذف همزة القطع لضرورة الوزن.

ثم خطر ببالي أنَّ البيت الثاني قاصر عن التصريح بالتعميم في الإشمام لخلف، على أنَّه قد يُتَوَهَّمُ من قوله: «واشمم لخلاد الاوّلا» أن الأول مختص بخلاد، والباقي لخلف، فقلتُ:

بحيثُ أتى والصادزايًا أشمَّها بكل ضفا أشمِمْ لحمزةَ الاوّلا

٦ ـ ومنها قوله:

١١٠ ـ عَلَيْهِمْ إلَيْهِمْ حمزةٌ ولَدَيْهِمُ جميعًا بضمِّ الهاءِ وَقْفًا ومَوْصِلا

فإنَّه لا يفهم منه قراءة الباقين، إذ ليس الكسر ضد الضم المطلق، فقلتُ:

.... بضمِّ الكَسْر ......

ليُستفاد منه أن الباقين قرؤوا بكسر الهاء.

---

(١) في الأصل: «لاحتاج»! والتصحيح من (ب).

[باب الإدغام الكبير]

٧ ـ ومنها قوله:

١١٦ ـ ودَونَكَ الإدْغَامَ الكبيرَ وقُطْبُهُ أبو عمرٍو البَصْرِيُّ فيه تَحَفَّلا

فإنَّه يفيد بظاهره أنَّ هذا الباب مقروء بروايتي الدوري والسوسي عنه ـ كما رُوي عن بعضهم ـ مع أنَّ عمل الناظم على أنَّ إدغام الكبير من مختصات السوسي، فقلتُ:

.... أبو عمرٍو البصريْ لسوسيّ اعملا

ليستفاد منه العلم والعمل، فتدبر وتأمل.

٨ ـ ومنها قوله:

١٢٢ ـ وقد أظهروا في الكافِ يَحْزُنْكَ كُفْرُه ....

فقلتُ:

وقد أظهروا في كافِ يَحْزُنْكَ كُفْرُه ....

بالإضافة فإنَّه أولى كما لا يخفى.

٩ ـ ومنها قوله:

١٢٣ ـ وعندَهُمُ الوجهانِ في كلِّ موضعٍ تَسَمَّى لأَجْلِ الحذْفِ فيهِ مُعَلَّلا

فإنَّ فيه مناقشة ظاهرة على أرباب المنافسة، فقلتُ:

وعندَهُمُ الوجهانِ في كلِّ كِلْمَةٍ يسمَّى لأجلِ الحذفِ لَفْظًا مُعَلَّلا

١٠ ـ ومنها قوله بعده:

١٢٤ ـ كيبتغِ مجزُومًا وإنْ يَكُ كاذبًا ويَخْلُ لكمْ عنْ عَالِمٍ طَيِّبِ الخَلا

فإنَّه يُوهِمُ منه أنه يوجد مثال آخر زيادة على ما ذكر، والحال أنه قد انحصر، فقلتُ:

فيبتغِ مجزومًا وإنْ يكُ كاذبًا ويَخْلُ لكُمْ فيها المثالُ تحفَّلا

أي: اجتمع وانحصر، مثل احتفال اللبن في الضرع.

١١ ـ ومنها قوله:

١٢٧ ـ بإدغامِ لَكْ كَيْدًا ولَوْ حَجَّ مُظْهِرٌ بإعلالِ ثانيهِ إذا صَحَّ لاعْتلا

فإنَّ «حج» بمعنى «احتج» غير ظاهر.

ثم يرد على قوله: «بإعلال ثانيه» لفظ «قال» فإنَّ لامه أدغم في المتماثل والمتقارب اتفاقًا نحو: ﴿قَالَ لَهُمُ﴾[1]، ﴿قَالَ رَبُّكُمُ﴾[2] فقلتُ:

بإدغامِ لَكْ كيدًا لو احتج مُظْهِرٌ بتكرار إعلالٍ إذا صحَّ لاعْتلا

فإنَّ الجمهور على أنَّ أصل «آل» «أهل» فأبدل الهاء همزة، وهذا إعلال لكنه سماعي، ثم إبدال الهمزة ألفًا وهو قياسي، فهذا إعلال آخر بخلاف ألف «قال» فإن فيه إعلالاً واحدًا، وهو إبداله ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها.

وقولنا «إذا صح» يحتمل أن يكون ضميره إلى الإظهار كما هو الظاهر من كلام الناظم رحمه الله، وأن يكون راجعًا إلى تكرار الإعلال

---

(١) من سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

(٢) من سورة غافر: الآية ٦٠.

لكون ألفه مبدلة عن همزة مبدلة عن هاء لا دليل عليه، ولا موجب للإلجاء إليه.

وأما وجود «أهيل» تصغير «أهل» فلا داعي إلى جعله تصغير «آل» مع أن لفظ «الآل» الموضوع لأرباب الكمال لم يقبل التصغير لا في الحال ولا في المآل.

١٢ ـ ومنها قوله:

١٣١ ـ وقَبْلَ يئسن الياءُ في اللَّاءِ عارضٌ سُكُونًا أَوَ أَصْلاً فَهْوَ يُظْهِرُ مُسْهِلا

فإنه يُتَوَهَّمُ منه أنَّه يقرأ بالتسهيل في همزها، وليس كذلك، إذ يقال: معناه سالكًا طريق السهل، ففيه أنَّ الإدغام هو الأخف فيكون أسهل، وعلى كل حال ففيه إشكال، فقلتُ:

. . . . . فَهْوَ يُظْهِرُ مجملا

ليكون الحال مجملاً.

[باب إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين]

١٣ ـ ومنها قوله:

١٣٣ ـ وهـذا إذا مـا قَـبْلَـهُ مُـتَـحَـرِّكٌ مُـبِـينٌ وبَعْدَ الـكـافِ مِـيـمٌ تَـخَـلَّـلا

فإنَّ ظاهره أن لفظ «مبين» للتأكيد، أو للتبيين، إشارة إلى الاحتراز من الألف فإنَّه في قوة المتحرك كما قالوا في جواز التقاء الساكنين عند وجودها.

وأيضًا: لا يستفاد مِن قوله «ميم تخللا» أنه ميم الجمع، فإنه قد يُتَوَهَّمُ أن يكون مراده وجود ميم تخلل في أثناء الكلام، واتصل به

ولو على فصل المرام، فيرد عليه قوله تعالى: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[1]، فقلتُ:

.... وآخِرُهُ مِيمٌ لِجَمْعٍ تَخَلَّلا

١٤ ـ ومنها قوله:

١٣٥ ـ وإدغامُ ذي التحريمِ طَلَّقَكُنَّ قُلْ أَحَقُّ وبالتأنيثِ والجمعِ أُثْقِلا

فإنَّه يحتمل أنْ يُراد أن إدغامه أحق من إظهاره ففيه الوجهان ـ كما قال بعضهم ـ ويحتمل أنْ يُراد أن إدغام ﴿طَلَّقَكُنَّ﴾[2] أحق من إدغام نحو ﴿خَلَقَكُم﴾[3]، وهو المعتمد عند الناظم ومَنْ تبعه، فقلتُ:

.... أَحَقُّ من الأولى لتأنيثٍ اثقلا

واكتفيت في التعليل بذكر التأنيث عن ذكر الجمع؛ لأنه موجود فيهما.

١٥ ـ ومنها قوله:

١٣٨ ـ إذا لم يُنونْ أو يَكُنْ تَا مُخَاطَبٍ وما ليسَ مَجْزُومًا ولا مُتَثَقِّلا

فإنَّه لم ينظم هنا الأمثلة الممنوعة على طبق ما ذكره سابقًا، مع أنَّ أمثلة المتقاربين أحوج في البيان من المتماثلين، وقد سبقني أبو شامة رحمه الله في نظم هذا حيث قال:

نذيرٌ لكم مثِّل به كنتَ ثاوياً ولم يؤتَ قبل السين همَّ بها انجلى[4]

---

(١) من سورة الكهف: الآية ٣٧.

(٢) من سورة التحريم: الآية ٥.

(٣) من سورة النساء: الآية ١ وغيرها.

(٤) إبراز المعاني (١/ ٩١).

واعتذر بأنَّه أراد: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[1]، ولم يمكن نظمه لكثرة حركاته، فعبَّر عنه بما قال.

وغيَّره الجعبري فقال:

نصيرٌ لقد خلقت طيناً مثالُها ولم يؤت قبل الوُسع هَمّ بها انجلى

واعتذر بأن (لم يؤت سعة) لم يمكن ذكره في النظم لعدم «فعلتن» في الطويل. انتهى[2].

ولا يخفى أنَّ الفضل للمتقدِّم، وإن قيل: كم ترك الأولُ للآخر[3].

ولمّا كان بيت أبي شامة أحلى ـ مع ما في كل من النظمين من الخفاء ما لا يخفى ـ قلتُ: ولو قال أبو شامة:

. . . . وقبلَ سعة لم يؤت . . . .

لأتى بما هو أوضح وأفصح وأصح.

١٦ ـ ومنها قوله:

١٤٣ ـ وفي زُوِّجَتْ سينُ النُّفُوس ومُدْغَمٌ له الرأسُ شَيْباً باختلافٍ تَوَصَّلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ منه أنَّ ألف «توصلا» ليس للإطلاق، وأنَّه للتثنية راجعًا إلى الحرفين جميعًا، والحال أنَّ إدغام الأول بالاتفاق.

---

(١) من سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

(٢) كنز المعاني (٢/ ٢٦٧).

(٣) من قصيدة لأبي تمام، مطلعها:

قل للأمير الأريحي الذي . . . .

وكذا يُتَوَهَّمُ أنَّ لفظ «له» من التلاوة، وليس كذلك، بل ضميره راجع إلى أبي عمرو، فقلتُ:

. . . . كذا الرأسُ شيباً فيه خُلْفٌ توصلا

١٧ ـ ومنها قوله:

١٤٧ـ فمعْ حُمِّلوا التوراةَ ثم الزكاةَ قُلْ . . . .

فإنَّه أبهم الكلمة الواقعة بعد «الزكاة» فبينتُه بوضع «ثم» موضع «قل».

١٨ ـ ومنها قوله:

١٥٥ـ وأشْمِمْ ورُمْ في غيرِ باءٍ وميمها مَعَ الباءِ أو ميمٍ وكُنْ مُتأمِّلا

فإنَّ استثناء الصور الأربع إنما يتجه بعض الاتجاه على مذهب الإشمام؛ لأنَّ الإشارة تتعذر في ذلك من أجل انطباق الشفتين، فإنها بالشفة والباء والميم من حروف الشفة، والإشارة غير النطق بالحرف فيتعذر فعلُهما معاً في الإدغام لأنَّه وصل، ولا يتعذران في الوقف لأنَّ الإشمام فيه هو ضم الشفتين بعد سكون الحرف فلا يقعان معًا.

هذا خلاصة كلام أبي شامة[1] وغيره.

وقال الجعبري: فمعنى قوله «أشمم» على اصطلاح البصريين، و«رم» على اصطلاح الكوفيين، وهو الإشمام[2].

---

(١) انظر: إبراز المعاني (١/ ١٠٠).

(٢) كنز المعاني (٢/ ٣٠٤).

والحاصل أنَّ الشراح اتفقوا على أنَّ الاستثناء لا يرجع إلى الرَّوْم في مصطلح القراء، فلو قال الناظم ـ كما نظم بعض أصحابنا[1] المرحوم في أثناء درس الإقراء ـ:

وأشمِمْ بغير الباءِ والميم معهما ورُمْ مطلقًا فافهَمْ وكُنْ متأمِّلا

لكان حسنًا. إلا أنه لو قال:

وأشمِمْ بغير الميم والبا كليهما معَ الميم أو باءٍ ورُمْ متأمِّلا

لكان أحسن، لأنَّ إطلاق الروم قد لا يُستحسن مجملاً، وإنْ كان استدركه بقوله: «**وكن متأملاً**» إشارة إلى كون الحكم فيه مفصلاً.

ثم الأظهر تعبيرًا وأخف تغييرًا أن يقال:

مع الرَّوم أَشمِمْ. . إلى آخره.

على أنَّ القيد يتعلق بـ «**أشمم**» الذي وقع أخيرًا.

[باب هاء الكناية]

١٩ ـ ومنها قوله:

١٦٦ـ وَعَى نَفَرٌ أَرْجِئْهُ. . . البيت.

فإنَّ استخراج القراءات الست يصعب منه جدًّا، وقد أتى المرحوم أبو شامة بيتاً واحداً أسهل منه أخذاً، إلا أنَّه اكتفى فيه باللفظ عن القيد حيث قال:

وأرجئه مِلْ والضَّمَّ حُزْ صِلْهُ دَعْ لنا وأَرْجِه فِ نَلْ صِل جئ رضاً قصرُه بَلا[2]

---

(١) أبهم المؤلف اسمه كما ترى فلينظر.

(٢) إبراز المعاني (١/ ١١٢).

[باب المد والقصر]

٢٠ ـ ومنها قوله:

١٦٨ ـ إذا أَلِفٌ أو ياؤُها بَعْدَ كَسْرَةٍ   أو الواوُ عَنْ ضَمٍّ لَقِي الهَمْزَ طُوِّلا

فإنَّ مقدار المد مبهم في المتصل والمنفصل جميعًا مع اتفاقهم على اختلاف في قدره إما بمرتبتين وهما الطولى والوسطى كما كان يعمل به المصنف، وكذا الشيخ الجزري حال الاختصار، وقد تصدى الشيخ لبيان المقدار للقراء الأبرار بقوله:

وأطولُهُم مدّاً بها جودُ فاضلٍ   ودونهما نورٌ ودونَهُ رُمْ كلا

وأقصرُ مِن هذين حافة بحره   بخُلفهما والقصر لا تعدُ مطولا

إلا أنَّه [لا][1] يفهم منه ما عمل به الشيخان فقلتُ:

وقد قرأ الشيخانِ طُولى لورشهم   وحمزة والوسطى لباقيهمُ الملا

٢١ ـ ومنها قوله:

١٧٢ ـ ووَسَّطَهُ قَوْمٌ . . . .

فإنَّه يُوهِمُ أنَّ القاف رمز، وهو خطأ؛ لأنَّ المراد به أنَّ طائفة من المشايخ نقلوا التوسط عن ورش في نحو ﴿سُوٓءَ﴾[2] و﴿سِيٓءَ﴾[3].

وغيَّره العلامةُ الجعبري بقوله: «بعض» بدله[4]. ولا يخفى أنَّ

---

(١) ليست في الأصل، وهي في (ب).

(٢) من سورة البقرة: الآية ٤٩ وغيرها.

(٣) من سورة هود: الآية ٧٧ وغيرها.

(٤) كنز المعاني (٢/ ٣٥٢).

الوهم باق على حاله بل أزيد؛ لأنَّ ذكر قالون أشبه في ذكر أصول ورش مِن ذكر خلاد، فاخترت لفظ «جمع» فإنَّه يُستفاد منه المراد، سواء أريد به إشارة المبنى أو عبارة المعنى.

٢٢ ـ ومنها قوله:

١٧٤ ـ وما بَعْدَ هَمْزِ الوَصْلِ ايتِ وبعضُهُمْ يُؤَاخِذُكُمْ آلآنَ مُسْتَفْهِمًا تَلا

أطلق همز الوصل مع أنَّه مقيد بالابتداء.

ويُوهِمُ من إيراده «بعضهم» أن في ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾[(١)] خلافًا، مع الاتفاق على استثنائه.

وأبهم موضع الخلاف في ﴿آلْئَٰنَ﴾[(٢)].

وفاته أيضًا استثناءُ الهمزة المنصوبة المقلوبة ألفًا نحو ﴿مَآءً﴾[(٣)] في الوقف، فإنَّه مقصور بلا خلاف بين رواة ورش عنه.

وقد تصدَّى لتغييره العلامةُ الحافظُ[(٤)] طاهر الأصفهاني[(٥)] بقوله:

وما بعْدَ همزِ الوصلِ بدءًا وعَن مُنَوَّ نِ مع يؤاخذ ثم الآن خلفُ لا

---

(١) من سورة البقرة: الآية ٢٢٥ وغيرها.

(٢) من سورة يونس، الآية ٩١.

(٣) من سورة البقرة، الآية ٢٢.

(٤) في النسختين: «حافظ»!

(٥) هو طاهر بن عرب بن إبراهيم، أكبر تلامذة الإمام الجزري شأنًا، ولد سنة ٧٨٦هـ، وأخطأ البغدادي في هدية العارفين (١/ ٤٧٩)، والزركلي في الأعلام (٣/ ٢٢٢)، إذ جعلا هذا تاريخ وفاته، وترجمت له سلمى بنت الإمام =

ولما كان «خلف لا» أيضًا فيه نوعٌ من الإجمال أفاد الشيخُ العلامة الجزري تفصيله على وجه الكمال حيث قال[1]:

لـلأزرق فـي الآن سـتـةُ أوجـهٍ   على وجه إبدال لدى وصله تجري

فـمُـدَّ وثَـلِّـث ثـانـيـاً ثـم وسِّـطَـنْ   به وبقصرٍ ثم بالقصرِ مع قصرِ[2]

٢٣ ــ ومنها قوله:

١٨٠ ــ بِطُولٍ وقَصْرٍ وَصْلُ وَرْشٍ وَوَقْفُه   . . . .

فإنَّ المتبادر منه المعنى المتعارف فيه، وهو المقابل للطول والتوسط. والحال أنَّ الأمر ليس كذلك فإنه أُريد به هنا التوسط، وسُمِّي قصراً بالإضافة إلى المدِّ، فلو قيل:

بطولٍ وَوَسِّطْ . . . .

لارتفع الوهم، وانتفع الفهم.

٢٤ ــ ومنها قوله:

١٧٦ ــ . . . .   وعِنْدَ سُكونِ الوَقْفِ وجْهانِ أُصِّلا

فإنَّه قاصر عن الدلالة على السكون العارض في الوصل ليدخل فيه ثلاثة أوجه للسوسي في نحو ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ﴾[3] و﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾[4]،

= ابن الجزري وهو شيخها. انظر كتاب أبيها: غاية النهاية (١/ ٣٣٩ ــ ٣٤١). وكان حيًّا سنة ٨٥٧ كما مرَّ معنا في المقدمة.

(١) النشر (١/ ٣٥٥).

(٢) في الأصل: «قصري»!

(٣) من سورة الفاتحة: الآيتان ٣ و٤.

(٤) من سورة البقرة: الآية ٥٨.

وكذا للبزي في نحو ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾[1]، وكذا للكل في ﴿الٓمٓ﴾ آل عمران حال الوصل.

ثم الوجهان مبهمان، وقد تقرَّر أنواع المد فقلتُ:

.... وحال عروضٍ فيه الأنواعُ وُصِّلا

وكذا قلتُ:

.... وفي عينٍ الأنواع والطول فُضِّلا

ولا عبرة بتوقف الجعبري في مد اللين قبل المدغم لعدم سماعه من مشايخه، فإنَّ جماعة من القراء صرحوا بجوازه، وقرأنا به، ومَنْ حفظ حجةٌ على مَنْ لم يحفظ في بابه.

٢٥ ـ ومنها قوله:

١٨٢ ـ وفي واوِ[2] سَوْآتٍ خِلافٌ لوَرْشِهِم ....

فإنَّه مبهم يحتاج إلى بيان، وقد تصدَّى الشيخُ الجزري لتوضيحه بقوله:

وسوآت قصر الواو والهمز ثلِّثن ووسِّطهما والكل أربعةٌ فادر[3]

---

(١) من سورة البقرة: الآية ٢٦٧.

(٢) في الأصل: «وفي وا»!

(٣) النشر (١/ ٣٤٧).

[باب الهمزتين من كلمة]

٢٦ ـ ومنها قوله:

١٩٢ ـ وإنْ هَمْزُ وَصْلٍ بَيْن لام مُسَكَّنٍ وَهَمْزَةِ الاستفهامِ فامدُدْهُ مُبْدِلا

فإنَّ البينية ما وقعتْ مرتبةً في القضية فقلتُ:

وإن همزُ وصلٍ قبل لامٍ مُسَكَّنٍ ومِن بعد الاستفهامِ فامدُدْهُ مُبْدِلا

٢٧ ـ ومنها قوله:

١٩٣ ـ فَلِلْكُلِّ ذا أَوْلَى ويَقْصُرُه الذي يُسَهِّلُ عنْ كلٍّ كالآنَ مُثِّلا

فإنَّه يُوهِمُ أنَّ المسهلين[1] هم القاصرون عن كل من مشايخهم، أو هذه رواية للمسهلين عن جميع القراء، وليست طريق الباقين من المحققين. والحال أنَّ المراد به أنَّ القصر لجميع القراء من جميع طرق الرواة، إلا أنَّه بتسهيل الهمزة الثانية، مع أنَّ هذه أيضًا غير بائنة[2] فقلتُ:

فللكلّ ذا أَولى وتسهيلُهُ لهم مَعَ القَصْرِ فافهمْهُ كالآن مُثِّلا

٢٨ ـ ومنها قوله:

١٩٩ ـ .... وسَهِّلْ سَمَا وَصْفًا وفي النَّحْو أُبْدلا

فإنَّه لا يُفهم منه الإبدال المرموز «سما» مع أنَّ لهم فيه الوجهين فقلتُ:

.... وسهِّل سما وابدل وفي النحو فُضِّلا

---

(١) في حاشية الأصل: وقع في خط المصنف: «المسهلون».

(٢) يقصد: «غير ظاهرة».

أي فُضِّل الإبدال عند النحاة عكسَ القراء حيث فُضِّل التسهيل عندهم، مع اتفاق الفريقين على جواز الوجهين.

٢٩ ـ ومنها قوله:

٢٠١ ـ وفي آلِ عِمرانٍ رَوَوْا لِهِشامِهِم كَحَفصٍ وفي الباقي كقالُونَ واعْتَلَى

فإنَّه بظاهره يُوهِمُ أنَّه استثناء من الحكم السابق بالوجهين حسب إطلاقه الشامل للعموم. والحال أنَّه ليس كذلك، بل لهشام طريقان أحدهما: الإطلاق كما سبق، وثانيهما: التفصيل كما أراد به في هذا البيت. ولا شك أنَّ هذا الاستخراج صعبٌ من البيت إلا لمن يكون مطَّلِعاً على المبحث من الخارج، فقلتُ:

وأيضًا هشامٌ آلَ عمرانَ قد روى.. إلى آخره.

[باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها]

٣٠ ـ ومنها قوله:

٢٢٦ ـ وحَرِّكْ لورشٍ كُلَّ ساكِنِ آخرٍ صحيحٍ بِشَكْلِ الهَمْزِ واحذِفْهُ مُسْهِلا

فإنَّ المراد بقوله: «صحيح» احتراز عن حروف المد، وهو بظاهره يشمل حروف اللين أيضًا فقلتُ:

وحرِّكْ لورشٍ ساكنًا غيرَ مدِّه أخيرًا بشكل الهمْزِ واحذِفْهُ مُسْهِلا

٣١ ـ ومنها قوله:

٢٢٧ ـ وَعَنْ حمزةٍ في الوقْفِ خُلْفٌ وعِندَهُ روى خَلَفٌ في الوَصْلِ سَكْتًا مُقَلَّلا

فإنَّ المتبادر من الوصل أنْ يكون ضد الوقف، لا سيما وقد ذُكر معه في محل واحد.

والحال أنَّ له السكت سواء وصل الحرف الثاني أو وقف عليه، وإنما المراد به ألا يوقف في الأول، ويوصل بالثاني، فالمراد بالوصل هنا المعنى اللغوي فقلتُ:

روى خلفٌ في الدرج سَكْتًا مُقَلَّلا ....

[باب وقف حمزة وهشام على الهمز]

٣٢ ـ ومنها قوله:

٢٤٣ ـ وَرِئْيًا على إظهارِهِ وادِّغَامِهِ ....

فإنَّه يُفهم منه قصر الحكم بالوجهين على هذا المثال فقط، مع أنَّ الحكم في ﴿وَتُئْوِىٓ﴾[1] و﴿تُئْوِيهِ﴾[2] كذلك، فلو قال:

كرئيًا ....

لكان أتمَّ وأعمَّ.

٣٣ ـ ومنها قوله:

٢٤٤ ـ كقولكَ أَنْبِئْهم ....

حيث يُتَوَهَّمُ منه أنَّ لهما نظيرًا[3]. والحال أنَّه ليس كذلك، فلو قال:

بقولك ....

لارتفع الإشكال.

---

(١) من سورة الأحزاب: الآية ٥١.

(٢) من سورة المعارج: الآية ١٣.

(٣) في النسختين: «نظير». ووضع ناسخ الأصل تنوين ضم!

٣٤ ـ ومنها قوله:

٢٤٥ ـ فَفي اليا يَلي والواوِ والحذفِ رَسْمَهُ ....

فإنَّه قاصرٌ عن ذكر الألف، واعتذر الجعبري عنه بأنَّه استغنى عن ذكر الألف بأختيه لا لاتحاد الرسم، والقياس كما توهم لاختلافهما في ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾[1] [2].

وقال الفاسي: ولو قال:

ففي اليا وأختيها يليه وحذفه[3] ....

وقلتُ:

ففي الحذفِ والإثباتِ يتبع رسمَهُ ....

٣٥ ـ ومنها قوله:

٢٤٥ ـ .... والأخْفَشُ بَعْدَ الكسرِ ذا الضَّمِّ أَبْدَلا

فإنَّه لا يفهم منه أنه يُروى عن حمزة، فقلتُ:

بياءٍ وعنه الواوُ في عكسه له وحاكيهما كاليا وكالواوِ أعضلا

٣٦ ـ ومنها قوله:

٢٥٠ ـ وأشْمِمْ ورُمْ فيما سِوى مُتَبَدِّلٍ بها حَرْفَ مَدٍّ واعرفِ البابَ مَحْفِلا

فإنَّه يُتَوَهَّمُ أن الرَّوم والإشمام يجريان في المرسوم أيضاً، مع أنهما مختصان بالقياسي فقلتُ:

---

(١) من سورة الزمر: الآية ٤٥.

(٢) كنز المعاني (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١).

(٣) اللآلىء الفريدة (١/ ٣٠٩).

. . . . بمدٍّ قياساً[1] واعرفِ البابَ محفلا

٣٧ ـ ومنها قوله:

٢٥٣ ـ . . . . وأَلْحَقَ مَفْتُوحًا . . . .

فإنَّه بظاهره أنَّه معطوف على مدخول الشرط السابق كما ذهب إليه بعضُهم، والحال أنه معمول لشرط مقدَّر عند المحققين، فقلتُ:

. . . . ومَنْ أَلْحَقَ المفتوحَ شَذًّا وأَوْغَلا[2]

[باب اتفاقهم في إدغام إذ، وقد، وتاء التأنيث، وهل، وبل]

٣٨ ـ ومنها قوله:

٢٧٦ ـ وما كان مِنْ مِثْلَيْن في كِلْمَتَيْهما[3] فَلا بُدَّ مِن إدغامِه مُتَمَثِّلاً

فإنَّه لا يُفهم منه استثناء حرف المد نحو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَهُمْ﴾[4] و﴿فِي يُوسُفَ﴾[5]، وكذا قاصر عن حكم المتجانسين، فزدتُ أبياتًا تقتضي

---

(١) في الأصل: «قياس».

(٢) في الأصل: «شذ». وجاء في الحاشية: (وفي الأصل: «شذا وأوغلا»). قلتُ: وهو الصواب، ولهذا أثبته، وجاء على الصواب في (ب). وانظر: حدث الأماني (ص٩٥) نقلاً عن تعديلات (ص٧٦).

(٣) كذا في النسختين! والمصراع في شرح شعلة (ص١٦٤)، وأبي شامة (١/ ١٩٤)، واللآلىء الفريدة (١/ ٣٥٩)، والمتن (ص٤٨) من طبعة دار الكتاب النفيس، و(ص٢٣) من طبعة الزعبي: **وما أول المثلين فيه مُسَكَّنٌ**.

(٤) من سورة الشعراء، الآية ٩٦.

(٥) من سورة يوسف، الآية ٧ و٨٠.

نفيًا وإثباتًا، وأنبتُّ الأحكام فيه إنباتاً، تفيد لمن كان في هذا الباب أثباتاً، فقلتُ:

سوى حرف مدّ ثم جنسان أُدغما ... سوى قُلْ نَعَمْ سَبِّحْه مَعْ لا تُزغ فلا

ولا فالتقم أَدْغم أحطتُّ ونحوَهُ ... بإبقاءِ إطباقٍ وكُنْ متأمِّلا

ولكن ألم نخلقكُمُ فيهِ خُلْفهم ... ومثلَ عبَدْتُم أدغم الكُلّ فاعملا

وأما سكونُ الميم مِن قبلِ بائه ... فالاخفاء مختارُ الأدا فتحمَّلا

[باب حروف قربت مخارجها]

٣٩ ـ ومنها قوله:

٢٧٧ ـ وإدغامُ باءِ الجزْمِ في الفاء قَدْ رَسَا ... حَميدًا وخَيِّرْ في يَتُبْ قَاصِدًا ولا

فإنَّه يُوهِمُ تخصيص خلاف ﴿يَتُبْ﴾[1] لخلاد أن الباقين كلهم أظهروا، مع أنَّ الباقين على أصولهم، فقلتُ:

.... حميدًا يَتُبْ خَلَّادُهم خُلْفه ولا

[باب الفتح والإمالة وبين اللفظين]

٤٠ ـ ومنها قوله:

٢٩٧ ـ وَكُلُّ ثُلاثيٍ يَزيدُ فَإنَّهُ ... مُمَالٌ ....

الأولى:

.... فإنه ... أما لا .... إلى آخره

---

(١) من سورة الحجرات، الآية ١١.

٤١ ـ ومنها قوله:

٢٩٩ـورؤيـــايَ.................. ....

الأظهر:

كرؤياي... إلخ.

٤٢ ـ ومنها قوله:

٣٠٩ـرَمَى[1] صُحْبَةٌ أعْمى في الاسراءِ ثَانِيًا ....

فإنَّه فارقَ بينه وبين ما يليق أنْ يكون تاليه وهو قوله:

٣١٠ـ.................. وأَعْمى في الإسرا[2] حُكْمُ صُحْبَةٍ أوَّلا

ثم يمكنه أنْ يقول بعده:

وراءِ تـراءى فـازَ فـي شُـعـرائـه سوى وسدى في وقفِ صحبة وُصِّلا

٤٣ ـ ومنها قوله:

٣١٢ـنـأى شَـرْعُ يُـمْـن.......... ....

البيتين... فإنَّهما أولى أن يكونا قبل قوله:

٣١١ـومـا بَـعْـدَ راءٍ شَـاعَ حُـكْـمـاً ....

٤٤ ـ ومنها قوله:

٣١٥ـولكنْ رُؤُسُ الآي قَدْ قَلَّ فَتْحُها ....

فإنَّه يُوهِمُ جواز الفتح والإمالة، مع الإشارة إلى أنَّ الفتح استعمال

---

(١) في الأصل: «رمي». وكذا في غير موضع يضع للألف المقصورة نقطتين.

(٢) في النسختين: «الإسراء».

قليل بالنسبة إلى الإمالة، فيُتَوَهَّمُ أيضًا أنْ يكون المراد بالإمالة: المحضة؛ لأنَّ المطلق ينصرف إليها، على أنَّ القول الصحيح والنقل الصريح أنَّ ورشًا ليس له في رؤس الآي إلا الإمالة البينية فكان يمكنه أن يقول:

ولـكـنْ رؤسُ الآي بـيـنـيـةٌ بـهـا ....

٤٥ ـ ومنها قوله:

٣١٥ ـ .... لَهُ غَيْرَ مَا هَا فِيْهِ فاحْضُرْ مُكَمَّلا

فإنَّه لا يعرف حكم الاستثناء هل فيه وجهان من الفتح والإمالة أو أحدهما! وبقي بعضُ الكلمات أيضًا من الألفاظ السابقة لا بد من استثنائها، وقد تصدَّى أبو شامة رحمه الله تعالى بتغيير البيتين حيث قال:

وذو الراء ورشٌ بينَ بينَ وفي رؤو س الاي سوى اللاتي[1] بها (ها) تحصلا

بـ(ها)، وأراكهم وذي اليا خلافهم كلا والربا مرضاة مشكاة أهملا[2]

٤٦ ـ ومنها قوله:

٣١٧ ـ ويَا وَيْلَتَى أَنَّى ويَا حَسْرَتَى طَوَوْا وَعَنْ غَيْرِهِ قِسْهَا وَيَا أَسَفَى العُلَا

فإنه يُتَوَهَّمُ أنَّ إمالة «أسفى»[3] تكون لنافع فقلتُ:

.... ويا أسفى والحكمُ عن غيرِهِ خلا

---

(١) في النسختين: «التي».

(٢) إبراز المعاني (١/ ٢٧٧).

(٣) من سورة يوسف: الآية ٨٤.

٤٧ ـ ومنها قوله:

٣٢٤ ـ . . . . ‏ ‏ وورشٌ جميعَ البابِ كَانَ مُقَلِّلا

فإنَّه يُوهِمُ دخول باب «خاف» أيضًا مع أنَّه مختص بباب ألفات قبل راء متطرفة مكسورة، وما ذُكر معها وجُعل في حكمها، فقلتُ:

. . . . ‏ ‏ وورشٌ بهذا الباب في الكُلِّ قَلَّلا

٤٨ ـ ومنها قوله:

٣٣١ـوفي الكافرونَ عابِدُونَ وعابِدٌ ‏ ‏ وَخُلْفُهُمُ في النَّاسِ في الجَرِّ حُصِّلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ أنَّ الإمالة واقعة في لفظ «الكافرون» أيضًا. وقد يُتَوَهَّمُ أن المميل أبو عمرو في «عابدون» و«عابد» بلا خلاف، مع الخلاف في «الناس» المجرور. ويستفاد من المصراع الثاني أنَّ إمالة «الناس» لكل من الدوري والسوسي بخلاف عن كل منهما، مع أن العمل المعول على إمالة «الناس» للدوري بلا خلاف، وعلى الفتح للسوسي بالاتفاق، فقلتُ:

لـه عابدٌ مَعْ عابدونَ بكافرو ‏ ‏ ن في الناسِ حالَ الجرِّ طال وفُصِّلا

٤٩ ـ ومنها قوله:

٣٣٧ـوقدْ فَخَّمُوا التنوينَ وَقْفًا ورقَّقُوا ‏ ‏ وتفخيمُهُمْ في النَّصْبِ أَجْمَعُ أَشْمُلا

فإنَّه يُتَوَهَّمُ منه أن القراء اختلفوا في المُنوَّن حال الوقف بالإمالة وتركها. والحال أنَّهم على أصولهم في الصحيح، وإنما هذا بيان مذهب النحاة واللغويين.

وأيضًا: عبَّر عن الفتح بالتفخيم، وعن الإمالة بالترقيق، وهما من إطلاقات المتقدمين.

وأيضًا: قد عُلم حكم المُنوَّن مما سبق في قوله:

٣٣٥ـ وقَبْلَ سُكُونٍ قِفْ بما في أُصُولِهِم ....

فإنَّ التنوين نون ساكن في الوصل إلا أنه لم يأت بمثال التنوين مع تلك الأمثلة، فقلتُ:

كموسى الهُدى عيسى ابنَ مريم والقُرى الـ ـلتي وكذا التنوين فافهمْ مُحَصِّلا

ثم قلتُ:

وتنوينُه فتحُ النحاةِ وبعضُهم أمالَ وفتحُ النَّصْبِ أجمعُ أشملا

[باب مذهب الكسائي في إمالة هاء التأنيث في الوقف]

٥٠ ـ ومنها قوله:

٣٤٢ـ .... وبعضُهم سوى أَلِفٍ عِنْدَ الكِسَائيِّ مَيَّلَا

وليس عليه العمل، وهو غير مفهوم منه، فقلتُ:

.... وقد حكى سوى ألفٍ عند الكسائيْ تمَيُّلا[1]

[باب مذاهبهم في الراءات]

٥١ ـ ومنها قوله:

٣٤٦ـ وتفخيمُهُ ذكرًا[2] وسِترًا وَبَابَهُ ....

---

(١) صرح المؤلف في شرح الشاطبية (ص٣٢): أنه رجع عن ذلك. انظر: تعديلات بعض شراح الشاطبية (ص٢٩ ـ ٣٠)، وهذا يدل على أن الضابطية متقدمة على الشرح.

(٢) في النسختين: «ذكر».

فإنَّه لا يُفهم منه اتفاق نحو ﴿سِرًّا﴾[1]، ولا اختلاف نحو ﴿بَصِيرًا﴾[2]، و﴿شَاكِرًا﴾[3]، وقد تصدَّى أبو شامة لهذا وقال:

وسرّاً رقيقٌ قُلْ خبيراً وشاكراً للأكثر ذكراً فخَّمَ الجلَّةُ العُلا[4]

إلا أنه قد يُتَوَهَّمُ أنَّ الحكم منحصر في الأمثلة المذكورة لا غير، فقلتُ:

كسراً. إلى آخره.

ليدخل نحو ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾[5]، و﴿بَصِيرًا﴾ و﴿نَصِيرًا﴾[6].

وأمَّا إدخال الجعبري ذكر المرفوع في حكم المنصوب فهو مخالف للرواية والدراية[7]، فلو قال الناظم:

وتفخيمه ذكرًا بنصبٍ ونحوه ....

لخلص عما توهَّمه الجعبري وغيره.

---

(١) من سورة البقرة: الآية ٢٣٥ وغيرها.

(٢) من سورة النساء: الآية ٥٨ وغيرها.

(٣) من سورة النساء: الآية ١٤٧ وغيرها.

(٤) إبراز المعاني (١/ ٢٥١).

(٥) من سورة النمل: الآية ٤٠.

(٦) من سورة النساء: الآية ٤٥.

(٧) ينتهي المطبوع من شرح الجعبري بالبيت (٢٧٣)، يسر الله إخراج الباقي.

[باب اللامات]

٥٢ ـ ومنها قوله:

٣٦١ـوفي طَالَ خُلْفٌ مَعْ فِصَالاً ....

فإنَّه يُتَوَهَّمُ منه أنَّ الخلاف منحصرٌ في المثالين، مع أنه شامل ليصالحا، فقلتُ:

كطال بخلفٍ مع فصالاً ....

٥٣ ـ ومنها قوله:

٣٦٢ـوحُكْمُ ذواتِ الياءِ منها كهذِهِ وعِنْدَ رؤوسِ الآي ترقيقُها اعتلى

فإنَّه يُوهِمُ أنَّ الترقيق فضل على التفخيم، والمعتمد أنّه ليس في رؤس الآي إلا الإمالة، وهي ملازمة للترقيق، كما أنَّ الفتح ملازمة[1] للتفخيم، فالحكمان مرتبان على الصحيح، فقلتُ:

.... وعند رؤوسِ الآي ترقيقُها ولا

تفخّم ذوات الياء وقتَ ممالها ولا في زمان الفتحِ ترقيقُها اعتلى

[باب الوقف على أواخر الكلم]

٥٤ ـ ومنها قوله:

٣٦٨ـورَوْمُكَ إسْماعُ المُحَرَّكِ وَاقِفاً ....

فإنَّه يُتَوَهَّمُ منه إسماع كل الحركة، وهو لا يجوز، فقلتُ:

ورَوْمُكَ إسماعُ المُحَرَّكِ بعضه ....

---

(١) في حاشية الأصل: كذا وجد في خط المؤلف، والظاهر أنه ملازم.

ولا يحتاج إلى قيد واقفًا لأنّ الكلام فيه، والرَّوم أحد أنواعه.

٥٥ ـ ومنها قوله:

٣٧١ـ ولم يَرَهُ في الفَتْحِ والنَّصْب قارِئٌ ....

فإنَّ الضمير للروم إلا أنَّه قد يُتَوَهَّمُ أن يكون راجعًا إلى فعلهما، أو إلى كل واحد منهما، فقلتُ:

ولم يرِ رومَ الفتحِ والنصبِ قارئٌ ....

٥٦ ـ ومنها قوله:

٣٧١ ـ .... وعِنْدَ إمامِ النحو في الكُلِّ أُعْمِلا

قد يُتَوَهَّمُ أن يكون رَومُهُ فيهما روايةً عن القراء فدفعتُه فقلتُ:

.... وعن سيبويه الرومُ في غير ما تلا

[باب الوقف على مرسوم الخط]

٥٧ ـ ومنها قوله:

٣٨١ـ ومالِ لَدَى الفُرقان والكَهْفِ والنِّسَا وسَالَ على ما حَجَّ والخُلْفُ رُتِّلا

فإنَّ المتبادر منه أنَّ أبا عمرو يقف على (ما)، وغيره لا يقف على (ما)، وأنَّ الكسائي له وجهان: الوقف على (ما) وعلى اللام، مع أنَّ الجمهور يقفون على (ما)، ويجوزون الوقوف على اللام أيضًا، فالمراد أنَّ أبا عمرو يخالفهم في الوقف على اللام، واختلف الكسائي ففي رواية عنه أنَّه كالجمهور، وفي أخرى أنَّه كأبي عمرو، فقلتُ:

.... وسال على ما حجَّ لا اللام حصلا

وقد جوَّز الباقون وقفاً عليهما وبالخلفِ في اللام الكسائيُّ رَتَّلا

[باب ياءات الزوائد]

٥٨ ـ ومنها قوله:

٤٢١ ـ وتثبُتُ في الحالين دُرًّا لوامعاً ....

فإنَّه يُوهِمُ أنَّ الثبوت في الحالين مختص بهشام دون ابن ذكوان، مع أنَّ حكمه كذلك، فينبغي أنْ يوضع «كواملاً» بدل «لوامعًا»، ليكون الحكم لهما شاملاً.

[باب فرش الحروف]

[سورة البقرة]

٥٩ ـ ومنها قوله:

٤٥٤ ـ .... ويَأْمُرُهُمْ أَيْضًا وتَأْمُرُهُمْ تَلا

فإنَّه يُوهِمُ كون التاء رمزًا فقلتُ بدله: «ولا» إشارة إلى أنَّ الحكم منحصر فيما ذُكِرَ، ولا يُقاس عليه غيرُه من مضارع مرفوع ولو كان آخره راء نحو: يغفر لكم، ويكفر عنكم.

٦٠ ـ ومنها قوله:

٤٦١ ـ وَضُمَّ لباقِيهم وحَمْزَةُ وَقْفُه بواوٍ وحَفْصٍ واقِفًا ثُمَّ مُوصِلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ منه أنَّ حمزة ليس له في الوقف إلا هذا الوجه، والشيخ اكتفى بما سبق في الأصول من أنَّ له النقل في مثل ذلك، وقد تصدَّى المصنِّف[1] لتحصيل هذا المدَّعى مع زيادة إفادة ترجيح

---

(١) أي الشاطبي رحمه الله. انظر: إبراز المعاني (١/ ٣٣١)، وتعديلات بعض شراح الشاطبية وتقييداتهم في أبياتها (ص٩٤ ـ ٩٥).

إحدى الروايتين على الأخرى فقال:

وفي الوقفِ عنه الواوُ أولى وضَمَّ غيـ ـرُهُ ولحفص الواوُ وقفًا وموصلا

٦١ ـ ومنها قوله:

٤٦٤ ـ وقل حَسَناً شُكْراً[1] وحُسْناً بِضَمِّه . . . .

. . . البيت.

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ أنَّ هذا الخلاف في قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2]، فدفعته بقولي:

وللناس حُسْناً ضمه مع سكونه وقل حَسَنًا شكرًا بفتحيه واقبلا[3]

٦٢ ـ ومنها قوله:

٤٦٨ ـ ويُنْزِلُ خَفِّفْهُ وتُنْزِلُ مِثْلُهُ . . . .

فإنَّه لا يُفهم منه صريحًا حكم المجهول، مع أنَّ المراد عامٌ كما هو المعلوم، فقلتُ:

ينزِّلُ خفِّفْ زايَهُ مطلقاً لحق كتاءٍ ونونٍ وهو في الحِجْرِ ثُقِّلا

٦٣ ـ ومنها قوله:

٤٨٠ ـ وفيها وفي نَصِّ النِّساءِ ثلاثةٌ أَوَاخِرُ إبراهامَ لاحَ وَجَمَّلا

فإنَّه اكتفى باللفظ عن القيد، لكن شرطه ألا يتزن البيت إلا على

---

(١) في الأصل: «شكر».

(٢) من سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٣) كتب ناسخ الأصل هنا نقلاً من حاشية: وأحسن مقولاً. وهو ما جاء في (ب)!

وَفْقِ المقيَّد، وهنا ليس كذلك، فإنه يتزن بالياء أيضًا.

وقد يُتَوَهَّمُ أنَّ محل الخلاف همزة «إبراهيم»، فقلتُ:

وفيها هشامٌ والنساءُ ثلاثةٌ أواخر إبراهامَ بالألف اجتلى

٦٤ ـ ومنها قوله:

٤٨٥ ـ وأَرْنَا وأَرْنِي ساكِنا[1] الكَسْرِ دُمْ يَداً ....

فإنَّه لا يُستفاد منه العموم الشامل لكل سورة، مع أنَّه قد ورد في غير البقرة وفصِّلت[2] فبينتُ بقولي:

وأرنا وأرني الكل سكِّن بكسر دُم يدا فصِّلت يروى صفا درِّه كلا

٦٥ ـ ومنها قوله:

٤٨٧ ـ .... شَفَا وَرَؤُوفٌ قَصْرُ صُحْبَتِهِ حَلا

فإنَّه لا يعم ما في غير هذه السورة إلا على اصطلاح الخراز[3] حيث قال:

وفي الذي كُرِّرَ منهُ اكتُفي بذكر ما جا أولاً مِنْ أَحْرُفِ[4]

---

(١) في الأصل: «ساكن».

(٢) اقرأ الآية ١٥٣ من سورة النساء، والآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٣) هو: أبو عبد الله الأموي الشريشي، محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم، عالم بالقراءات، من أهل فاس، له كتب منها: «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن» أرجوزة، و«الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع»، توفي سنة ٧١٨هـ. الأعلام (٧/ ٣٣).

(٤) مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن (ص٩).

فلو قال كما قال الجعبري:

وعن كهف شاف أم يقولون خاطبوا وحيثُ رؤوفٌ قصرُ صحبته حلا

لحلا. وكذا لو قال:

يقولون خاطب ههنا[1] عن شفا كفى وكل رؤوفٍ قصرُ صحبتِهِ جلا

لجلا.

٦٦ ـ ومنها قوله:

٥٢٣ ـ وبالوصل قالَ اعْلَمْ مَعَ الجَزْمِ شَافِعٌ ....

فإنَّه يُوهِمُ أن يكون المراد بالوصل ضد الوقف، لا سيما وجاء بعد قوله:

.... وصِلْ يَتَسَنَّهْ دون هاءٍ شَمَرْدلا

والحال أنَّ المراد به همز الوصل المكسور، ويُراد بضده همز القطع المفتوح، فقلتُ:

واعلم همز الوصل والجزم شافع ....

٦٧ ـ ومنها قوله:

٥٢٠ ـ ولا لَغْوَ لا تَأْثِيْمَ لا بَيْعَ مَعْ وَلا خِلالَ بابراهيمَ والطُّورِ وُصِّلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ أنَّ الألفاظ الثلاثة كلها في السورتين، أو الأوليان في «إبراهيم» والأخريان في «الطور»، والأمر ليس كذلك، بل اللف مشوش هنالك، فقلتُ:

---

(١) في الأصل: «هنا».

خلال بإبراهيمَ مع بيعَ قبله ولا لغوَ لا تأثيمَ في الطُّور وُصِّلا

٦٨ ـ ومنها قوله:

٥٣٨ـ ويَحْسَبُ كسْرُ السِّيْنِ مُسْتَقْبَلاً سَمَا ....

فإنَّه لا يُفهم بحسب الظاهر إلا الخلاف في خصوص «يحسب» بالياء التحتانية، مع أنَّ الخلاف شاملٌ للفوقانية الشاملة للخطاب والغيبة مفردًا وجمعًا في هذه السورة وغيرها، فقلتُ:

ويحسب فاكسِر سينَهُ مطلقاً سما ....

[سورة آل عمران]

٦٩ ـ ومنها قوله:

٥٤٦ـ وإضجاعُكَ التَّوراةَ ما رُدَّ حُسْنُه ....

فإنَّه لا يُستفاد منه العموم، وقد تصدَّى لتغييره الجعبري بقوله:

أَمِلْ جملةَ التوراة ما رُدَّ حُسْنُه ....

فما رُدَّ حُسْنُهُ.

٧٠ ـ ومنها قوله:

٥٥٠ ـ .... صَفَا نَفَراً والمَيْتَةُ الخِفُّ خُوِّلا

فإنَّه يُتَوَهَّمُ عموم الميتة، والمراد ما وقع بـ«يَس»[1] خصوصًا، فقلتُ:

---

(١) في الآية ٣٣.

. . . . صفا نَفَرًا[1] الميتة بياسين خُوِّلا

٧١ ـ ومنها قوله:

٥٥١ ـ . . . . وما لم يَمُتْ للكُلِّ جاءَ مُثَقَّلا

فإنَّه نوع إجمال، يحتاج إلى بيان حال، بإظهار ما فيه من مثال، فقلتُ:

بميت اقرأ ثم إنَّك ميِّتٌ كذا ميِّتون ميِّتين قد انجلى

٧٢ ـ ومنها قوله:

٥٥٤ ـ . . . . ومِنْ بَعْدُ أنَّ الله يُكْسَرُ في كِلا

فإنَّ موضع الكسر غير ظاهر، وقد يُتَوَهَّمُ منه ما لا يليق به سبحانه وتعالى شأنه، فقلتُ:

. . . . وفي همز أنَّ الله يُكْسَرُ في كِلا[2]

ثم رأيتُ أبا شامة غيَّره بقوله:

. . . . وأنَّ لدى المحراب يُكسَر في كِلا

فحمدتُ الله على توارده، وكونِ كلامي أظهرَ في تصحيح مقاصده وموارده.

---

(١) في (ب): «نفر».

(٢) عبارة أبي شامة: (ويكسر أن الله من بعد في كلا)، وقد نسب المؤلف هذا العجز: (وأن لدى المحراب...) في كتابه حدث الأماني (ص٢١٤) لبعضهم. انظر: تعديلات (ص١٠٨).

٧٣ ـ ومنها قوله:

٥٥٩ ـ ولا أَلِفٌ في ها هأَنْتُمْ زَكَا جَناً . . . .

. . . البيت.

فإنَّه لا يُعرف منه شموله لغير هذا الموضع مع أنَّ الحكم عام، فغيَّرت صدر البيت الثاني فقلتُ:

جميعًا وها التنبيه مِن ثابتٍ هدى . . . .

ثم رأيتُ الجعبري غيَّر البيت الأول بقوله:

وحيثُ أتى ها أنتم اقصر زكا جَناً . . . .

لكن لا يخلو عن قصور، فإنه حينئذٍ يُوهِمُ أنَّ المراد بالقصر ضد المد الفرعي، والمقصود هنا ترك الألف المعبَّر عنه بالقصر الذي هو ضد المد الطبيعي.

٧٤ ـ ومنها قوله:

٥٧٠ ـ . . . . وَمَعْ مَدِّ كَائِنْ كَسْرُ هَمْزَتِهِ دَلا

٥٧١ ـ ولا ياءَ مَكْسُورًا وقَاتَلَ بَعْدَهُ . . . .

حيث لا دلالة فيه على تشديد الياء للجمهور، ولا على حكم العموم المشهور، فقلتُ:

. . . . وكائن لِمَكٍّ في كأين قد اعتلى

بحيث أتى فاعلم ومِنْ بعده قُتِل . . . .

[سورة النساء]

٧٥ ـ ومنها قوله:

٥٩٦ ـ وفي مُحْصَنَاتٍ فاكْسِرِ الصَّادَ رَاوِيًا وفي المُحْصَنَاتِ اكْسِرْ لَهُ غَيْرَ أولا

فإنَّه لا يُستفاد منه العموم فقلتُ:

وفي محصناتٍ اكسِر جميعًا روايةً ....

٧٦ ـ ومنها قوله:

٥٩٨ ـ وفي[1] الحجِّ ضَمُّوا مَدْخلاً خصَّهُ وسَلْ فَسَلْ حَرَّكُوا بالنَّقْلِ رَاشِدُهُ دَلا

فإنَّ دلالته على العموم الشامل لصيغة المفرد والجمع والمجرد عن ضمير المفعول خفية، فقلتُ:

.... وسَلْ كله بالنقلِ راشدُهُ دلا

[سورة المائدة]

٧٧ ـ ومنها قوله:

٦٢٨ ـ وضَمَّ الغُيُوبِ يَكْسِران عُيُوناً[2] الـ ـعُيونِ شُيُوخاً دَانَه صُحبةٌ مِلا

فإنَّ المتبادر منه أنَّ ضم «الغيوب» بالكسر لهما يكون في هذه السورة فقط، مع أنَّ الحكم يعمُّها وغيرها، فقلتُ:

---

(١) كذا في النسختين. وفي متن الشاطبية (ص٨٥) من طبعة دار الكتاب النفيس، و(ص٤٨) من طبعة الزعبي، وإبراز المعاني (١/ ٤١٦)، وشرح شعلة ص٣٣٨، وشرح الفاسي (٢/ ٢٩٥): «مع».

(٢) في الأصل: «عيون».

وضم الغيوب الكل قد كسرا عيو ن أطلق شيوخاً دانه صحبة مِلا

[سورة الأنعام]

٧٨ ـ ومنها قوله:

٦٥١ ـ . . . . وَوَالْيَسَعَ الْحَرْفَانِ حَرِّكْ مُثَقِّلا

فإنَّ المراد بـ «الحرفان» الموضعان هنا وفي صٓ، ويُتَوَهَّمُ أنَّ الحرفين من «اليسع» يحركان وليس كذلك، بل اللام محرك فقط، فقلتُ:

. . . . ولامَ اليَسَعْ حَرِّكْ مَعًا ثم ثَقِّلا

٧٩ ـ ومنها قوله:

٦٦٩ ـ . . . . بزعمهمُ الحَرْفَانِ بالضمِّ رُتِّلا

فإنَّه يُتَوَهَّمُ أن المراد بـ «الحرفين» الزاي والعين، فقلتُ:

. . . . وفي الموضعين الزعمُ بالضمِّ رُتِّلا

[سورة الأعراف]

٨٠ ـ ومنها قوله:

٦٨٣ ـ بِخُلْفٍ مَضَى في الرُّوم لا يَخْرُجُونَ في . . . .

فإنَّ المراد به ما وقع في الجاثية فقط، وهو بظاهره يشمل ما في الحشر أيضًا، فقلتُ:

بخُلف مضى في الرُّوم جاثيةٌ فذا رضاً . . . .

. . . إلخ

٨١ ـ ومنها قوله:

٦٨٥ ـ وَخَفِّفْ شَفَا حُكْماً وَمَا الواوَ دَعْ كفى . . . .

فإنَّه يُوهم أن ثبوت الواو قراءة ابن كثير وابن عامر. وليس كذلك، بل المراد أنَّ ترك الواو قراءة ابن عامر، وأنَّ «دع» أمر بمعنى اترك، ومفعوله «الواو» مقدَّماً عليه، فبينتُه بقولي:

وخفّف شفا حكمًا وما حذفُ واوِه كفى ونَعَمْ بالكسر في الكلِّ رُتِّلا

٨٢ ـ ومنها قوله:

٦٨٧ ـ . . . . و والشمسُ مَعْ عَطْفِ الثلاثةِ كَمَّلا

فإنَّ الثالث ليس بعطف، وإنما وقع تغليب في الكلام.

وأيضًا: دلالته على رفعها الكلمات الأربع خفية، فقلتُ:

. . . . و والشمسُ مَعْ رفعِ الثلاثة كَمَّلا

٨٣ ـ ومنها قوله:

٦٨٨ ـ وفي النَّحْلِ مَعْهُ في الأخيرينِ حَفْصُهم . . . .

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ أنهما اتفقا في رفع الأخيرين، ولم يقرأ ابن عامر في رفع الأولين، وليس كذلك، فقلتُ:

وفي النحل كمل في الأخيرين حفصهم . . . .

٨٤ ـ ومنها قوله:

٦٩٣ ـ عليَّ على خَصُّوا وفي سَاحِرٍ بِهَا . . . .

فإنَّه يُوهِمُ أن الخلاف في ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[1] الواقع أولاً، أو شامل له ولغيره في هذه السورة، مع أنَّ المراد هو الثاني[2]، فقلتُ:

عليّ على خصوا هنا كلّ سَاحِر ....

٨٥ ـ ومنها قوله:

٦٩٩ـوفي الكهفِ حُسْنَاهُ...... ....

فإنَّ ﴿رُشْدًا﴾ وقع في موضعين منها[3]، والمراد أخيرهما فقلتُ:

وعُلِّمْت رُشْدًا حُزْ وضُمْ حُلِيِّهِم ....

[سورة براءة]

٨٦ ـ ومنها قوله في أول براءة:

٧٢٥ـويُكْسَرُ لا أَيْمَانَ عِنْدَابنِ عَامِرٍ ....

فإنَّه عبارة متنفرة، فالأولى فتح همزة لا أيمان. ذكره أبو شامة[4]، فقلتُ:

وفي فتح[5] لا أيمان كسرُ ابنِ عامر ....

---

(١) من سورة الأعراف: الآية ١٠٩ وغيرها.

(٢) في الآية ١١٢.

(٣) الآية ١٠ و٢٤ وهما متفقا الفتح، والمقصود الآية ٦٦.

(٤) إبراز المعاني (١/ ٣٨٧).

(٥) في (ب): «كسر»!

٨٧ ــ ومنها قوله:

٧٣٢ ــ . . . . وتَحْريكُ ورشٍ قُرْبةٌ ضَمُّهُ جَلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ منه أنَّ ورشًا يحرِّك ضم القاف بالفتح، فقلتُ:

. . . . وتحريك را بالضمِّ في قُرْبة جلا

أو:

. . . . ورا قُرْبة بالضم تحريكُهُ جلا

٨٨ ــ ومنها قوله:

٧٣٤ ــ ووحِّدْ لهُمْ في هُودَ تُرْجِئُ هَمْزُهُ . . . .

فإنَّه يُوهِمُ أنَّ ضده «ترج» بغير ياء، فقلتُ:

ووحِّد لهم في هود ترجي بهمزةٍ . . . .

[سورة يونس]

٨٩ ــ ومنها قوله:

٧٤٢ ــ نُفَصِّلُ[١] يا حَقٌّ علاً سَاحِرٌ ظُبَىً . . . .

فإنَّه لا يُعرف أن ضده سحر أو سحار، فغيَّرت المصراع الثاني فقلتُ:

. . . . بسحرٍ ضيا كلاًّ بهمزٍ لـ قنبلا

---

(١) في الأصل: «نفضل».

[سورة هود]

٩٠ ـ ومنها قوله:

٧٥٨ ـ . . . . وسَكَّنَهُ زاكٍ وَشْيخُهُ الأوَّلا

فإنَّ الظاهر منه أنه يسكِّن الياء مع تشديدها، فقلتُ:

. . . . وسكن زكى خفِّف ومكيّ اولا

٩١ ـ ومنها قوله:

٧٦٥ ـ . . . . هُنَا حَقٌّ إلا امْرَاتَكَ ارْفَعْ وَأبْدِلا

فإنَّ المتبادر منه أنَّ قراءتهما بالرفع وإبدال الهمز ألفًا لا سيما وقد نطق بالإبدال بالبيت لوزن المقال، مع أنَّ مراده بالإبدال نوعٌ من الإعراب، وهو خارجٌ عن باب هذا الكتاب، فقلتُ:

. . . . ارفعْ وحصِّلا

[سورة يوسف]

٩٢ ـ ومنها قوله:

٧٨٠ ـ ونَكْتَلْ بِيا شَافٍ وَحَيْثُ يَشَاءُ نُو نُ . . . .

فإنَّه يُوهِمُ أنّ لفظ «يشاء» حيث جاء بالنون للمكي، وليس كذلك، فقلتُ:

ونَكْتَلْ بيا شافٍ بحيثُ يشاءُ نُو نُ . . . .

على أنَّ الباء[1] للظرفية، فيشير إلى تخصيص الحكم بهذه القضية.

---

(١) في النسختين: «الياء». ولعل الصواب ما أثبت.

[سورة الرعد]

٩٣ ـ ومنها قوله:

٧٨٧ـوَزَرْعٌ نَخِيلٌ غيرُ صِنْوانٍ اوَّلا ....

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ أنَّ «غير» للاستثناء مخرج لـ «صنوان» الواقع أولاً، فاستدركتُ بتغيير المصراع الثاني وقلتُ:

.... لدى الأربعِ ارفعْ خفضه حقه علا

٩٤ ـ ومنها قوله:

٧٩٠ـسِوى نافعٍ في النَّمْلِ والشَّام مُخْبِرٌ سوى النازعات مَعْ إذا وَقَعَتْ وِلَا

مع أنَّ النمل مستثنى لابن عامر أيضًا على ما في «التيسير»[1]، وغيره من كتب القراءة، فيكون الإخبار فيه لنافع وحده، والمفهوم من ظاهر «الشاطبية» أنَّ الشامي أيضًا يقرأ بالإخبار في النمل. والحال أنَّ قراءته فيه بالاستفهام، وسببه الاستثناء بـ«سوى» في الموضعين، وهو معيار العموم. ومرادُ الناظم أنَّ الشام مخبرٌ فيما عدا النمل إلا فيما استثني عنه، ولذا قال الجعبري: وإفراد نافع بالنمل أغنى عن ضمِّها إلى مستثنى ابن عامر. لكن هذا المسلك الدقيق لا يدركه الفهم الرقيق، ولذا غيَّره المصنِّفُ بنفسه بقوله:

سوى الشامِ غير النازعات وواقعه له نافعٌ في النمل أخبرَ فاعتلى[2]

---

(١) انظر: (ص٣٢٦ ـ ٣٢٨، و٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٢) انظر: فتح الوصيد في شرح القصيد (٣/ ١٠٣٣).

وألهمني ربي بتغيير المصراع الأول فقلتُ:

وفي النملِ خُذْ والشام في الغيرِ مخبرٌ . . . .

[سورة إبراهيم]

٩٥ ـ ومنها قوله:

٨٠٠ ـ . . . . وأَفْـئِـيْـدَةً بـالـيـا بـخُـلْـفٍ لَـهُ وَلَا

فإنَّه قد يَتبادر إلى الفهم أنَّ مراده باليا أن يكون بدلاً عن الهمز، وليس كذلك، بل القصد زيادته بعد الهمزة على الإشباع، فقلتُ:

. . . . وأفـئـيـدةً زدْيـا بـخُـلـفٍ لـه ولا

[سورة الفرقان]

٩٦ ـ ومنها قوله:

٩٢٣ ـ تَشَقَّقُ خِفُّ الشِّينِ مع قَافَ غَالِبٌ . . . .

فإنَّه يتبادر إلى الوهم أنَّ القاف أيضًا مخفف، وقد بلغني هذا عن بعض المقرئين، فقلتُ:

وخَفِّفْ معاً تَشَقَّقُ الشين غالباً . . . .

٩٧ ـ ومنها قوله:

٩٥٨ ـ . . . . نُذِيْقُ زَكَا للعالمينَ اكسِرُوا عُلا

فإنَّه وقع في سورة الروم موضعان، أحدهما: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾، وثانيهما: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾[1] وكأنَّ الشيخ أراد أنَّ المطلق ينصرف إلى

---

(١) الأوَّل: في الآية ٤١، والثَّاني: في الآية ٤٦.

الأول، ولكن قد يُتَوَهَّمُ منه الإطلاق الأكمل، وهو الشامل لكل ما وقع في المحل، فقلتُ:

.... يُذِيقهم[1] زدعالمين اكسروا علا

٩٨ ـ ومنها قوله:

٩٦٦ـ وكالياءِ مَكْسورًا لِوَرْشٍ وعَنْهُما وَقِفْ مُسْكِناً والْهَمْزُ زَاكِيهِ بُجِّلا

فإنَّه يَتبادر منه أنَّ الوقف كالياء مسكنًا، وقد يُتَوَهَّمُ أنَّ الوقف بالهمز ساكنًا، والمراد أنْ يوقف عليه بالياء، فقلتُ:

.... وبالياء قِفْ والهمز زاكيه بُجِّلا

[سورة الصافات]

٩٩ ـ ومنها قوله:

٩٩٨ ـ .... وإليَاسَ حَذْفُ الهَمْزِ بالخُلْفِ مُثِّلا

فإنَّه يُتَوَهَّمُ منه إطلاق حذف الهمز وصلاً وابتداءً. والحال أنَّ مراده أن[2] تحذف في الدرج وتقطع في الابتداء، على أنَّ الاسم «ياس» دخله لام التعريف والهمزة للوصل وهي مفتوحة في الابتداء، فقلتُ:

.... والياسَ وصلُ الهَمْزِ بالخُلْفِ مُثِّلا

---

(١) في الأصل: «نذيقه».

(٢) في (ب): «أنها».

[سورة فصلت]

١٠٠ ـ ومنها قوله:

١٠١٧ ـ لَدَى ثَمَراتٍ ثُمَّ يا شُرَكَائِيَ الْـ ... ـمُضَافُ وَيَا رَبِّي بِهِ الخُلْفُ بُجِّلا

فإنَّ مراد الشيخ رحمه الله أنَّ الخلف لقالون في فتح ياء «ربي» وسكونها لا في نفس الياء باعتبار ثبوتها وحذفها كما يُتَوَهَّمُ من ظاهر العبارة، فقلتُ:

.... الـ ... ـمضافُ وربِّي الخُلْفُ في الفتح بُجِّلا

[سورة الأحقاف]

١٠١ ـ ومنها قوله:

١٠٣٥ ـ وقُلْ عن هِشامٍ أَدْغَمُوا تَعِدَانِنِي ... .

فإنَّ لفظ «عن» يُوهِمُ أنَّ الإدغام رواية عنه، فقلتُ:

وقل لهشامٍ أَدْغَمُوا تَعِدانِنِي ... .

[سورة ق]

١٠٢ ـ ومنها قوله:

١٠٤٤ ـ .... صَفَا واكسِرُوا أَدْبَار إِذْ فَازَ دُخْلُلا

حيث يُتَوَهَّمُ منه أنَّ الأصل في «أدبار» هو الفتح، مع أنَّ إدبار النجوم في آخر «الطور» أجمعوا على كسره، فالأنسب أنْ يجعل الكسر أصلاً والفتح عارضًا مختصًا بهذا المحل، فقلتُ:

.... صفا فتح إدبار كذا نل رضا حلا

[سورة الذاريات]

١٠٣ ـ ومنها قوله:

١٠٤٦ ـ وفي الصَّعْقَةِ اقْصُرْ مُسْكِنَ العَيْنِ رَاوِياً ....

فإنَّه يُتَوَهَّمُ منه فتح العين؛ لأنَّ التحريك المطلق الذي هو ضد الإسكان المطلق هو الفتح، فقلتُ:

..... مُسْكِنَ الكَسْرِ ....

[سورة الطور]

١٠٤ ـ ومنها قوله:

١٠٤٨ ـ رضاً يَصعَقُون اضْمُمْهُ كَمْ نَصَّ والمُسَيْ طِرُون لِسَانٌ عَابَ بالخُلْفِ زُمَّلا

فإنَّه اكتفى فيه باللفظ عن القيد بالسين، وشرطه ألَّا يُتصور وجوده إلا به كما هو مقرَّر في محله، وهنا ليس كذلك كما لا يخفى على أهله، فقلتُ:

رضاً يصعَقون اضمُم نَعَم كم مسيطرو ن سين لسان عاب[1] بالخُلِف زُمَّلا

[سورة الحشر]

١٠٥ ـ ومنها قوله:

١٠٦٧ ـ .... وَمَعْ دُوْلَةٌ أَنِّثْ يَكُونَ بخُلْفِ لا

فإنَّه يُتَوَهَّمُ أنْ يكون الخلف في التأنيث لا في رفع «دولة» كما في رواية مع أنَّ الخلاف فيهما على المعتمد، فقلتُ:

.... يكون فأنِّث دولة الكل خلف لا

---

(١) في الأصل: «غاب».

[سورة الملك]

١٠٦ ـ ومنها قوله:

١٠٧٧ ـ فَسُحْقًا سُكُوناً ضُمَّ مَعْ غَيْبِ يَعْلَمُو نَ[١] مَنْ رُضْ[٢] مَعِي باليا وأَهْلَكَنِي انْجَلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ منه أنْ يكون ميم «مَنْ» رمزًا، وليس كذلك، فإنَّ الشيخ أتى به احترازًا من قوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[٣]، فدفعتُ الوهم فقلتُ:

فَسُحْقًا سُكون الضمِّ مَع ثانِ يَعْلَمُو ن راض معي باليا وَأَهْلَكَني انجلا

[سورة الحاقة]

١٠٧ ـ ومنها قوله:

١٠٧٨ ـ .... وَمَنْ قَبْلَه فاكْسِرْ وحَرِّكْ رِوىً حَلا

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ منه أنَّ المراد به كسر الميم، والحال أنَّ مراده كسر القاف، فقلتُ:

.... وفي قبله ....

... إلخ.

١٠٨ ـ ومنها قوله:

١٠٨٠ ـ وَيَذَّكَّرُونَ يُؤْمِنُونَ مَقَالُهُ بِخُلْفٍ لَهُ دَاعٍ ويَعْرُجُ رُتِّلا

---

(١) في النسختين: «تعلمون».

(٢) كتب ناسخ الأصل في الحاشية: «راو». بينما كتبها: ناسخ (ب) في الحاشية عند قول المؤلف: «راض».

(٣) من سورة الملك: الآية ١٧.

فإنَّه قد يتبادر أنَّ لام «له» ليس برمز لهشام، وعائد الضمير المرموز بالميم هو ابن ذكوان، فقلتُ:

.... بخلفٍ لدى داعٍ ....

[باب التكبير]

١٠٩ ـ ومنها قوله:

١١٢٧ ـ إذا كَبَّروا في آخِرِ النَّاس أَرْدَفُوا   مَعَ الْحَمْدِ حَتَّى الْمُفْلِحون تَوسُّلا

فإنَّ المستفاد منه أن يكبروا في آخر الحمد، ولم يقل به أحد فقلتُ:

إذا كبَّروا في آخر الناس بادروا   إلى الحمد حتى المفلحون تَوسُّلا

١١٠ ـ ومنها قوله:

١١٣١ ـ ....   ولا[1] تَصِلَنْ هَاءَ الضمِيرِ لِتُوصَلا

لأنَّه يُوهِمُ أنه إذا كان هاء الضمير في آخر سورة لا يجوز وصله، فقلتُ:

....   فلا تُشْبِعَنْ هاءَ الضمير لِتُوصَلا

[باب مخارج الحروف وصفاتها التي يحتاج القارئ إليها]

١١١ ـ ومنها قوله:

١١٥٤ ـ وما بين رَخْوٍ والشَّدِيدةِ (عَمْرُو نَل)   ....

---

(١) في النسختين: «فلا».

فإنَّه قد يُتَوَهَّمُ منه أنَّ الواو أيضًا من الحروف البينية، فقلتُ تبعًا للشيخ الجزري[1]:

وما بين رخوٍ والشديدةِ (لن عمر) ....

١١٢ ـ ومنها قوله:

١١٦٦ ـ وَقُلْ رَحِمَ الرحمنُ حَيّاً ومَيِّتاً   فتىً كان للإنصافِ والحِلْم مَعْقِلا

فإنَّه قد يتبادر إلى الوهم، ما لا يليق لأرباب الفهم، لا سيما حال الوقف على آخر المصراع الأول، فقلتُ:

وقُلْ رَحِمَ الرحمنُ كلَّ فتًى يَكُو   نُ للحِلْمِ والإنصافِ والعفوِ مَعْقِلا

[الخاتمة]

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ:

فرغ بمكة المكرمة **قبالة الكعبة المعظمة** في أوائل شهر جمادى الآخرة[2] سنة إحدى عشرة[3] بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام والتحية.

وتمَّ رقم هذه النسخة أيضًا بمكة المشرفة قبالة الكعبة المحترمة في أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٠٦٦ أحسن الله ختامها، وكمَّل فيها المسرات، وصَلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) انظر: النشر (١/ ٢٠٢).
(٢) في الأصل: «الآخر».
(٣) في الأصل: «عشر».

[وكتب بخط آخر]:

بلغت مقابلة وتصحيحًا من أولها إلى آخرها على خط مؤلفها ـ رحمه الله تعالى ـ فصححت حسب الطاقة والإمكان، والله المستعان. وذلك يوم الاثنين المبارك لست وعشرين مضت من شهر ربيع الأول من شهور سنة ست وستين وألف، **قبالة البيت الشريف** زاده الله تعالى شرفًا وختم لنا ولمن طالع هذه الرسالة، ودعا لنا بالمغفرة.

والحمد لله رب العالمين(١).



(١) بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بلغت مقابلة من أولها إلى آخرها على هذه النسخة المذكورة المحفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة في مجلس واحد **قبالة البيت الشريف** زاده الله تعالى شرفًا وختم لنا ولمن طالع هذه الرسالة ودعا لنا بالمغفرة، وذلك بقراءتي من المنسوخ ومتابعة الشيخ مهدي الحرازي في الأصل المخطوط، وحضور كوكبة من أهل العلم والفضل والفضيلة وهم: الأستاذ الشيخ محمَّد بن ناصر العجمي، والأستاذ الشيخ نظام يعقوبي، والأستاذ الشيخ مجد مكي، والأستاذ الدكتور عبد الله المحارب، والشيخ العربي الدائز الفرياطي، والشيخ نور الدين طالب، والشيخ حسن الحدادي، والشيخ داود الريمي، وذلك بعد عصر يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك من (سنة ١٤٢٥هـ). والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

عبد الحكيم الأنيس

المصادر

١ ـ **القرآن الكريم**، طبعة بايتان كتاب آوي، إصطنبول، ١٣٩٤هـ.

٢ ـ **إبراز المعاني من حرز الأماني**، لأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، البابي الحلبي، القاهرة.

٣ ـ **ابن بين الزيادة والنقصان**، مقال لعبد الحكيم الأنيس، منشور في جريدة العراق بتاريخ ٦/ ٧/ ١٩٨٧م.

٤ ـ **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، للقاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمَّد الصباغ، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٥ ـ **الأعلام**، للزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٢م.

٦ ـ **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المئة الحادية والثانية عشر**، للقادري (ت١١٨٧)، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٧ ـ **الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث**، لخليل إبراهيم قوتلاي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٨ ـ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق حسن العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٩ ـ **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، للقنوجي (ت١٣٠٧هـ)، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠ ـ **تاريخ الأدب العربي**، لكارل بروكلمان (ت١٣٧٥هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١١ ـ **التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر**، لمحمَّد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، لندن، ط١، ١٩٩٤م.

١٢ ـ **تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء**، للقاري، تحقيق محمَّد علي المرصفي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٣ ـ **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمَّد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٤ ـ **تعديلات بعض شراح الشاطبية وتقييداتهم في أبياتها**، لعبد القيوم بن عبد الغفور السندي، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية الصادرة عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، العدد الثالث، السنة الثانية، المحرم ١٤٢٨هـ ـ يناير ٢٠٠٧م.

١٥ ـ **التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، للكنوي (ت١٣٠٤هـ)، مكتبة خير كثير، كراجي، باكستان.

١٦ ـ **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار المئة الحادية والثانية عشر**، للقادري (ت١١٨٧هـ)، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٧ ـ **التيسير في القراءات السبع**، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

١٨ ـ **جامع الشروح والحواشي**، لعبد الله محمَّد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٩ ـ **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين**، لنعمان الآلوسي (ت١٣١٧)، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٠ ـ حرز الأماني ووجه التهاني، للشاطبي (ت٥٩٠)، دار الكتاب النفيس، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢١ ـ حرز الأماني ووجه التهاني، للشاطبي، ضبط وتصحيح ومراجعة محمَّد تميم الزعبي، دار الغوثاني، دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٢ ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (ت١١١١هـ)، مصورة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٢٣ ـ دليل المطبوعات العربية في روسيا من ١٧٨٧م إلى ١٩١٧م، لأنس خلدوف، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٢٤ ـ ديوان أبي تمام (ت٢٣٢هـ)، ضمن المكتبة الشاملة.

٢٥ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لآغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت.

٢٦ ـ رسالة في بيان إفراد الصلاة عن السلام هل يكره أم لا؟، للقاري، تحقيق محمَّد فاتح قايا، ضمن المجموعة العاشرة من لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٢٧ ـ سنن أبي داود (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٢٨ ـ شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، لعلي القاري، تحقيق: محمَّد نزار تميم وهيثم نزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

٢٩ ـ شرح شعلة (ت٦٥٦هـ) على الشاطبية المسمى كنز المعاني شرح حرز الأماني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٠ ـ **عقود الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر**، للشلي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة تريم الحديثة ومكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٣١ ـ **عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمئة فأكثر**، لجميل العظم (ت١٣٥٢هـ)، المطبعة الأهلية، بيروت، ١٣٢٦هـ.

٣٢ ـ **غاية النهاية**، لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، عني بنشره: ج. برجستراسر، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣ ـ **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**، للمراغي، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٤ ـ **فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية**، للقاري، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥ ـ **فتح الوصيد في شرح القصيد**، للسخاوي (ت٦٤٣)، تحقيق: مولاي محمَّد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط**، قسم التفسير، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٩م.

٣٧ ـ **فهرس مخطوطات مكتبة دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب**، لبشير عبد الغني بركات، مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٨ ـ **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، للكنوي، مكتبة خير كثير، كراجي، باكستان.

٣٩ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، بعناية: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٠ ـ **كنز المعاني في شرح حرز الأماني**، للجعبري (ت٧٣٢هـ)، تحقيق: أحمد اليزيدي، ضمن كتابه «الجعبري ومنهجه في كنز المعاني»، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤١ ـ **اللآلىء الفريدة في شرح القصيدة**، للفاسي (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرازق ابن علي موسى، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٢ ـ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للقاري، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣ ـ **المستدرك**، للحاكم (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٤٤ ـ **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع**، للقاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٥ ـ **معجم تفاسير القرآن الكريم**، شارك في جزئه الأول عبد القادر زمامة، وعبد النبي فاضل، وعبد الوهاب التازي سعود، ومحمَّد الكتاني، وكتب الجزء الثاني محمَّد بوخبزة، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٦ ـ **معرفة السنن والآثار**، للبيهقي (ت٤٨٥هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٤٧ ـ **الملا علي القاري، فهرس مؤلفاته وما كتب عنه**، بحث لمحمَّد بن عبد الرحمن الشماع، في مجلة آفاق الثقافة والتراث الصادرة عن مركز جمعة الماجد بدبي، العدد الأول المحرم، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٨ ـ **منظومة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن**، للخراز (ت٧١٨هـ)، تحقيق: أشرف محمَّد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر، ط٢، ٢٠٠٦م.

٤٩ ـ **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، تحقيق: علي محمَّد الضباع، تصوير دار الكتب العلمية.

٥٠ ـ **هدية العارفين**، للبغدادي (ت١٣٣٩هـ)، مصورة دار إحياء التراث العربي بيروت.



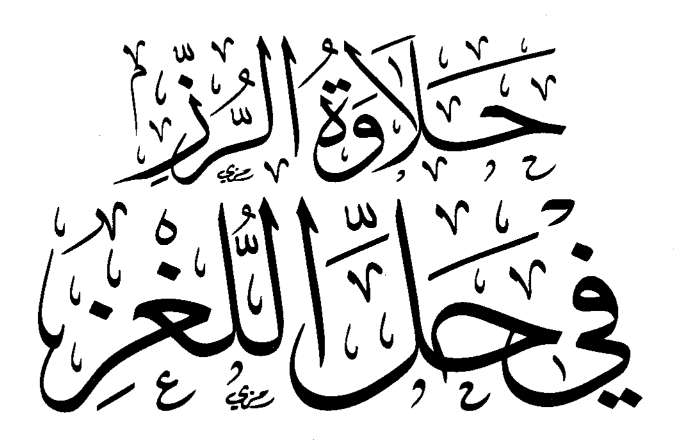
المحتوى

الموضوع	الصفحة

الرسالة محقَّقة

❑❑❑

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(١٨٦)

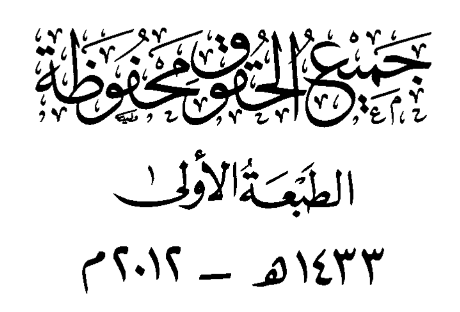


تأليف
أحمد بن أحمد الحلواني الخليجي
المتوفى سنة (١٣٠٨ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
محمد خير رمضان يوسف

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٧٠٢٨٥٧/٠٠٩٦١١ فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين، وبعد:

فأودُّ أن أصارحَ القارىءَ الكريمَ أوَّلاً بأنَّ سببَ إقدامي على تحقيقِ الكتابِ الأولِ: «**حلاوة الرزّ في حلِّ اللّغز**» لم يكنْ لحلِّ اللغز، بل كان لحلاوةِ الرزّ!

فالألغازُ كثيرة، ولا أريدُ أن أضيِّعَ وقتي لأعرفَ أجوبتها، فأنا أحبُّ الأسئلةَ والأجوبةَ الصريحةَ المباشرة.

لكن «حلاوةَ الرزِّ» هي التي فتحتْ شهيتي الفكريةَ لتذوُّقه، على الرغمِ من كثرتِهِ من بين الأطعمة، حتى صارَ يلوَّنُ ويُقزَّحُ لئلا يُمَلّ!

وعلى الرغم من أنه ليس حلواً إلى هذه الدرجةِ حتى يميَّزَ بالحلاوة!

إذاً فيكونُ الداعي إلى ذلك أحدُ أمرين:

إما ظرافةُ مؤلفهِ وحسنُ اختيارهِ لهذا العنوان، دعايةً لكتابه، تشجيعاً للقارىءِ على الإقبالِ على موضوعه.

أو أنه قصدَ حلاوةَ الرزِّ بالنسبةِ للبرغلِ الذي يكثرُ في القرى والبلدات، فيكونُ الإقبالُ عليه في الولائمِ أكثر، وهو من بلدة، فشبَّه كتابَهُ بوليمةِ الرزِّ ليُقبلَ عليه!

والحمدُ لله على فضله، فقد وهبَ وأنعم، وصارَ الفقيرُ يأكلُ منه كما يأكلُ الغنيُّ الآن.

وقد نجحَ المؤلفُ في أسلوبهِ هذا على كلِّ حال، ولعله لو لم يفعلْ ذلك لما حققتُ كتابه. والله أعلم.

واللغزُ الذي أوردَهُ عويص، لكنه هذَّبَهُ بأدبهِ وحُسنِ معرفته، وهو خمسةُ أبيات، قيلَ إنها لصاحبِ الكشكول.

وكان بالإمكانِ أن يقتصرَ على الجوابِ في صفحةٍ أو صفحتين، لكنه استغلَّ حلَّ اللغزِ بشرحِ الأبيات، وأبرزَ فيه مواهبَهُ اللغوية، فكاد أن يحوِّلَهُ إلى بحثٍ أو بحوثٍ لغوية، وإنما تُصنَّفُ الألغازُ على أنها من فروعِ الأدب.

هذا، ما عدا إيرادَ أخبارٍ تاريخيةٍ ونصوصٍ دينيةٍ يستشهدُ بها في شرحِ الأبيات، والإبحارَ في اشتقاقِ الألفاظِ وما إليها.

وهو أقربُ في هذا إلى أسلوب الحواشي والشروح، لكن كل ذلك مفيدٌ ومبهر، وخاصَّةً في الكتاب الثاني: **«قطع اللَّجاج في الإجاج»**.

فهو بحثٌ في كلمةِ «الإجاج» الذي هو نوعٌ من السمك: هل هو بالهمزِ أو بالقاف، وهمزتهُ هذه هل هي بالكسرِ أو الضمِّ أو الفتح، وما أصلُ معناه؟

ومن باب تحريفهِ عند العامَّةِ دخلَ في مجالاتٍ أخرى، وأتى بأشياءَ رائعة، وصارَ بحثاً في قواعدِ تمييزِ الكلامِ العربي من العجمي، وبيانِ الدخيلِ منه، وكيفيةِ تصريفه إذا دخلَ فيه وصارَ كأنه منه، وما إلى ذلك، فهو بحثٌ مفيدٌ جدّاً للغويين.

وقد اجتهدَ في موضعٍ حتى قال: إنه لم يشرْ إلى هذا أحدٌ قبله!

كما يذكرُ قبيلَ الفصل الأخير أنه جمعَ مادَّتَهُ من «قِلٍّ وعثرة»، وأنه من حسناتِ هذه الرسالة، وأوصى بالحرصِ عليه.

وفي آخرهِ خصَّصَ بحثاً جميلاً ومفيداً في قول «الحمدُ لله وكفى» فأحسنَ الختام.

* * *

وهو عالمٌ ولغويٌّ أديب، اسمهُ أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني الخليجي الشافعي، نسبةً إلى بلدته (أو بلده) رأس الخليج، قربَ دمياط في مصر، التي ولدَ فيها سنة ١٢٤٩هـ، وبها مات.

وهو موسوعي المعرفة، ذكيٌّ متمكن، يعرف ذلك من أبحرَ معه في رسالتيهِ هاتين، وهو ليس مجرَّدَ ناقل، بل مشاركٌ مجتهدٌ ناقد. والطابعُ اللغوي هو الغالبُ عليه.

وقد تحدَّثَ عن ذكرياتٍ له في الكتاب الثاني، وفيها أنه ذهبَ إلى مكة، وأنه كانت له صلةٌ بوجهاء، مع نظمِ الشعرِ وإنشاده، وكأنه مال إلى تفضيلِ مصر على الشام، ما عدا المسجدَ الأقصى.

وماتَ في يوم عرفة سنةَ ١٣٠٨هـ. رحمه الله تعالى.

ومن عناوينِ مؤلفاتهِ التي وقفتُ عليها:

ـ الأريجة على النتيجة (في علم الفرائض) (ط).

ـ الإشارة الآصفية في ما لا يستحلُّ بالانعكاس في صورتهِ الرسمية وفي بعض المحاسن الدمياطية وما يتبعُ ذلك من فرائد علمية (في البلاغة) (ط).

ـ البشرى بأخبار الأسرى والمعراجِ والإسرا (ط).

ـ الجمال المبين على الجوهر المتين في الصلاة على أشرف المرسلين على صلوات أبي النعيم... (ط). وهو شرح لرسالة الجوهر المتين... لرضوان بن العدل بيبرس.

ـ الحكم المبرم في أن أم التي تزوجت بلا ولي بتقليد أبي حنيفة محرم (ط).

ـ حلاوة الرز في حلِّ اللغز (ط).

ـ الحلواء في مدح بني الزهراء (قصيدة) (ط).

ـ رفع الارتباك عن الناظر في الشباك (ط).

ـ الشباك (شرحه في الكتاب السابق).

ـ شذا العطر في زكاة الفطر (ط).

ـ الشذور في أنواع الكسور (ط).

ـ صفوة البشرى في الإسرا (ط).

ـ صندوق العجب فيما اتفق من الأضداد في لغة العرب.

ذكره في هامش أول صفحة من كتابه «قطع اللجاج».

- العلم الأحمدي في المولد المحمدي (ط).
- الغيث المنهمر في شرح خبر آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر. ذكره في أواخر كتابه «حلاوة الرز».
- فصل القضية في أنه هل يجب معرفة أن الكتب الأربعة السماوية أنزلت على مَنْ مِنَ الرسل الذكية، وهل مسألة سؤال القبر خلافية. (طبع تالي كتاب «الحكم المبرم»).
- قصيدة في مدح الحضرة النبوية (طبع بآخر «صفوة البشرى»).
- القطر الشهدي في أوصاف المهدي (ط).
- قطع اللجاج في الإجاج (ط).
- الكأس المروق على الدورق (في الأضداد) (ط).
- مواكب الربيع في مولد الشفيع (ط).
- الناغم من الصادح والباغم (ط).
- وسائل الرحمات فيما يُطلب لمن مات (طبع محققاً).
- الوسم في الوشم (ط)[1].

* * *

وقد اعتمدتُ في التحقيقِ على النسخة المطبوعةِ في المطبعةِ الأميريةِ ببولاقِ القاهرةِ سنةَ ١٣٠٨هـ، من مجموعٍ عنوانهُ «خمسُ رسائل» الذي يحتوي إضافةً إلى هاتين الرسالتين على: «الناغم من الصادح والباغم»، و«منظومة القطر الشهدي في أوصاف المهدي»، و«قصيد الحلواء في مدح بني الزهراء».

(١) مصادر ترجمته: الأعلام (١/ ٩٤)، معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص٧٩٢)، معجم المؤلفين (١/ ١٤٦)، هدية العارفين (١/ ١٩٢).

ويقعُ الكتابُ الأولُ في (١٤ ص) من ص ٢٦ إلى ص ٤٠ من المجموع.

ويقعُ الثاني في ٢٦ ص، جاءَ في أولِ المجموع.

وقد اهتممتُ بالرسالتين، فضبطت كلماتهما، وبيَّنتُ غريبهما، ووثقتُ فقراتٍ عديدةً منهما، وخرَّجت الآيات والأحاديث فيهما.

وكانت للمؤلفِ والمصححِ تعليقاتٌ وحواشٍ قليلةً في جوانب الرسالتين، فوضعتها في الهامش متبوعةً بالاسمين.

وبعضها مطالب (عناوين فرعية) وضعتها في المتن، وأضفتُ إليها عناوين أخرى جعلتها بين معقوفتين ليُعلمَ أنها من صنعي.

وعلى الله التكلان، ومنه السداد والتوفيق.

محمد خير رمضان يوسف
١٦/١١/١٤٢٧هـ

(خمس رسائل)

تأليف الاستاذ الكبير والعلامة النحرير
شهاب الدين أحمد بن أحمد بن اسمعيل
الحلوانى بلغه الله والمسلمين
الأمانى ونفع به
آمين

(احداها) قطع اللجاج فى الاجاج
(الثانية) حلاوة الرز فى حل اللغز
(الثالثة) الناغم من الصادح والباغم
(الرابعة) منظومة القطر الشهدى فى أوصاف المهدى
(الخامسة) قصيدة الحلواء فى مدح بنى الزهراء

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٨
هجرية

صورة الغلاف الرئيسي



لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٨٦)



تأليف
أحمد بن أحمد الحلواني الخليجي
المتوفى سنة (١٣٠٨ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
محمد خير رمضان يوسف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا رسولِ الله، وعلى آلهِ وصحبهِ الهداة، أما بعد:

فيقولُ الفقيرُ الجاني، أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيلَ الحلواني، بلغَهُ الله وأحبابَهُ الأماني: هذه «**حلاوة الرزّ في حلِّ اللغز**».

وهو لغزٌ اشتُهرَ بأنديةِ مصر، ورأىٰ الناسُ دونَ حَلِّهِ الإصر[١].

وكان يخطرُ لي أنه أُضحوكةُ وزْواز[٢]، أو أُلعوبةُ طنّاز[٣]، قصدَ به مجرَّدَ الإعجاز، بإيهامِ أنه إلغاز، وهو خالٍ عن الحقيقةِ والمجاز، إلى أن سُئلتُ في حَلِّهِ، وتمييزِ خَمْره من خَلِّه، يومَ الإثنين ثامنَ عَشري أولىٰ الجُماديين، سنةَ سبعٍ وثلاثمائةٍ وألفٍ من هجرةِ سيِّدِ الكونين، صلواتُ الله وسلامهُ عليه، وعلى كلِّ منتمٍ إليه.

فقلت: يا أحمدُ انظرهُ فعسى، أن ترشفَ منه لَعسا[٤]، وتوجَّهْ في حَلِّهِ إلى ذي الجلال، فإنه الكريمُ المِفْضال وكلُّ عُقدةٍ لها عند الكريمِ حلال.

---

(١) الإصر: الثِّقْل.

(٢) وزْواز: مستحقر.

(٣) أي مستهزىء.

(٤) اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة.

فتأمَّلته رويداً، فإذا هو صارَ في شِباكي صيداً، فالحمدُ لله وحده، لا أُحصي حمده.

وأنا أذكرُ اللغزَ المشارَ إليه، وإنْ لم أذكر اسمَ ناظمه، لأني لم أقفْ عليه، وإنْ سمعتُ بعضهم يقول: إنه لصاحبِ الكشكول[1]. ثم أذكرُ جوابَهُ أوّلاً نثراً، وثانياً شعراً، وإني لأعلمُ أنه كالياسمينِ لا يساوي جمعه، لكنه أولىٰ من إهمالهِ في أوديةِ الضيعة.

فهذه صورةُ اللغز:

ألا أيها الساري على ظهرِ أجودِ ... يجوبُ الفيافي فدفداً بعدَ فدفدِ

تحمَّلْ رعاكَ الله مني رسالةً ... تبلِّغها أهلَ المدارسِ في غدِ

تقولُ لهم ما خمسةٌ خُلقوا معاً ... وما سبعةٌ في ثوبِ خزٍّ وعسجدِ

حواجبهمْ خمسونَ في وجهِ واحدٍ ... وأعينهم سبعونَ في حلقِ هُدهدِ

أبوهمْ له حرفانِ منْ إسمِ جعفرٍ ... وحرفانِ منْ إسمَيْ عليٍّ وأحمدِ

وأما جوابهُ، ففي فصول، أَتعرُضُ في بعضها لِما خفيَ من ألفاظهِ فأقول:

[البيت الأول]

فصل: أما قوله «أجود»، فصفةُ محذوفٍ، أي فرسٌ أجود.

ويجوزُ أن يكونَ موصوفهُ قولهُ «ظهر» أي مركوب، إذ كثيراً ما يُطلقونَ الظهرَ على الإبلِ التي تُركبُ وتَحملُ أثقالَ السَّفَرِ على ظهورها، مجازاً مُرسلاً لعلاقةِ الجزئية، ثم صارَ حقيقةً عُرفية.

---

(١) هو بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، أديب شيعي من الشعراء، (ت١٠٣١هـ). عُرف بهذا الكتاب.

ومنه الحديث: **«أتأذنُ لنا في نحرِ ظهرنا»** أي إبلنا التي نركبها، ويُجمع على ظُهران بالضم.

ومنه الحديث: **«فجعلَ رجالٌ يستَأذنونهُ في ظُهرانِهم في عُلْوِ المدينة»**[1].

وعلى هذا الوجه فلا بدَّ من تنوينِ «ظهر»، ونقلِ حركةِ همزة «أجود» إليه.

ولعلك تعجبُ من استعمال «أجود» مجرَّداً من الثلاثة: أل، والإضافة، ومن الجارَّة، وذلك لا يجوز، فأعتذرُ أنا عنه، باحتمالِ أنه على تقديرِ «من» أي على ظهرِ فَرس، أو على ظهرِ أجودَ مِنْ غيره، كاللهُ أكبر، أي من كلِّ شيء.

---

(١) أخذ المؤلف الحديثين ومعناهما من النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/ ١٦٦).

وفي حديث أبي عمرة الأنصاري: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، فأصابَ الناسَ مخمصة، فاستأذنَ الناسُ رسولَ الله ﷺ في نحر بعض ظهورهم، فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يأذنَ لهم في ذلك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أرأيت يا رسول الله إذا نحن نحرنا ظهرنا ثم لقينا عدوَّنا غداً ونحن جياع... إلخ. المعجم الكبير للطبراني (٥٧٥)، المراسيل لأبي داود (٦٣).

قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير الأوسط... ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (١/ ١٩ـ ٢٠).

والحديث الثاني في صحيح مسلم (١٩٠١) من حديث أنس، أوله: بعث رسول الله ﷺ بُسيسة عيناً ينظر ما صنعت عيرُ أبي سفيان... وفيه الجملة المذكورة.

نعم، ذلك قليلٌ كما هو مفصَّلٌ في محله، إلا أن الشاعرَ يقتحمُ المذاعر[١].

أما تحريكهُ بالكسرةِ دون الفتحة، مع أنه لا ينصرف، فلمزاوجة كلمةِ الرويِّ المجرورة، فقد يزاوجُ المتقدِّمَ بالمتأخِّر، كما في خبر «**ارجعنَ مأزوراتٍ غير مأجورات**»[٢].

ثم هو مشتقٌّ إمّا من جادَ الشيءُ يجودُ جُودة بالضم، وجَودة بالفتحِ أيضاً إذا كان صحيحاً حسناً، فهو جيِّدٌ لا رديءٌ قبيح.

وإمّا مِنْ جادَ الفرسُ في عدْوِهِ يجودُ جُودةً بالضم، وجَوْدةً بالفتحِ أيضاً إذا صارَ رائعاً في جَرْيِهِ يملأُ النفوسَ إعجاباً به، فهو جَوادٌ كسَحاب.

فالجوادُ هو الفرسُ الرائعُ ذكراً كانَ أو أنثى، وجمعهُ جِياد وأجيادٌ وأجواد، وجمعُ هذا أجاويد.

ومنه ما في حديثِ الصراط «**ومنهم من يمرُّ كأجاويدِ الخيل**»[٣].

---

(١) المذاعر: الأماكن المخوفة.

(٢) هو حديث علي رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ فإذا نسوة جلوس فقال: «ما يجلسكن؟» قلن: ننتظر الجنازة. قال: «هل تغسلن؟» قلن: لا. قال: «هل تحملن؟» قلن: لا. قال: «هل تدلين فيمن يدلي؟» قلن: لا. قال: «فارجعن مأزورات غير مأجورات». سنن ابن ماجه (١٥٧٨) وضعفه الألباني.

(٣) في حديث أبي سعيد الخدري الطويل، الذي رواه البخاري في صحيحه، الذي جاء أوله: «هل تضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟» وفيه وصف رسول الله ﷺ للجسر الذي يُجعل بين ظهراني جهنم: «... المؤمن عليها كالطَّرْف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل...» صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٤٣٩).

ومن الذي قبلهُ ما جاءَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما مرفوعاً: «إنَّ أباكم إسماعيلَ أوّلُ مَنْ ذُلِّلتْ له الخيولُ العِرابُ فاعتنقها، ثم أورثكم حبَّها. وذلك أنها كانتْ كسائِرِ الوحش، فلما أذنَ الله تعالى لإبراهيمَ وإسماعيل عليهما السلام برفعِ القواعدِ من البيت، أعطىٰ كلَّ واحدٍ منهما كنزاً من كنوزه، فأوحىٰ الله تعالى إلى إسماعيلَ عليه السلام: إني معطيك كنزاً من كنوزي لم أُعْطِهِ أحداً قبلك، فاخرجْ فنادِ بالكنزِ يأتِك.

قال: فخرجَ إسماعيلُ عليه السلام وما يدري ما ذلك الكنز، ولا يدري كيف الدعاءُ به، حتى أتى أجياداً، أي الموضعَ المعروفَ بمكةَ المكرّمة، قال: فألهمَ الله تعالى إسماعيلَ الدعاء بالخيل، فنادى: يا خيلَ الله أجيبي. فلم يبقَ في بلادِ العربِ كلها فرسٌ إلا أتاهُ، وذلَّلهُ الله له فأمكنتْهُ من نواصيها.

قال ابن عُباس: فلذلك سُمِّي ذلك الموضعُ «أجياداً»[1].

قلت: وهذا أحسنُ وجهٍ يُلتمسُ في تكنيةِ مَنْ اسمهُ إسماعيلُ بأبي السِّباع.

وفي الخبر «**الخيلُ العِرابُ تُراثُ أبيكم إسماعيل عليه السلام، فاعتنقوها واركبوها فإنها ميامين**»[2].

---

(١) رواه الفاكهاني في أخبار مكة (٥٠٩) (٤/ ١٨٩). وأورده له السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٩) موقوفاً عليه ولم يرفعه. وذكر ابن كثير أن علماء النسب يقولون ذلك. البداية والنهاية (١/ ١٩٢). وينظر السيرة الحلبية (١/ ٣٠).

(٢) رواه سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه من حديث عبد الله بن عمران المرفوع، كما في البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٩٢). وفي السند مجهول، ففيه قول الأموي: حدثنا شيخ من قريش.

وفي الخبر: «**الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة: الأجرُ والغنيمة**»[1].

وبما تقرَّر تعلمُ ما في قول السهيلي في «الروضِ الأُنف»: وأما «أجيادُ» فلم تسمَّ بأجيادَ من أجلِ جيادِ الخيل؛ لأن جيادَ الخيلِ لا يُقالُ فيها أجيادُ بالألف، وإنما أَجيادُ جمعُ جِيْد، بمعنى العُنق. وقد ذكرَ أصحابُ الخبرِ أن مضاضاً[2] ضربَ في ذلك الموضعِ أجيادَ مائةِ رجلٍ من العمالقة، فسُمِّيَ الموضعُ أجياداً، وهكذا ذكرَ ابنُ هشام[3].

ووقعَ في «النهايةِ» وغيرها أنه جيادٌ بلا ألف[4].

ولكنْ جاءَ عن عبد الله بن عمر رضيَ الله عنهما أن الدابَّة التي تخرجُ آخرَ الزمانِ تخرجُ من صخرةٍ من شِعْب أجياد، فأوردَهُ بالألف[5].

وجاءَ هذا أيضاً عن أبي هريرة رَضي الله عنه مرفوعاً: «**بئْسَ الشِّعْبُ شِعْبُ جياد**» مرتينِ أو ثلاثاً. قيل: ولِمَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**تخرجُ منه الدابَّةُ فتصرخُ ثلاثَ صَرَخاتٍ يَسمعها مَنْ بين الخافقين،**

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٢٨٥٢)، صحيح مسلم (١٨٧٢).

(٢) مضاض بن عمرو الجرهمي، من ملوك العرب في الجاهلية، قبل الميلاد بكثير، ويقال إن إسماعيل عليه السلام تزوج بنته، وجميع ولد إسماعيل منها. الأعلام (٧/ ٢٤٩).

(٣) الروض الأنف (١/ ٢١٦).

(٤) قال: وأكثر الناس يقولونه جِياد بحذف الهمزة وكسر الجيم. النهاية (١/ ١٤).

(٥) رواه عنه محمد بن إسحاق. ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٧٧.

فتتكلمُ بالعربيةِ بلسانٍ ذَلق، وذلك قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾»[1].

فأوردَهُ بلا ألف، فعُلِمَ أنه بالوجهين.

وعليه جرىٰ في «المراصد» وإن اقتصرَ صاحبُ القاموسِ كغيرِ واحدٍ على الأوَّل، إذ قال: وأجيادُ أرضٌ بمكة، أو جبلٌ بها؛ لكونهِ موضعَ خيلِ تُبَّع[2]، اهـ.

وقد استُفيدَ منه وجهٌ آخرُ في سببِ التسمية.

وبالجملة: فتخطئةَ السهيلي لا وجهَ لها، ولا مانعَ أن يتعدَّدَ سببُ التسميةِ كالتسمية، فيمكنُ أنه سُمِّيَ أجياداً لتلك الأجيادِ التي ضُربت فيه، وأنه سُمِّي أجياداً وجياداً لتلك الخيل الإسماعيلية أو التبَّعية، فاغتنمْ هذا التحرير.

فصل: وأما قوله «يجوب»: فمعناهُ يقطع، ومنه: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾[3].

وليس منه قولُ العامَّةِ جابَهُ مقابلَ أخذَهُ، فإنهم حرَّفوهُ ـ كما لا يخفى ـ من «جاءَ به» بالمدِّ وكسر الموحَّدة، فقصَّروا «جاء»، لكنْ لا ضررَ في هذا، فقصْرُه لغةٌ معروفة.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦٨١) في ترجمة رباح بن عبيد الله العمري، الذي قال فيه: وأنكر عليه [يعني الحديث المذكور].
والكلمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. سورة النمل: الآية: ٨٢.

(٢) ترتيب القاموس المحيط، مادة «جيد» (١/ ٥٦٥).

(٣) سورة الفجر: الآية: ٩.

ثمَّ لمَّا وقفوا على هاءِ «به» توهَّموا توهماً فاسداً أنها مضمومة، فنقلوا ضمَّتها إلى ما قبلها، فتحرَّكَ بحركتها، على حدِّ ما تفعلُ قبيلةُ لَخْم، في نحوِ قصدهِ من قوله:

من يأتمرْ للخيرِ[1] فيما قَصَدُهْ تُحْمَدْ مساعيهِ ويُعْلَمْ رَشَدُهْ[2]

كوقَصُه، أي كسرَ عنقه، من قوله:

ما زالَ شيبانُ شديداً هَبَصُهْ حتى أتاهُ قِرْنُهُ فوَقَصُهْ[3]

وهَبَصه بفتح الهاءِ والموحَّدة: نشاطه.

أما غيرُ لَخْم فإنما يجوِّزونَ نقلَ حركةِ الحرفِ الموقوفِ عليه غيرَ الفتحةِ إلى ما قبلهُ بأربعةِ شروط:

(أحدها): أن يكونَ الحرفُ المنقولُ منه صحيحاً، فلا نقلَ في نحو: دلو، وظبي.

(ثانيها): أن يكونَ ما قبلهُ ساكناً.

(ثالثها): أن يقبلَ هذا الساكنُ التحريك، فتقولُ في نحو بَكر: هذا بكرُ، ومررتُ ببكِر، بنقلِ الضمَّةِ أو الكسرِ إلى الكاف.

ومنه قوله:

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ من عَنَزيٍّ سبَّني لم أَضْرِبُهْ[4]

---

(١) في المصدر: للحوم.

(٢) همع الهوامع (٣/ ٤٣٥).

(٣) لسان العرب (٧/ ١٠٣، ١٠٦).

(٤) الكامل في الأدب (١/ ٢٨٤)، سر صناعة الإعراب (١/ ٣٨٩)، الكتاب لسيبويه (٤/ ١٨٠).

والعَنَزِي: القصير، منسوبٌ إلى عَنَز، وهو أبو حيٍّ من ربيعة.

فإنْ لم يكنْ ما قبلهُ ساكناً كجعفر، أو كان ساكناً لكنه لا يقبلُ التحريك، إما لكونِ تحريكهِ متعذِّراً، كما في نحوِ باب وإنسان، أو متعسِّراً، كما في نحو قنديل، وعصفور، وزيد، وثوب، لثقلِ الحركةِ على الواوِ والياء، أو مستلزماً لفكِّ إدغامٍ ممتنعِ الفكِّ في غيرِ الضرورة، نحو جدٍّ وعمّ، امتنع النقل.

(رابعها): أن لا يلزمَ على النقلِ وجودُ البناءَينِ المرفوضينِ في الاسم، وهما: فِعُلٌ بكسرٍ فضمّ، وفُعِلٌ بضمٍّ فكسر، فلا يقال: هذا حبِرٌ ولا أغلقتهُ بقُفِل.

وبعد: فهل الحركةُ فيما مرَّ شاملةٌ للإعرابيةِ والبنائيةِ؟ الذي عليه الجماعةُ اختصاصهُ بالإعرابية، فلا يقال: من قبل، ولا من بعد، ولا مضىٰ أمس، لأنَّ حرصَهم على معرفةِ حركةِ البناءِ ليس كحرصهم على معرفةِ حركةِ الإعراب؛ لشرفِ هذه.

أما إذا كانت حركةُ الحرفِ الموقوفِ عليه فتحة، فقد منعَ البصريونَ نقلها إذا كان المنقولَ عنه غيرُ همزة، فلا يجوزُ عندهم: رأيتُ بكرَ، ولا ضربتُ الضرب، لما يلزمُ على النقلِ حينئذٍ في المنوَّنِ من حذفِ ألفِ التنوين، وحملِ غيرِ المنوَّنِ عليه.

وأجاز ذلك الكوفيون.

ونُقلَ عن الجَرْمي(١) أنه أجازَهُ مطلقاً كالكوفيين.

---

(١) أبو عمرو صالح بن إسحاق الجرمي. قال الذهبي: كان ديِّناً ورعاً نبيلاً رأساً في اللغة والنحو، ملك بالأدب دنيا عريضة. (ت٢٢٥هـ). العبر (١/ ٣١٠).

وكذا عن الأخفش في المنوَّن، على لغةِ من قال: رأيتُ بكرَ وهم ربيعة.

أما المهموزُ فيجوزُ نقلُ حركته وإن كانتْ فتحةً إلى الساكنِ قبله، فيُقال: رأيتُ الخِبء، والرِّدء، والبِطء.

وإنما اغتُفِرَ ذلك في الهمزةِ لثقلها، فإذا سُكنَ ما قبلَ الهمزةِ الساكنةِ كان النطقُ بها أصعب.

وكذا لا يُمتنعُ النقلُ في المهموز، وإن لزمَ عليه وجودُ البناءينِ المرفوضين، فتقول: هذا ردء، ومررتُ بكفء، على ما هو لغةُ كثيرٍ من العرب، كأسدٍ وتميم.

ولكنَّ بعضَ تميمٍ يفرُّونَ من هذا، فلا ينقلون، وبعضهم يبدِّلُ الهمزةَ بعد الاتباع، فيقول: هذا ردي، مع كفو.

وأهلُ الحجاز إذ نقلوا حركةَ الهمزةِ حذفوا الهمزةَ ووقفوا على المنقولِ إليه حركتها كما يوقفُ عليه أصالة، فيقولون: هذا الخبّ، بالإسكان أو الرَّوْمِ، أو الإشمام، أو التضعيف.

فالإسكان، ظاهر.

والرَّوْم، بفتح الراء، هو رَوْمُ الحركة، أي قَصْدُها والتماسُ وجودها، بأن تُخفي الصوتَ بها، ضمَّةً كانت أو كسرة أو فتحة، خصَّهُ الفرّاءُ تَبعاً للقرّاءِ بالأوَّلين.

والإشمامُ، هو ضمُّ الشفتينِ مع انفراجٍ بينهما يخرجُ منه النَّفَسُ بلا صوت، وهو في خصوصِ المرفوعِ والمضمومِ للإشارةِ للحركة، كأنه يجعلُ في الحرفِ شمَّةً منها. والغرضُ به الفرقُ بين الساكنِ والمُسكنِ

في الوقف، والرَّوْمُ أتمُّ منه، لأنه يدركهُ الأعمى والبصير، بخلافِ الإشمام، فإنما يُدركه البصير.

والتضعيفُ، هو تشديدُ الحرفِ الذي يوقفُ عليه، إشارةً إلى تحريكهِ أصالة[1].

فهذه الأربعة المارَّةُ تجوزُ فيه ككلِّ ما أشارَ إليه قولُ ابن مالك:

وغيرُها التأنيثُ من محرَّكِ سكِّنْهُ أوقفْ رائمَ التحرُّكِ

أو أشممِ الضمَّةَ أوقفْ مُضْعِفاً ما ليس همزاً أو عليلاً أن قِفا

محرّكاً: أي كهذا جعفر، بخلافِ الهمزةِ كخطأ، والعليلِ كالقاضي ويخشى ويدعو، والتابعِ ساكناً كعمرو.

أما غيرُ أهلِ الحجازِ فلا يحذفونَ الهمزة، بل منهم من يُثبتها بعد النقلِ ساكنة، نحو: هذا البطء، ورأيتُ البطء، ومررت بالبطء.

ومنهم من يبدلها بمجانسِ الحركةِ المنقولة، فيقول: هذا البطو، ورأيت البطا، ومررت بالبطي.

وقد لا يكونُ نقلٌ أصلاً، فتبدَّلُ الهمزةُ بمجانسِ حركتها بعد سكونٍ باق، نحو: هذا البطو، ومررتُ بالبطي.

وأما في الفتح، فيلزمُ فتحُ ما قبلها.

وقد يبدِّلونها كذلك بعد حركةٍ غير منقولة، فيقولون: هذا الكلو، ومررتُ بالكلي، بسكون الواوِ والياء، أي الكَلأ، وهو العشبُ الرطب،

---

(١) تُنظر هذه التعريفات ووجوهها في «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، النوع الثاني والعشرون من العلوم (١/ ٣٩٥).

ضدَّ الحشيشِ وهو اليابسُ الدريس، فعيلٌ بمعنى مفعول. وقد يطلق الكلأُ على الحشيش أيضاً مجازاً باعتبارِ ما كان.

هذا، وأهلُ الحجازِ يقولونَ الكلا في الأحوالِ كلِّها، لأنهم لا يبدِّلونَ الهمزةَ بعد حركةٍ إلا بمجانسِ تلك الحركة، ولذا يقولونَ في أكمؤ أكمو، وفي ممتلىء ممتلي[1].

وقد أطلتُ عليكَ بهذه المسألةِ لتتذكَّرَ بها أن قولَ العامة «جابُه» بضمِّ الموحدة وسكونِ الهاءِ تحريفٌ فاحش، وأفحشُ منه استعمالهم له كالمشتقِّ من جاب، في قولهم: جابوه يجيبوه، وايش جابَ الله، وربما زادوا في طنبورِ الخطأ نغمةً فقالوا: الله أجب، الله أخد. ومثلُ ذلك في كلامهم لا يُحصى.

فصل: وأما قوله «الفَيَافِي»: فجمعُ فَيْفَاء، بفتحِ الفاءينِ وسكونِ التحتيةِ بينهما ممدود أو يقصر، أو فيفاةٌ بهاءِ تأنيثٍ عقبَ الألفِ اللينة.

والفيفاءُ بلغتيها كالفيفاة، هي الفيفُ بفاءين، وِزانُ الضيف، واحدُ الأفيافِ والفيوف، وهو المفازةُ المستويةُ الواسعةُ التي تختلفُ فيها الرياحُ ولا ماءَ بها، وفُسِّرتْ بالبراري الواسعةِ في حديثِ حذيفة رضي الله عنه: **«يصبُّ عليكم الشرُّ حتى يبلغَ الفيافي»**[2].

---

(١) ينظر في هذا: الشافية في علم التصريف (١/ ٦٦)، همع الهوامع (٣/ ٤٣٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٣٩٩) موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه، وأخذه المؤلف من النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٨٥)، ولفظه يبدأ في الأول بقوله «ليوشكن أن...». ولعله بمنزلة المرفوع.

قلت: وهذا يعطي أن أهلَ البراري في آخرِ الزمانِ هم آخرُ الناسِ تمسكاً بالخيرِ والدِّين، فلا يصيبهم الشرُّ والفتنةُ إلا آخرَ الناس.

ويشهدُ له خبر: «**إذا كان آخرُ الزمانِ واختلفتِ الأهواءُ فعليكمْ بدينِ أهلِ الباديةِ والنساء**» رواه ابن حبان والديلمي بسند ضعيف[1].

وقوله: «واختلفت الأهواء»، أي ظهرتِ البدعُ والعقائدُ الفاسدة، وكثرتْ مطالعةُ كتبِ الفلاسفة.

وقوله: «فعليكم بدينِ...» إلخ، أي فالزموا اعتقادَ أهلِ الباديةِ والنساءِ المقلِّدينَ في العقائدِ الصحيحة، لأن إيمانهم صحيح، ولا تأخذوا بتلك الكتبِ الضالَّة، ولا تتَّبعوا أهلها لئلا تضلوا.

أشارَ إلى ذلك السيدُ الحفني في حواشي الجامع[2].

ومما يشهدُ له أيضاً خبر: «**ستكونُ بعدي فِتنٌ شِدادٌ، خيرُ الناس فيها مسلمو أهلِ البوادي الذين لا يَبُذُّون**» بضمِّ الموحَّدةِ وشدِّ الذالِ المعجمة، أي لا يسلبونَ «**من دماءِ الناسِ ولا أموالهم شيئاً**».

رواه أبو نعيم[3].

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٩٩٦) ورواه ابن حبان في كتاب المجروحين (٢/ ٢٦٤) وذكر أن في سنده محمد بن عبد الرحمن البيلماني وأنه وضاع لا يجوز الاحتجاج به. وذكر الألباني أيضاً أنه موضوع. ضعيف الجامع الصغير (٦٣٨).

(٢) يعني حاشية محمد سالم الحفني (ت١١٨١هـ) على الجامع الصغير للسيوطي.

(٣) ورواه الطبراني من حديث أبي غادية المزني في المعجم الكبير (٩١٤)، والأوسط (٤٧٠٠) وفيهما: «لا يتندَّون» أي لا يصيبون. قال الحافظ الهيثمي: وفيه حيان بن حجر ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد =

وخبر: **«خيرُ الناسِ في الفتنِ رجلٌ آخذٌ بعِنانِ فرسهِ خلفَ أعداءِ الله يُخيفهم ويُخيفونه، أو رجلٌ معتزلٌ في باديةٍ يؤدِّي حقَّ الله الذي عليه»**.

رواه الحاكم والطبراني بإسناد صحيح[1].

إن قلت: ففي الخبر: **«لا تسكنوا الكفور، فإنَّ ساكنَ الكُفورِ كساكنِ القبور»**.

رواه البخاري في الأدب والبيهقي في الشُّعب[2].

وقد فسّروا الكُفورَ فيه بالقرى البعيدةِ عن المدن، التي هي مجمعُ العلماءِ والصلحاء، وقالوا: إنما سمِّيتْ كفوراً لأنَّ الحقَّ يُكْفَرُ فيها، أي يُسْتَرُ ويُغطَّىٰ بالجهلِ وقلَّةِ الدِّين، فساكنها بمنزلةِ الموتى، لا يشاهِدُ الجُمَعَ والأعيادَ لبعدهِ عن العلماء.

فهذا وجهٌ دينيٌّ، وَثَمَّ وجهٌ دنيوي، وهو فقدانُ ما يحتاجُ إليه المرءُ في تلك القرى من مصالحِ دنياه، ولو فُرِضَ أنه وُجِدَ نادراً، كان غاليَ

= ٧/ ٣٠٤. وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٣٦٩) تبعاً للإمام الذهبي في «الميزان»: لا يُدرى مَن ذا...

(١) المستدرك على الصحيحين (٨٣٨٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وهو عنده عن ابن عباس رفعه، المعجم الكبير للطبراني (٣٦٠) عن أم مالك البهزية رفعه. وصححه في صحيح الجامع الصغير (٣٢٩٢).

(٢) لفظه: «يا ثوبان لا تسكن الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور». الأدب المفرد (٥٧٩)، شعب الإيمان (٧٥١٨، ٧٥١٩). وحسّنه في صحيح الجامع الصغير (٧٣٢٦).

الثمنِ أو الأجرة، كالطبيب، وذلك مخلٌّ بالعيش، مشوِّشٌ للذَّته، فصاحبهُ في معنى الميت.

قلت: الأخبارُ المنوِّهةُ بسُكنى البوادي إنما هي في حقِّ أهلِ آخرِ الزمان، حين تختلُّ عقائدُ أهلِ المدن، ويفيضُ الشرُّ والفتنُ فيها، فسُكنى أهلِ البوادي بها وكذا من لحقَ بهم؛ خوفاً من الخوضِ في الفتنةِ ولحوقِ الشرِّ به، خيرٌ من السكنى بتلك المدنِ حينئذٍ، فأما ما دامتِ المدنُ بخير، لوجودِ صلحاءِ العلماءِ بها، واقتداءِ الناسِ بهم، فالسكنى بالمدنِ خير، بل إن حصلَ الاختلالُ وشاعَ الشرُّ والفتنةُ بالمدن، وحافظَ المرءُ على دينه بتباعدهِ عن أهل الفساد، ولزومه صحيحَ الاعتقاد، فلا بأسَ بالسكنى بها أيضاً، **فالمدارُ على حفظِ الدين، وعدمِ الدخولِ في الشرِّ والفتنة.**

ولما كان الغالبُ ذلك على أهلِ البوادي في آخر الزمان، حكمَ الخبرُ الشريفُ بخيريَّةِ مسلمي أهلها الذين لا يظلمونَ الناسَ شيئاً، ولم ينظرْ إلى من يوجدُ إذ ذاكَ في المدن بصفةِ أهلِ البوادي، لندرتهم أو قلتهم[1].

هذا، ويشيرُ إلى أن الشرَّ يصيبُ أهلَ البوادي آخرَ الناسِ أيضاً حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**ليخرجنَّكم الرومُ منها**» أي من قرىٰ الشام «**كَفْراً كَفْراً**» أي قريةً قرية «**إلى سُنْبُكٍ من الأرض**» بضمِّ

---

(١) يُنظر في هذا: ما ترجم له الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيحه، باب (من الدين الفرار من الفتن)، وأورد الحديث (رقم (١٩)): «يوشك أن يكون خيرَ مالِ المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال، ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن».

السينِ المهملةِ والموحَّدة وسكونِ النونِ بينهما آخرُه كاف، أي غليظٍ من الأرض، قليلِ الخير «قيل: وما ذلك السنبك؟ قال: **حِسْمَىٰ جُذام**»[1] بكسر حاءِ حِسْمىٰ وسكونِ سينهِ المهملتين، وفتحِ ميمهِ مقصوراً، وهي أرضٌ بالباديةِ غليظةٌ لا خير فيها، وهي وجبالها وراءَ وادي القُرى، بضمٍّ القاف، ينزلها قبيلةُ جُذام، بضمِّ الجيم، ولذا أضيفتْ إليها.

يقال: آخرُ موضعٍ نضبَ منه ماءُ الطوفانِ حِسْمىٰ، فبقيتْ منه بها بقيةٌ إلى اليومِ هذا.

وقد علمتَ مما مرَّ أن القريةَ إنما سُمِّيَتْ كَفْراً لما مرَّ، وهذا صريحٌ في أن الكَفْرَ عربيٌّ في معنى القرية. وقيل: هو سرياني.

وإنما قال «منها كَفْراً كَفْراً» لأن أكثرَ من يتكلمُ به أهلُ الشام، لكنهُ اليومَ في مصرَ كثيرٌ أيضاً[2].

فصل: وأما قولهُ «فدفداً»: فهو بفاءينِ ودالينِ مهملتين، وِزانَ جَعْفَر، وهو الفلاةُ التي لا شيءَ بها من شجرٍ ونحوه.

وقيل: هي الأرضُ الغليظةُ ذاتُ الحصا.

وقيل: الأرضُ المستوية.

وقيل: المكانُ المرتفعُ الصلب، وكأنه مشتقٌّ من الفَدِيد، كأمير، وهو صوتٌ كالحفيف، لأنه موضعُ اختلافِ الرياحِ وحفيفها.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه (٢/ ٢١٥) من قول أبي هريرة، وفي سنده مجهول (عن رجل من أهل الرقة). وهو في مصادر أخرى موقوف عليه أيضاً.

(٢) ولا يقال الآن للقرية في الشام «كفر»، بل يقال ذلك في مصر.

ونحوهُ: السبسب، كجعفر، فهو المفازةُ أو الأرضُ المستويةُ البعيدة، كأنها تسبسبت، أي جَرَتْ وسالت، أو لتسبسبِ الرياحِ، أي جريانها واسترسالها بها، ومن هذا قولي:

عرضُ زندِ الحسنِ البصـ ـريِّ شبرٌ فتعجبْ
ذا مع الزهدِ فما ظنـ ـك لو كان تسبسبْ

أي جرىٰ واسترسلَ في لذَّاتِ الدنيا.

وهذا قد جاءَ من طريق الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيتُ أعرضَ زنداً من الحسن البصري، كان عرضهُ شبراً[1].

قلت: وقد قيل في غيرِ نحوِ ذلك أيضاً.

والزَّنْدُ بفتحٍ فسكون: ما انحسرَ عنه اللحمُ من الذراع، وهو موصلُ طرَفِ الذراعِ في الكف.

هذا، ومثلُ السبسبِ مقلوبه، وهو البَسْبَس، كجعفر، فهو القَفْرُ الخالي.

ونحوهُ: الجفجف، كجعفر، فهو الأرضُ المرتفعةُ ليستْ بالغليظة. وهو أيضاً الوهدةُ من الأرض، فهو من الأضداد، وقد أوردتهُ هناك.

وكأنه في المعنى الأوّلِ من جَفَّ إذا يبس، لأنه شأنُ الأرضِ المرتفعة.

والثاني: من قولهم: جفَّ الرجلُ مالَهُ إذا جمعه، لأن شأنَ الوِهاد أن تجمعَ نحوَ الماء.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٧٢).

ومن نظائرِ ذلك أيضاً: **المَهْمَه**، كجعفر، فهو المفازةُ البعيدة، والبلدُ المقفر، سمِّيَتْ بذلك لأن النازلينَ بها يخافون، حتى يقولَ الرجلُ لصاحبه: مَهْ مَهْ، بمعنى اكْفُف اكْفُف، أي لا تتحرَّكْ ولا تتكلمْ مخافةَ أن يحسَّ بنا عدوٌّ أو وحش، أو هي ما الاستفهاميةُ الموقوفُ عليها بها السكت مكررة.

[البيت الثالث][1]

[تقولُ لهم ما خمسةٌ خُلقوا معاً وما سبعةٌ في ثوبِ خَزٍّ وعَسْجَدِ]

فصل: وأما الخزُّ، فمأخوذٌ من الخُزَز، بزاءينِ معجمتين، وزانُ صُرَد، وهو ولدُ الأرنب، وقيل: الذكرُ من الأرانب.

وهو ليِّنُ المسِّ للينِ وَبَرِهِ ونعومته، حتى قالوا: مسُّهُ مسُّ الخُزَز.

وفي حديث أمِّ زرع «قالت الثامنة: زوجي الريحُ ريحُ زَرْنَب، والمسُّ مسُّ أرنب»[2].

---

(١) البيت الثاني لم يشرحه المؤلف، وهو واضح لا يحتاج إلى شرح.

(٢) الحديث المعروف الذي قالته عائشة رضي الله عنها، وأوله: «جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن. . .». رواه مسلم وغيره، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٢٤٤٨).
وعلق المؤلف في هامش كتابه: قوله «الريح» أي منه ريح زرنب، والمسُّ منه أي منه مسّ. . . إلخ.
فالرابط ضمير مقدَّر. ولك أن تجعل «ال» نائبة عن الضمير، فهي الرابط، فالأصل: ريحه ريح زَرْنَب. إلخ، كجَعْفَر، شجرة طيبة الرائحة، اهـ.

وذلك لأن الخزَّ يُنسَجُ من الحريرِ ووبرِ الخززِ معاً وإلا فليس خزّاً، ومعلوم أنه متى غلبَ غيرُ الحرير، كالوبر المذكور، حلَّ لبسه.

وعلى ما تقرَّر فكأنَّ الخزَّ في الأصل مصدرُ خزَّهُ يخزُّهُ إذا أصابَهُ بالخَزُز أي بوبره، كدَهَنهُ يدهنه إذا أصابَهُ بالدهن، وزاتهُ يزيته إذا دهنهُ بالزيت.

ثم أُطلِقَ المصدر، وهو الخز، على اسم المفعولِ مجازاً مرسلاً.

وقيل: إنما سُمِّي خزاً لأن لُحمتهُ من وبر الخزِّ وسُداهُ من الحرير.

والخزُّ المذكورُ هو كلبُ الماء، الذي تُسمِّيهِ العربُ خزاً وقُضاعة، والتَركُ قندز، وعلى هذا فهو مجازٌ مرسلٌ لنظير ما مر، أو لعلاقةِ الكليةِ أو الجزئية.

وعلى كلٍّ فقد صارَ بعد حقيقةٍ عرفيةٍ فيما نُسجَ من الحرير ووُبرَ الخُزَز أو وُوْبرَ الخز، ثم توسَّعوا فيه بعدُ فأطلقوهُ على ما سُداهُ من حريرٍ ولُحمتهُ من نحوِ قطنٍ كَكتان، وعلى ما يتخذُ من الحريرِ العفن، كما في الفتاوىٰ الهندية[1].

وقيل: الخزُّ فارسيٌّ فلا اشتقاقَ فيه على هذا.

---

(١) فيه: كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يرى بأساً بلبس الخزِّ وإن كان سداه حريراً، قال العبد: الخزُّ في زمانهم كان من أوبار ذلك الحيوان المائي الذي يسمى بالعربية خَزّاً وقضاعة، وبالتركية قندز، واليوم يتخذ من الحرير العفن فيجب أن يُكره كالقز. كذا في الملتقط. قال محمد رحمه الله تعالى: لا بأس بالخز إذا لم يكن فيه شهرة، وإلا فلا خير فيه. كذا في الغياثية. الفتاوى الهندية (٥/ ٣٣١).

ثم ما لبسَهُ الصحابةُ والتابعونَ من الخزِّ فمن الحلالِ المنسوجِ من الحريرِ والوبرِ المار.

وأما ما في حديثِ عليٍّ رضيَ الله عنه «**نهى عن ركوبِ الخزِّ والجلوسِ عليه**»[١].

فإن أريد بالخزِّ فيه الحلالُ المنسوجُ من الحريرِ وغيره، فالنهي عنه إنما هو لأنه زيُّ المترَفين من العجم، وإن أريدَ به ما نُسِجَ من خالصِ الحريرِ مجازاً، أو ما كان أكثرهُ حريراً فلأنه حرام.

هذا، والخزُّ من الجواهرِ التي يُوصَفُ بها، تقول: هذا ثوبٌ خزٌّ، والأكثرُ بالإضافةِ، كما في قول العَرْجيّ[٢]، سامحنا الله تعالى وإياه:

أماطتْ كساءَ الخزِّ عن حُرِّ وجهها وأدنتْ على الخدَّينِ بُرداً مُهلهلا
من اللاء لم يحججنَ يَبغينَ حُسبةً ولكنْ ليقتلنَ البريء المغفَّلا[٣]

ولهذين البيتين نادرة: خرجَ أبو حازمٍ الأعرج سلمةُ بن دينار ـ وهو أحدُ من روىٰ عن أبي هريرة وعن سهل بن سعد وغيرهما ـ حاجّاً، فرأىٰ امرأةً جميلةً تتكلمُ بكلامٍ رفثتْ فيه، فأدنى ناقتَهُ منها ثم قال لها: يا أمةَ الله، ألست حاجَّة؟ أما تخافين الله؟

---

(١) نقله مع شرحه من النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٨).
والذي رأيته من رواية معاوية بلفظ: «نهى عن ركوب الخز والنمور» الذي رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٢٤٣).

(٢) عبد الله بن عمر الأموي العَرْجي، شاعر غزل من أهل مكة، من قرية «عرجة» قرب مكة، مات في السجن نحو سنة ١٢٠هـ. الأعلام (٤/ ١٠٩).

(٣) الأغاني للأصفهاني (١/ ٣٩٠).

فسفرتْ عن وجهٍ يُبهرُ الشمسَ حسناً، ثم قالتْ: تأمَّلْ يا عم، فإنني ممن عَناهُ العرجي بقوله: أماطت. . . البيتين.

فقال لها: فإني أسألُ الله أنْ لا يعذِّبَ هذا الوجهَ بالنار.

فبلغَ ذلك سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه، فقال: أما والله لو كان من بغضاءِ العراقِ لقال لها اعزُبي قبَّحكِ الله، ولكنه ظَرَفُ عُبَّادِ أهلِ الحجاز[1].

وفي حديثِ عائشةَ رضي الله عنها: أما والله ما كان مِرْطي ـ بكسرٍ فسكونٍ، أي كسائي ـ خزّاً، ولا قزّاً، ولا حريراً، ولا ديباجاً، ولا كتاناً، ولا قطناً[2]. أي فكان ـ والله أعلم ـ صوفاً.

فالخزُّ قد عرفته، والقزُّ ما قطعتهُ الدودةُ وخرجتْ منه حيَّة، فهو خلافُ الإبريسم، وهو الذي تموتُ الدودُ فيه، والحريرُ يعمُّ ذلك كلَّه حتى الديباج، وهو ما غلظَ من نسيجِ الحريرِ كالقطيفةِ المعروفةِ الآن.

وبعد، فاحرصْ على وصلِ هذا الفصل، فإنك لا تجدهُ منتظمَ الشملِ في غيرِ هذا الكتاب. والله الموفق.

فصل: وأما العَسْجَد، كجعفر، فهو الذهب.

وقيل: يُطلقُ على كلِّ جوهر، كالدرِّ والياقوت.

---

(١) المصدر السابق. والله أعلم بصحته.

(٢) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩١٧) وقال: حديث لا يصح، قال ابن عدي: أحاديث سليمان بن أبي كريمة مناكير. قلت. وقريب من لفظه في الدرر المنثور (٧/ ٤٠٤) وأنه رواه البيهقي.

وهو أحدُ ما جاءَ من الرباعيِّ بلا حرفٍ من حروفِ الذلاقة[1]، مع أنه عربي، وتفصيلهُ في رسالتنا الموسومةِ «بقطع اللجاج في الأجاج».

فصل: وأما الخمسةُ التي خُلقتْ معاً، فيجوزُ أن تكونَ هي اسمَ الخمسة، العددِ المعروفِ بين الأربعةِ والستَّة، أو غيرها من الخمساتِ التي يجوزُ أن تكونَ خُلقتْ معاً، كخمسةِ أصابع اليد.

ويجوزُ أن يكونَ أشارَ بها إلى ما في خبرِ ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهودَ أتتهُ ﷺ فسألتْهُ عن خلقِ السماواتِ والأرض، فقال: «**خلقَ الله الأرض يومَ الأحدِ والإثنين، وخلقَ الجبالَ وما فيها من المنافع يومَ الثلاثاء، وخلقَ يومَ الأربعاء الشجرَ والمدائنَ والعمرانَ والخراب، فهذه أربعةَ أيام، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[2]، وخلقَ يومَ الخميسِ السماء، وخلقَ يومَ الجمعةِ النجومَ والشمسَ والقمرَ والملائكة**».

رواه ابن جرير وغيره، وصححوه[3].

---

(١) حروف الذلاقة ستة: الراء واللام والنون والفاء والباء والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدره وطرفه. لسان العرب (١٠/ ١١٠).

(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٩، ١٠.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٩٤)، والحاكم في المستدرك (٣٩٩٧) وصححه ولم يوافقه الذهبي.

هذا مع ما قاله الجلالُ السيوطي في فتاواهُ القرآنية، من أن خلقَ المخلوقاتِ وخلقَ الأيامِ التي خُلقتِ المخلوقاتُ فيها كان دفعةً واحدةً، بلا تقديمِ أحدِهما على الآخر، فصدقَ على الخمسةِ التي هي يومَ الجمعة، والنجومُ والشمسُ والقمرُ والملائكةُ أنها خُلقتْ معاً.

فالخمسةُ على أنها ما بين الأربعةِ والستةِ يُرادُ منها الاسم، وعلى ما بعدهُ يُرادُ منها المسمَّى.

وههنا أمران:

أحدهما: أن هذا الخبرَ الشريفَ يقتضي أن أولَ الأسبوع يومُ الأحد، وخبرُ مسلم «**خلقَ الله التربةَ يومَ السبت، وخلقَ الجبالَ فيها يومَ الأحد**»[1] الحديث يقتضي أن أوّله يومُ السبت، والأكثرون على الأول، والذي عليه الشيخان النووي والرافعي الثاني. وتفصيلُ ذلك في كتابنا «الغيث المنهمر في شرح خبر: آخرُ أربعاءٍ من الشهر يوم نحس مستمر».

ثانيهما: أن «أل» في نحو: الجبال، والمنافع، والشجر، والمدائن، والعمران، والخراب، والملائكة؛ جنسيةٌ لا استغراقية، إذ لم تُخلقْ جميعُ هذه الأشياء دُفْعة.

ومما يُرشدكُ إلى ذلك في الملائكة، رواية أن الملائكة خُلقوا يومَ الأربعاء[2].

---

(١) صحيح مسلم (٢٧٨٩).

(٢) قاله الربيع بن أنس، كما في تفسير ابن جرير الطبري (١/ ١٩٩، ٢٠٦)، وأبو العالية، كما في الدر المنثور (١/ ١١٢).

فحاصلهُ: أن بعضَهم خُلق يومَ الجمعة، وبعضُهم خُلقَ يومَ الأربعاء.

وخبرُ أبي هريرة مرفوعاً: «**في السماءِ بيتٌ يقالُ له البيتُ المعمورُ بحيالِ الكعبة، وفي السماءِ الرابعةِ نهرٌ يُقالُ له الحيوان، يدخلهُ جبريلُ كلَّ يومٍ فينغمسُ انغماسة، ثم يخرجُ فينتفضُ انتفاضةً يخرُّ عنه سبعونَ ألفَ قطرة، يخلقُ الله من كل قطرةٍ مَلكاً، يُؤمرونَ أن يأتوا البيتَ المعمورَ فيصلوا فيه، فيفعلونَ ثم يخرجون، فلا يعودونَ إليه أبداً، ويولىٰ عليهم أحدهم، ثم يؤمرُ أن يقفَ بهم في السماء موقفاً يسبِّحون الله فيه إلى أن تقومَ الساعة**».

رواه ابن المنذر وغيره، وطرقهُ وشواهدهُ كثير[1].

ففيه أيضاً أنه تعالى يخلقُ من الملائكةِ كلَّ يومٍ ذلك القَدْر، وفي الأخبارِ من هذا النحو كثير.

فصل: وأما السبعةُ التي في ثوبِ خزٍّ وعسجد، فهي جملةُ الأسبوعِ المركَبةُ من الليلِ والنهار، فشبَّهَ الليلَ بالخزِّ لأنَّ رطوبتَهُ تُشبهُ

---

(١) رواه ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف، كما قاله السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٧).
بل هو أقل درجة من الضعيف، فقد ذكر الحافظ ابن كثير أنه غريب جداً، وأن فيه روح بن جناح الذي نكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ، بل قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٠).
وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٩٨)، لكن ذكر الذهبي في «تلخيص الموضوعات» (١/ ٣٠ـ ٣١) أنه لا ينبغي أن يدخل في الموضوعات.

ليونةَ الخزّ، وظلمتَهُ تشبهُ لونَ الخز، إذ قد علمتَ مما مرَّ عن الهنديةِ أنه الحريرُ العفن، ومن شأنِ العفونةِ الظلمة.

وشبَّهَ النهارَ بالعسجدِ بجامعِ الإشراقِ واللمعانِ في كلٍّ، فعلىٰ هذا فثوبُ الليلِ هو رطوبتهُ وظلمته، وثوبُ النهارِ هو إشراقهُ ولمعانهُ، وجملةُ الأسبوع مندرجةٌ في هذينِ الثوبينِ واحداً بعد آخر، فكأنه قال: في ثوبِ خزٍّ تارة، وثوبِ عسجدٍ تارةً أخرى.

هذا كلُّهُ إذا جعلنا الإضافةَ لامية.

فإن جعلناها على معنى «مِنْ» كانَ الثوبُ الذي من الخزِّ والثوب الذي من العسجدِ عبارة عن نفسِ الليلِ والنهار، للشبهِ المار، وجملةُ الأسبوعِ منحصرةٌ فيهما لا تخرجُ عنهما.

والمقصودُ من ذكرِ جملةِ الأسبوعِ تمهيدُ الإشارةِ إلى العامِ الملغزِ به بذكرِ أصله، وهو أيامُ الأسبوع.

[البيت الرابع]

[حواجبهم خمسونَ في وجهِ واحدٍ وأعينهم سبعونَ في حلقِ هُدهدِ]

فصل: وأما قوله: «حواجبهم خمسونَ في وجهِ واحد». فهو إشارةٌ إلى عددِ خمسة، لأن الخمسينَ إذا جُعلتْ في وجهِ الواحد، أي في منزلةِ الآحاد، وهي أولُ منزلةٍ على يمينك، بأن حذفتَ الصفرَ منها، فهي خمسة، وهذه الخمسةُ علاوةٌ على العقودِ الآتيةِ في عددِ أيامِ العام، فشبَّهَ الخمسةَ بالحواجبِ لأنها فوق تلك العقود، كالحواجبِ فوق العيون، وقدَّمها على تلك العقودِ لتكونَ كالحواجبِ حتى في العلوِّ والتقدُّم، وأيضاً ليوافقَ من يقدِّمُ العددَ الأقلَّ فما فوقه، كأنْ يُقال: كتبتهُ سنة ثمانٍ وثلاثمائةٍ وألف.

فصل: وأما قوله: «وأعينهم سبعونَ في حلق هدهد». فقد تقرأه «سبعون» بتقديمِ السينِ على الموحَّدة، وقد تقرأه «تسعون» بتقديمِ الفوقيَّةِ على السين.

وعلى هذا الاختلافِ يختلفُ المرادُ من «حلقِ هدهد».

فعلى تقديمِ السينِ فـ«حلق هدهدٍ» هو الهاءُ الأولى من كلمةِ هدهد، إذ حلقُ الشيء قد يُرادُ به أوَّله.

فأعينهم، أي عقودهم، هي حاصلُ ضربِ سبعين، بتقديمِ السينِ في خمسةِ عددِ الهاءِ المذكورة، وذلك ثلاثمائةٍ وخمسون، فإذا جمعتَ هذا القدْرَ إلى الخمسةِ المارَّة، التي أشارَ إليها بقوله:

حواجبهم خمسونَ في وجهِ واحد

صارتْ جملةُ السنةِ القمريةِ بجبرِ الكسر، إذ السنةَ القمريةُ ثلاثمائةٍ وأربعةٌ وخمسونَ يوماً وخُمسُ يومٍ وسُدسُ يوم.

وعلى تقديمِ الفوقيةِ فـ«حلق هدهد» هو الدالُ الأولىٰ منه، إذ الحلقُ حقيقةً داخلُ الفمِ لا الفم.

وحينئذٍ فأعينهم: هي حاصلُ ضربِ تسعين، بتقديمِ الفوقية، في أربعةِ عددِ الدالِ المذكورة، وذلك ثلاثمائةٍ وستون، فإذا جمعتَ هذا القدْرَ إلى الخمسةِ المارَّةِ التي أشارَ إليها بقوله:

حواجبهم خمسون في وجهِ واحد

صارتْ جملةُ السنةِ الشمسيةِ، أي القبطية، بإلغاءِ الكسر، إذ السنةُ الشمسيةُ ثلاثمائةٍ وخمسةٌ وستونَ يوماً وربعُ يومٍ تقريباً، وإلغاءُ الكسرِ كجبرهِ شائعُ الاستعمالِ بكثرة، ولكنه هنا لا يخلو عن قصدِ الإلغاز، شأن الألغاز.

[البيت الأخير]

[أبوهم له حرفانِ من اسمِ جعفرٍ   وحرفانِ من اسمَيْ عليٍّ وأحمدِ]

فصل: وأما قوله: «أبوهم له حرفان...» البيت، فأشارَ به إلى العامِ، الذي هو اسمُ جملةِ الأيام المذكورة، إذ فيه من لفظِ «اسمِ جعفر»: الألف من لفظِ «اسم»، والعينُ من «جعفر».

وفيه من لفظِ اسمي عليّ: الألفُ واللام، وفيه من لفظِ أحمد: الألفُ والميم.

فألف، ولام، وعين، وألف، وميم: هي العام، ففيهِ منْ كلٍّ ما ذُكِرَ حرفان، وإن كانَ أحدُ الألفاتِ مستغنًى عنه في تركيبِ الاسم، فأوهمَ أنه غيرُ مستغنًى عنه للإلغاز.

[الجواب نظماً]

فصل: وقد أشرتُ إلى الجوابِ نظماً بقولي:

أقولُ لمنْ ألقىٰ المسائلَ مُلغزاً   على الناسِ إرشاداً بروحي تفتدي

أجبتُكَ إيناساً لأنك مؤنسٌ   وأيضاً فمن شاءَ الهدايةَ يهتدي

نجومٌ وشمسٌ بدرُها وملائكٌ   وجمعتُها خمسُ المعيةِ فاسعدِ

وإلَّا فإسمُ الخمسةِ العددِ الذي   تعدُّ به يا صاحِ فاعرفْهُ ترشدِ

وأما السؤالُ الثانِ فالعامُ كلهُ   وتفصيلهُ الأسبوعُ سبعٌ بلا دَدِ(1)

إذا ضربوا سبعينَ منها بخمسةٍ   وزيدَ عليها خمسةٌ تمَّ فاعدُدِ

(1) «الدد» يأتي تفسيره.

وإن قلتها بالتَّا ضربتَ بأربعٍ وزدتَ عليها الخمسَ دونَ تردُّدِ
فبالباءِ تتلو سينَها قمريةً وبالتاءِ قبل السينِ شمسية الغدِ
وذلك أن الهاءَ من لفظِ هُدهدٍ أو الدالَ منه حلقهُ فادْرِ مقصدي
أبوهم هو العامُ الذي منه واحدٌ وسبعونَ من لفظِ اسمِ جعفرِ الندي
كذا ألفٌ واللامُ من إسمِ حيدرٍ كذا ألفٌ والميمُ من لفظِ أحمدِ
فمنْ كلِّ ما قدْ مرَّ حرفانِ إنما لتعميةٍ قد زِيْدَ حرفُ توحُّدِ
فخذْه جواباً لم يَحُمْ حوله فتًى من الحلوانيّ الشهيرِ بأحمدِ

وقوله: «بلا دد»، كيَد، وهو أحدُ لغاتهِ الستِّ التي ذكرناها في «قطع اللجاج» أي: لعب.

ومنه ما في خبر «**لستُ من دَدٍ ولا الدَّدُ مني**».

رواه البخاري في الأدب والبيهقي والطبراني[1].

وفي رواية «**لستُ من دَدٍ ولا دَدٌ مني، ولستُ من الباطلِ ولا الباطلُ مني**».

رواه ابن عساكر[2].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٧٥٤)، الأدب المفرد (٧٨٥).
وفي سندهما يحيى بن محمد بن قيس، أبو زكير البصري، الذي قال فيه العقيلي وقد أورد حديثه هذا: لا يتابع على حديثه. الضعفاء للعقيلي (٤/٤٢٧). لكن قال في تحرير التقريب (٧٦٣٩): ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد.

(٢) تاريخ ابن عساكر (٣٨/ ٣٦٩) دون الجملة الأخيرة، وقد ضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٤٦٧٣).

أي لستُ من أهلِ اللعبِ ولا اللعبُ من طريقتي. ولذا كان مزحهُ حقاً.

ونحوهُ خبر «**لستُ من الدنيا وليستِ مني، إني بُعثتُ والساعةَ نستبق**».

رواه الضياء(١).

وهو كناية «عن قربِ الساعةِ وقصرِ مدَّةِ بعثتهِ بالنسبةِ لما مضى.

وليكنْ هذا آخرَ هذه الكلمات. والحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتمُ الصالحات، وصلّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آلهِ وصحبهِ وسلّم.

فرغتُ من تبييضهِ يومَ الجمعة رابعَ عشري ربيعٍ الأوّل سنة ١٣٠٨(٢).



---

(١) وصححه له في صحيح الجامع الصغير (٥٠٨٠).

(٢) بلغ مقابلة من النسخة المصفوفة وقراءة بقراءة الشيخ عبد الله التوم، وحضور السادة الفضلاء والمشايخ الأجلّاء: محمد بن ناصر العجمي، وعماد الجيزي، وحضر أيضاً إبراهيم بن أحمد التوم أخو الشيخ القارىء، وكاتب السطور الفقير إلى الله نظام يعقوبي العباسي، فصحَّ وثبت والحمد لله. وذلك في مجلس واحد قبيل صلاة التهجد ليلة ٢٢ رمضان المبارك ١٤٣٢هـ بصحن المسجد الحرام تجاه الركن الشامي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه

نظام بن محمد صالح يعقوبي



لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(١٨٧)



تأليف
أحمد بن أحمد الحلواني الخليجي
المتوفى سنة (١٣٠٨ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
محمد خير رمضان يوسف

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وكفى، وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصطفى، أما بعد:

فيقولُ الفقيرُ الفاني، أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني، بلغَهُ الله وأحبابَهُ الأماني: هذا «**قطعُ اللَّجاج في الإجاج**» النوعُ المعروفُ من السمك.

وهو ألذُّ أنواعِهِ وأطيبُها بدونِ شك، لا سيما إذا كان صيادية[1]، وهي الكوشانُ في اللغة العربية، كما أشرتُ إلى ذلك بقولي مورِّياً:

إن جـاءَ يـومـاً سـمـك　　مـن أطـيـب الإجـاج حـيّ

فـقـلْ لـصـيـاديـة　　ولا تـقـولَـنَّ لـشـيّ

وذلك أني طالما سُئلتُ عنه: أهو بالهمزةِ أو القافِ كما اشتهر؟ وهل هو بالكسرِ أو الضمِّ أو الفتح؟ وما أصلهُ ومعناهُ فيما يعطيهِ النظر؟

---

(١) وهي الكوشان، وهو الأرز بالسمك مصبوغاً بفتيتٍ مقلوٍّ البصل، المسمى بالكشنى، كبشرى. وبيان أنه فعلان أو فوعال، وأن الصيادية منسوبة لماذا؟ مفصل في كتابنا «صندوق العجب فيما اتفق من الأضداد في لغة العرب»، اهـ. لمؤلفه.

وأنا أجيبُ عن السؤال، جوابَ الاستعجال، إلى أن سألني البدرُ المنير، شقيقُ الروضِ النضير، زادهما الله أنواراً، وازدهاءً وازدهاراً، فجمعتُ في ذلك هذه الفصول، والله المسؤول، في بلوغ السول.

فصل
[حركة الهمزة في إجاج]

النظرُ في أصولِ اللغةِ العربية، زادها الله شرفاً، يعطي أن الأجاجَ المذكورَ ليس بالقاف، فقد نصَّ أئمةُ العربيةِ أن الجيمَ والقافَ لا تجتمعانِ في كلمةٍ عربية، إلا أن تكونَ حكايةَ صوتٍ أو معرَّبة، وهذه ليستْ حكايةَ صوتٍ كما هو ظاهر، ولا معرَّبة، إذ لم ينقلها أحدٌ في هذا المعنى، وإنما جاءَ في القاموس من مادّتها القجقجة، وأنها لعبةٌ لهم تسمَّى عظم وضّاح، فزادَ شرَّاحهُ أنها معرَّبة.

فإذا تقرَّرَ هذا تعيَّن في الأجاج إذا خرَّجناهُ على اللغةِ العربية أن يكون بالهمزةِ لا بالقاف، وأن يكونَ من أجَّتِ النارُ تئجُّ أجيجاً كأمير، وأُجاجاً كغُراب، إذا تلهَّبتْ وتوهجَّتْ وصارَ لها صوتٌ يُسْمَع، ومن ثمَّ أطلقوا الأجيجَ على تلهُّبها وعلى صوتها.

والأَجَّة بفتحٍ فشدّ: المرَّةُ من الأَجّ، بمعنى التلهُّب والتوهُّج، وقد أطلقوها أيضاً اسماً لشدَّةِ الحرِّ وتوهُّجه، وجمعوها على إجاجٍ بالكسر، كحرَّةٍ وحِرار، والحرَّةُ: الأرضُ ذاتُ الحجارةِ السود؛ وسَلَّةٍ وسِلال، والسلَّةُ هي: جُؤنةُ العطّار، بضمِّ الجيم، أي وعاءُ عِطْره؛ ونَعجةٍ ونِعاجٍ، وجَفْنةٍ وجِفانٍ.

فكأنَّ الأمهاتِ من هذا الأجاجِ تلقي ما في بطونها من أبازيرِ بطارخها[1] في وقتِ توهُّجِ الحرّ طائفةً منها بعد طائفة، فتأخذُ تلك الأبازيرُ من ذلك الوقتِ المتوهِّج الحرِّ في النموِّ وتتربَّى شيئاً فشيئاً حتى تبلغَ مداها الذي تُؤكلُ فيه، وهو أوائلُ الشتاء.

فمن هنا قيلَ لها الإجاج بكسر الهمزة، تسمية لها باسمِ توهُّجاتِ الحرِّ في الزمنِ الذي كان فيه ابتداءُ أمرها، فهو علمُ جنسٍ على هذا النوع، منقولٌ من جمع أجة كما ترى، و«أل» فيه لِلَمْحِ المعنى الأصلي من أوّلِ النقل، وتُحذفُ لإضافتِهِ أو ندائِهِ لو صح.

ونظيرهُ أسماءُ أيامِ الأسبوع، فهي أعلامٌ جنسيةٌ منقولةٌ من الأعدادِ مثلاً، دخلتْ عليها «أل» للمح المعنى الأصليِّ مقارنةً للنقل، كما قاله الروداني[2].

وقد كان يلوحُ قبلَ تحقيقِ هذا أنه بضمِّ الهمزة، إما من الأُجاج، الذي هو تلهُّبُ النارِ أو صوتها، لأن زمنَ ابتدائها متوهِّجُ الحرِّ كالنارِ المتلهِّبة، أو من الأُجاج الذي هو الماءُ الملح، أو الشديدُ الملوحةِ والمرارة؛ لأنه محله.

---

(١) الأبازير جمعه أبزار، الذي هو جمع بِزر. والبطارخ: بيض السمك المؤهل للأكل، أصله من كلمة يونانية تعني الضفدع. ينظر المفصل في المعرب والدخيل (ص٩٤). وورد في نفح الطيب (٢/ ٣٥٠): أن أهل القاهرة يأكلون البطارخ.

(٢) محمد بن سليمان الفاسي الروداني، محدث عالم بالنحو، قُلِّد النظر في أمر الحرمين، من مؤلفاته: «حاشية على التسهيل في النحو»، (ت١٠٩٤هـ). معجم المؤلفين (١١/ ٢٢١)، الأعلام (٦/ ١٥١).

ولكنَّ هذا الوجهَ ليس بذاك، لأَنَّ المتداولَ المتواترَ على ألسنةِ أهلِ بلاده، وهم أدرىٰ أصالة، إنما هو كسرُ الهمزة، والأصلُ عدمُ التحريف، ولأن الماءَ الملحَ محلٌّ غيرِ الأجاجِ أيضاً، وإن كان وجهُ التسميةِ لا يوجبها، إلا أنه إذا كان قائماً منقدحاً متبادراً بلا مانع، كان أحرىٰ بإيجابها وأولى بها.

فتحرَّرَ أنه بالهمزة، وأن القافَ فيه لحن، وأنه **بكسرِ الهمزةِ على التحقيق**، وإن احتملَ الضمَّ على بُعدٍ سحيق.

وأما الفتح، كما في لغةِ أهلِ القاهرةِ ومن حذا حذوهم، فلا وجهَ له، كما لا وجهَ لفتحهم همزة «إيوه» الجوابية، فالصوابُ كسرها، إذ أصلها «إي والله» بمعنى نعم والله، أو إي وربي، أو نحو ذلك، فحذفوا المُقْسَمَ به تعظيماً أو تخفيفاً، وألحقوا به هاءَ السكت.

فصل
[اجتماع الجيم والقاف في حكاية الصوت]

قلنا: لا تجتمعُ الجيمُ والقافُ إلا في حكايةِ صوت، أو كلمةٍ معرَّبة.

فأما حكايةُ الصوتِ فنحو: (جَلَنْبَلَقْ) بجيمٍ فلامينِ بينهما نونٌ فموحَّدةٌ، آخرهُ قافٌ عقبَ اللامِ الثانية، وكلها مفتوحةٌ إلا النونُ والقافُ فبالسكون.

قال في الصِّحاح: جلنبلق حكايةُ صوتِ بابٍ ضخمٍ في حالِ فتحهِ وإصفاقه، جَلَنْ على حِدة، وبَلَقْ على حدة[1]، أنشدَ المازني:

---

(١) ينظر مادة ج ق، (١/ ٤٥) من مختار الصحاح.

فتفتحهُ طوراً وطوراً تُجيفه فتسمعُ في الحالينِ منه جَلنبلقْ[1]

وإصفاقهُ وإجافته: إغلاقه.

فالإصفاقُ كأنه من الصَّفْق، بفتح فسكون، بمعنى ضربِ اليدِ على اليدِ وإطباقها عليها.

والإجافةُ كأنها من الجوف، فكأنه لمّا أغلقهُ جعلهُ ذا جوف.

ومثلُ جلنبلق: «حَبَطَقْطَقْ» بفتح الحاءِ المهملةِ والموحَّدة والطاءينِ وسكونِ القافين، في قوله:

جرتِ الخيلُ فقالت حَبَطَقْطَقْ حَبَطَقْطَقْ[2]

فهي حكايةٌ لصوتِ جري الخيل.

وكذا الطَّقْطَقَةُ والدَّقْدَقَة، فكلتاهما حكايةٌ لصوتِ حوافرِ الدواب.

وكذا البَعْبَعَة، بفتح الموحَّدتينِ، لحكايةِ بعضِ الأصوات، أو لتتابعِ الأصواتِ في عجلة.

وكذا البَعْبَع، كجعفر، لحكايةِ صوتِ الماءِ المتداركِ إذا خرجَ من إنائهِ، إلى غيرِ ذلك مما أشبهها من حكاياتِ الأصوات، وإن لم تجتمعْ فيها جيم وقاف.

---

(١) لسان العرب (١٠/٣٦).

(٢) المصدر السابق (١٠/٣٨).

[اجتماع الجيم والقاف في الكلمة المعرَّبة]

وأما المعرَّبةُ ممّا اجتمَع فيه جيمٌ وقاف، فكثيرةٌ جدّاً، نذكرُ منها ما تحصلُ به المؤانسة، فمنها:

مطلب: جابلقا وجابلصا:

كلتاهما بجيم فألفٍ ليِّنةٍ فموحَّدةٍ مفتوحة، بعدها في الأولى لامٌ مفتوحةٌ وتُسَكَّنُ فقاف. وفي الثانيةِ راءٌ أو لامٌ كذلك، فصادٌ مهملةٌ قد تُبدَّلُ سيناً كذلك، آخرهما ألفٌ وقد تحذف. وفي «شفاء الغليل» أن مدَّها خطأ[1].

ثم الأولى بلدٌ بأقصىٰ المشرق، ليس وراءَهُ شيء، والثانيةُ بلدٌ بأقصى المغرب، ليس وراءَهُ شيء.

قال الشيخ أبو المظفَّر، المعروفُ بسبطِ ابن الجوزي، في تاريخهِ «مرآة الزمان»: إن الله تعالى مدينتين إحداهما بالمشرقِ واسمها جابلقا، والأخرى بالمغربِ واسمها جابرصا، طولُ كلِّ مدينة اثنا عشرَ ألفَ فرسخ، ولكلِّ مدينةٍ عشرةُ آلافِ باب، بين كلِّ بابينِ فرسخ، يحرسُ كلَّ بابٍ في كلِّ ليلةٍ عشرةُ آلافِ رجل، ثم يذهبونَ فلا تأتيهم النوبةُ إلى يوم القيامة، وأنهم يعمَّرونَ سبعةَ آلافِ سنة، لا ما دونها، ويأكلونَ ويشربونَ وينكحون، وفيهم حِكَمٌ كثيرة، وأنّ هاتينِ المدينتين خارجتانِ عن هذا العالم، لا يرونَ شمساً ولا قمراً، ولا يعرفونَ آدمَ ولا إبليس، يعبدونَ الله عزَّ وجلَّ ويوحِّدونه، ولهم نورٌ من نورِ العرش، يهتدونَ به من غيرِ شمسٍ ولا قمر، اهـ.

---

(١) بلغ قراءةً وتصحيحاً على د. المحاربي، بصحن الحرم ٢٢ رمضان ١٤٣٢هـ.

وروى الثعلبيُّ في «العرائس» بسندٍ ضعيفٍ عن ابن عباسٍ مرفوعاً «إن الله تعالى خلقَ مدينتينِ إحداهما بالمشرقِ والأخرى بالمغرب، على كلِّ مدينةٍ منهما عشرةُ آلافِ باب، ما بين كلِّ بابٍ إلى الآخرِ مسيرةُ فرسخ، فأهلُ المدينةِ التي بالمشرقِ من بقايا عاد، من نسلِ مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهودٍ عليه السلام، واسمها بالسريانية برقيشا، وبالعبرانية جابلق، واسمُ المدينةِ التي بالمغربِ بالسريانيةِ برجيسا، وبالعبرانيةِ جابرسا.

ينوبُ على كلِّ بابٍ من هاتينِ المدينتينِ كلَّ يومٍ عشرةُ آلافِ رجلٍ في الحراسة، وعليهم السلاحُ ومعهم الكُراع ـ بزنةِ غُراب، أي الخيل ـ، قال: لا تنوبهم تلك الحراسةُ بعد ذلك اليومِ إلى يومِ يُنفخُ في الصور.

والذي نفسُ محمدٍ بيدهِ، لولا كثرةُ هؤلاءِ القومِ وضجيجُ أصواتهم لسمعَ أهلُ الدنيا وقعَ هذه الشمسِ حين تطلعُ وحين تغرب.

ومن ورائهم ثلاثُ أممٍ لا يعلمهم إلا الله تعالى، ومن ورائهم يأجوجُ ومأجوج.

وإن جبريلَ عليه السلام انطلقَ بي إليهم ليلةَ أُسري بي إلى السماء، فدعوتُ يأجوجَ ومأجوجَ إلى الله تعالى وإلى دينه، فأبوا أن يجيبوني، فهم في النارِ مع من عصىٰ الله من ولدِ آدم وولدِ إبليس.

ثم انطلقَ بي إلى هاتينِ المدينتين، فدعوتهم إلى الله تعالى وإلى دينهِ وعبادته، فأجابوا وأنابوا، فهم إخواننا في الدين، من أحسنَ منهم فهو مع المحسنين، ومن أساءَ فهو مع المشركين.

ثم انطلقَ بي إلى الأممِ الثلاثة، فدعوتهم إلى دينِ الله وعبادته، فأبوا عليَّ وكفروا بالله وكذبوا برسله، فهم مع يأجوجَ ومأجوجَ وسائرِ مَنْ عصى الله تعالى في النار»[1].

وروى ابن قتيبة أن الحسنَ بن علي رضي الله عنهما لمَّا قدمَ على معاوية رضي الله عنه بالشام، صعدَ المنبر، فكانَ أوّلَ كلامهِ أن قال: أيها الناس، لو طلبتم ابناً لنبيِّكم من جابلص إلى جابلق لم تجدوا غيري وغير أخي[2] ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[3].

مطلب: المنجنيق:

ومنها: «المَنْجَنيق»، بفتحِ الميم وتكسر، وسكونِ النونِ الأولى وفتحِ الجيم، فنون، وقد تبدَّلَ لاماً فيُقال: مَنْجَليق، فتحتية، وقد تبدلُ واواً فيُقال: منجنوق.

وفي الميمِ والنونِ الأولى ثلاثةُ أقوال: قيل إنهما أصليتان، وقيل: زائدتان، وقيل: الميمُ أصليةٌ والنونُ زائدة.

---

(١) رواه الثعلبي في حديث طويل جداً في قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس (ص١٨) من حديث طويل جداً. وهو من حديث الإسراء الموضوع على ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده مقاتل [ابن سليمان] الذي كذَّبوه وهجروه ورُمي بالتجسيم، كما في تحرير التقريب (٦٨٦٨). وروي بطرق أخرى. . . تراجع في تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة (١/ ١٨٠)، واللآلىء المصنوعة (١/ ٤٩).

(٢) جاء هذا في البدء والتاريخ (٥/ ٢٣٧) وأنه كان في الكوفة.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١١١.

قال ابن الطيب(١) في حواشي القاموس: والصوابُ عندي أن حروفَهُ كلَّها أصلية. لأنه عجمي، فلا سبيلَ فيه إلى دعوىٰ الاشتقاق، ولا مرجِّح في ادعاءِ زيادةِ بعض الحروفِ دونَ بعض، ولا داعي لذلك، اهـ.

وهو كما قال، إذ هو معرَّبٌ من الفارسية، وفارسيتهُ «مَنْ جَهْ نِيك» بكسرِ النون، أي: أنا ما أجودني، فتفسير «مَنْ» أنا، وتفسيرُ «جَهْ» أيش، أي: أيُّ شيء، أي عظيمُ شيء. وتفسيرُ «نِيْك»: جيد، أي أنا عظيمٌ، شيءٌ جيد.

فحاصلُ معناه: أنا ما أجودني، ثم عُرِّبَ فقيل: منجنيق. فليس في حروفِهِ حرفٌ زائد، ولا سبيلَ فيه إلى دعوىٰ اشتقاقِهِ من شيء.

مطلب: لا يشتقُّ عجميٌّ من عربيّ:

إذ لا يُشتقُّ عجميٌّ من عربي، ولا عربيٌّ من عجمي، وإن اشتَّقوا منه فقالوا: جَنقوا يَجنقون، كضَربوا يَضربون، وجَنقوا تجنيقاً، ومَجْنقوا. فهذا الأخيرُ مبنيٌّ على توهُّمهم أصالةَ الميم، بخلافِ ما قبلهُ فمبنيٌّ على توهُّمهم زيادتها.

وكثيراً ما يشتقونَ الفعلَ وفروعَهُ من الألفاظِ الأعجمية، وهو من براعةِ العربِ وقوَّةِ فصاحتها وطلاقةِ لسانها وقدرتها على التصرُّفِ في الكلام، وهو كما قال ابنُ الطيب: إما أن يلحقَ بالمنحوت، أو بالمأخوذِ من الألفاظِ الجامدة، كتحجَّرَ الطينُ صار حَجراً ونحوه، اهـ.

---

(١) هو محمد بن الطيب محمد المالكي الفاسي، نزيل المدينة ووفاته بها، شيخ الزبيدي صاحب تاج العروس، وهو صاحب «إضاءة الراموس» حاشية على قاموس الفيروزأبادي، (ت١١٧٠هـ). الأعلام (٦/ ١٧٧).

وفي «**المزهر**» ما صفوته: إنَّ بعضَ العلماء سُئلَ عما عرَّبَتْهُ العربُ واستعملتْهُ في كلامها: هل يُعطى حكمَ كلامهَا فيشتقُّ ويشتقُّ منه؟

فأجابَ بأن: المعرَّبَ ضربان:

أحدهما: أسماءُ الاجناس، كالفِرَنْد، والإبرِيسم، والإستبرق، واللِّجام، والمنجنيق.

وثانيهما: ما كان علماً أصالة، فأجْرَتْهُ العربُ على علميتهِ كما كان، لكنهم غيَّروا لفظَهُ وقرَّبوهُ من ألفاظهم، وربما ألحقوهُ بأمثلتهم، أي موازينهم، وربما لم يلحقوه.

ويشاركهُ الضربُ الأولُ في هذا الحكم لا في العَلَمية، إلا أن يُنقلَ كما نُقلَ العربي، وهذا الثاني هو المعتدُّ بعُجْمتِه في منعِ الصرف، بخلاف الأوّلِ، وذلك كإبراهيم، وإسماعيل، وسائرِ أسماءِ الأنبياء، إلا العربيَّ منها، كهودٍ وصالح، وكذا غيرُ أسمائهم من أسماءِ الناسِ، كفيروز، ورُسْتم بضمِّ الراءِ والفوقية، كما في «الوفيَّات»[1]، أو وفتح الفوقية، كما ضبطهُ غيره[2]، ومن أسماءِ البلادِ كبلخ، وسَمَرْقند، وغيرِ ذلك، فما كان من الضربِ الأولِ فأشرفُ أحوالهِ أن يُجرىٰ عليه حكمُ العربيّ فلا يتجاوزُ به حكمه.

فقولُ السائل: «يشتقُّ»، جوابهُ المنع، لأنه لا يخلو أن يُشتقَّ من لفظٍ عربيٍّ أو عجميٍّ مثله، ومحالٌ أن يُشتقَّ العجميُّ من العربيّ، أو العربيُّ منه، إذ اللغاتُ لا تشتقُّ الواحدةُ منها من الأخرى، مواضعةً كانت أو إلهاماً، وإنما يشتقُّ في اللغةِ الواحدةِ بعضُها من بعض،

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٦).

(٢) ضبطه بفتح التاء: السمعاني في «الأنساب» (٣/ ٦٢).

إذ الاشتقاقُ نِتاجٌ وتوليد، ومحالٌ أن تُنتجَ النوقُ إلا حُوراناً[1]، وتلدَ المرأةُ إلا إنساناً.

وقد قيل: من اشتقَّ الأعجميَّ المعرَّبَ من العربي، كان كمنِ ادَّعىٰ أن الطيرَ من الحوت.

وقولُ السائل: «ويشتقُّ منه»، فقد لعمري يجري على هذا الضربِ المعرَّبِ كثيرٌ من أحكامِ العربي، مِنْ تصرُّفٍ فيه واشتقاقٍ منه.

ألا ترى أنهم تصرَّفوا في «لِغام» بالغينِ المعجمة فقالوا فيه لِجَام بالجيم، وجمعوهُ على لُجُم، وصغرَّوهُ على لُجيِّم بشدِّ التحتيةِ مكسورة، بل صغَّروهُ على لُجَيْم بسكونها كتصغيرِ الثلاثي، فحذفوا زوائدَهُ، واشتقُّوا منه أمراً وغيره، فقالوا: ألجمه، وقد ألجمه، وأتوا منه بمصدرٍ وهو الإلجام، وباسمِ الفاعلِ في رجلٍ مُلْجِم، واسمِ المفعول في فرسٍ مُلْجَم، وغيرِ ذلك، كما في الخبرِ من قولهِ ﷺ للمرأة: «**استثفري وتلجَّمي**»[2].

فهذا تفعُّلٌ من اللِّجام.

وتصرَّفوا فيه بالاستعارة، كما في خبر: «التقيُّ مُلجَم»[3].

---

(١) الحُوار: ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يُفطم ويفصل.

(٢) أخذه المؤلف من النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٣٥)، قال: أي اجعلي موضع خروج الدم عصابة تمنع الدم، تشبيهاً بوضع اللجام في فم الدابة، اهـ. وهو رواية وردت كذلك، كما في التلخيص الحبير (١/ ١٦٣)، وينظر تخريج رواياته هناك.
وأصله في صحيح مسلم وغيره، وفيه قوله ﷺ لأسماء بنت عميس: «اغتسلي واستثفري وأحرمي...». صحيح مسلم (١٢١٨).

(٣) ليس هو بحديث كما يظن، بل قول أو مثل. ينظر التمهيد لابن عبد البرّ (٢١/ ٢٨٩)، وعون المعبود (١٠/ ٦٦)، ومجمع الأمثال (١/ ١٣٩).
وفي فصل المقال (١/ ٢٢) أنه من قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله، =

شبَّه التقيَّ بالفرسِ الملجم؛ لكفِّهِ لسانَهُ وكفَّه.

وتكادُ تقضي بعربيَّةِ اللجام، لتمكُّنهِ في الاستعمالِ والتصرُّف، لولا ما قَضَوا به من أنه معرَّبُ لِغام.

ونحوه لفظُ «ديوان»، إذ اشتقُّوا منه فقالوا: دوَّن، وقد دوَّن، وجمعوهُ على دواوين، وقضَوا بأن الأصلَ فيه دوَّان، بشدِّ الواو، فأبدلوا إحدىٰ واويه ياء، بدليل ردِّها في جمعهِ واواً.

وكذا دينار، فأصله دنّار، بشدِّ النون، فأبدلوا الياءَ من إحدىٰ نونيهِ وردُّوه في الجمعِ والتصغيرِ إلى أصلهِ فقالوا: دنانير، ودُنينير، إلى غير ذلك ممّا في نحو قول العجاج:

كالحبشيِّ التفَّ أو تسبَّجا[1]

فهو تفعُّلٌ من السَّبيجِ، معرَّبُ شبي[2]، أي: ثوبٌ أسود.

وقول الآخر:

فكرنبوا ودولبوا[3]

أي: قصدوا كرنبا ودولاب: مدينتانِ عجميتان.

= وكذا في شعب الإيمان (٥٧٨٨).

(١) الشطر الثاني منه: كما رأيت في الملاء البردجا. أدب الكاتب (١/ ٣٨٥).

(٢) في الأصل: «بشي»، وتصحيحه من المزهر للسيوطي (١/ ٢٣١).

(٣) قول الراجز:

كرنبوا ودولبوا وحيث شئتم فاذهبوا

من قول حارثة بن بدر لأصحابه الأزارقة، كما في الأغاني (٦/ ١٥٥). وورد في الأصل. فكربنوا... كربنا. وتصحيحه من المصدر المذكور وغيره.

وقولِ الأعشى:

حـتـى مـاتَ وهـو مُـحَـرْزَق[1]

معرَّبُ هرزوقا، أي: مخنوق، نبطية.

مطلب: المهرجان والنوروز:

وقولِ عليٍّ كرَّم الله وجهَهُ فيما جاء، أنه أُهدي إليه في النوروزِ الخبيصُ فقال: نَوْرِزُوا لنا كلَّ يوم، وفي رواية: نَيْروزونا كلَّ يوم. وفي المهرجان فقال: مَهْرِجونا كلَّ يوم. فمهرجوا: فعلُ أمرٍ جارٍ على لفظِ المهرجان، وهو مركبٌ من كلمتين: مهر، بكسرٍ فسكون، ومعناها محبة، وجان، ومعناها الروح، فحاصلُ معناهْ مركباً: محبةُ الروح، وهذا لا يخفىٰ بُعدهُ من المقام.

وقيل: مَهْر بفتحٍ فسكون: الشمس، وجان: الروح، فمعناهُ مركباً: روحُ الشمس، لأنه اليومُ السادس عشر من شهر مهرماه الفارسي، وذلك عند نزولِ الشمسِ أولَ الميزانِ في الخريف، وكان قبل ذلك يوافقُ أوّلَ الشتاء، ثم تقدّمَ عند إهمالِ الكبسِ[2] حتى بقيَ في الخريف، وهو من أعيادِ الفرس.

ونَوْرِزُوا فعلُ أمرٍ جارٍ على لفظِ أصلهِ في الفارسية، وهو النوروزُ بالواو، وهو اسمُ أولِ يومٍ من السنةِ عند الفرسِ عند نزولِ الشمسِ أوّلَ

---

(١) ما زال ينقل من المزهر للسيوطي (١/ ٢٣١)، والبيت كاملاً كما في تاريخ الطبري (١/ ٤٧٨) وغيره:

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرزق

(٢) لعله يعني السنة الكبيسة، التي تحتوي على يوم إضافي.

الحمل، وعند القبطِ أوّلَ توت[1].

وأَصلُ معناه في الفارسية: اليومُ الجديد.

ونَيْرزُونَا فعلُ أمرٍ أيضاً جارٍ على لفظِ معرَّبه، وهو النيروزُ بالتحتية.

وإنما عرَّبوهُ إلى فَيْعُول لأنه في كلامهم كثير، كقَيْصُومٍ لنبتٍ طيب، ودَيْجورٍ للظلمة.

وفَوْعُولُ معدومٌ في كلامهم، ولكن إذا اشتُقَّ الفعلُ منه بالواوِ فقيل: نورز، كان نظيرَ حَوْقَل وهَرْوَل، وإذا اشتُقَّ منه بالتحتية فقيل: نَيْرَز كان نظيرَ يَبْطَر وبَيْقَر، والفاعلُ من الأولِ مُنَوْرِز، ومن الثاني مُنَيْرِز.

فهذه نبذةٌ مقنعةٌ في بيانِ ما تصرَّفَ من الألفاظِ العجمية، وهو الضربُ الأول.

فأما الضرب الآخر، وهو الأعلام، فبعيدةٌ من هذا كلَّ البعد، بل لها أحكامٌ تختصُّ بها من جمعٍ وتصغيرٍ وغيرِ ذلك، مبيَّنةٌ في محالِّها.

وجملةُ الجوابِ: أن الأعجميةَ لا تشتقُّ، أي لا يُحكمُ عليها بأنها مشتقَّة، وإن اشتُقَّ من بعضها.

فإذا وافق لفظٌ أعجميٌّ لفظاً عربياً فلا تظنَّ أحدَهما مأخوذاً من الآخر، فإسحاقُ اسمُ النبيِّ ليس من لفظِ أسحقَهُ الله إسحاقاً، أي أبعدَهُ في شيء، وكذا يعقوبُ ليس من اليعقوبِ اسمِ الطائرِ في

---

(١) وبه فسر يومُ الزينة في آية ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ فقيل: هو يوم النيروز، وقيل: هو يوم عاشوراء، وقيل: يومُ عيد كان لهم كل عام، وقيل: يوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون فيه، والجمع ممكن، اهـ لمؤلفه.

شيء، وكذا سائرُ ما وقعَ من الأعجميِّ موافقاً لفظهُ لفظَ العربي.

هذا كلامه ملخصاً مع زيادةٍ يسيرة، وهو يؤيِّدُ ما أسلفناهُ عن ابن الطيّب[1].

وبعد: **فالمنجنيق مؤنَّث**، ولذا تكنى أمَّ فروة، وقد يذكَّر، وإذا جمعناهُ بالألفِ والتاءِ لأنه مؤنث قلنا: منجنيقات، فإن جمعناهُ جمعَ تكسيرٍ حذفنا إحدى نونيه، فإن حذفنا الأولى قلنا: مجانيق، أو الثانيةَ قلنا: مناجيق.

هذا ومعلومٌ أنه آلةٌ تُرمىٰ بها الحجارة، قال ابن الطيب، بأن تشدَّ سواريُّ الخشب مرتفعةً جدًّا، ويُوضَعُ عليها ما يُرادُ رميه، ثم يُضْرَبُ بساريةٍ توصلهُ لمكانٍ بعيدٍ جدًّا.

قال: وهي آلةٌ قديمة، قبل وضعِ النصارى للبارودِ والمدافع، اهـ.

قيل: إن أوّلَ من وضعَهُ جُذيمة، بفتح الجيمِ وكسرِ الذالِ المعجمة، على ما يؤخذُ من كتبِ اللغة، أو بالتصغير، على ما صرَّحَ به في «شَرح المواهِب»: الأبرشُ ملكُ الحِيْرة[2]، بكسرِ الحاءِ المهملةِ، التي زالتْ وبُنيَ مكانَها الكوفة، وكان ملكَ العرب، وكأنها أوّليةٌ نسبية، وإلا ففي تفسيرِ الواحدي «الوسيط» أن المشركين لما عزموا على إحراقِ الخليلِ عليه السلامُ وأضرموا النارَ لم يدروا كيف يُلقونهُ فيها،

---

(١) المزهر في اللغة (١/ ٢٢٨). وقد بدأ النقل من أول المطلب السابق (لا يشتق عجمي من عربي) (ص٥٣).

(٢) كالقاموس والصحاح والمحكم واللسان، فانظر من أين لشارح المواهب التصغير، فنحن مع الجمِّ الغفير، اهـ. مصححه (مصحح الأصل).

فجاءهم إبليسُ لعنه الله تعالى فدلهم على المنجنيق، وهو أوّلُ منجنيقٍ وُضع، فوضعوهُ فيه ثم رموه، اهـ.

فأوّلُ من وضعَهُ على الإطلاق إبليس، أعاذنا الله منه، وأوّلُ من وضعَهُ في الجاهليةِ جُذيمةُ الأبرش[1].

مطلب: أول من أَوقد الشمع:

وجذيمةُ أيضاً أوّلُ من أوقَد الشمع، كما في «إنسانِ العيون»[2].

وفيه أيضاً عن السيوطي: أن الشمعَ أُوقِدَ لنبيِّنا ﷺ عند دفنهِ عبدَ الله ذا البِجادينِ المزنيّ رضي الله عنه وهم بتبوك[3]. والبِجادُ بموحدةٍ فجيمٍ مهملةٍ، وزَانُ كِتاب: الكساءُ المخطَّطُ الغليظ.

وأما أوّلُ منجنيقٍ رُمي به في الإسلام، فالذي نصَبَهُ رسولُ الله ﷺ على حِصْنِ الطائفِ بإشارةِ سلمانَ الفارسيِّ رضيَ الله عنه، قال: يا رسولَ الله، أرى أن تنصبَ المنجنيقَ على حِصنهم، فإنا كنا بأرضنا نصبُ المنجنيقاتِ على الحصونِ وتُنْصَبُ علينا، فنصيبُ من عدوِّنا ويصيبُ منا، وإنْ لم يكنْ منجنيقٌ طالَ الثَّوَاء، بفتحِ المثلثةِ والواوِ المخفَّفة ممدوداً، أي: الإقامةُ في محاصرتهم.

---

(١) هو جذيمة بن مالك التنوخي القضاعي الوضّاح، ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، أول من غزا بالجيوش المنظمة، وأول من عملت له المجانيق للحرب من ملوك العرب، (ت نحو ٣٦٦ ق.هـ). الأعلام (٢/ ١١٤).

(٢) وفي المعارف لابن قتيبة (١/ ٥٥٤، ٦٤٥).

(٣) وفي السيرة الحلبية (٣/ ١١٨) كذلك. وسمِّي «شعلة من نار» في السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٢٧) وغيرها.

فأمرَهُ ﷺ فعملَ منجنيقاً بيده، فنصبَهُ على حصنهم[1].

وقد طالتْ ترجمةُ المنجنيقِ بما أظنُّكَ حريصاً على استفادته، والحديثُ ذو شجون.

مطلب: جِلَّق وغوطتها:

ومنها: جِلَّق، بكسرِ الجيمِ واللامِ المشددة، وتفتحُ هذه أيضاً، وهي دمشقُ أو غُوطتها، بضمِّ الغينِ المُعجمة، وهي البساتينُ والمياهُ التي حولها، وإليها الإشارةُ بآية ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2] وقيل: الربوةُ بيتُ المقدس، وقيل: فلسطين، وقيل: مصر[3].

وبخبر «**إن فسطاطَ - أي حصن - المسلمينَ يومَ الملحمة - أي حربَ آخرِ الزمانِ - بالغوطةِ إلى جانبِ مدينةٍ يُقالُ لها دمشق، من خيرِ مدائِنِ الشام**» رواه أبو داود[4].

والغوطةُ إحدى جناتِ الدنيا المشهورة.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٨٠) وتفصيله في تخريج الدلالات السمعية (١/ ٤٩١).

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.

(٣) ينظر كل هذا في الدر المنثور للسيوطي (٦/ ١٠٠).

(٤) عند أبي داود مرسل من رواية مكحول (٤٦٤٠) بلفظ «موضع فسطاط المسلمين في الملاحم أرض يقال لها الغوطة». وصححه الألباني. وورد موصولاً في مصادر أخرى من تاريخ ابن عساكر، والمستدرك (١٧١٢) وصححه، ومسند أحمد (٢١٧٧٣)...

قال أبو بكر الخوارزمي: منتزهاتُ الدنيا أربعةُ مواضع، أي بحسبِ ما كان والافتعال، فانظرْ ما لا يحصىٰ الآنَ من الجنان.

قال: **الأوّلُ** غوطةُ دمشق.

والثاني نهرُ الأُبُلَّةَ، أي بضمِّ الهمزةِ والموحَّدةِ وشدِّ اللام، بَلدةٌ قديمةٌ كانت على أربعةِ فراسخ من البصرة، ثم اتصلتْ بها.

قال: **والثالثُ** شِعْبُ بَوَّان، أي بكسرِ شينِ شِعْب المعجمةِ وسكونِ عينهِ المهملة، وفتح موحَّدةِ بَوَّان وشدِّ واوه، آخرهُ نون، وهو موضعٌ عند شيراز، كثيرُ الأشجارِ والمياه، سُمِّيَ باسم بَوَّانِ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام.

قال: **والرابعُ** صُغْدَ سَمَرْقَند، أي بضمِّ صادِ صُغْد المهملةِ وسكونِ غينهِ المعجمةِ وإهمالِ دالهِ، وفتحِ سينِ سَمَرْقندَ المهملةِ وميمهِ، وسكونِ رائهِ المهملة، وفتحِ قافهِ وسكونِ نونهِ وإهمالِ داله، وهي أعظمُ مدينةٍ بما وراءَ النهر، أي نهرِ جيحون، سميت بذلك لأن شمرَ بن أفريقش أحدَ ملوكِ اليمن سارَ إليها في جيشٍ عظيمٍ فهدمها وأخربها، فسمِّيتْ شمركند، أي شمر أخربها، فكَنْد بالعجمي معناه أخرب، ثم عرَّبتها العربُ فقالوا: سمرقند، ثم أُعيدتْ فبقي الاسم.

وقيل: بل شمر اسمُ جاريةٍ للإسكندر، مرضتْ فوصفَ لها طبيبٌ هواءَ هذه الأرض، وكند بالتركيةِ بمعنى مدينة، وليس فارسياً، فعلى هذا فهي بمعنى مدينةِ شمر على التقديمِ والتأخير، على عادتهم في المتضايفين.

وصُغْدها موضعٌ بقربها، بديعُ المنظر، كثيرُ المياهِ والأشجار.

قال الخوارزمي: وأحسنها غوطةُ دمشق، اهـ.

ويجوزُ أن جِلَّق اسمُ دمشقَ في الأصل، ثم أُطلقَ مجازاً مرسلاً لعلاقةِ المجاورةِ على غوطتها، ويجوزُ العكس.

وانظرْ هل المرادُ بها دمشقُ أو غوطتُها في قولِ حسَّانَ رضي الله عنه:

لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتهم يوماً بجِلَّقَ في الزمانِ الأوّلِ[1]

وأطلقها على نفسِ دمشقَ من فضلها على حلب فقال:

قلْ للذي قايسَ بين حلب وجلَّق بمقتضىٰ عيانها

ما تلحقُ الشهباءُ في حلبتها تعثرُ الشقراءُ في ميدانها

أشارَ بالشهباء إلى حلب، فإنه لَقَبُها، وتلطفَ بلفظِ حلبتها في التذكيرِ باسمها.

وأشارَ بالشقراءِ إلى دمشق، فإنها تلقَّبُ به لحمرتها، وللإشارةِ إلى تفضيلها، بإشارةِ ما جاءَ مرفوعاً: «**لو أن خيلَ العربِ جُمعتْ في صعيدٍ واحدٍ ما سبقها إلا أشقر**»[2].

وجاء مرفوعاً أيضاً «**يمنُ الخيلِ في شقرها**» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي[3].

ولذا رُوي أنه ﷺ كان يستحبُّ الشُّقْرَ من الخيل[4].

---

(١) الحماسة البصرية (١/ ١٣٦)، طبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٨).

(٢) لم أره في كتب الحديث، وقد أورده النويري في «نهاية الأرب» (٣/ ٥٦).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٤٥) وأحمد (٢٤٥٤) وغيرهما، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٨١٦٢).

(٤) ذكره النويري في «نهاية الأرب».

بلغ هنا قراءةً وتصحيحاً على د. المحاربي بصحن الحرم قبيل مغرب ٢٢ رمضان ١٤٣٢هـ.

مطلب: ما أهداه المقوقس:

وجاء أن الـمُقَوقِسَ، بكسرِ القافِ الثانية، ملكُ مصر، سألَ حاطبَ بن أبي بلتعة رضي الله عنه لمّا جاءَ بكتابه ﷺ إليه: ما الذي يحبُّ صاحبُكَ من الخيل؟ فقال له: الأشقر، وقد تركتُ عنده فرساً يقالُ لها المرتجز، فانتخبَ له فرساً من خيلِ مصرَ الموصوفة، فأسرجَ وألجم، وهو فرسهُ الميمون، ويسمَّى اللِّزاز، بلامٍ وزاءينِ معجمتين، وِزانُ كِتاب، لشدَّةِ تلزُّزهِ واجتماعِ خلقه. وأهدى إليه مع ذلك عسلاً من عَسَلِ بِنها، بكسرِ الموحَّدة وتُفتح، فأعجبَ به ﷺ وقال: «**إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى**» ثم دعا فيه بالبركة، وبعث إليه أيضاً بمارية وسيرين وجارية أخرى سواهما، وخصيًّا يُقالُ له مأبور، وبغلةً شهباء يقالُ لها دلدل، وعشرينَ ثوباً من قباطي مصر، وعمائمَ وعوداً وندًّا ومسكاً وطيباً، وألف مثقالٍ من الذهب، وقدحاً من قوارير[1].

وما ألطفَ قوله «في ميدانها» إذ فيه توريةٌ بالميدان، مكانٌ مشهورٌ بدمشق.

وقد كادَ الاستطرادُ يخرجُ بنا عما نحن بصددهِ من سياقِ تفضيلِ دمشق، ولا يرتابُ أحدٌ في فضائلها لكثرةِ محاسنها، ولو لم يكنْ منها إلا أنه قد دخلها عشرةُ آلافِ عينٍ رأتِ المصطفى ﷺ لكفى.

ورحمَ الله من قال:

لا تخدعنَّ فما اللذاذةُ والمنى ومواطنُ الأفراح إلا جِلَّقُ

(١) الحديث مع شيء من القصة وزيادات في السيرة الحلبية (٣/ ٢٩٨).

لكنْ ما تزالُ حلبةُ حلبَ تذكرُ في دمشقَ أموراً، منها أن الغريبَ فيها مجفوٌّ مقصيّ، بخلافهِ في حلب، ومنها أن وباءها كثيرٌ قتّال، بخلافِ حلب، حتى لقد حمل أعرابيٌّ امرأتهُ وكانت بغيضةً إليه إلى دمشق، فلما شارفها بها قال:

دمشقُ خذيها واعلمي أنَّ ليلةً ... تمرُّ بعودَيْ نعشِها ليلةُ القدرِ
أكلتُ دماً إن لم أرعَكِ بضرَّةٍ ... بعيدةِ مهوى القرطِ طيِّبةِ النشرِ
ثلاثينَ حولاً لا أرى منكِ راحة ... لهنَّكِ في الدنيا لباقيةِ العمرِ
أما لكِ عمر إنما أنتِ حيَّةٌ ... إذا هي لم تُقتلْ تعِشْ آخرَ الدهرِ[1]

قيل: أقصُر عمرِ الحيَّةِ ثلاثمائةِ سنة.

والهاءُ في «لهنك» بدلٌ من همزةِ إنّ بالكسرِ في قولِ البصريين، وقال غيرهم: أصلهُ لله إنكْ فخفِّف[2].

وبالجملةِ فما تزالُ حلبةُ الشهباءِ تفضلها على الشقراء، حتى لقد قال بعضهم:

حلب تفوقُ بمائها وهوائها ... وبطيبِ تُربتها وحُسنِ بنائها
بلدٌ يظلُّ به الغريبُ كأنه ... من أهلها فاطربْ بحسن ثنائها

وقدأنشدتُ هذينِ البيتينِ حبيبنا السلطان حسن المشهورَ بالبك الحلبي، مفتشَ البدرشين الآن، فطربَ جدًّا، وكذا الكريمُ يحنُّ

---

(١) الحماسة البصرية (٢/ ٣٠٨).

(٢) أي بحذف اللام الأولى والألف اللينة من «الله» والهمزة «أنك» وهو تكلف. مؤلف.

إلى وطنه، كما يحنُّ النجيبُ إلى عَطَنه[1].

ومن إطلاق جِلَّقَ على دمشق ما في قول ابن الفارض رضي الله عنه[2] وفيه إشارةٌ إلى تفضيلِ مصرَ عليها:

جِلَّقُ جنَّةُ مَنْ تاهَ وباهىٰ ... ورُباها منيَّتي لولا وباها

قال غالٍ بَرَدىٰ كوثرُها ... قلتُ غالٍ بَرَدَاها بِرَداها

وطني مصرٌ وفيها وطري ... ولعيني مُشتهاها مشتهاها

ولنفسي إن سواها سكنتْ ... يا خليليّ سَلاها ما سلاها

و«غال» الأولى من الغلوِّ، وهو تجاوزُ الحدّ، والثاني من غلا السعر، وبَرَدى بفَتَحات مقصوراً نهرُ دمشقَ الأعظم، والمشتهى موضعٌ بالروضةِ من منازه مصر، «وما سلاها» يظهرُ لي أنه من سلأ السمنَ من حدِّ نفعَ مهموزاً، إذا عالجه وأذابَ زُبدَهُ حتى صفاه، فتركَ همزَهُ هنا وهو جائز، فمعناه: ما الذي أذابها حتى تركتَ سكناها؟ ولا تظنَّ أن معناهُ ما الذي حملها على السلوِّ أو أوقعها فيه، إذ لو كان كذلك لوجبَ أن يكونَ بالتشديد، أو الهمزة، فاعرفه.

وقد أذكرني كلامهُ هذا ما اعتمدهُ بعض أئمتنا الشافعيةِ من تفضيل قطر مصرَ على قطرِ الشام، خلافاً لمن عكس، أي بقطعِ النظرِ عن المسجدِ الأقصىٰ ومراقدِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، ولكلٍّ من الطرفينِ أدلةٌ تطول، ويكفيكَ من هذا المسمَّى إشارة.

---

(١) الوطن محبوب، والمنشأ مألوف، واللبيب يحنُّ إلى وطنه حنين النجيب إلى عطنه، والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله، ولا ينسى بلداً فيه مراضعه. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (١/ ٣٤٣).

(٢) بل عامله الله بما هو أهله.

وقد أذكرني أيضاً جناسهُ ورويُّهُ ما كتبهُ لي صاحبنا الأديب الذكي الصفي الوفي الشيخ حسن وفي المصري الصافي، نسبةً إلى الصافيةِ، قريةٌ بمصِرَ قربَ دُسوق، نزيلُ مكةَ المكرّمة رحمهُ الله تعالى، وذلك حين كنتُ بها سنة أربعٍ وثمانين ومائتينِ وألف، إذ قال:

مولاي أمُّ الرُّحْمِ أخصبَ روضُها بكمو وطيبُ شذا رُباها باهىٰ
كيف الحدائقُ لا تتيهُ بمكة والنيلُ من رأسِ الخليجِ أتاها

وأمُّ الرُّحْم بضِمِّ الراءِ وسكونِ الحاءِ المهملة كنيةُ مكةَ المعظَّمة، ورأسُ الخليجِ بلدنا، وهي بقربِ دمياطَ غربيِّ النيل.

وقد أذكرني أيضاً قولي مورِّياً:

قال لي عاذلي وقد مرَّ واشٍ هل سلاها الفؤادُ قلتُ سلاها
قال قلْ لي فهل تلاهىٰ بشيءٍ عن حُليِّ حسنها فقلتُ تلاها
قال كانتْ بلاهةً تلك أدَّتْ لدواهي البلاءِ قلتُ بلاها

فسلاها يُحتملُ أنه من السلوّ، وأنه من السؤال، وتلاها يُحتملُ أنه بمعنى تشاغل، وأنه بمعنى تبعها، وأنه بمعنى قرأ من التلاوة، وعلى هذا يرجعُ الضميرُ إلى حُليِّ حسنها. وبلاها يُحتملُ أنه بلاهة، فقلبتِ الهاءُ ألفاً، كما قيلَ به في آية ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[1] إذ قيل: أصلهُ سلامة، فقلبتْ ألفاً.

ونحوهُ نداما، الموَرّىٰ به في قول البُرعي رحمه الله تعالى:

يا نداما وفؤادي عندكم ما فعلتم بفؤادي يا نداما

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

ويحتملُ أنه بلاؤها فقصره، ويحتملُ أن الباءَ جارَّةٌ، وفتحتْ على لغةِ العامَّةِ الموافِقةِ لطائفةٍ من العربِ تفتحُ الباءَ الجارَّةَ للضميرِ، تشبيهاً لها باللام الجارَّة.

وفيه على هذا احتمالان:

أحدهما: أن تعودها على البلاهة، وهو تنكيتٌ مشهور، كما تقولُ لمن قال: هذه حلاوةٌ بلاها، أي بلا حلاوة، فتعيدُ الضميرَ على الحلاوةِ بمعنى آخرَ سوى ما في كلامِ مخاطبِكَ على وجه الاستخدام.

وثانيهما: أن يُرادَ بدون ها في الدواهي، على معنى أنها كانت دواءَ البلاء، فاعرفه.

وقد أذكرني أيضاً بذلك قول بعضهم:

ربِّ هوِّنْ على فتاتي فتاتي ... لترىٰ ما رأى فتاها فتاها

علمتهُ من لحظها آيَ سحرٍ ... ما تلاهىٰ عن حبِّها ما تلاهىٰ

وقد عزَّزتهما بقولي:

ربِّ واقطعْ عمرَ الرقيبِ فإني ... كلما قلتُ قد تناهى تناهى

وقوله: «قد تناهى» أي تراجع، مأخوذٌ من النَّهي، وقوله: «تناهى» معناهُ بلغَ النهايةَ في الإيذاء، فهو من النهاية، كما في قوله:

وعند التناهي يَقْصُرُ المتطاولُ[1]

وفيه توريةٌ عامية، فإنه يحتمل أيضاً أنه ثناها بالمثلثةِ في الأصلِ فأبدلها فوقية، أي عطفها عني، فافهم.

---

(١) هو الشطر الثاني من بيت للمعري، صدره:

وإن كنت تبغي العيش فابغِ توسُّطاً

الحماسة المغربية (٢/ ١٢٦٨).

ومنها: «الجوسقُ»:

وزانُ جعفر، معرَّبُ كوشك، وهو القصر، وهو أيضاً الحِصن، ويصلحُ لهما قولُ أبي سعد بن هبة الله بن الوزير المطلبي[1] مورِّياً:

تنانيركم للنملِ فيها مدارجُ ... وفي قِدْرِكم للعنكبوتِ مناسجُ
وعندكمُ للضيفِ يومَ يزوركم ... حوالاتُ سوءٍ كلها وسفاتجُ
إذا سَهَّلَ الإذنُ العسيرَ ورُفِّعَتْ ... ستُورُكَ فانظرْ لي بما أنا خارجُ
فسيَّانَ بيتُ العكبوتِ وجوسقٌ ... رفيعٌ إذا لم تُقْضَ فيه الحوائجُ

و«السفاتجُ» جَمْعُ سُفتجة، بضمِّ السينِ المهملةِ وسكونِ الفاءِ وفتحِ الفوقيةِ والجيمِ، معرَّبُ سفته، وهي: أن تقرضهُ قِدْراً ليدفَعهُ إلى أمينكَ في بلدٍ آخرَ لتستفيدَ به أنت، سقوطَ خطر الطريق، معدودةٌ في أنواعِ الربا، فأطلقوها على الصكِّ المأخوذِ على المقترضِ بذلك.

فمرادهُ بقوله: «وسفاتج» أنه يأخُذُ أوراقاً بشيء لا يقبضه، فاعرفه.

وقد أوضحَ الشهابُ الخفاجي التورية المارَّةَ هنا آخرَ هذه الأبياتِ في قوله:

إذا القصرُ لم تقضِ المنى في جنابهِ ... ولم تنفتحْ عند المضيقِ المناهجُ
فبيتُ الخلا منه أحبُّ لناظري ... فكم قُضيتْ للنفسِ فيه حوائجُ

---

(١) هكذا ورد في الأصل، ولعله أبو سعد الكاتب الكرماني محمد بن علي بن محمد المطلب، والد الوزير الصاحب أبي المعالي هبة الله ابن المطلب، الذي وصفه الذهبي بالأديب الأوحد، الذي مهر في الأدب والأخبار.. ثم تاب وغسل مسودات شعره، ومات سنة (٤٧٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٩٠).

مطلب: دُجيل:

ويُطلقُ الجوسقُ أيضاً على عدَّةِ قرى، منها قريةٌ بمصرَ تجاه بَلبيس، وقريةٌ بالعراقِ بدُجَيلٍ ـ بالتصغير ـ، وهو نهرٌ بأعلى بغداد يَخرجُ من دِجْلةَ مقابلَ القادسيةِ بالجانبِ الغربي، بين تكريتَ وبغداد، عليه مدنٌ وقرى، وهو غيرُ دُجَيلِ الأهوازِ، وفي الأوّلِ قيل:

أزيدَ في الليلِ ليلُ ... أم سالَ بالصبحِ سيلُ

ذكرتُ أهلَ دُجيلٍ ... وأين مني دُجَيلُ[1]

وقلتُ أنا في شخصٍ فضَّلَ ابناً على أبيهِ بلا حق، وفيه لزومُ ما لا يلزم:

أعليه اخترتَ نجلهْ ... إنها والله خجلهْ

لا تبالغْ في دُجيلٍ ... فدُجيلٌ بعضُ دِجْلهْ

ومنها: «الجاثَليق»:

بفتحِ المثلثة، رئيسٌ للنصارى، في بلادِ الإسلام بمدينةِ السلام، يكونُ تحت يدِ بطريقِ أنطاكية، ثم المَطْران ـ بفتحٍ فسكون ـ تحت يده، ثم الأَسقفُ يكونُ في كلِّ بلدٍ تحت يدِ المطران، ثم القِسِّيس، ثم الشمَّاس.

ومنها: «الجرامقة»:

قومٌ من العجمِ صاروا بالموصلِ أوائلَ الإسلام، الواحدُ جُرْمُقاني، بضمِّ الجيم والميم.

---

(١) قاله علي بن الجهم بن بدر وهو في السياق، عندما لقيته خيل لكلب فقتلته، وأخذ الأعراب ما معه. تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩)، الكامل في التاريخ (٦/ ١٥٥).

ومنها: «الجُرْمُوق»:

كعصفور، معرَّبُ سرموزه، وهو ما يُلبَسُ فوق الخُفِّ وقايةً له، وعرَّبتهُ العامةُ فقالوا سرموجة، ثم قالوا صرمة، وأطلقوها على النوعِ المعروفِ الذي يُلبسُ في الرِّجل.

ومنها: «الجَرْدقة»:

بهاءٍ وبدونها، وِزانُ جعفر، وهو الرغيف، ودالهُ بالإهمالِ والإعجام، كلاهما فصيحٌ مسموع، وإن كان إهمالها أوفقُ بالقاعدةِ المشارِ إليها بقولِ بعضهم:

اعرفِ الفرقَ بين دالٍ وذالٍ — فهو ركنٌ في الفارسيةِ مُعْظَمْ
كلُّ ما قبلهُ سكونٌ بلا وا — يٍ فدالٌ وما سواه فَمُعْجَمْ

وفارسيته «كرده» بالإهمالِ لا غير، و«جردبان» معرَّبُ «كرده بان» أي حافظَ الرغيف، بمعنى الحريصِ الشحيح.

ومنها: «الجِوالِق»:

بكسرِ الجيمِ واللام، وبضمِّ الجيمِ وفتحِ اللامِ وكسرها، معرَّبُ «كواله» أو «جوال» كما قاله ابن الطيب، والعامَّةُ اليومَ يقولونَ شوال، بالشينِ المعجمة، ككتاب، وهو الغِرارةُ بكسرِ الغينِ المعجمة، وجمعهُ جوالقُ كصحائف، وجواليقُ وجوالقات.

ومنها: «الجهالق»:

بضمِّ الجيمِ وتخفيفِ اللامِ وكسرِ الهاء: البندقُ الذي يُرمىٰ به، وفارسيته «جُله» وهي كبَّةُ غزل.

وكانت البندقُ تُعملُ أوّلاً من طين، فيكونُ مدوَّراً مدملقاً، أي مدملكاً، أي مدملجاً، أي أملس!

ونقل ابنُ الأثير في كاملهِ أن أوّلَ مُنكَرٍ ظهرَ بالمدينةِ الشريفةِ حينَ فاضتِ الدنيا تطييرُ الحمام، والرميُ بالجِلاهقاتِ عن القوس، فاستعملَ عثمانُ رضي الله عنه على المدينةِ رجلاً من بني ليثٍ سنةَ ثمانٍ من خلافته، فقصَّ الطيورَ وكسرَ قسيَّ الجلاهقات[1].

ومنها: «الجَوْق»:

بفتح الجيمِ وسكونِ الواو، والجوقةُ أيضاً بزيادة هاء: كلاهما الجماعةُ من الناس.

وقيل: الجوقُ كلُّ قَطيعٍ من الرِّعاءِ أمرهم واحد، فهو على هذا إنما يُطلقُ أصالةً على هؤلاءِ السفلة.

ومنها: «القُولنج»:

بضمِّ القافِ واللامِ وقد يفتحان، وقد تُكسرُ اللام، بل قيلَ بلزومِ كسرها، وسكونِ النون، وهو: أن تنعقدَ أخلاطُ الطعامِ في مِعَى يُقالُ له قولون فلا تنزل، ويعسرُ خروجُ الريح أيضاً، ويصعدُ بسببِ ذلك بخارٌ إلى الدماغ فيهلك، وهو أقسامٌ عند الأطباء.

وفي الخبر: «أكلُ الشَّمَرِ ـ بفتحِ الشينِ المعجمةِ والميم ـ أمانٌ من القولنج» رواه أبو نعيم[2].

مطلب: الأمعاء السبعة:

وقولون الذي نُسِبَ إليه هو سادسُ الأمعاءِ السبعة، وأولها المعدة،

---

(١) الكامل في التاريخ (٣/ ٧٠)، البداية والنهاية (٧/ ٢١٤).

(٢) حديث موضوع. ضعيف الجامع الصغير (١١٤٠). والشَّمَرُ والشَّمار: بقلة من الفصيلة الخيمية، ومنه نوع حلو يزرع ويؤكل ورقه وسوقه نيئاً، وآخر سكري يؤكل مطبوخاً. المعجم الوسيط مادة «شمر».

ثم ثلاثةٌ بعدها متصلةٌ بها، وهي البوَّاب، ثم الصائم، ثم الرقيق، وهذه الثلاثةُ رقيقة، ثم الأعور، والقولون، والمستقيمُ الذي طرفهُ الدُّبر، وهذه الثلاثةُ غليظة، وقد جمعتُها بقولي:

هي معدةٌ فثلاثةٌ وصلتْ بها بوَّابها معْ صائمٍ فرقيقِ
فالأعورُ القولونُ ثم المستقيـ ـمُ فهذه الأمعاء بالتحقيقِ

ومنها: «القَبْج»:

بفتح القافِ وسكونِ الموحدة، كما في القاموسِ ولسانِ العرب، لكن قال ابنُ الطيب: إنه لا قائلَ به، وإن الصوابَ أنه وِزانُ سَبَب، وهو الحجلُ الطائرُ المعروفُ وزناً ومعنى، وهو أيضاً الكروانُ معرَّبُ كَبج بالكاف.

ومنها: «الجَعْفَليق»[1]:

بفتحِ الجيمِ وسكونِ العينِ المهملة، وتبدلُ نوناً فيقال: الجنفليق، وفتحِ الفاءِ وكسرِ اللامِ وسكونِ التحتية، آخرهُ قاف. وهي: العظيمةُ من النساء، قال أبو حبيبة الشيباني:

قامَ إلى عذراءَ جَعْفَليقِ قد زُيِّنتْ بكَعْثَبٍ محلوقِ
يمشي بمثلِ النخلةِ السَّحُوقِ معجَّرٍ مُبجَّرٍ معروقِ
هامتهُ كصخرةٍ في نِيْقِ فشَقَّ منها أضيقَ المَضيقِ
طرَّقَهُ للعملِ المَوْمُوق يا حبَّذا ذلك من طريقِ[2]

---

(١) هذا الموضوع ورد هكذا في الأصل المخطوط، على ما فيه من ألفاظ بما لا يليق، من ذكر متاع الرجل والمرأة، وقد تكون محرجة عند البعض. وقد أبقيت عليه حفظاً للعلم، والأمانة، ولما فيه من فوائد لغوية وأدبية.

(٢) لسان العرب (١٠/ ٣٥).

و«الكَعثب»، بمثلثةٍ بعد العينِ المهملة، وفي لغةٍ قبلها، وِزانُ جَعْفَر، وهو: الفَرْجُ الضخمُ الممتلىء.

وقوله «يمشي»: حالٌ من فاعلِ قامَ المستتر.

والمرادُ بـ«مثل النخلة»: متاعهُ الذي بين فخذيه.

و«معجَّرٌ مبجَّر»: غليظٌ سمين.

و«معروق»: قليلُ اللحم.

و«هامته»: رأسه.

و«النِّيق» بالكسر: أرفعُ موضِعٍ في الجبل.

و«المومُوق»، بواوٍ بين الميمين: المحبوب.

ومعنى الأرجوزة واضحٌ فلا حاجة إلى الإطالة فيه.

وبعد:

فتلك الألفاظُ المارَّةُ كلها معرَّبة، شأنُ كلِّ كلمةٍ اجتمعَ فيها جيمٌ وقافٌ ولم تكنْ حكايةَ صوت، فهو بابٌ مطَّردٌ كما صرَّحَ به الأئمة، وإن قال ابنُ دريد في «الجمهرة»: إلا خمسَ أو ستَّ كلمات[١]، فهو خلافُ ما أطلقَهُ الأئمة، كالجوهريِّ في «الصحاح»، وخالِه[٢] الفارابي في «ديوانِ الأدب»، والمجدِ في القاموس، وغيرهم ممَّن لا يُحصىٰ كثرة، فاحفظه[٣].

---

(١) قال ابن دريد: لم تجمع العرب الجيم والقاف في كلمة إلا في خمس كلمات أو ست. وينظر التفصيل في المزهر للسيوطي (١/ ٢١٥).

(٢) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت نحو ٣٥٠هـ)، صاحب «ديوان الأدب»، هو خال إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، صاحب «الصحاح»، نصَّ عليه أصحاب التراجم، منهم صاحب «كشف الظنون» (١/ ٧٧٤)، وصاحب «الأعلام» (١/ ٢٩٣).

(٣) بلغ قراءة على د. المحاربي بصحن الحرم حتى أذان العشاء ٢٢ رمضان ١٤٣٢هـ.

فصل

مطلب: الوجوه التي تعرف بها عجمة اللفظ:

تُعرفُ عُجمةُ اللفظِ بوجوه، ذكرها أئمةُ العربيةِ منتشرة، فجمعتها هنا حسبَ الإمكانِ رهبةَ الضياع.

(الأوّل): النقل:

بأن ينقلَ ذلك أحدُ أئمةِ العربية، كما نقلَ الجوهريُّ أن (المرهَمَ) للذي يوضعُ على الجراحاتِ معرَّب، والجواليقي أن (الطارمة)، وهي بيتٌ من خشب، غيرُ عربي، وللثعالبي في «فقهِ اللغةِ» فصلٌ ساقَ فيه أسماءَ تفرَّدَ بها الفُرْسُ فاضطرَّتِ العربُ إلى تعريبها أو تركها كما هي، منها: الجرَّةُ، والكوز، والإبريق، والطَّست، والخُوان، والطبق، والقَصْعة، والخزّ، والدِّيباج، والسُّندس، والفَيروزج، والبِلَّور، والكعك، والفالوذج، والياسمين، والصَّنْدل، والكافور، والقُرنفل، والعنبر، والمسك.

(الثاني): خروجُ اللفظِ عن أوزانِ الأسماءِ العربية:

كإبراهيم، وبَلَخْش، بفتحِ الموحَّدةِ واللام وسكونِ الخاءِ المعجمة، آخرهُ شينٌ معجمة: جوهرٌ يُجلَبُ من بَلَخْشانَ من بلادِ الترك. والعجمُ تقولُ له بَذَخْشان، بذالٍ معجمة[1].

وكإسكندر، بكسرِ الهمزةِ وفتحها.

وأبريسم، بفتحِ الهمزةِ والراء، وقيل: بكسرِ الهمزةِ وفتح الراء، وقال ابنُ الأعرابي: بكسرِ الهمزةِ والراءِ وفتحِ السين، قال: وليس في

---

(١) ذكرها ياقوت بالذال، وأنها بلدة في أعالي طخارستان ومتاخمة لبلاد الترك. معجم البلدان (١/ ٣٦٠). وهي في بلاد الأفغان لا زالت موجودة.

الكلامِ إفعيلِل بكسر اللام، ولكن إفعيلَل بفتحها، اهـ. وهو معرَّبُ بريشم بالمعجمةِ فارِسي، ومعناهُ: الذاهبُ صاعداً.

وكإهْلَيلج بكسرِ الهمزةِ وفتحِ اللامِ، معرَّبُ إهليله، بكسرها.

وخُراسان، بضمِّ الخاءِ المعجمة، وهو فارسي، إذ ليس في كلامهم فُعالان.

وآمين، وهو عبراني، إذ ليس في كلامهم فاعيل.

وكذا ليس في كلامهم فِعْلَل، بكسر الفاءِ وفتحِ اللام، إلا دِرْهَم.

وهَبْلَع وبَلْعَم كلاهما من بَلع.

وضِفْدَع في لغةٍ ضعيفة، في ألفاظٍ معروفة، على أن التحقيقَ أن درهماً معرَّب، ومعناه بابُ هم[1].

(الثالث): أن يكونَ فيه نونٌ بعدها راءٌ لا فاصلَ بينهما، كما ذكرَهُ غيرُ واحدٍ من الأئمة:

وذلك كـ **(النَرْد)**، وهو الطاولةُ المعروفةُ المتفقُ على تحريم لعبها، فما قيلَ إنّ هناك قولاً بحلِّ لعبها غلط، كما حرَّرَهُ الإمامُ ابنُ حجر المكي رحمه الله تعالى[2].

وكـ **(النَّرْز)** بفتحٍ فسكونٍ آخرهُ زاي، وهو الاستخفاءُ من الفَزَع، فالتحقيقُ أنه غيرُ عربي، وإنما هو معرَّب، أو لفظٌ مصنوع.

وكـ **(النَّرْسيان)** بالكسر، وهو نوعٌ من أجودِ التمرِ بالكوفة، واحدتهُ

---

(١) هذا إذا كان فارسيًّا فهو صحيح؛ فإن (دَرْ) بالفارسية يعني: (باب)، و(هَمْ) هي عربية.

(٢) الحديث الصحيح في صحيح مسلم وغيره «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه». قال الإمام النووي: هذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد. شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٥).

نِرْسِيانة، وأهلُ العراقِ يضربونَ الزبدَ بهِ مثلاً لما يُستطاب، يقولون: أطيبُ من الزبدِ بالنرسيان. وقيلَ لأعرابي: أتأكلُ السمكَ الجِرِّيث ـ بكسر الجيم والراءِ المشدّدة فتحتيةٍ ساكنةٍ فمثلثة ـ وهو ثعبانُ الماء، فقال: تمرةٌ نِرسيانةٌ غرّاءُ الطرفِ صفراءُ السائر عليها مثلها زبداً أحبُّ إليّ منها، اهـ[1].

وكـ (النرجس) الزهرُ المعروف، الذي تسمِّيهِ العربُ العبهر، ولا نظيرَ لوزنه، أي وزنِ نرجس، فإنْ جاءَ بناءً على وزنِ فعلل فارددْهُ فإنه مصنوع، وقيل: هو نَفْعِل كنَضْرِب، فلو سُمِّي به لم ينصرفْ للعَلَمية ووزنِ الفعل هذا.

ووقعَ في «شفاء الغليل» ما لفظه: ولا تجتمعُ في كلامِ العربِ نونٌ بعدها راء، فنرجس ونورج معرَّبتان، اهـ.

و(النورج)، ويُقالُ له النيرج، والنوجر أيضاً، هو ما يُداسُ به أكداسُ الطعام، ويطلقُ على غير ذلك أيضاً.

وصريحهُ أنه لا يُشترطُ عدمُ الفصل بين النونِ والراء، وربما يؤيدهُ أنهم عدُّوا من الأعجميِّ ألفاظاً فيها الفصلُ بين النونِ والراء، منها:

(النِّبراس) بالكسر، وهو المصباح، وقيل: هو عربيٌّ من البِرْس، بكسر فسكون، وهو القطن، لأن فتيلتَهُ منه غالباً، فنونهُ زائدة.

و(النسرين)، بكسر أوّله وفتحهِ: وردٌ معروف.

و(النِّقْرِس) بكسر النونِ والراء. وهو الهلاكُ والداهيةُ وداءٌ معروف.

و(النارَنج) بفتحِ الراء، الثمرُ المعروف.

و(النِّيرَنج) بكسرِ النونِ وفتحِ الراءِ وسكونِ النونِ الثانية: مزاولةُ أعمالٍ مخصوصةٍ بواسطةِ الخواصِّ العنصرية يشبهُ السحرَ وليس به، وجمعهُ نيرنجات.

---

(١) المزهر في اللغة (٢/ ٦٥).

و(النَّيْرَب) بنونٍ فتحتية فراءٍ مهملةٍ فموحَّدة، وزانُ جَعْفَر، وهو الشرُّ والنميمة، وهو أيضاً الرجلُ القوي، وهو أيضاً قريةٌ بدمشقَ على نصفِ فرسخٍ منها في وسطِ البساتين، قال ياقوت: أنزهُ موضعٍ رأيته، يقال: فيه مصلىٰ الخَضِرِ عليه السلام. وقد ذكرها أبو المطاعِ وجيهُ الدولةِ بنُ حمدان وسمَّاها النيربين بالتثنية فقال:

سقى الله أرضَ النيربينِ وأهلها ... فلي بجنوبِ الغوطتينِ شجونُ
فما ذكرتْها النفسُ إلا استخفَّني ... إلى بردِ ماءِ النيربينِ حنينُ[1]

فالنيربُ على هذا غيرُ عربي؛ لوجودِ النونِ والراء، وإن كان بينهما فاصل، لكن ردَّهُ مَن اعتبرَ في شرطِ العُجمة عدمَ الفصلِ بينهما وقال إنه عربي.

والحقَّ أن دعوىٰ العُجمةِ مطلقاً فصلٌ فاصلٌ أم لا، مردودة، إذ لا شكَّ في عربيةِ النبر والنشر، والنجر والنحر، والنذر والنزر، والنصر والنضر، والنظر وأخواتها.

(الرابع): أن يكونَ آخرهُ زاياً بعد دالٍ مهملة:

نحو مهندز وهنداز، ولذا عرَّبوا ذلك بإبدالِ الزاي سيناً.

(الخامس): أن يكونَ في الكلمةِ دالٌ مهملةٌ بعدها ذالٌ معجمة:

فلا يوجدُ ذلك في كلامِ العربِ إلا قليلاً، ولذا أبىٰ البصريونَ أن يقولوا بغداذ، بإهمال الدالِ الأولى وإعجام الثانية، فأما الداذي، وهو شرابُ الفسّاق، ففارسي، فلا حجةَ فيه.

---

(١) كذا أنشد شارح القاموس، لكن في نسخة بأيدينا من ياقوت:
سقى الله أرض الغوطتين... إلخ. وبعد البيتين:
وقد كان شكي للفراق يُرْو عني ... فكيف يكون اليوم وهو يقين
اهـ. مصححة [مصحح الأصل].
قلت: وورد بألفاظ أخرى في تاريخ دمشق (٢/ ٣٩٨).

(السادس): أن تقعَ الشينُ في الكلمةِ بعد اللام:

إذ الشيناتُ كلُّها في كلامِ العربِ قبل اللامات، قاله ابنُ سيده[1].

قلت: وعليه فقولهم «تلاشى» غيرُ عربي، وأحسبهُ مأخوذاً من «لا شيء» أي صارَ لا شيء، ولم أرَ من أشارَ إليه قبلي، والحمدُ لله وحده.

(السابع): أن يجتمعَ في اللفظِ جيمٌ وصاد:

كالإجاص، والصولجان وهو المحجن، والصهريجِ، والجصّ، والصَّمَجة كقصبة، وهي القنديل، وجمعها صَمَج كَقَصب، وزعم بعضُهم أن هذه عربية، كما زعمَ الأزهريُّ أن الصنج، وهو ضربُ الحديدِ بالحديد، عربي، قال: وكذا جصَّصَ الجرَّ وعينيهِ تجصيصاً: فتحهما، وفلانٌ إناءَهُ[2] تجصيصاً: ملأه، لكن الذي أطلقَهُ الأكثرونَ الاطِّراد.

(الثامن): أن يجتمعَ فيه جيمٌ وطاء:

كالطاجنِ والطيجن، بمعنى المقلي، فكلاهما معرَّبُ طابق، وكالطباهجة، واحدةُ الطَّباهِج، بفتحِ الطاءِ وكسرِ الهاء، التي يقولُ فيها ابنُ الرومي:

طباهجةٌ كأعرافِ الديوك ... تروقُ العينَ من شرطِ الملوكِ
هلمَّ إلى مساعدتي عليها ... فلستُ لمثلِ ذلك بالتروكِ[3]

---

(1) وقاله في لسان العرب (٦/ ٣٣٨).
(2) أي: جصَّص إناءَهُ.
(3) محاضرات الأدباء (١/ ٧٠٨).

وبلغ هنا قراءة على الشيخين: د. المحاربي، والشيخ نظام يعقوبي، قبل عصر الثلاثاء ٢٣ رمضان ١٤٣٢هـ، بصحن الحرم المكي.

وهي اللحمُ المشويّ، معرَّبُ تباهه، والعربُ تسمِّيهِ الصَّفِيف، لأنهُ يُصَفُّ على الجمرِ لينشوي، ولا تسمِّيهِ الكَبابَ كما قاله الشهاب، قال: وأما قولُ القاموسِ الكَبابُ بالفتح اللحمُ المشرحُ والتكبيبُ عملهُ فلا يُعبأ به، اهـ. وكأنه اغترَّ بقولِ ياقوت: ما أظنهُ إلا فارسياً[1]، وليس في هذا ما يستندُ عليه في ذلك التهويل.

(التاسع): أن يجتمعَ فيه جيمٌ وقافٌ، كما مرّ:

فنحو: قَجّ، بقافٍ مفتوحةٍ وجيمٍ مشوبةٍ بالشينِ المعجمةِ ساكنة، غيرُ عربية، بل هي تركيةٌ بمعنى اهرب، وبمعنى كم الاستفهامية. أما قِجّ بكسرِ القافِ، فبمعنى الرِّجْل، بكسرٍ فسكون، وهو أيضاً تركي. وكذا مقلوبهُ جِقّ، بكسرٍ فسكون، بمعنى اخرج. فأما الجِقَّةُ بالكسرِ بمعنى الناقةِ الهرمةِ وجِقّ الطائرُ إذا ذرق، فمعرَّبان.

(العاشر): أن يجتمعَ فيه جيمٌ وكاف:

كالسُّكُرَّجة، بضمِّ السينِ والكافِ وفتحِ الراءِ المشدَّدة، وأخطأ من ضمَّها، وقد يقال: أسكرَّجة، بزيادةِ ألفٍ أوَّله، وهو معرَّبُ أُسْكُره، بضمِّ الأولِ والكاف، وهي إناءٌ صغيرٌ مدهونٌ توضعُ فيه الكوامخُ وما أشبهها من الجوارشِ على الموائدِ حول الأطعمةِ للتشهيةِ والهضم، والعربُ تسمِّيها الثُّقْوة، بمثلثةٍ مضمومةٍ فقافٍ ساكنةٍ فواوٍ فهاءِ تأنيث.

وفي حديث أنس رضيَ الله عنه «**ما أكلَ نبيُّ الله ﷺ على خِوانٍ ولا سُكُرَّجَة**» الحديث[2].

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٤٣٣).

(٢) قوله رضي الله عنه: «ما أكل النبي ﷺ على خِوان ولا في سكرجة ولا خُبز له مرقّق». صحيح البخاري، كتاب الأطعمة (٥٤١٥).

وكالكماج، نوعٌ من الخُبزِ معروفٌ بقرى مصر، واحدهُ كماجة.

وكالجَنك، بفتحِ الجيمِ العربية، وهي آلةٌ للطربِ معروفة، معرَّبُ جنك بالجيمِ الفارسية.

وكذا كمَنجا، وهي ربابٌ معروفٌ معرَّبُ كمانجه، عرَّبهُ كالذي قبلهُ المُحْدَثون، وفي هذا قيل:

انهضْ خليلي وبادرْ إلى سماعِ كمنجا
فليسَ من صدَّ تِيْهاً وراحَ عنا كمنْ جا

لكنَّ سماعها كالتي قبلها، بل كسائر آلاتِ الملاهي حرام، ولا عبرةَ بما يزعمهُ بعضُ أهلِ العصر من حلّها تمسُّكاً بما لا يُتَمسَّكُ به.

(الحادي عشر): أن يجتمعَ فيه صادٌ وطاء:

كالإصطبل، بكسر الهمزة، موقفُ الدواب.

والأُصْطُبة، بضمِّ الهمزةِ والطاءِ وشدِّ الموحَّدة، وهي المشاقة، معرَّبٌ استبي، وأغفله القاموس.

والإصْطَفلينة، واحدةُ الإصْطَفلين، بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ فسكونٍ فكسر، وهو الجَزرُ الذي يُؤكل.

وفي كتاب معاوية إلى قيصر: لأنتزعنكَ من المُلك انتزاعَ الإصطفلينة[1].

وأما الصراط: فصادهُ بدلٌ من السين، وليستا لغتينِ كما ظُنَّ، فهو عربي، وهذا الإبدالُ مطَّردٌ عند وجودِ الطاءِ وما معها، مما في قولي:

بالسين أو بالصادِ فُهْ عند حروفٍ أربعِ

---

(١) الفائق للزمخشري (١/ ٤٦)، لسان العرب (٦/ ٤).

أوائـــــلُ فـــــي قـــــولـــــنـــــا قـــــد خـــــابَ غـــــيـــــرُ طـــــيِّـــــعِ
والـــــحـــــاءَ زِدْ فـــــي لـــــغـــــةٍ لـــــكـــــلـــــب كـــــالـــــســـــفـــــحِ فَـــــعِ

فالقافُ نحو: صقر وسقر، وصدق وسدق.

والخاءُ المعجمةُ نحو: «**ولا صَخابَ في الأسواق**» أو «**سخاب**»[١] وصخر وسخر، وصرخ وسرخ.

والغينُ المعجمة نحو: سغب وصغب، وصبغ وسبغ.

والطاءُ المهملة: إصطفلينة وإسطفلينة، وصراط وسراط.

والحاءُ المهملةُ المزيدةُ في لغةِ كلب: كالسفح والصفح.

وقد علمتَ من الأمثلة أنه لا يُشترطُ أن تلاصِقَ الصادُ أو السينُ أحدَ تلك الحروف، ولا يُشترطُ تقدُّمٌ ولا تأخُّر.

وينبغي التيقُّظُ قبل إبدالِ إحداهما بالأخرى، فربما كان الإبدالُ يعطي معنى آخرَ غيرَ مناسبٍ للمقام، كما لا يخفىٰ على مَنْ وقفَ على نادرة «مصحَ الله ما بك» التي قيل في آخرها: فأنت إذن أبو سالح، وهي نادرةٌ مشهورةٌ بين أولي الأدب[٢].

---

(١) حديث في وصف رسول الله ﷺ بالتوراة قاله ابن عمرو رضي الله عنهما، رواه أحمد وغيره، مسند أحمد (٦٦٢٢) وصححه الشيخ شعيب، وباللفظ الثاني عند البخاري في صحيحه، كتاب البيوع (٢١٢٥).

(٢) من الخطأ الشائع أن يقال للمريض «مسح الله ما بك» بالسين، والصواب فيه «مصح» أي أذهب الله مرضك وفرَّقه.
وملخص القصة أن النضر بن شميل المازني مرض، فدخل عليه قومٌ يعودونه، فقال له رجلٌ منهم يكنى أبا صالح: مسح الله تعالى ما بك. فقال له: =

(الثاني عشر): أن يجتمعَ فيه سينٌ مهملةٌ وذالٌ معجمة:

كأستاذ، وسذاب، وساذج ـ معرَّبُ ساده ـ.

(الثالث عشر): أن يجتمعَ فيه سينٌ مهلمةٌ وزاي:

نحو سرموزة.

(الرابع عشر): أن يركَّبَ من موحَّدةٍ وسينٍ مُهملةٍ وفوقية:

كبُسْت، لمدينةٍ من بلادِ كابل، بضمِّ الموحَّدة، بين هَراة وغَزنة، يقولُ فيها الإمامُ الخطابي البستيّ صاحبُ «معالم السنن» رحمه الله تعالى:

وإني غريبٌ بين بُستَ وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وما غربةُ الإنسان في شقَّةِ النوىٰ ولكنها والله في عدمِ الشكل[1]

(الخامس عشر): أن يركَّبَ من موحَّدةٍ وقافٍ وميم:

قال ابن مكتوم: قال نصرُ بنُ محمد بنِ أبي الفنونِ النحوي في كتاب «أوزان الثلاثي»: ليس في العربيةِ تركيبُ (ب ق م)، ولا (ب م ق)، ولا (ق ب م)، ولا (ق م ب)، ولا (م ب ق)، فلذلك كان بَقَّم بفتحٍ فشدٍّ معرَّباً، اهـ.

(السادس عشر): أن يركَّبَ من جيمٍ وراءٍ وميمٍ ونون:

قال في الجمهرة: إلا ما اشتُقَّ منه مَرجان، ولم أسمعْ له بفعلٍ متصرِّف، قال: وذكرَ بعضُ أهلِ العلم أنه معرَّب، وأَحْرِ بهِ أن يكونَ كذلك، اهـ.

= لا تقل مسح بالسين، ولكن قل مصح بالصاد... فقال له الرجل: إن السين قد تبدل من الصاد، كما يقال الصراط والسراط، وصقر وسقر، فقال له النضر: فأنت إذاً أبو سالح! درة الغواص في أوهام الخواص (١/ ٢٢).

قلت: والسُّلاح كلُّ ما يخرج من البطن من الفضلات، وسالح اسم فاعل.

(١) يتيمة الدهر للثعالبي (٤/ ٣٨٣)، معجم الأدباء لياقوت (١/ ٦٣٥).

(السابع عشر): أن يركَّبَ من ثلاثةِ أحرفٍ من جنسٍ واحدٍ إلا في حرفين:

أحدهما: قولهم: غلامٌ بَبَّة، بفتح الموحَّدةِ الأولى وشدِّ الثانية، أي سمين، وبه لقبَ عبد الله بنُ الحارثِ بنِ نوفلَ بنِ الحارثِ بنِ عبد المطَّلب، وأمهُ هندُ بنتُ أبي سفيان، وكانت ترقصهُ وتقول:

لأنكحنَّ بَبَّه جاريةً خِدبَّه
مكرمةً محبَّه تجبُّ أهلَ الكعبه[1]

أي تغلبهنَّ حسناً.

وخِدَبَّة، بكسرِ الخاءِ المعجمةِ وفتحِ الدالِ المهملةِ وشدِّ الموحَّدة: ضخمةٌ سمينة.

وعاشَ بَبَّةُ هذا بعد مهلكِ خالهِ يزيد بن معاوية، وكان بالبصرة، فولوهُ عليهم، وهو معدودٌ فيمن أشبهوا النبيَّ ﷺ.

ثانيهما: قولُ الفاروقِ رضي الله عنه «لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأجعلنَّ الناسَ بَبّاناً واحداً»[2] بفتحِ الموحَّدةِ الأولى وشدِّ الثانية، وتُخفَّفُ أيضاً، أي طريقةً واحدةً في الرزقِ والأُعطية، لأنه كان يفضِّلُ أهلَ الجهادِ وأهلَ بدرٍ في العطاء.

فبَبَّةُ وببَّانُ على هذا عربيان.

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٢١)، سر صناعة الإعراب (٢/ ٥٩٩).

(٢) أخذه من لسان العرب (١/ ٢٢٢)، ويرد في مصادر أخر بلفظ: لولا أن أترك آخر الناس ببّاناً ليس لهم شيء ما فتحت على قرية إلا قسمتها كما قسم النبي خيبر، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها. البداية والنهاية (٤/ ٢٠١)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ١٨٨).

وقيل: بل بَبَّةُ اسمُ صوتٍ أصالةً فلا يعتدُّ به، وببَّانُ ليس عربياً محضاً.

هذا، وقال ابن درستويه في شرح الفصيح: لا يجوزُ أن تكونَ فاءُ الكلمةِ وعينُها حرفاً واحداً في شيءٍ من كلامِ العرب، إلا أن يفصلَ بينهما فاصل، ككوكب، وقبقب، قال: فأما بَبَّةُ فلقب، كأنها حكاية، قال: وزعمَ الخليلُ أن ددا حكايةٌ لصوتِ اللعبِ واللهو، اهـ. وهذا أضيقُ مما مر.

وبه عُلمَ أن الدَّدَ ليس عربياً محضاً، وهو وِزانُ يدٍ، فهو محذوفُ اللام، ولامهُ واو، فهو من وادي العصا والقفا.

وفيه لغةٌ ثانية: دَدَد بثلاثِ دالاتٍ مهملات، وِزانُ سَبَب.

وثالثة: دَدًا، كعصا وقفا، فعادَ لأصله.

ورابعة: دَيْد، وِزانُ زيد.

وخامسة: دَدَن بنونٍ آخره، وِزانُ سَبَب.

وسادسة: ديَدَان، بِفتحِ الدالِ والتحتيةِ وألفٍ عقبَ الدالِ الثانية، آخرهُ نون.

ومن اللغة الأولى ما في خبر «**لست من ددٍ ولا الدَّدُ مني**». رواه البخاري في الأدب والبيهقي والطبراني[1].

وفي رواية «**لستُ من دَدَ ولا دَدٌ مني، ولستُ من الباطلِ ولا الباطلُ مني**». رواه ابن عساكر[2] أي: لستُ من أهلِ اللعبِ ولا اللعبُ من

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٧٥٤)، الأدب المفرد للبخاري (٧٨٥). وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٤٦٧٣).

(٢) ضعفه بهذا اللفظ أيضاً في ضعيف الجامع (٤٦٧٤).

طريقتي. ولذا كان مزحهُ ﷺ حقاً[1].

ونحوه قوله ﷺ «لست من الدنيا وليستْ مني، إني بُعثتُ والساعةَ نستبق». رواه الضياء[2].

وهو كنايةٌ عن قربِ الساعةِ وقصرِ مدَّةِ بعثتِهِ بالنظر لما مضى.

(الثامن عشر): أن يكونَ آخرهُ واواً وأولهُ مضموم:

فلذا لما عرَّبوا «خسرو» إلى كسرى بنوهُ على «فعلى» بالفتح في لغةٍ وبالكسر في أخرى، وأبدلوا الكافَ فيه من الخاءِ علامةً لتعريبه.

(التاسع عشر): أن يكونَ على «فُوعِلاء»:

بضمِّ الفاءِ وكسرِ العينِ ممدوداً، فإنها كما قال الأندلسي في «المقصور والممدود» بنيةٌ لا توجدُ في كلامِ العربِ إلا معرَّبةً من كلامِ العجم، وذلك نحو: أورياء: اسم، وبورياء: الباري، وجودياء: الكساءُ بالنبطية، ولوبياء: اسمُ موضع واسمُ مأكول، من القطنيةِ معروف، وسوبياء: ضربٌ من الأشربة، وصورياء: مدينةٌ ببلادِ الروم، ولوثياءُ: الحوتُ الذي عليه الأرض، اهـ[3].

وقد تذكرتُ باللوبياء هنا قولي، وفيه لزومُ ما لا يلزم، ونكتةٌ أخرى سوى الجِناس:

طبخنا له بقلةَ اللوْبَيا ... فأبعدَها وانزوىٰ ناحيَهْ
إذا أنتَ لم تأكلِ اللوبيا ... فكُلْ هَوْعَةَ اللوبِ يا صاحيَهْ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٢٢٤).

(٢) وهو حديث صحيح. صحيح الجامع الصغير (٥٠٨٠).

(٣) نقله المؤلف من «المزهر في اللغة» للسيوطي (١/ ٢٣٦).

الهَوْعَة: القيئة، واللوب: النحل، وقيئةُ النحلِ هي العسل، فكأنه قال له: كُلْ عسلاً. وأكلُ العسلِ هنا مجازٌ عن أكلِ ما يُستحيا من ذكرِ اسمه، وقد كانَ قولهم «كُلْ عسلاً» خفياً في إفادةِ ذلك تلطُّفاً، فجاء قولنا «كُلْ هَوْعةَ اللوبِ» أخفى وأخفى.

وبعد، فقد كان يمكنُ إدراجُ هذا في الوجهِ الثاني المار، ولكنا أفردناهُ هنا لمزيدِ البيانِ والإيضاح.

(المتمُّ عشرين): أن يَعْرَىٰ ـ وهو رباعي أو خماسي ـ عن حروفِ الذلاقةِ الستة:

وهي «من فرلب»، وتسمَّى الحروفَ الذلقَ أيضاً، جمعُ أذلق.

وهي قسمان:

ثلاثةٌ منها «ذولقية» نسبةً إلى الذولق، كجعفر، وهو اللسان، لخروجها من ذلقه، كطَرْفه، وزناً ومعنى، وهي: **الراءُ، واللامُ، والنون.**

وثلاثةٌ شفوية، لخروجها من ذلقِ الشفةِ، وطرفها وهي: **الباءُ، والفاءُ، والميم.**

وإنما سُمِّيتِ الستةُ ذلقاً لأن الذلاقةَ في المنطق، وهي الحِدَّة والخِفَّة فيه، إنما هي بذلقِ اللسانِ والشفتين، وهما مَدْرَجتا هذه الستة وطريقها.

وربما سُمِّيتِ الستةُ ذولقية أيضاً، نسبةً للذولق، بمعنى الذَّلْق، وهو الطَّرَف.

وبالجملةِ فهي أخفُّ الحروفِ كلها، فمتى رأيتَ اسماً رباعياً أو خماسياً غيرَ ذي زوائد، فلا بدَّ فيه من حرفٍ أو حرفينِ منها، وربما كان ثلاثةً كجعفر، فيه الفاءُ والراء، وسَلْهب، فيه اللامُ والباء،

وفرزدق، فيه الفاءُ والراء، وسفرجل، فيه الفاءُ والراءُ واللام، وهكذا عامّةُ الباب.

ومتى وجدتَ كلمةً رباعيةً أو خماسيةً عاريةً عن الستة، فاعلمْ أنها غيرُ عربية، ولذا سُمِّيتِ الحروفُ غيرُ هذه الستةِ بالمصمَتة، ببناءِ اسم المفعول، أي المصموتُ عنها، إذ العربُ صَمَتتْ أن تبنيَ منها كلمةً رباعيةً أو خماسيةً بلا حرفٍ من حروفِ الذلاقة، لكنَّ ذلك ما لم يكنْ في الكلمةِ سينٌ مهملة، وإلا فهي عربية، لشبهِ الشينِ في الصفيرِ بالنونِ في الغنَّة، كالعسجدِ وزانُ جعفر، وهو الذهب، وقيل: كلُّ جوهرٍ كالدرِّ والياقوت، وهو أيضاً البعيرُ الضخم.

وكالعُسْقُد، بضمِّ العينِ المهملة والقافِ وسكونِ السينِ المهملةِ بينهما، آخرهُ دالٌ مهملة، وهو الرجلُ الطويلُ الأحمق.

فحكمَ ملّا علي قاري في ناموسهِ[1] على العسجدِ بأنه غيرُ عربي غفلةً عما ذُكر. وقد شنعَ عليه فيه غيرُ واحدٍ من المحققين، كالعلّامةِ ابنِ الطيِّب.

واختُلِفَ في القسطاس، وهو الميزان، فقيل: عربي، وقيل: روميٌّ معرَّب، وقيل: مما توافقَ فيه اللغتان.

ولعلك تقول: فيوسفُ على ما مرَّ عربي؟

فأقول: لا بل هو مما عُرِفَتْ عُجمتهُ بنقلِ الأئمة، وكذا أسماءُ الأنبياءِ كلُّها قد نصُّوا أنها أعجمية، إلا هوداً وشعيباً وصالحاً ومحمداً صلّى الله وسلّم عليه وعليهم أجمعين.

---

(١) له: الناموس في تلخيص القاموس للفيروزأبادي.

وأجابَ بعضُهم بأن علامةَ غيرِ العربي هي خلوُّهُ من حروفِ الذلاقة وحكمُ العلامةِ أن يلزمَ اطّرادُها ولا يلزمُ انعكاسها، أي أنه يلزمُ من وجودِها وجودُ المُعْلَم بها ولا يلزمُ من عدمها عدمهُ، فيلزمُ من وجودِ الخلوِّ في الرباعيِّ والخماسي وجودُ العُجمةِ ولا يلزمُ من عدمِ الخلوِّ فيما ذُكِرَ عدمُ العُجمة، فلا يردُ أن يوسفَ أعجميٌّ وقد وُجِدَ فيه من حروفِ الذلاقةِ الفاء، اهـ.

وهو جوابٌ جيِّدٌ جدًّا، لكنْ ينافيهِ أنَّ كلامهم كالصريح، أو صريحٌ في أن ما فيه شيءٌ من حروفِ الذلاقةِ يُحكمُ بعربيَّته حتى يُخرجَهُ نقلٌ أو علامةٌ من علاماتِ العُجمة.

(الحادي والعشرون): أن تعرىٰ الكلمة ـ وفيها تاءٌ فوقية ـ عن حرفِ «ذولقي»:

كالياقوت، والدست، كما نبَّهَ عليه الجوهريُّ في «الصِّحاح»، وخالهُ الفارابي في «ديوانِ الأدب».

ولذا حكما جميعاً بأن الجِبْتَ ليس من محضِ العربية. ونظرَ فيه الشيخُ نصر الهورينيُّ رحمه الله في هامشِ «المزهر» المطبوع، بأن فيه الباء، وهي من حروفِ الذلاقة.

وأقول: كلامُهما إنما هو في خصوصِ الذولقيةِ من حروفِ الذلاقة، فكأنهما يقولانِ: علامةُ العُجمةِ أن لا يكونَ مع الفوقية في الكلمةِ حرفٌ «ذولقيٌّ»، وإن كان معها فيها شيءٌ من الشفويةِ التي هي باقي حروفِ الذلاقةِ فهو كالاستثناءِ من القاعدةِ المارَّة.

كما استثنوا نحوَ «العسجد» منها.

وقد نصَّ الجوهريُّ أن البَختَ بالفتح، بمعنى الجدِّ والحظ، معرَّب، وكذا البُخت بالضم، وقيل: هذا عربي.

(الثاني والعشرون): عدمُ دخولِ «ال» على اللفظِ:

فيما قالهُ بعضهم، قال: وأخطأ مَنْ قال: المسيح معرَّب، اهـ.

وينافيهِ قولُ التبريزي في شرحِ قولِ أبي تمام:

من عهد إسكندرَ أو قبل ذلك قد شابتْ نواصي الليالي وهي لم تشبِ[1]

المتعارفُ بين الناسِ أن الإسكندرَ بالألفِ واللامِ فحذفهما منه، وقد فعلَ ذلك في غيرِ موضع، كقوله:

ما بين أندلسٍ إلى صنعاء[2].

وقوله:

وجــدُ فــرزدقٍ بــنــوار[3]

ولم تجرِ العادة أن يُستعملَ الفرزدقُ ولا الأندلسُ إلا بالألفِ واللام، اهـ.

وفي «شرح أبنية كتاب سيبويه»[4]: اعلمْ أنهم يعرِّبونَ الأسماءَ الأعجميةَ فيُلحقونها بأبنيتهم، وربما لم يُلحقوها بأبنيتهم، وربما تركوها على حالها إذا كانت حروفُها كحروفهم، اهـ.

وهو الحقُّ كما قاله الشهاب، فما مرَّ عن بعضهم غفلةٌ عما ذُكر.

---

(١) سمط النجوم العوالي (٣/ ٤٥٢).

(٢) قوله كما في بغية الطلب (٧/ ٣١٨٤).

ما سرَّني بخداجها من حُجَّة ما بين أندلسٍ إلى صنعاءِ

(٣) قوله:

فإذا ابن كافرةٍ يسرُّ بكفره وجداً كوجد فرزدقٍ بنوّار

(٤) لابن الدهان البغدادي سعيد بن مبارك، (ت٥٦٩هـ).

(الثالث والعشرون): وهو وجهٌ عامٌّ لا يختصُّ بالكلمة، بل باللغةِ كلها، ما أشارَ إليه في «شفاء الغليل» إذ قال: **ولا توجدُ الضادُ والظاءُ في غيرِ كلامِ العرب.**

قال: أما الضادُ فبلا نزاع.

وأما خبر «**أنا أفصحُ من نَطقَ بالضاد**» فلم يصحَّ مرفوعاً[1]، فلا حجةَ فيه.

وأما الظاءُ فلأنها لا توجدُ بمخرجها المخصوصِ في غيرِ العربية، وتسمّى «مُشالة» لرفعِ خطِّها بالألف، فرقاً بينها وبين الضاد، من أشالَهُ إذا رفعه.

وفي الهمزية:

وبهم فخرُ كلِّ من نطقَ الضا ... دَ فقامتْ تغارُ منها الظاءُ[2]

لأنه عند الغَيْرةِ والحِدَّة يقومُ الشخص، ولذا يُكنىٰ عن الأمرِ العظيمِ بالمُقيمِ المُقْعد.

وللفيومي أحدِ رجالِ القرنِ الحادي عشر:

كنِ ليناً سهلَ الحجابِ ولا تكنْ ... صعبَ المِراس فإنه إزراءُ

وانظرْ لحرفِ الضادِ أصبحَ ساقطاً ... لمَّا تعسَّرَ واستقامَ الظاءُ

اهـ. بتصرف.

---

(١) نعم، وكذا نقله في كشف الخفاء (٦٠٩)، من أنه لا أصل له، ولا يعرف له إسناد، وإن كان معناه صحيحاً.

(٢) يريد: وبهم فخر جميع العرب، كما في سرِّ الفصاحة (١/ ٥٦). والبيت للمتنبي.

وتعليلهُ في الظاءِ بأنها لا توجدُ إلخ، لا يخلو عن مصادرةٍ كما لا يخفى.

مطلب: مخرج الضاد والظاء:

وصفوةُ القولِ في مخرجيهما: أن الضادَ من أصلِ حافةِ اللسانِ وما يليها من الأضراسِ عن يمينِ اللسانِ أو يساره، فلها مخرجان، ومنهم من يتمكنُ منهما كعمرَ رضي الله عنه، والظاءُ المُشالة، من طرفِ اللسانِ وأصولِ الثنايا العليا، فهي ذولقية، والضادُ شجريَّة، فبينهما بَوْنٌ بعيدٌ مخرجاً وصفة، فلا تُبدَّلُ إحداهما من الأخرى.

وقال الإمامُ ابنُ الأعرابي: بل يجوزُ في كلام العربِ أو يُعاقَبُ بينهما، فلا يُخطىءُ من يجعلُ هذه موضِعَ هذه، ويُنشد:

إلى الله أشكو من خليلٍ أودُّهُ   ثلاثَ خصالٍ كلُّها لي غائضُ

ويقول: هكذا سمعتهُ بالضاد، اهـ.

لكنْ أوَّلَهُ التبريزي وغيره بأنه مِنْ غاضَهُ إذا نَقَصَه، أي: كلُّها يكسرُ من نشاطي، فليس من الغيظ[1].

وأما الفقهاءُ فقد اختلفوا: هل يُمتنعُ إبدالُ إحداهما من الأخرى وتفسدُ به الصلاةُ أو لا؟ فقيلَ وقيل، والذي اختارَهُ المتأخرونَ من الحنفيةِ وأفتى به المقدسي، أنه: إذا أمكن الفرقُ بينهما فتعمَّدَ ذلك وكانَ مما لم يقرأ به وغيَّرَ المعنى، فسدتِ الصلاة، وإلا فلا لعسرِ التمييزِ بينهما، خصوصاً على العجم، وقد أسلمَ كثيرٌ منهم في الصدرِ الأوّل،

---

(١) سر صناعة الإعراب (١/ ٢١٥)، لسان العرب (٧/ ٢٠١).

ولم يُنقلْ حثُّهم على الفرقِ وتعليمهِ من الصحابة، ولو كان لازماً لفعلوهُ ونُقِلَ إلينا، وهذا هو الذي عليه البزازي[1] وصاحبُ المحيط وغيرُهما من المحققين[2].

وقد جمعتُ لكَ هذا الفصلَ من قِلٍّ وعشرة، وهو من حسناتِ هذه الرسالةِ فاحرصْ عليه، والسلام.

فصل

مطلب: ما معنى «وكفى» في قوله «الحمد لله وكفى»:

ولنعدْ هنا في خاتمةِ الرسالةِ إلى فاتحتها، وهي: الحمدُ لله وكفى، فقد سألني بعضُ أذكياءِ العصرِ عن معنى «وكفى» هنا، وذكر لي أنه طالما توقفَ فيه، فقلت:

هذا اللفظُ كثيراً ما استعملهُ السيوطي في خُطَبِ رسائلهِ القِصار، فتبعتهُ فيه، وهو يحتملُ عَوْدَ الضميرِ فيه على الله تعالى، ويحتملُ عودَهُ على لفظِ الصيغةِ قبله.

فإن كان عائداً عليه تعالى احتملَ أن تُجعلَ الواوُ حاليةً بتقديرِ «قد» فهو حينئذٍ حمدٌ مقيَّد، فكأنه قال: الحمدُ لله لأنه قد كفانا المؤنةَ بالمعونةِ في كلِّ شيء.

---

(١) شهاب الدين محمد بن محمد بن يوسف الكردري البزازي، فقيه حنفي مشهور، مات سنة (٨٢٧هـ).

(٢) قال الشربيني الخطيب رحمه الله: الخلاف مخصوص بقادر لم يتعمَّد، أو عاجزٍ أمكنه التعلم فلم يتعلم. أما العاجز عن التعلم فتجزئه قطعاً وهو أمي، والقادر المتعمد لا تجزئه قطعاً. مغني المحتاج (١/١٥٨).

وإن كان عائداً على لفظِ الصيغة، كان ثناءً على هذا الثناء، بأنهُ كافٍ شافٍ في مقامِ الحمدِ المطلوب، بعدما كان يخيَّلُ للإنسانِ أنه لا يُمكنهُ القيامُ بصيغةٍ تسقطُ عنه المطلوبَ من الحمد، إذ نعمُ الله تعالى عليه لا تُحصى، ولو لم يكنْ منها إلا الهواءُ الذي يأخذهُ أنفاساً داخلةً خارجةً لعجزَ عن الحمدِ الواجبِ على عددِ تلك الأنفاس، فما ظنُّكَ بغيرِ ذلك من العوارفِ كالمعارفِ؛ ولذا ورد «لا نُحصي» أي لا نُطيقُ ثناءً عليك، أي تفصيلاً، فأشارَ بقوله: «وكفى» إلى أن ذلك اللفظَ، لفظُ «الحمدُ لله» لا يقصرُ عن تأديةِ المطلوبِ من الحمدِ إجمالاً، مشيراً إلى التفصيل.

ولذا حصلتِ المنَّةُ بتعليمهِ في ديباجةِ الكتابِ العزيز، وأُمرنا بقراءتهِ وتكريرهِ ليسقطَ عنا الطلبُ بالإتيانِ به رحمةً من الله تعالى بنا، إذ عَلِمَ عجزنا عن القيامِ بتفصيلِ ما يجبُ من حمدهِ وشكرهِ على تفاصيلِ نعمه، فاكتفىٰ منا بهذا اللفظ، كيف وهو من جوامع الكلم، إذ «ال» موضوعةٌ لإفادةِ الاستغراقِ ما لم يتحققْ عهدٌ، سواء أكانَ المعرَّفُ بها مفرداً أم جمعاً فلا تتوقفُ في إفادتها الاستغراقَ على قرينة، خلافاً لمن يقولُ بقرينةِ المقام، كما أفادَهُ الإمام الشَّبْرَامَلِّسي[1] في حواشي النهاية.

ومن جعلها للجنسِ نظرَ إلى أن تحقُّقَهُ إنما يكونُ في أفرادهِ فيرجعُ إلى الاستغراق.

---

(١) الفقيه الشافعي الجليل علي بن علي الشبراملسي المصري، توفي سنة (١٠٨٧هـ)، له حاشية على نهاية المحتاج في الفقه الشافعي، طبعت بهامش النهاية في القاهرة.

ومن جعلها عهديةً نظرَ إلى أن المعهودَ إذا كان له تعالى كان له غيرهُ أيضاً بالأولى.

وبالجملة، فلامُ التعريفِ استغراقيةٌ أو جنسيةٌ أو عهدية، ولام «لله» للاستحقاقِ والاختصاص.

وإذا أنشأ العبدُ مضمونَ ذلك بهذا اللفظِ الشريفِ معترفاً مقرًّا به، فكيف لا يكونُ كافياً شافياً في مرامهِ هنا، ذلك لعمري أمرٌ مقرَّرٌ مفروغٌ منه، أوائلَ الكتبِ وأواخِرَها.

والحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وصلّى الله وسلَّم على حضرةِ حبيبهِ الأعظمِ ومَنْ والاه، آمين.

قالَ مؤلفها:

فرغتُ من تبييضها منتصف شهرِ ربيعٍ الأول، من سنةِ ثمانٍ وثلاثمائةٍ وألف، أحسنَ الله عاقبتها، آمين.

والحمدُ لله ربِّ العالمين[1].

❑❑❑

---

(١) بحمد الله تعالى تمَّت قراءة هذا الكتاب في مجلسين أولاهما في ٢٢ رمضان المبارك ١٤٣٢هـ. والثاني في ٢٣ منه. وكان ذلك قبيل صلاة العشاء في المسجد الحرام تجاه الركن الشامي، وقد قرأها الأخ عماد الجيزي على الأستاذ الدكتور عبد الله المحاربي، وسمعت طرفاً منها.



فهرس مراجع التحقيق[1]

١ ـ **أخبار مكة/** محمد بن إسحاق الفاكهي؛ تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ـ ط٢. ـ بيروت: دار خضر، ١٤١٤هـ [التراث].

٢ ـ **أدب الكاتب/** ابن قتيبة الدينوري؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ـ ط٤. ـ القاهرة: مكتبة السعادة، ١٣٨٣هـ [التراث].

٣ ـ **الأدب المفرد/** البخاري؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ـ ط٣. ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ [التراث].

٤ ـ **الأعلام/** خير الدين الزركلي. ـ ط٤. ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ.

٥ ـ **الأغاني/** أبو الفرج الأصفهاني؛ تحقيق علي مهنا، سمير جابر. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

٦ ـ **البدء والتاريخ/** ابن طاهر المقدسي. ـ بوسعيد: مكتبة الثقافة الدينية [التراث].

٧ ـ **البداية والنهاية/** ابن كثير. ـ بيروت: مكتبة المعارف [التراث].

٨ ـ **بغية الطلب في تاريخ حلب/** عمر بن أحمد بن العديم؛ تحقيق سهيل زكار. ـ د.م: دار الفكر [التراث].

---

(١) المراجع التي وُضع في آخرها لفظ [التراث] هكذا بين معقوفين، هي للأقراص المدمجة التي أصدرها مركز التراث للبرمجيات في الأردن.

٩ ـ **تاريخ الطبري**. ـ بيروت: دار الكتب العلمية [التراث].

١٠ ـ **تاريخ مدينة دمشق**/ ابن عساكر؛ تحقيق عمر غرامة العمروي. ـ بيروت. دار الفكر، ١٤١٥هـ [التراث].

١١ ـ **تحرير تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني**/ بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ.

١٢ ـ **تخريج الدلالات السمعية**/ علي بن محمود الخزاعي؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

١٣ ـ **ترتيب القاموس المحيط**/ الطاهر أحمد الزاوي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ.

١٤ ـ **تفسير ابن كثير**. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

١٥ ـ **تفسير الطبري**. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

١٦ ـ **التلخيص الحبير**/ ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق عبد الله هاشم اليماني. ـ المدينة المنوّرة، ١٣٨٤هـ [التراث].

١٧ ـ **تلخيص المستدرك**/ الذهبي (بهامش المستدرك).

١٨ ـ **تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي**/ الذهبي؛ تحقيق ياسر بن إبراهيم بن محمد. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ [التراث].

١٩ ـ **التمهيد**/ ابن عبد البر القرطبي؛ تحقيق مصطفى أحمد العلوي وآخرين. ـ الرباط: وزارة الأوقاف، ١٤٠١هـ [التراث].

٢٠ ـ **تنزيه الشريعة**/ الكتاني؛ تحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ [التراث].

٢١ ـ **الحماسة البصرية**/ علي بن الحسن البصري؛ تحقيق مختار الدين أحمد. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ [التراث].

٢٢ ـ **الحماسة المغربية/** أحمد بن عبد السلام التادلي؛ تحقيق محمد رضوان الداية. ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١١هـ [التراث].

٢٣ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور/** السيوطي. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٣هـ [التراث].

٢٤ ـ **درة الغواص في أوهام الخواص/** الحريري؛ تحقيق عرفات مطرجي. ـ بيروت: مؤسسة الكتب، ١٤١٨هـ [التراث].

٢٥ ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/** علي بن بسام؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار الثقافة، ١٤١٧هـ [التراث].

٢٦ ـ **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام/** عبد الرحمن السهيلي؛ تحقيق مجدي منصور الشورى. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ [التراث].

٢٧ ـ **سر صناعة الإعراب/** ابن جني؛ تحقيق حسن هنداوي. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ [التراث].

٢٨ ـ **سر الفصاحة/** عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ [التراث].

٢٩ ـ **سمط النجوم العوالي/** عبد الملك العاصمي؛ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ [التراث].

٣٠ ـ **سنن ابن ماجه/** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ـ القاهرة: دار الحديث، د.ت.

٣١ ـ **سنن أبي داود/** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

٣٢ ـ **السنن الكبرى/** البيهقي؛ تحقيق محمد عبد القادر عطا. ـ مكة المكرّمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ [التراث].

٣٣ ـ **سير أعلام النبلاء**/ الذهبي. ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١. ـ ١٤٠٩هـ [التراث].

٣٤ ـ **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ﷺ**/ علي بن برهان الدين الحلبي. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ [التراث].

٣٥ ـ **السيرة النبوية**/ ابن هشام؛ تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. ـ [بيروت]: دار الكنوز الأدبية، د.ت.

٣٦ ـ **شرح النووي على صحيح مسلم**. ـ ط٢. ـ بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٢هـ [التراث].

٣٧ ـ **الشافية في علم التصريف**/ عثمان بن عمر الدويني؛ تحقيق حسن أحمد العثمان. ـ مكة المكرّمة: المكتبة المكيّة، ١٤١٥هـ [التراث].

٣٨ ـ **شعب الإيمان**/ البيهقي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

٣٩ ـ **صحيح البخاري** (بهامش فتح الباري. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ).

٤٠ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.

٤١ ـ **صحيح مسلم**. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.

٤٢ ـ **الضعفاء**/ العقيلي؛ تحقيق عبد المعطي قلعجي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ [التراث].

٤٣ ـ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط٣. ـ.بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ.

٤٤ ـ **طبقات فحول الشعراء**/ محمد بن سلام الجمحي؛ تحقيق محمود شاكر. ـ جدة: دار المدني [التراث].

٤٥ ـ **الطبقات الكبرى/** محمد بن سعد البصري. ـ بيروت: دار صادر، د.ت [التراث].

٤٦ ـ **العبر في خبر من غبر/** الذهبي؛ تحقيق صلاح الدين المنجد. ـ ط٢. ـ الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٤هـ [التراث].

٤٧ ـ **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية/** ابن الجوزي؛ تحقيق خليل الميس. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ [التراث].

٤٨ ـ **عون المعبود في حل أبي داود/** محمد شمس الحق العظيم آبادي. ـ ط٢. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ [التراث].

٤٩ ـ **الفائق في غريب الحديث/** الزمخشري؛ تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. ـ ط٢.ـ بيروت: دار المعرفة [التراث].

٥٠ ـ **الفتاوى الهندية/** جماعة من علماء الهند. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١١هـ [التراث].

٥١ ـ **الفردوس بمأثور الخطاب/** الديلمي؛ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ [التراث].

٥٢ ـ **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال/** البكري [التراث].

٥٣ ـ **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس/** أحمد بن محمد الثعلبي. ـ بيروت: المكتبة الثقافية، د.ت.

٥٤ ـ **الكامل في التاريخ/** ابن الأثير الجزري؛ تحقيق عبد الله القاضي. ـ ط٢. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ [التراث].

٥٥ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال/** ابن عدي؛ تحقيق سهيل زكار؛ قرأه ودققه يحيى مختار غزاوي. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ [التراث].

٥٦ ـ **الكتاب/** سيبويه؛ تحقيق عبد السلام هارون. ـ بيروت: دار الجيل [التراث].

٥٧ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**/ العجلوني؛ تحقيق أحمد القلاش. ـ ط٤. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ [التراث].

٥٨ ـ **اللآلىء المصنوعة**/ السيوطي؛ تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ [التراث].

٥٩ ـ **لسان العرب**/ ابن منظور. ـ بيروت: دار صادر [التراث].

٦٠ ـ **المجروحين**/ ابن حبان البستي؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد. ـ حلب: دار الوعي [التراث].

٦١ ـ **مجمع الأمثال**/ الميداني؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ـ بيروت: دار المعرفة [التراث].

٦٢ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ نور الدين الهيثمي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.

٦٣ ـ **محاضرات الأدباء**/ الراغب الأصفهاني؛ تحقيق عمر الطباع. ـ بيروت: دار القلم، ١٤٢٠هـ [التراث].

٦٤ ـ **مختار الصحاح**/ محمد بن أبي بكر الرازي؛ تحقيق محمود خاطر. ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ [التراث].

٦٥ ـ **المراسيل**/ أبو داود السجستاني؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ. [التراث].

٦٦ ـ **المزهر في علوم اللغة والأدب**/ السيوطي؛ تحقيق فؤاد علي منصور. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ [التراث].

٦٧ ـ **المستدرك على الصحيحين**/ الحاكم النيسابوري؛ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ [التراث].

٦٨ ـ **المسند**/ أحمد بن حنبل. ـ القاهرة: مؤسسة قرطبة [التراث].

٦٩ ـ **المصنف**/ ابن أبي شيبة؛ تحقيق كمال يوسف الحوت. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ [التراث].

٧٠ ـ **المعارف**/ ابن قتيبة الدينوري؛ تحقيق ثروت عكاشة. ـ القاهرة: دار المعارف [التراث].

٧١ ـ **معجم الأدباء**/ ياقوت الحموي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ [التراث].

٧٢ ـ **المعجم الأوسط**/ الطبراني؛ تحقيق محمود الطحان. ـ الرياض: مكتبة المعارف، ٥. ـ ١٤١٦هـ.

٧٣ ـ **معجم البلدان**/ ياقوت الحموي. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

٧٤ ـ **المعجم الكبير**/ الطبراني؛ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. ـ ط٢. ـ الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ [التراث].

٧٥ ـ **معجم المؤلفين**/ عمر رضا كحالة. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

٧٦ ـ **المعجم الوسيط**/ مجمع اللغة العربية. ـ ط٢. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٧٧ ـ **مغني المحتاج**/ محمد الشربيني الخطيب. ـ بيروت: دار الفكر [التراث].

٧٨ ـ **المفصل في المعرب والدخيل**/ سعدي ضناوي. ـ بيروت: المكتبة العلمية، ١٤٢٤هـ.

٧٩ ـ **الموضوعات**/ ابن الجوزي: تحقيق توفيق حمدان. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ [التراث].

٨٠ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**/ أحمد بن محمد المقري التلمساني؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ [التراث].

٨١ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ ابن الأثير؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي. ـ بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ [التراث].

٨٢ ـ **هم الهوامع**/ السيوطي؛ تحقيق عبد الحميد هنداوي. ـ القاهرة: المكتبة التوفيقية [التراث].

٨٣ ـ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**/ عبد الملك الثعالبي؛ تحقيق مفيد محمد قميحة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ [التراث].





المحتوى

الرسالة الثانية
قطع اللَّجاج في الإجاج

❑❑❑

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(١٨٦، ١٨٧)



ويليه:

قطع اللجاج في الأجاج

تأليف

أحمد بن أحمد الحلواني الخليجي

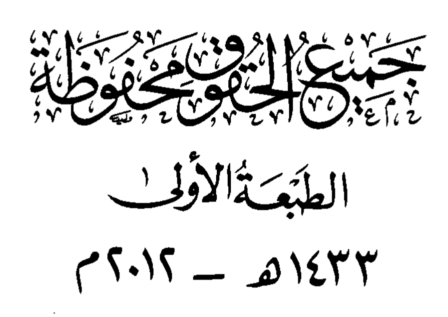
المتوفى سنة (١٣٠٨هـ) رحمه الله تعالى

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية



شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٧٠٢٨٥٧/٠٠٩٦١١ فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
email: info@dar-albashaer.com \ bashaer@cyberia.net.lb
website: www. dar-albashaer.com